مسالك الأبصار

في ممالك الأمصار

لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري

(ت ٧٤٩ هـ)

السفر السادس عشر

شعراء العصر العباسي الثاني

تحقيق

الدكتور محمد إبراهيم حُوَّر

٨١١،٠٠٩٢
ف ض م س
ابن فضل الله العمري، شهاب الدين ابو العباس احمد بن يحيى،
٧٠٠-٧٤٩هـ.
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: السفر السادس عشر «شعراء العصر العباسي الثاني» / تاليف ابن فضل الله العمري؛ تحقيق محمد حور.-
ابوظبي: المجمع الثقافي، 2003 .
٤٣١ ص .
ببليوجرافية: ص ٣٥١ - ٣٥٣.
١- الشعراء العرب - العصر العباسي الثاني.
٢- الشعر العربي - العصر العباسي الثاني - مختارات.
أ- محمد ابراهيم حور، ١٩٤٦ - ، محقق.
ب- العنوان.

أبوظبي-الإمارات العربية المتحدة
ص.ب ٢٣٨٠-هاتف: ٦٢١٥٣٠٠
Email:nlibrary@ns1.cultural.org.ae
http:/www.cultural.org.ae

تم تحقيق هذا الكتاب بتكليف من المجمع الثقافي

مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار

تقديم

(١)

هذا هو السِّفر السَّادس عشر من كتاب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري، وقد اشتمل على (٦٩) تسع وستين ترجمة لشعراء الجانب الشرقي، كما اصطلح عليهم، بدأهم بالشاعر حكّينا البغدادي، المتوفى سنة ٥٢٨هـ، وختمهم بمعاصره الشاعر عمر بن الوردي. أي أن هذا السِّفر اشتمل على تراجم شعراء أواخر العصر العباسي.

وقد تفاوت الشعراء الذين عرض لهم العمري في سفره هذا. فمنهم المقدم المشهور المعروف منذ عصره إلى يومنا هذا بديوانه وسيرته، كأسامة بن منقذ، وسبط بن التعاويذي، وعمارة اليمني، وابن عنين، وفتيان الشاغوري، وصفي الدين الحلي، وعمر بن الوردي. ومنهم المغمور الذي لا يعرف شاعراً، لكن العمري درجه ضمن الشعراء كآل منقذ الذين ذكر كثيراً منهم، وهم وإن كان لهم شأن اجتماعي أو سياسي في زمنهم، إلا أنهم أبعد ما يكونون عن الشعر.

وقد كان كتاب «خريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الأصفهاني بأقسامه الثلاثة: العراق، والشام، وفارس، المصدر الأول الذي عوّل عليه المؤلف في تراجمه. يضاف إليه دواوين الشعراء المتأخرين الذين عاصروا العمري، وتأخروا عن صاحب اليتيمة، كصفي الدين الحلي وعمر بن الوردي.

ولا شك في أن التراجم التي اشتمل عليها هذا السفر، والاختيارات الشعرية التي جاءت تالية لهذه التراجم تعطي صورة واضحة لعصرها الذي قيلت فيه. وهي صورة دللت من جديد على أنه عصر أقرب للضعف منه للقوة؟ وأن شعراءه كانوا صدىً خافتاً مبهماً لمن سبقوهم من شعراء العصر العباسي الأول. وإن نشر شعرهم أدخل في باب التاريخ منه في باب الفن.

(٢)

جاء منهجي في التحقيق معتمداً على النسخة المخطوطة الوحيدة التي بين يدي، وقد عنيت بقراءتها غير مرة، وآمل أن أكون قد وفقت في هذه القراءة لأصل إلى تقديم النص كما أراده مؤلف الكتاب.

وأحلت غير سير الشعراء وشعرهم كما يلي:

- إذا كان للشاعر ديوان شعر منشور اعتمدت على الديوان حسب، سيرة وشعراً.

- إذا لم يكن للشاعر ديوان شعر أحلت على أقدم المصادر وأوفاها بمصدر أو اثنين.

- جعلت لكل شاعر رقماً، وأثبت اسمه تحت رقم، بوصفه عنواناً للترجمة.

- الشروح والتعليقات كانت محدودة جداً لأن طبيعة الشعر لا تتطلب ذلك.

- ذيلت السفر بقائمة للمصادر والمراجع.

- ختمت السفر بالمحتوى، وهو أسماء الشعراء وأرقام تراجمهم في الكتاب.

- ألحقت بالتقديم أربع صفحات: اثنتان للعنوان والصفحة الأولى من السفر. واثنتان للصفحتين الأخيرتين من السفر.

وبالله التوفيق.

محمد إبراهيم حُوَّر

عمَّان في: أول رجب ١٤٢٢هـ

الموافق ١٧ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١م



صورة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله

ومنهم الأديب أبو محمد الحسن بن أحمد بن حكينا البغدادي

شاعر يتبع من القصائد أبجحها ونقيب تنقب عن الفرائد فاستخرجها حاك

من النظم حللاً كأنه بأشعة الشمس مزجها وحاكى رضاب بنت الكرم

إلا أنه بالشهد لا بالماء مزجها وشعره زهري النفحات زهري اللمحات

لديه معنى تختلس القلوب وتختلف بعذوبته الأرواح اختلاف النسيم عند

الهبوب اتفق أهل العراق على استحسان لطايفه وإحسان دوحه المثمر

بما اجتناه لقاطفه وكانت ستروح بورد تنفح وورد حضره ورويه وردانه

في شعره وتلا ابن حكينا فوق ما حكينا وتذكره العماد الكاتب

وشكوه بالتلمس العراقي على التايب وزا [illegible] فيه بطريق المسكر

مطبوع ثم أتى الزمان مثله في رقة لفظه وسلاسته وقد أجمع أهل

العراق على أنه لم يرزق أحد من الشعر لطافة طبعه وله الإشارات النادرة

المدهشة التي من حقها أن تكتب بماء الذهب انتهى كلام العماد

الكاتب وما المختار هنا هنا من [illegible] في قوله ما وقفت له عليه

وقطعت من حجى جنبه له قوله

عيناك ترى قلبي يا سيدنا فأكذبك يلبس الخردا

ريقته الشهد والدليل على ذلك نحل حوله عقدا

ومنه قوله

يا من شكى عنه وبلاه منها وبما الناس فيما يشتكون وأنت منها تشتكيها

ومنه قوله

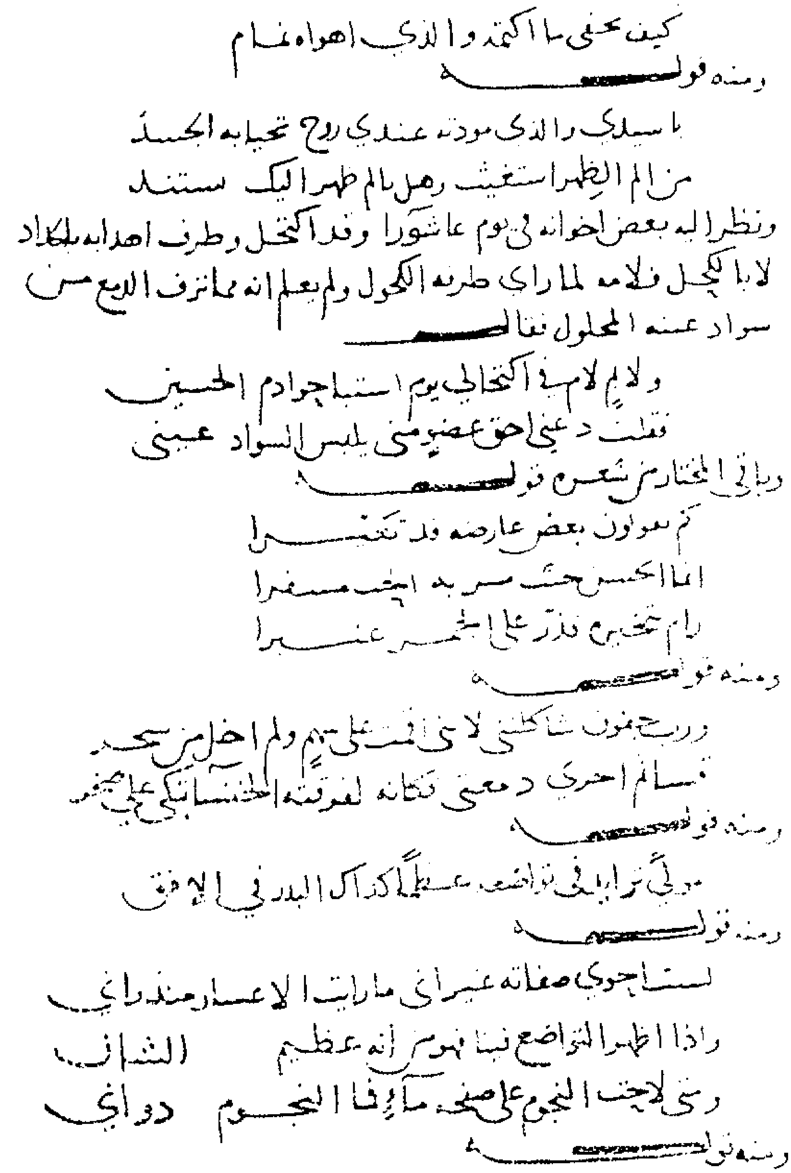
تبرم بالعذار وظن أني قاطعه وأخرج من يديه

وخانت عارضاه خلاص قلبي من التبريح فانعقلت عليه

ومنه قوله لا تنتهي في عوارضه سبب والناس [illegible]

كمن

صورة الصفحة الأولى


كيف تخفى ما اكتمه والذي اهواه نمام

ومنه قوله ـــــ

يا سيدي والذي مودته عندي روح تحيا به الجسد
من الم الظهر استغيث وهل بالم ظهر اليك يستند

ونظر اليه بعض اخوانه في يوم عاشورا وقد اكتحل وطرف اهدابه بالمداد
لا بالكحل فلامه لما راى طرفه الكحول ولم يعلم انه مما نزف الدمع من
سواد عينه المحلول فقال ـــــ

ولائم لام في اكتحالي يوم استباحوا دم الحسين
فقلت دعني احق عضو مني يلبس السواد عيني

ورايت في المختار من شعره قوله ـــــ

كم يعاون بعض عارضه وقد تنكسرا
اما الحسن حيث سر به ابيض مسفرا
وام تحسبوه قدرا على الخمر عنبرا

ومنه قوله ـــــ

وريح موت شاكلني لاني نسلي تم ولم احل من سحر
فسالم احرى دمعي تكانه لفرقته الخنسا تبكي على صخر

ومنه قوله ـــــ

يدني ترابا في تواضع عسطلا كذاك البدر في الافق

ومنه قوله ـــــ

لستا جوى صفاته غيراني ما رايت الا عسار عند راي
واذا اظهر التواضع نبا نهو من انه عظيم الشان
ومتى لاح النجوم على صفحة ما رايتا النجوم دوان

ومنه قوله ـــــ

صورة الصفحة الثانية

ناصح لا يقوم لبدر لم كان النحس قد ولي الوزاره

وقولـــه راحت وصالي نقلت بإ شغل عن كل خود يريد تلقاني

قالت كان الخدود كاسه قلت كرًّا لقلة القاني

وقولـــه

لا تعجبن اعورًا وان تناهى زينه

لو كان فيه راحه ما فارقته عينه

وقولـــه لما شتت عني ولم ترفق لترديع الفتى

وقولـــه لما راى الزهر الشقيق انثني مهرمًا لم يستطع لمجه

وقال مزحًا نقلنا لم جا شقيق عارضًا ريحه

وقولـــه من كان مردودًا بعيب فقد ردني العيد بعيبين

الراس واللحيه شابا معا عافني الدهر بشيبين

وقولـــه

دهرنا اصبح ضنينا باللقا حتى ضنينا

يا ليالي الوصل عودي واجمعينا اجمعينا

وقولـــه انتم احبابي وقد فعلتم فعل العدي

وقولـــه

وتاجر شاهدت عشاقه والحرب بينهم ساير

قالوا علام اقتتلوا هكذا قلت على عينك يا تاجر

وقولـــه مرض الفواد وصح ودي فيكم واقام تذكاري وجفني نائح

انسان عيني كم بهاكم بكا يا ايها الانسان انك كادح

وقولـــه

يعيب شعري اقوام واعذرهم فان شعري رديٌّ ثم جقل

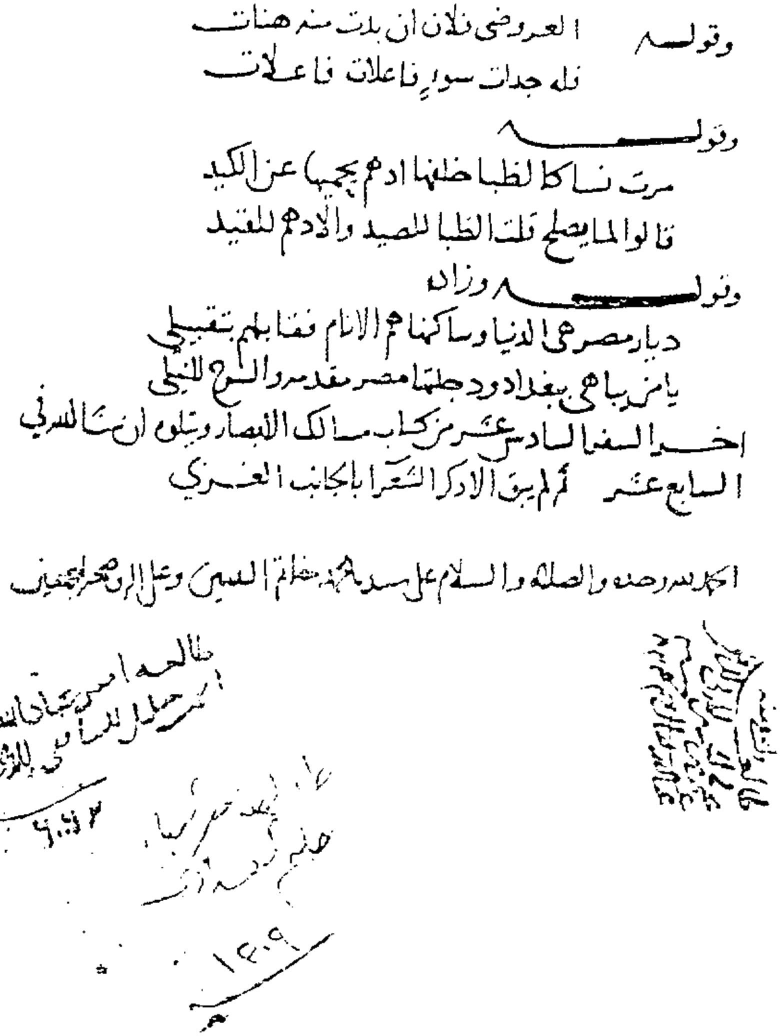
شعري وان كان سهلا فهو ذو ثقل على حسودي فهو السهل والجبل

وقوله

[في الحاشية:] وفيها منهم والدار ما كم الثنا

[في الحاشية:] حتى سمتم خصتي والعالمين منينا

صورة الصفحة قبل الأخيرة


وقوله العروضي فلان ان بدت منه هنات
فله جدات سوابق ناعلات فاعلات

وقوله
مررت بناس كالظبا ظننها ادم يحميها عن الكيد
قالوا لما يصلح تلك الظبا للصيد والادم للقيد

وقوله وزاده
ديار مصر هي الدنيا وساكنها هم الانام فقابلها بتقبيل
يا من يباهي ببغداد ودجلتها مصر مقدمة والشرح للنيل

اخر السفر السادس عشر من كتاب مسالك الابصار ويتلوه ان شا الله في
السابع عشر ثم لم يبق الا ذكر الشعرا بالجانب الغربي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين

صورة الصفحة الأخيرة

(٢) بسم الله الرحمن الرحيم
وما توفيقي إلا بالله

ومنهم:

١- الأديب أبو محمد الحسن بن أحمد حِكِّينا البغداديّ*

شاعرٌ تتبَّعَ من القصائد أبهجَها، ونقّب عن الفوائد فاستخرجها؛ حاك من النَّظم حُللاً، كأنّه بأشِعَّةِ الشُّموس مَزَجها، وحاكى رُضابَ بنت الكرم، إلاّ أنه بالشَّهد لا بالماء مزجها.

وشعره زَهريُّ النفحاتِ، زُهريُّ اللمحات، لدقّة معنىً. تختلس القلوبُ، وتختلفُ بتغذية الأرواح، اختلاف النسيمِ عند الهبوب.

اتَّفق أهلُ العراق على استحسانِ لطائفه، وإحسان دوحه المثمر، فيما أجناهُ لقاطفه وكانت تَسْتَرْوِحُ بِبَرْدِ سَحَرِه، ووَرْدِ خُضَرِه، ورَوِيَّة وَرْدِ أفنانه في شجره.

وقدر ابن حِكِّينا فوق ما حَكَيْنَا، وقد ذَكَرَه العمادُ الكاتب وشَكَرَهُ، بما تلمس الغواني عليه الترائب. وقال فيه: «ظريفُ الشعر مطبوعه. لم يَجُدِ الزمانُ بمثله في رقَّةِ لفظه وسلاسته. وقد أجمع أهل العراق [1] على أنّه لم يُرزق أحدٌ من الشعراء لطافة طبعِه. وله الإشارات[2] النادرةُ المذهبة، التي من حقّها أن

(*) في الأصل: جكينا بالجيم المعجمة. وقد حقّقها محمد بهجت الأثري فخلص إلى أنّها بالحاء المهملة. خريدة القصر (قسم العراق) ٢: ٢٣٠. انظر ترجمته في: خريدة القصر (قسم العراق) ٢: ٢٣٠-٢٤٨. وفوات الوفيات ١: ٣١٩-٣٢١.

(١): الخريدة: أهل بغداد.

٢: الخريدة: وله الأبيات.

تكتب بماء الذهب»[١]انتهى كلام العماد الكاتب.

وما المختار ها هنا من شعره -على قلة ما وقفت له عليه وقطفت من جَنى جنيه،[٢]فمنه قوله:[٣][المنسرح]

عـيناكَ ترمي قلبي بأسـهـمـهـا ... فـمـا الحـدَّيْكَ تلبسُ الزَّردا
رِيقـتُـهُ الشَّـهْـدُ والدَّليلُ على ... ذلك نملٌ بخـدِّه صَـعَـدا[٤]

ومنه قوله:

يا من تَشَكَّى عنه، وبلاؤُهُ منها، وفيها النَّا ... سُ منها يشتكونَ وأنتَ منها تشتكيها

ومنه قوله:[مجزوء الرجز]

تبـرمَّ بالعِـذار وظنَّ أنّي ... أُقـاطعُـهُ وأخـرجُ من يَدَيْهِ
وخـافت عـارضـاه خَـلاصَ قلبي ... من التَّبـريحِ فـانْقَـفَلَتْ عليـه

ومنه قوله:[٥][المديد]

لافـتـضـاحي في عَـوارضِـهِ ... سـبـبٌ والنَّـاسُ نـوَّامُ[٦]
(٣) كـيف يخـفَى مـا أُكَـتِّـمُـهُ ... والذي أهـواهُ نَـمَّـامُ[٧]

ومنه قوله:[المنسرح]

---

١ : الخريدة ٢ : ٢٣٠ .

٢ : كذا في الأصل. وجواب «ما» ساقط.

٣ : الخريدة ٢ : ٢٣٨.

٤ : الخريدة: في خدّه.

٥ : الخريدة ٢ : ٢٣٢، وفوات الوفيات ١ : ٣٢٠ .

٦ : الخريدة: بعد عارضه. الخريدة، والفوات: لُوّام.

٧ : الفوات: ما أكابده .

يا سـيِّـدي والـذي مـودّتُهُ عنْديَ روحٌ تَحْـيَـا بـه الجَـسَـدُ
مِنْ أَلَمِ الظَّهـرِ أَسْتَغيـثُ وهـل يأْلَـمُ ظهـرٌ إِليـكَ يَسْـتنـدُ

ونظر إليه بعضُ إخوانه في يوم عاشوراء، وقد اكْتحلَ وطَرَفَ أهدابَهُ بالحِدادَ لا بالكُحْلِ، فلامَهُ لما رأى طرفَه الكحولَ، ولم يعلم أنّه ممَّا نزف الدمعُ من سوادِ عينه المحلول، فقال:(١) [مخلع البسيط]

ولائمٍ لامَ في اكْتحالي يوم استباحوا دَمَ الحسينِ
فقلتُ دعني، أحقُّ عضوٍ منّيَ يلبسُ السَّوادَ عيني(٢)

وباقي المختار من شعره قوله:(٣)[مجزوء الخفيف]

كم تقولون بعضُ عا رضِه قد تغيَّرا(٤)
إنَّما الحُسنُ حيث مَرْ رَ به الحبُّ مسفرا(٥)
رامَ تَبْخيرَهُ فَذَرْ رَ على الجَمْرِ عَنبرا

ومنه قوله:(٦)[الطويل]

وَرُبَّ جُفونٍ شاكَلَتْني لأنني أقمتُ على سهم ولم أخلُ من سحْرِ
قَسَا ثُمَّ أجْرَى دمعتي فكأنَّهُ لفرقته الخنساءُ تبكي على صَخْرِ(٧)

---

١ :الفوات ١ : ٣٢٠ .
٢ : الفوات : ... ألبس فيه السواد عيني .
٣ : الخريدة ٢ : ٢٣٨ .
٤ : الخريدة : لا تقولوا : من بعد عارضه ...
٥ : الخريدة : حين مرّ .
٦ : الخريدة : البيت الثاني حسبُ .
٧ : الخريدة :
قسا، ثم أجرى عبرتي، فكأنّني على فقده الخنساء تبكي على صخر

ومنه قوله:[الطويل]

مــولىً تَزَايَدَ في تواضــعــه عِظَمــاً ... كَـــــــذاكَ البَـــــــدْرِ فـي الأُفُـقِ

ومنه قوله:[1][الخفيف]

لستُ أَحــوي صــفــاته غــيــرَ أنِّي ... مــا رأيتُ الإِعْــسَــارَ منذُ رآني

وإذا أظهـــرَ التَّـــواضُعَ فـــينا ... فـــهــو من أنَّهُ عظيمُ الشَّـــان[2]

ومــتى لاحت النَّجــومُ على صــفـ ... حـــةِ مــاءٍ، فــمــا النُّجــومُ دواني

(٤) ومنه قوله:[الخفيف]

وكـــأَنَّ الوهادَ بالدَّمِ كـــاســـا ... تُ عــقــارٍ فــيــهــا الرُّؤوسُ حُــبَــابُ

كلمـــا ذَمَّــتِ العِـدَى مـــا أتاهــم ... من عِــقــابٍ أَثْنَتْ عليكَ العُــقــابُ

ومنه قوله:[3][السريع]

قَــصَــدْتَ ربعي فَــتَــعــالَى به قد ... ري فَــدَتْـكَ النَّفْسُ من قــاصِــد[4]

ولَمْ يَـرَ العـــالَمُ من قـــبــلـهـا ... بحـــراً مَـــشــى قَطُّ إلى واردِ[5]

ومنه قوله:[6][الطويل]

ويكتُبُ بالبِيضِ الصَّوارمِ أسطُراً ... على أَوْجُـهِ الفرسانِ تنقطها السُّمرُ

وينظمُــهُم في الرُّمْحِ نظمــاً وإنَّمــا ... رُؤوسُــهُمُ من بعــدِ نظمِــهِمُ نَثْــرُ

---

١ : الخريدة ٢ : ٢٣٧ .

٢ : الخريدة : ... من آية الرفيع الشان .

٣ : الخريدة ٢ : ٢٤٥ .

٤ : الخريدة : وتعالى .

٥ : الخريدة : وما أرى العالم من قدره .

٦ : الخريدة ٢ : ٢٣٧ .

ومنه قوله :[السريع]

ناوَلَني تفاحةً أشبهتْ لو ... ني وطيبُ الرِّيح من فيهِ
ظبيٌ جعلتُ القلبَ في أسرِهِ ... فقد غدًا محتكماً فيهِ

ومنه قوله :[1][السريع]

ما فيكُمُ بخلٌ ولابي غِنىً ... عن نائلٍ والنّجحُ في الصِّدقِ[2]
ولست أستبطي ولكنَّني ... ينقطعُ الغيثُ فأَسْتَسْقي

ومنه قوله يهجو :[مجزوء الخفيف]

للنُّميريِّ نكهةٌ ... طالَ منها تَحَيُّري
هي أَنْفاسُ إذا تنفْـ ... ـفَسَ من ألفِ مبعرِ
قلت لما شممتها ... مَن خري جوف منخري

ومنه قوله في العزيز عمِّ العماد الكاتب :[3][الكامل]

لِنَكْتالَ من مالِ العزيز بصَاعِه ... فميلوا بِنَا نحو العراقِ رِكابكُم

ومنه قوله في الشَّريف الشَّجري النَّحويّ :[4][المنسرح]

يا سيدي والذي يعيذك من ... نَظْم قريضٍ يصدا به الفكرُ
ما فيك من جدِّكَ النَّبيِّ سوى ... أنَّكَ لا ينبغي لك الشِّعرُ[5]

---

١ : الخريدة : ٢ : ٢٣٧ .
٢ : الخريدة : وما بي .
٣ : الخريدة٢ : ٢٣١ .
٤ : الخريدة ٢ : ٢٣٥. والفوات ١ : ٣٢١.
٥ : الخريدة : ما ينبغي .

(٥) ومنه قوله:(١)[المنسرح]

ارْضَ لمن غابَ عنك غَيْبَتَهُ ... فذاكَ ذنبٌ عِقابُهُ فيهِ

ومنه قوله:(٢)[الطويل]

مَدَحْتُهُمُ فازددتُ بُعداً بمدحِهِمْ ... فَخُيِّلَ لي أنَّ المديحَ هجاءُ
يقولون ما لا يفعلون كأنَّهم ... إذا سُئِلوا رِفداً هم الشُّعراءُ

ومنه قوله:(٣)[الطويل]

أتاني بنو الحاجات من كلِّ وُجهةٍ ... يقولون لي: أين الموفَّقُ قاعدُ؟
فقلتُ لهم: فوق المجرَّة دارُهُ ... ولكنني فارقتُهُ وهو صاعدُ
فإن شئتمُ أن لا تضلُّوا فَيَمِّموا ... إلى حيثُ سارت بالثَّناءِ القَصَائِدُ

ومنه قوله:(٤)[الطويل]

لاقَى طريقَ النُّسكِ شاسعةً ... فاستصحبَ اللذّاتِ وانْحَرَفَا
يهوَى كؤوسَ الرَّاحِ تُذْكِرُهُ ... قَبَساً أَضاءَ وبارقاً خَطَفَا
يُهدي المِزاجُ بجيدِها حَبَباً ... مثلَ السِّهامِ تعاوَرَتْ هَدَفا(٥)
وإذا دعاهُ طَرفُ غانيةٍ ... للوصلِ بادَرَهُ ولو زَحَفَا

منها:

١: الخريدة ٢: ٢٣٦.
٢: الخريدة ٢: ٢٣١–٢٣٢.
٣: الخريدة ٢: ٢٣٨.
٤: الخريدة ٢: ٢٤٢–٢٤٣، بدون الثاني.
٥: الخريدة: لجيدها.

واعْـقِـدْ بطرفِكَ صُـدْغَ ذي تَرَف ... لَمّا أَلَمَّ بِخَصْرِه انْعَطَفا
كالنُّون مُنْحَنِياً فإِنْ عَبَثَتْ ... كَفِّي أحالت شَكْلَهُ أَلِفا [1]
والماءُ تُطْرِبُهُ منادَمَتي ... فلو اسْتَبَدَّ برأيه وَقَفا
وخَلائق مثلَ النَّسيم جَرَى ... فإذا تعرَّضَ للعدا عَصَفا
وتراه يرفِدُني وأُنشِدُهُ ... مدحي فنظهرُ بيننا الطُّرَفا [2]

ومنه قوله: [3] [السريع]

لم أجْنِ ذنباً في مديح امرئٍ ... قابَلَ شعري بالمواعيدِ
إن قلتُ: بحرٌ فَبِما نالَني ... مِن هَوْلِه أيَّامَ تَرْدِيدي
(٦) أو قلتُ: ليثٌ فَبِتَكْليحِهِ ... إذا أتاهُ طالبُ الجُودِ

ومنه قوله في ولده: [4] [السريع]

ابني بلا شَكٍّ ولا خُلْفِ ... في غايَةِ الإدْبارِ والسُّخْفِ [5]
كأنّه الحَبَّالُ في مَشْيِهِ ... يزدادُ إقبالاً إلى خَلْفِ

ومنه قوله: [6] [الطويل]

سَكَن المجرَّة واستَهَلَّ نداً ... وكذا الغَمامُ إذا عَلاَ وَكَفا
لم آتِ أسْتَكْفِيهِ حادثةً ... إلاّ تهلَّلَ بِشْرُه وكَفَى

١: الخريدة: كفٌّ.
٢: الخريدة: فيظهر.
٣: الخريدة ٢: ٢٤٥–٢٤٦.
٤: الخريدة ٢: ٢٤٦.
٥: الخريدة: الإدْبار والحُرف.
٦: الخريدة ٢: ٢٤٦.

ومنهم:

٢- أبو عبد الله محمدُ بنُ مباركِ بنِ عليّ بن جارية القصّار، البغداديّ*

لفظُهُ عالٍ، ودُرُّه غالٍ. يبدو عليه ظُرفُ أهلِ العراق، ووصفُ أهل بغداد، في كَرمِ الأخلاق. ومن شعره الحالي الرَّشَفات، الحاوي لإحياءِ الرُّفات، من النَّمط العالي الصّفات، الغالي، فالذهبُ ما إليه التفات، قوله:(١) [مخلع البسيط]

وأدهمِ اللَّونِ ذي حُجولٍ قد عَقَدَتْ صُبحَهُ بليلهْ
كأنَّما البرقُ خافَ منه فجاءَ مُستمسكاً بذيلهْ

ومنه قوله يهجو مغنياً اسمه محمود:(٢) [الخفيف]

أنت تدري أن الشتاءَ على الأشـ جار صَعْبٌ، إذا أطَلَّ شديدُ
لو أراد الإلهُ بالأرض خِصْباً ما تغنَّى من فوقِها محمودُ
كلَّما أنْبَتَتْ يَسيراً من العُشْـ بِ وغنَّى، غطّى عَليه الجَليدُ

ومن قوله في ذمِّ الشَّيب:(٣) [البسيط]

ولي إلى الشَّيبِ شوقٌ ما يُنَهْنِهُهُ سَعْيٌ لِلُقياهُ من عمري على قدمِ(٤)
ما أرغَدَ الدَّهرُ عيشي في الشَّبابِ ولا أحلَى فأبكي شبابي حالة الهرمِ

---

*خريدة القصر (قسم العراق) ٢: ٢٥٦. والوافي بالوفيات ٤: ٣٨٤.

١: الخريدة ٢: ٢٥٧-٢٥٨.

٢: الخريدة ٢: ٢٥١.

٣: الخريدة ٢: ٢٥٣.

٤: الخريدة. فلي.

ومنه قوله[١][الكامل]

عَلَّ النحيلةَ أن تجودَ بنظرةٍ ولقد يجود بمائه الجُلمودُ
(٧) إن كان موعدُنا برامةَ غاله خُلفٌ فهذا موعدٌ وزرودُ[٢]

ومنه قوله:[٣][المتقارب]

إذا كان حظُّ الفتى صاعداً فلا بأسَ بالأدبِ النّازلِ
أحِذْقاً ورزقاً لقد رمتَ ما يزيدُ على أمَلِ الآملِ
هما خَلَفان، فهذا المقيمُ يُعْقَبُ من ذلك الرّاحلِ
وما غايةُ الفَضلِ نظمُ القريضِ ولكنّهُ نفثةُ الفاضلِ

واستدعاه بعضُ أصدقائه صبيحةَ ليلةٍ، أكلت الشمسُ نجومَها، وحَدَرَت على صفحة السَّماء غيومُها، وقد أذابت كُحلَ الليل دمعةُ الفجر، وتَحَرَّكَ نهرُ النَّهارِ، إلاّ أنَّه لم يجرِ، ثُمَّ دامَ عنده نهارَه كُلَّهُ حتَّى اعتلَّ اليومُ، واختلَّ القومُ، وقبض المساءُ روحَ الشَّمسِ وهيَّأَ الغربُ لَميِّت النَّهار الرَّمسَ، وأتَت الليلةُ المقبلةُ بذكيِّ شُعَلِها، وتَدَبُّرِ حُلَلِها، حتى آنَ لسيفِ الدّجى أن يستلَّ من شَعَرِ العُذّالِ الأشيبِ، ولثعلب الفجرِ على ممرّ حانَ أوَّلُهُ يتوثَّبُ. فلمّا أتَمَّهُمَا عنده يوماً وليلةً، جَمَعَ طَوْقَ كلٍّ منهما وذَيْلَهَ. سَأَلَهُ في الانصرافِ، فأذنَ له على تَلَوٍّ عليه وَتَرَوٍّ أن يخرج من يديه. فلما خرج كتب إليه:[الخفيف]

أيُّها الصَّاحبُ الذي عزَّ عندي إذْ تَحَقَّقْتُ في المودةِ مَيْلَهْ
ليتَ شعري ماذا استطلتَ من الـ وَصْلِ، وما كان غيرَ يوم ولَيْلَهْ

١ : الخريدة ٢ : ٢٥٤ .
٢ : رامة وزرود: موضعان في طريق الحاج إلى مكة.
٣ : الخريدة ٢ : ٢٥٥ .

فكتب إليه: [الخفيف]

أيها الصَّاحبُ الذي زاد عتباً ... لصديقٍ له تَوَهَّمَ مَيْلَهْ
دُمْتَ يوماً وليلةً ما افْتَرَقْنا ... وهل الدَّهرُ غيرَ يومٍ ولَيْلَهْ ؟

ومنهم:

٣- القاضي أبو عمرو، يَحْيَى بن صاعدِ بنِ سيَّار الهرويّ، قاضي قضاة هراة*

حاكمٌ على الكلام، وناجمٌ في أفق الأيَّام. عَلِمَ الأدبَ وقالَه، وبلغَ به مع العِلْمِ كمالَه. ممن لا يقاس به إذا نَدرَ، ولا تردُ القرائح إلاّ إذا أصدرَ. ولا يفخر العلماءُ إلاّ إذا قاموا لديه. وقد تصدَّرُ ولا تجدُ المدائحُ لُبوسَها إلاّ (٨) مما قَدَرَ عليه أو قدَّرَ.

قال فيه العماد: «صاحبُ بديهةٍ، ينظم بسرعةٍ، حُلْوَ الشِّعرِ لطيفَهُ»(١) قلتُ: ومن شِعره المنتخبُ ثَمينهُ، المنتخلُ من دُرِّه ما يزينُه، قولَه في زُرقة العَين: (٢) [الكامل]

ما شَانَها وأبيكَ زرقةُ عينِها ... بل صارَ ذلك زائداً في زَيْنِها (٣)
كادت أساودُ شعرِها تسطو على ... مُهَجِ الوَرَى لولا زُمُرُّدُ عَيْنِهَا

ومنه قولُهُ: (٤) [الكامل]

ومنَ العجائبِ أن يمرَّ كلامُهُ ... ومَمَرُّهُ بالشَّهدِ من شَفَتيهِ (٥)

---

*دمية القصر ٢: ٨٩٣-٨٩٤، والخريدة (خراسان وهراة) ٢: ١١-١٦.

١: الخريدة (خراسان وهراة) ٢: ١١.

٢: الخريدة ٢: ١١.

٣: الخريدة: ما شأنها والله ... ذاك زيادة.

٤: الخريدة ٢: ١٢.

٥: الخريدة: ومجاله بالشهد.

وكـــــــذا تَنَفُّسُ مـن رآه بـاردٌ ومَـــمَـــرُّهُ بالنَّارِ من جَنْبَـــيْـــهِ

ومنه قولُهُ:[1] [السريع]

قلبي هو العـــاشقُ لا صُـــدْغُـــهُ فـــــــلا أراهُ أبداً يضطربْ[2]
لا تَعْـــجَـــبَنْ من فـــعلِهِ هكذا سنَّـةٌ من يرقـــدُ فـــوق اللهبْ

ومنه قولُهُ:[3] [السريع]

أبكي إذا مـــا حـــضــروا منهم وإن نـأوا أبـكـي عـلـى الـنَّـائـي
كـــأنَّني السُّكَّرُ في طبـــعِـــهِ أذوبُ فـــي الـــنَّـــارِ وفـــي المـــاءِ

ومنه قولُهُ:[4] [مجزوء الرجز]

لا تـفــخـــرنْ بـالشِّـعـــرِ إنَّ العـــقـلَ لا يـوجِـبُـــهُ
وأيُّ فـــــخـــــرٍ بـالذي أجـــــودُهُ أكــــذَبُـهُ

ومنه قولُهُ:[5] [البسيط]

سـألـتـهـا ودمـوعُ العينِ تشـفعُ لي بالله ترحمُ قلبـاً لي بهـا تاها[6]
قـالـت لـديَّ قلوبٌ جـمَّةٌ علقـت فـأيُّها أنت تعني؟ قلتُ: أشـقـاها

ومنه قولُهُ في الشَّمعة:[7] [الوافر]

١: الخريدة ٢: ١٢.
٢: الخريدة: مضطرب.
٣: الخريدة ٢: ١٤.
٤: الخريدة ٢: ١٥.
٥: الخريدة ٢: ١٥.
٦: الخريدة: بكم تاها.
٧: الخريدة ٢: ١٢.

ومَن يكُ ضاقَ في الظَّلماءِ ذَرْعاً ... فإنِّي مَنْ يُسَرُّ به جَنانُهْ
أُطارِدُ عَسْكَرَ الظَّلماءِ عنّي ... بِرُمْحٍ صِيغَ من ذهبٍ سِنانُهْ

(٩) ومنه قولُهُ:(١)[الوافر]

أنا المغترُّ حين ظننتُ أن لا ... يكونَ لوصْلِهمْ أبداً فِراقُ
وقالوا: كيف ليلُكَ؟ قلتُ ليلي ... كَلَيْلِ الشَّمْعِ أجمعُهُ احْتِراقُ

ومنهم:

٤- أبو عبد الله النَّقَّاش، عيسى بنُ هبةِ الله البزَّاز البغدادي*

شعرُهُ كأيَّام الشَّباب، والتآمِ الأحباب. ولم يقع إليَّ منه إلاَّ ما يقعُ من الشَّمس بين الغصون، أو بقدرِ ما يبوح به الكتومُ من السِّرِّ المصون. وقد ذكره العماد الكاتب ذكر التفخيم، وأشارَ إليه إشارةً قامت مقام الدَّلِّ من الأغيدِ الرَّخيم. والذي أتيتُ له به حتى نوار ومجاجة شهدٍ من يد مشتار، وزجاجة شَفَّتْ عن كوكبٍ دُرِّيّ يوقد بالأنوار .

منه قوله:(٢)[المتقارب]

إذا وَجَدَ الشيخُ في نفسِهِ ... نشاطاً فذلك موتٌ خَفِي
أَلَسْتَ ترى أن ضوءَ السِّراج ... له لهبٌ قبلَ أن يَنْطَفي

١ : الخريدة ٢ : ١٢ .

*خريدة القصر (قسم العراق) ٣ : ١ : ٤٨-٥١. فوات الوفيات ٣ : ١٦٥-١٦٦.

٢ : الخريدة ٣ : ١ : ٥٠. والفوات ٣ : ١٦٥ .

ومنهم:

٥- أبو المظفَّرُ، أسامةُ بنُ مُرْشِدِ بنِ عليٍّ بنِ مُقْلِدِ بنِ نصرِ بنِ منقذٍ، الكنانيُّ الكلبيُّ الشيزريُّ، مؤيَّدُ الدولة*

مجدُ الدّين، ورفدُ المحدثين. سَليلُ إمارةٍ، وسيلُ سُحُبٍ مدرارة، وعديلُ شُهُبٍ سيَّارة. من أكابرِ بني منقذ، أصحابِ شيْزَرَ، وأربابِ تُقىً. لا يشدُّ له على الفَحشاءِ مئْزَر. توارَثَها منهم سادةٌ غُرّ، وقادةٌ توزَّعَتْ خطياتُهَم الدَّراري والدرّ، وكان هذا من أسنى بدورهم تماماً، وأنْدَى زهورهم أَرَجاً ناغى غماماً. فارسُ وغىً، لا تقعدُه السآمة، وبَطَلُ حربٍ لا يُدْعَى إليها أشجعُ من أسامة. من العلماءِ الشّجعان، والكرماء في الطَّعامِ والطِّعان. يطعنون صدرَ الكتيبة، ويُطعمون السَّنةَ الجديبة. يمتّون إلى البيتِ الفاضليِّ بحقِّ الجوار، وحظِّ النَّسَبِ في الأدب، لا في النِّجاد. وكانت له مع القاضي الفاضلِ صُحبَةٌ زادت قدرَهُ بكتابه، وزانت حظّه له مَشابه، وبينه وبينهم كتبٌ تنشرُ (١٠) الرياضَ لمن تأمَّل، وتنظرُ الشُّهبُ منها في أردانٍ من تَحمَّل، إلى همم يُناطُ بالفراقدِ نجادها، وينامُ على الظُّلمِ سُهَّادُها. وهو في بني منقذٍ علامةُ أعلام، وضرغامةٌ في أَجَمَةِ أَسَلٍ وأقلام. حمامةُ سجَعٍ، وغمامةُ رجعٍ، وصَمصَامةُ مُرْهَفٍ منهم لا يُفَلُّ له حدّ، وأسامة من بيتٍ، كلُّهم أسود، ما منهم إلاّ كريمُ الجدّ، طَمَى على قريبهم سيله، وغطَّى على أطوادهم المنيفةِ ذَيْلُهُ.

وقد ذكره العمادُ الكاتبُ ذكراً يوشّحُ الأعطاف، ويرشّحُ لفواضل هزّاته السُّلاف، قال: «وسكنَ دمشق، ثمّ نَبَتْ به كما تَنْبُو الدَّارُ بالكريمِ، فانتقل إلى مصرَ، فبقي بها مُؤَمَّراً مشَاراً إليه بالتَّعظيم، إلى أيَّامِ الصَّالحِ ابن رُزِّيك. ثم عاد

* مقدمة ديوانه، بتحقيق هاشم مناع ١١-٤١. وما اشتملت عليه من مصادر ومراجع.

إلى الشَّامِ، ثم رماهُ الزَّمانُ إلى حِصْنِ كيفا، فأقام بها حتَّى مَلَكَ السُّلطانُ صلاحُ الدِّين، فاستدعاه وقد جاوز الثَّمانين»(١) انتهى كلامه.

قلت: وقَدِمَ عليه وقد أمسكَ الهَرَمُ بواعِثَه، وشدَّ بإمساك العصا له رجلاً ثالثة، وقد جاوزَ الثَّمانين، وجاورَ ركائبَ إلى المنايا ما بين. وفي سنِّه يقول: لَمَّا عَلَّتْ ومرّت أيامُهُ التي خلت، وقد وَهَنَ جَلَدُه، ووهَى بَنانُه، وَرَعَشَتْ يَدُه. ويصفُ فيها ما آلت إليه أحواله وآصت، أقْصَرَ من أعمر الأيام أحواله، يتذكَّرُ شبابَه المفارق، ونابَ سِنانِه في صدر المارق، إذ كانت قناتُهُ تخرق لَبَّةَ الأَسَد، وتخلقُ له في قلبِ الشُّجاعِ الحَسَد: [البسيط]

فاعجبْ لضعفِ يدي عن حملها قلماً	من بعد حَطْمِ القَنَا في لَبَّةِ الأسدِ (٢)

وله ديوانُ شعر رقيقُ الجلباب كخدودِ الغيد، تحيَّر فيها ماءُ الشَّباب. لا يصل إلى دُرِّهِ الغوَّاص، ولا يطَّلع على سِرِّه إلاَّ الخَوَاص.

ومما له يرشفُ ثغورَهُ، وتُرْهَفُ كالسُّيوفِ الحدادِ سطورُه، قوله:(٣)[الطويل]

تخالفت الأهواءُ وانشقَّتِ العصا	وشَعَّبَهُم وَشْكُ النَّوى كلَّ مَشْعَبِ
وقد نَثَرَ التَّوديعُ في كلِّ مُقْلةٍ	على كلِّ خدٍّ لؤلؤاً لم يُنَقَّبِ

(١١) ومنه قوله:(٤)[مجزوء الكامل]

يا عاتباً أحبابَهُ	أأمِنْتَ تقليبَ القلوبْ؟

١: الخريدة (قسم الشام) ١: ٤٩٨-٤٩٩. مع اختلاف في الرواية.

٢: ديوانه ٣٨٤.

٣: ديوانه ١٠٢.

٤: الديوان ٣٧٧. ومصدره المسالك.

لا تفزعن سماع من ... تهوى بتعداد الذنوب
ما ناقش الأحباب إلا (م) ... من يعيش بلا حبيب

ومنه قوله:[1][البسيط]

أفدي خيالاً سرى ليلاً فاشرقت الدُّ ... نيا بأنواره والصُّبحُ ما انبلجا
عجبتُ منه تخطَّى الهولَ معترضاً ... أرض العدا ووشاة الحيّ، كيف نجا؟

ومنه قوله:[2][المنسرح]

انظُرْ إليْها فإنْ نَظَرْتَ تَرَى ... شخصاً عن العاشقين يحتجُ[3]
غصنٌ ودعصٌ فالغصنُ من هَيَفٍ ... يميسُ ليناً والدِّعْصُ يرتجُّ
شمسٌ وليلٌ فاعجبْ لشمسِ ضُحىً ... تشرقُ والليلُ راكدٌ يدجُو

منهُ قوله:[4][السريع]

نفسي فَدَتْ بدرَ تمامٍ إذا ... عاتَبَني بالجدِّ أو بالمُزاحْ
سَدَدْتُ بالتَّقبيلِ فاهُ على ... مِسكٍ ودُرٍّ ورُضابٍ وراحْ[5]

ومنه قوله:[6][مجزوء الرمل]

يا من فدتك النفس قد أسـ ... رفتَ في هجري وصدّي
ابقِ من هَجركَ حظاً ... للذي يهواكَ بعدي[7]

١: الديوان ١٠٤ .

٢ : الديوان ٥٧ .

٣ : الديوان: ولا نظرت .

٤ : الديوان ٥٩ .

٥: الديوان: ودر وعقيق .

٦ : الديوان ٦٥ .

٧: الديوان: فابقِ .

قلت: وما كان ضَرَّ هذا الشاعر لو قال بعدها:

لا تخلِّي الهجرَ طراً في نصيبي أنا وحدي

ومنه قوله: [1] [مخلع البسيط]

إن راعنا البينُ بافتراقِ وساء بعدَ الدُّنوِّ بُعْدُ
فهذه شيمةُ الليالي تُعيرُنا ثمَّ تَسْتَرِدُّ

ومنه قوله: [2] [الرجز]

ما هاجَ هذا الشَّوقَ غيرُ الذِّكْرِ وزورةُ الطَّيْف أتى من مصرِ [3]
(١٢) كم خاضَ بحراً وفلاً كَبَحرِ حتى أتى طلائحاً في قفرِ
قد انطوينا من سُرىً وَضُمْرِ حتى اغْتَدَيْنَ كَهِلالِ الشَّهرِ
يحملنَ كل ماجدٍ كالصَّقرِ بَعيدُ مَهْوَى همَّةٍ وذِكْرِ
للمجدِ يَسعَى لا لِكَسْبِ الوَفْرِ يُذْكِرُني طِيبَ الزَّمانِ النَّضْرِ
ما كان إلا غُرةً في الدَّهرِ

ومنه قوله: [4] [الكامل]

واهاً لليلٍ خِلتُني من طِيبهِ متفيِّئاً في ظلِّ طيرٍ طائرِ
ناهلتُ فيه البَدْرَ شمساً توَّجَتْ [5] عند المزاح بكلِّ نجمٍ زاهرِ
ولثمتُ برقاً لو تألَّقَ في دُجىً [6] أغنى المحولَ عن الغمامِ الماطرِ

---

١ : الديوان ٣٨٥. ومصدره المسالك .

٢ : الديوان ٦٧ .

٣ : الديوان : سرى من مصر .

٤ : الديوان ٦٩-٧٠ .

٥ : الديوان : فاحلت فيه .

٦ : الديوان : ولثمت ثغراً .

ومنه قوله:[1][الكامل]

عـــاتبْـتُـــهُ في صَـدِّهِ قـبـل النَّوى فـكـأنَّ عَـتْـبي زادَه إصـرارا
ورأيت أمـواهَ الحـيـاءِ بخـدِّهِ فـتـرَقْـرقَـتْ حـتى اسْـتَـحَـالت نارا

ومنه قوله:[2][الرمل]

راحـتي في فَـيْضِ دمـعي لـو أَطـاعـتـني الـدُّمـوعُ
وخِـداعُ الـطَّـيـفِ لـو طـا ف بأجـفـاني الهُـجُـوعُ

ومنه قوله:[3][الكامل]

أحـبـابُـنا المتـوجِّـعـونَ لما بنا هـجـروا وأبَـدْوا رأفـةً وتـوجُّـعـاً
صَدّوا فـأشـعَرَني السَّقـامَ صـدودُهم وأعَـاضَ عـيـني من كـراها أدْمُـعـا
وهم جَنَوْا مـا أنكروا فـتـوجَّـعـوا مـتـنصِّلين تَـقـيَّـةً وتَـوَرُّعـا
كـالقـوس ترمي الـسَّـهـمَ ثم ترنُّ من وَجْـدٍ عليـه تأسُّـفـاً وتفـجُّـعـا

وفي هذا زيادة على قول ابن الرومي:[4][البسيط]

كـالقـوسُ يصـمـي الرمَّـايا وهي مِـرْنانُ

ومنه قوله:[5][الكامل]

في وجـهـه مـاءُ الملاحـةِ حـائرٌ وبخـدِّهِ وَرْدُ الحَـيَـا لـم يُقْـطَفُ
وكـأن وَشْيَ عِـذَارِهِ في خـدِّهِ نملٌ تسـرَّبَ فـوقَ وردٍ مُـضْـعَـفُ

١: الديوان ٧١.

٢: الديوان ٤٠٦. ومصدره المسالك.

٣: الديوان ٤٠٥. ومصدره المسالك.

٤: ديوان ابن الرومي ٥: ٢٤٢٢. وصدر البيت: تشكي المحبَّ وتلقى الدَّهرَ شاكيةً.

٥: الديوان ٧٧.

(١٣) ومنه قوله:[1][الكامل]

هبني أُكَفْكِفُ زَفرتي ومدامعي ... ما حيلتي وَشَجَا التجمُّلِ خانقي
أنا كالحمامِ تبوحُ حين تنوح بالشَّ (م) ... كوىَ ولم يفغر لها فمُ ناطقِ[2]

ومنه قوله:[3][الكامل]

لله ليلتنا التي رَحُبَتْ لنا ... فيها المسرَّةُ في مجالٍ ضَيِّقِ
ما شابَهَا لولا مَشيبُ ظَلامِها ... كَدَرٌ ولا راعَتْ بواشٍ مُحنَقِ
فلو استطعتُ خَضَبتُها بشبيبتي ... وجعلتُ لون صباحها في مَفرقي

ومنه قوله:[4][المنسرح]

أقولُ للعينِ في يومِ الوداع وقد ... فاضت بقانٍ على الخدَّيْنِ مُستَبَقِ[5]
تَزَوَّدي اليومَ من توديعهم نظراً ... ففي غدٍ تَفرُغي للبَيْنِ والأرَقِ[6]

ومنه قوله في الخمر:[7][المنسرح]

إذا قراها المِزاجُ أَضْرَمَها ... وقلتَ: أيدي السُّقاة تحترقُ[8]
تَوَّجَها الماءُ من فواقعه ... دُرّاً به ترتدي وتنتطقُ[9]

١ : الديوان ١٣٤ .
٢ : الديوان : تفغر لها فَمَ .
٣ :الديوان ٨١ .
٤ : الديوان ١٣٣ .
٥ : الديوان : فاضت بدمع .
٦ : الديوان : تفرغي للدمع .
٧ : الديوان ١٩٨ .
٨ : الديوان : فراها . وقراها : جمعها .
٩ : الديوان : تاجاً به .

ومنه قوله:[1][البسيط]

مـا حـيلتي خَـذَلَتْني بَعْـدَ بُعـدِكُمْ مَدامعي واستحالتْ في الحَشَا حُرَقا
كـأنَّمـا رامَ قلبي أن يُصـعِّـدَ من دمي دُموعـاً بنارِ الشَّوقِ فاحتـرقا

ومنه قوله:[2][السريع]

أَخـرجني حُـبُّكَ عن شـيـمـتي حـتى لقـد أَنكرتُ أَخـلاقي
أَخـضعُ للواشي ولولا الجَـوَى لم يخـضع الملسُـوعُ للراقي
أُشْـفِقُ أن يظهـرَ حُـبِّي لكمْ هيـهـاتَ يا ضَـيْـعَـةَ إشـفـاقي

ومنه قوله:[3][مخلع البسيط]

قُـلْ لـلـمَـلـوكِ الـذي تَـجَـنَّـى وخـانَ من بعـدِ ملكِ رقيٍّ
أَحْـسَـنَ بي لا عن اعـتـمـادٍ غَـدْرُكَ إذْ جـادَ لي بعـتـقي

(١٤) ومنه قوله:[4][الخفيف]

لو رآني أمـوت ظمـآن والنِّـيـ ـلُ بكَفَّـيـه مـا سـقـاني بلالا
وَهْوَ لَوْ رَامَ أخْـذَ إنسـانِ عـيني قلتُ: خُـذْهُ يَكُنْ بخـدِّكَ خـالا

ومنه قوله:[5][الكامل]

نفـسي الفِـداءُ لمن يُعـاتبُني وفـمي على فَـمِـهِ يُقَـبِّلُهُ
وَيُريدُ يُوضِحُ وجـهَ حُـجَّـتِـهِ واللَّـثْمُ يُـعْـجِلُهُ ويُخْـجِلُهُ

١: الديوان ٤٠٨. ومصدره المسالك.

٢: الديوان ٤٠٩. ومصدره المسالك.

٣: الديوان ٤٠٨. ومصدره المسالك.

٤: الديوان ٤١٧. ومصدره المسالك.

٥: الديوان ٨٧.

حتَّى إذا أَضْجَرْتُهُ سَتَرَتْ مـا بينَ فيَّ وفيهِ أَنْمُلُهُ
ويعودُ مُعتذِراً ليَشْغَلني عنه بِعُذْرٍ لستُ أَقبلُهُ

ومنه قوله:(١)[الكامل]

راجعْ أَحِبَّتَكَ الذين هجرتَهُمْ أَوْ فالْقَ هجرَتهم بقلبٍ سالِ
تاركْتَهُمْ لا مُعلناً بقطيعةٍ تُسْلي ولا مُتعرِّضاً لوصَالِ
ثقةً بهم ونَسيتَ أنَّ قلوبَهم مخلوقةٌ من جَفوةٍ ومَلالِ
وغَداً إذا استعطفْتَهُم وتمنَّعوا أَدْمَتْ بنانَك حَسْرةُ الإخْلالِ

ومنه قوله:(٢)

عَتبي نفاقٌ لا تحفَلَنَّ به قولٌ بلا نيَّةٍ ولا عملِ
يُشبِهُ تَعبيسَ شاربِ الخمرِ لا لكرهِها بل لفارطِ الجَذَلِ

ومنه قوله:(٣)[الكامل]

لا تَسْتَعِرْ جَلَداً على هُجرانِهم فَقُواكَ تَضْعُفُ عن صُدودٍ دائمِ
واعْلَمْ بأنَّك إنْ رَجَعْتَ إليهم طَوعاً، وإلاَّ عُدْتَ عَوْدَةَ راغمِ

ومنه قوله:(٤)[الكامل]

قَسَماً بِمَنْ لَمْ يبقَ خو فُ رَقيبِه لي فيه قِسْما
خَافَ الوُشَاةَ فَصَدَّ حَتَّـ ـى في الرُّقَادِ إذا أَلَمّا

---

١ : الديوان ٤١٥. ومصدره المسالك .
٢ : الديوان ٤١٧. ومصدره المسالك .
٣ : الديوان ٨٩ .
٤ : الديوان ٩٢ .

لأُخــــــاطِرَنَّ بمهـــــجــــــتي   في حـــــبِّــــه إمّــــا وإمّـــــا

ومنه قوله:[1][البسيط]

مَنْ لي بأَنَّ بَســـــيطَ الأَرضِ دونَكُمُ   طِرْسٌ وأنِّي في أَرجــــــائه قَلَمُ
(١٥) أسْعَى إليكم على رأسي ويمنعني   إجلاليَ الودُّ أن تَسعَى بي القَدَمُ[2]

ومنه قوله:[3][الكامل]

نَمّتْ على حَــسَــراته زَفَـراتُهُ   وكــذا يَنِمُّ على الضِرامِ دُخَانُهْ
وأخُو الهوَى مثلُ الكتابِ دليلُ ذا   كَ عــــيــــانُهُ ودليلُ ذا عُنوانُهْ
تَحكي البُروقُ فؤادَهُ فضِرَامُها   أشواقُهُ وَخفوقُها خفقانُهْ

ومنها:[الكامل]

كاتَمْتَ وَاشيكَ الهَوى قبلَ النّوىَ   فَبَدالَهُ من بَعدِها كِتمانُهْ
وعصاكَ دمعُكَ عند خطرة ذِكرِهم   وبقدرِ طَاعَتِكَ الهَوَى عصيانُهْ
وتخلّقَ الطَيفُ الطّروقُ بخُلقِهم   فإذا ألمَّ يَرُوعُني هِجرانُهْ

ومنه قوله:[4][الكامل]

أَنكرتَ واشيكَ الغَـــرا   مَ فجاءَ سُقمي بالبيانِ
شَهِدَ النُّحولَ به وما   يُغني الجُحُودُ عن العيانِ
ما يُستَدلُّ على وُقُو   دِ النّارِ إلاّ بالدُّخانِ

---

١ : الديوان ٤١٩ ومصدره المسالك .
٢ :الديوان : إجلالي الحبَّ .
٣ : الديوان ١٤٤-١٤٥ .
٤ : الديوان ٤٣١. ومصدره المسالك .

ومنه قوله:[1] [الكامل]

يَمْـتَنُّ طَيـفُكَ بالزِّيارةِ كُلَّما دَلَّتْـهُ أَفكاري على أجفاني
المنُّ للأفكارِ لو لم تهـدِه نحوي لكانَ كـأنتَ في الهجرانِ
لُقنَ القطيعةَ منك في سِنَةِ الكَرَى فإذا جَفا وجَنَى فأنت الجاني

ومنه قوله:[2] [الكامل]

يا هاجري [أبداً] في يقظتي فإذا هَوَّمْتُ وَكَّلَ بي طَيفاً يؤرِّقُني[3]
يُلمُّ بي غيرَ مشتاقٍ على عَجَلٍ وَيَنْثَني حين يُشْجيني ويُقْلِقني
فلستُ أنفكُّ من بَيْنٍ مُجَدَّدَ لي رَوعاته بخيالٍ منك يَطْرُقني[4]

ومنه قوله:[5] [السريع]

كيفَ انتصاريَ من هَوَى ظالمٍ قلبي وعيني بعضُ أعوانه؟
(16) في كُلِّ يومٍ مَوقفٌ للنَّوَى منْ عَتْبِه ظُلماً وهجرانه
فَعَهْدُهُ أضعفُ من خَصْرِه وَخَصْرُهُ في سُقْمِ أجفانه

ومنه قوله:[6] [البسيط]

جَاهَرْتُ بالهَجْرِ أَسْتَبقي الوِصَالَ به وربَّما اسْتَتَرَ الإِسْرارُ في العَلَنِ
فَضَاعَ في الصَّدِّ أيّامٌ حَفِظْتُ بها أيَّامَ وَصْلِكَ في مُسْتَأنفِ الزّمَنِ

1: الديوان 431. ومصدره المسالك.
2: الديوان 328. ومصدره المسالك.
3: الديوان: يا هاجري [دائماً].. بإضافة دائماً لاستقامة الوزن، ولعلَّ ما أثبتناه أوجه.
4: الديوان: يجدّدُ.
5: الديوان 433. ومصدره المسالك.
6: الديوان 428. ومصدره المسالك.

كـــذاك الدَّمُ وهو الرُّوحُ يُـهْــرِقُــهُ الطـّ بيبُ حِـفظاً لبـاقي الرُّوحِ في البَـدَنِ[1]

ومنه قوله:[2] [البسيط]

إنْ أَلْقَــــهُ سَـــرَّهُ قُـــربي وآنَسَـــهُ وإنْ أَغِبْ صَـدَّ عَنّي مُـعْـرِضـاً وَلَهـاَ

كـأنَّني مَـيِّتٌ في النَّومِ يُبْــهِـجُــهُ لقـــاؤهُ ثـمَّ ينســـاهُ إذا انْتَــبَـــهَـــا

ومنه قوله:[3] [الكامل]

تَخْـــفَى عليَّ ذُنُوبُهُ في حُــبِّـــهِ وَيَرى ذُنوبي قــبـلَ أن أجنيـــهـــا

فكـأنَّهُ عـــيني ترى عـــيــبي ولا يبـــدو ليَ العـيبُ الذي هو فـيــهــا

ومنه قوله:[4] [الكامل]

يُغـــالِطُني فـــيكم هَوايَ فــأنثني إليكُـمْ على إنكارِ مـــا قـــدْ بَدَاليـــا

كَـــعَطْفَـــةِ أُمِّ البَـــوِّ تَرْأَمُ شِلْوَهُ وقـد رَابهـا منه الذي ليس خـافيـا[5]

ومنه قوله:[6] [البسيط]

بُعْــداً لمن شَـرُّهُ أَعْــمىَ يُصــيبُ ولا يرى مَكانَ الأقاصي من ذوي النَّسَبِ[7]

كـالنَّارِ تَحـرقُ طَبـعـاً لا تُمـيــزُ بيـ ن المَنْدَلِ الرَّطْبِ في الإِحْـراقِ والحَطَبِ

---

١ : الديوان : كذلك .

٢ : الديوان ١٩٤ .

٣ : الديوان ٩٨ .

٤ : الديوان ٩٩ .

٥ : البُو : ولد الناقة قبل أن يفصل عنها . وجلدُه يحشى تبناً إذا مات لتشمه فيدر لبنها . وترأمه : تعطف عليه . والشّلو : ولد الناقة، والعضو من كل شيء .

٦ : الديوان ٢٨٩ .

٧ : الديوان : مكان الأعادي .

ومنه قوله:[1][مخلع البسيط]

أنتَ كَلَوْنِ البَياضِ تُهْوى وَهْوَ أَذَىً كُلُّهُ وَعَيْبُ
إنْ حَلَّ في العَيْنِ فهوَ شَيْنٌ أوحَلَّ في الرَّأْسِ فهو شَيْبُ

وقوله:[2][الوافر]

وما أشكو تَلَوُّنَ أَهْلِ وُدِّي ولو أَجْدَتْ شَكِيَّتُهُمْ شَكَوْتُ
(١٧)مَلَلْتُ عِتابَهم ويَئِسْتُ منهم فما أرجوهُمُ فيمن رَجَوْتُ
إذا أَدْمَتْ قَوارِضُهُم فؤادي كَظَمْتُ على أذاهم وانْطَوَيْتُ[3]
وَرُحْتُ عَلَيْهِمُ طَلْقَ المُحَيّا كأنِّي ما سمعتُ ولا رأيتُ

ومنه قوله:[4][الكامل]

لا تُنْكِرَنْ مُرَّ العِتابِ فَتَحْتَهُ شَهْدٌ جَنَتْهُ يَدُ الودادِ الناصحِ
وَتَطَلَّبِ المحبوبَ في مَكروهِهِ فالدُّرُّ يطلبُ في الأُجاجِ المالِحِ

ومنه قوله:[5][الخفيف]

لي مولىً صحبتُهُ مُدَّةَ العُمـ ـرِ فلم يَرْعَ حُرمتي وذِمامي
ظَنَّني ظِلَّهُ أُصاحِبُهُ الدَّهـ ـرَ على غيرِ نائلٍ واحترامِ
فافترقنا كأنَّهُ كان طَيفاً وكأنِّي رأيتُهُ في المنامِ

---

١ : الديوان ٣٧٣، ومصدره المسالك .

٢ : الديوان ١٥٩ .

٣ : الديوان : قوارصهم .

٤ : الديوان ٢٧٨ .

٥ : الديوان ٣٠٣ .

وقوله من مَرْثيّة:[(١)] [الطويل]

أَطَلْتَ عليَّ الليلَ حَتَّى كأنَّما ... زمـاني لَيْلٌ كُلُّه ما لَهُ فَجْرُ

تُمَثِّلُكَ الأفكارُ لي كُلَّ ليلةٍ ... وتُؤنِسُني أشْباهُكَ الأنجمُ الزُّهْرُ

وقوله:[(٢)] [البسيط]

أزورُ قبرَكَ مشتاقاً فَيَحْجِبُني ... مَا هِيْلَ فوقَكَ من تُربٍ وأحجارِ

فأنثني ودموعي من جَوَى كَبِدي ... تَفيضُ فاعْجَبْ لماءٍ فاضَ من نَارِ

ومنه قوله:[(٣)] [الكامل]

حَيَّا ربوعَكَ من رُبىً ومنازلِ ... ساري الغَمامِ بكلِّ هامٍ هاملِ

وَسَقَتْكِ يا دارَ الهَوَى بعد النَّوى ... وطفاءُ تَسْفَحُ بالهَتُونِ الهاطلِ

حتَّى ترَوِّضَ كلَّ ماحٍ ما حلٍ ... عافٍ وتروي كلّ ذاوٍ ذابلِ

أبكيك أمْ أبكي زماني فيكِ أم ... أهليكِ أم شَرْخَ الشَّبابِ الزائلِ

وما قَدْرُ دمعي أن تُقَسِّمهُ النَّوى ... والوَجْدُ بين أحبَّةٍ ومنازلِ[(٤)]

ومنه قوله:[(٥)] [الكامل]

نَظَرَتْ إلى ذي شَيْبَةٍ مُتَهَدِّمٍ ... أفناهُ ما أفنىَ من الأيَّامِ[(٦)]

(١٨) يَمشي وَتَقْدُمُهُ العَصا وقد انْحَنَى ... فكأنَّها وَتَرٌ لقوسِ الرَّامي

---

١ : الديوان ٣٣٧ .

٢ : الديوان ٣٣٩ .

٣ : الديوان ٣٤٣ .

٤ : الديوان : أن يقسمه الأسى .

٥ : الديوان ٤٢٣ . ومصدره المسالك .

٦ : الديوان : من الأعوام .

ومنه قوله:(١)[البسيط]

إذا كَـتَـبْتُ فـخطِّي جِـدُّ مُـرْتَعِشٍ كـخطٍّ مُضطَرِبِ الكَفَّيْنِ مُرْتَعِدِ (٢)
فاعجَبْ لضعفِ يدي عن حملِها قلماً من بعـدِ حَطْمِ القَنَا في لَبَّـةِ الأسـدِ
وإن مَـشَيْتُ وفي كـفِّي العَـصَا ثَقُلَتْ رِجلي كـأنّي أخـوضُ الوحلَ في الجَلَدِ

وقد تقدَّمَ البيت الثَّاني منها في ترجمته.

ومنه قوله:(٣)[الكامل]

كم حـارَ في ليلِ الشَّـبـابِ فَـدَلَّهُ صُبْحُ المَشيبِ على الطَّريقِ الأَقْصَدِ (٤)
وإذا عـددتُ سِنِيَّ ثمَّ نقـصـتُـهـا زَمَنَ الهُمومِ فتلك ساعةُ مولدي (٥)

ومنه قوله:(٦)[الطويل]

أراني نهـارُ الشَّـيبِ قـصـدي وطالما تَجَـاوَزَ بي ليلُ الشَّـبـابِ سبيلي
وقـد كـان عُـذْري أن أضَلَّنيَ الدُّجَـا فـهل ليَ عُـذْرٌ والنَّهـارُ دليلي

ومنه قوله:(٧)[البسيط]

يا ربِّ حُسْنُ رَجَائي فيك حَسَّنَ لي تَضْييعَ وقتيَ في لغوٍ وفي لَعِبِ (٨)
وأنتَ قُلْتَ لمن أضحَى على ثقـةٍ بحُسْنِ عـفوِكَ إنِّي عند ظنِّكَ بي

١: الديوان ٣٨٤.
٢: الديوان: ... جدُّ مضطرب كخط مرتعش.
٣: الديوان ٢٩١.
٤: الديوان: كم ضلَّ ... وَضَحُ المشيب.
٥: الأصل: إذا. وإثبات الواو أوجه، في الديوان.
٦: الديوان ٤١٢.
٧: الديوان ٣١٧.
٨: الديوان: في لَهْوٍ وفي.

ومنه قوله:[١] [البسيط]

الرُّوحُ محصورةٌ في الجِسمِ مُوثَقَةٌ   بقيدِ مُهلتِها أو ينتهي العُمُرُ
حتى إذا خَلَصَتْ أفضتْ إلى سَعَةِ الـ   ـفضاءِ وانزاحَ عنها الضِّيقُ والضَّرَرُ
كالنُّورِ في العَيْنِ محصورٌ ويخرجُ من   حرصٍ دقيقٍ وضيقٍ ثم ينتشرُ

ومنه قوله في قلع الضِّرس:[٢] [البسيط]

وصاحب لا تُمَلُّ الدَّهْرَ صُحْبَتُهُ   يَشْقَى لنفعي ويَسْعَى سعي مجتهدِ
لم يبدُ لي مذْ تَصَاحبنا فمذ وقعت   عيني عليه افترقنا فرقة الأبدِ[٣]

ومنه قوله:[٤] [البسيط]

عَلاَ إلى الأُفْقِ أقوامٌ بلا أَدَبٍ   وفي الحَضيضِ ذوو الآداب قد هَمَدوا
(١٩) كأنَّما النَّاسُ في بحرٍ يموجُ بهم   رَسَا به الدُّرُّ واسْتَعْلَى به الزَّبَدُ

ومنه قوله:[٥] [الكامل]

اسْتُرْ همومَكَ بالتَّجَمُّلِ واصْطَبِرْ   إنَّ الكريمَ على الحوادثِ يَصبِرُ
كالشَّمعِ يُظْهِرُ نورَهُ متجمِّلاً   فوق الشَّماتِ وفيه نارٌ تُسْعَرُ

ومنه قوله:[٦] [البسيط]

---

١ : الديوان ٣٩٧. ومصدره المسالك .

٢ : الديوان ١٩٦-١٩٧ .

٣ : الديوان :

لم أَلْقَهُ مذ تصاحبنا، فحين بَدا   لناظري افترقنا فرقة الأبد

٤ : الديوان ٣٨٣. ومصدره المسالك .

٥ : الديوان ٢٨٢ .

٦ : الديوان ٢٩٦. ومصدره المسالك .

اصْبِرْ إذا نابَ أَمرٌ وانتظرْ فَرَجاً ... يأتي به اللهُ بعد الضُّرِّ والياسِ
إن اصطبار ابنةِ العنقودِ إذْ حُبِستْ ... في ظُلمةِ القارِ أفضاها إلى الكاسِ

ومنه قوله:[1] [الكامل]

اصْبِرْ على جَوْرِ الوُلاةِ وعَسْفِهِمْ ... وَتَرَقَّب الفَرَجَ الذي يُتَوقَّعُ
وادفَعْ مَعَرَّتهم بطاعةِ خاضعٍ ... فالدَّهرُ عاريةٌ غداً يُسْتَرْجعُ
فالنَّبتُ يسجدُ خاضعاً متواضعاً ... للريّح ثمَّ إذا تولَّتْ يَرْفَعُ

ومنه قوله:[2] [البسيط]

إنّي وثقتُ بأمرٍ عَزَّني أَمَلي ... فيه وقد قيلَ كم من واثقٍ خَجِلِ
عادت إليَّ الأماني منه آيسةً ... فيا حياءَ المنى من خَيبةِ الأملِ

ومنه قوله:[3] [الكامل]

النَّاسُ أشباهٌ فإن خطبٌ عَرَا ... حَطَّ الدَّنيَّ وسادَ ذكْرُ الأفضلِ
كالعودِ مُشْتَبِهاً[4] فإنْ أحرقتَهُ ... كُرِهَ الدُّخانُ وطابَ عَرفُ المَنْدَلِ

ومنه قوله:[5] [البسيط]

زهَّدني في العَقلِ أنّي أرَى ... عنايةَ الأيَّامِ بالجَهلِ
والدَّهرُ كالميزانِ: ذو الفضلِ ينـ ... حطُّ وذو النقصانِ يَستعلي

١: الديوان ٤٠٤. ومصدره المسالك.
٢: الديوان ٣٠٠.
٣: الديوان ٤١٥.
٤: الديوان: مشتبهٌ.
٥: الديوان ٣٠٢.

ومنه قوله، وفي كل كلمة نون:(١)[الكامل]

نَزِّهْ لسانَكَ عن خَناً ونميمةٍ ... مَنْ نَمَّ بينَ النَّاسِ كانَ مَهينا
وَامْنَحْ نوالَكَ مَنْ نَحاكَ بِظَنَّةٍ ... وَأْنَفْ لِنَفسِكَ أن تكونَ ضنينا

(٢٠) ومنه قوله:(٢)[الخفيف]

كم تَغُصُّ الأيَّامُ منِّي وتأبَى ... همَّتي أن تنالَ منِّي مُناها
أنا في كفِّها كَجُذْوَة نارٍ ... كلَّما نُكِّسَتْ تعالَى سَنَاها

ومنه قوله:(٣)[مجزوء الرمل]

يا ظلوماً كلَّما اسْتَعْ ... طَفْتُهُ صدَّ وتاها
زدتَ في تيهك والشي ... ءُ إذا زاد تَناهى
تتقصّى دولةُ الحُسْ ... نِ وإن طالَ مداها

ومنه قوله:(٤)[الكامل]

خَلَعَ الخليعُ عذارَهُ في عِشْقِهِ ... حتَّى تَهَتَّكَ غايةَ الإفراطِ(٥)
يأتي وَيُؤْتَى ليس يُنكرُ ذا ولا ... هذا كذلك إبرةُ الخيَّاطِ

ومنه قوله:(٦)[الكامل]

قالوا نَهَتْهُ الأربعونَ عن الصِّبا ... وأخو المَشيب يَجورُ ثُمَّتَ يهتدي

١: الديوان ٤٢٨. ومصدره المسالك.

٢: الديوان ٢٧٥.

٣: الديوان ٩٨.

٤: الديوان ٤٠٤.

٥: الديوان. . . . في فسقه حتى تهتك في بغاً ولواط.

٦: الديوان ٢٩١.

كم حـارَ في ليلِ الشَّبابِ فَدلَّهُ صُبْحُ المَشيبِ على الطَّريق الأقْصَدِ (١)

ومنه قوله :(٢)[الكامل]

لا تَحْسُدَنَّ على البقاءِ مُعَمَّراً فالموتُ أيسرُ ما يؤولُ إليهِ
وإذا دَعَوْتَ بطُولِ عمرٍ لامرئٍ فاَعْلَمْ بأنَّك قد دعوتَ عليهِ

انتهى ذكرُهُ، وسنذكرُ بقايا بيته. وإذا اختصرنا فهو من جُرثومةٍ مثمرةِ الأغصان، مقمرة الأَهلَّةِ في طلائع الخرصان. أهلُ فضلٍ لا يُنزح قليبُه ، ولا يَبرح يستسقى اغترافاً باليد قريبه.

ومنهم :

٦- أخوه أبو الحسن*

فاق بني منقذ سؤدداً ضخماً، وشجاعةً أَنْحَلَتِ المشرفيَّ عناقاً، والرُّدينيَّ ضمّاً. وَرَدَ بغدادَ حالاً في كنف إمامها، وحاجّاً تحت ظلِّ أعلامها. واستشهد في حرب الإفرنج على باب غزّة، ودفن بها، فوسَّدَ ترابُها عِزَّه. وأنشدَ له أخوه شعراً ما شمخت (٢١) عندي ذوائبه، ولا نفسحت في أذني عجائبه، وإنّما منه :(٣)[الكامل]

ما فهتُ مع متحدّثٍ متشاغلاً إلا رأيتُكَ خاطراً في خاطري
ولو استطعتُ لزرتُ ربعَكَ ماشياً بسوادِ قلبي لا بسوادِ النَّاظرِ (٤)

---

١ :الديوان : كم ضلَّ في .

٢ : الديوان ٤٣٤ .

* خريدة القصر (الشام) ١ : ٥٤٨، ومعجم الأدباء ٢ : ٥٨١ .

٣ :الخريدة ١ : ٥٥٠ .

٤ : الخريدة، ومعجم الأدباء: لزرت أرضك أو بأسود ناظري .

ومنهم:

٧- أبو الحسن عليُّ بنُ مقلد*

جدُّه سديدُ الملك،وهو جدهم السعيد وزندهم القادحُ ضرماً في ماء الحديد، لولاهُ ما زأر أسامة، ولا استعرض مرهفَ الحرب ولا سآمة، ولا كان مرشدُ إلا حائراً يطلب طريق السَّلامة، ولكن فخروا جدوداً، وادجروا جوداً، وأصبحوا يتوقَّلُ الحصونَ لواؤهم، ويُصبُّ على المعاقلِ أنواؤهم. وهو الذي أخذ حصنَ شيزرَ من الأسقف الذي كان مالك صياصيه، بمالٍ بَذَلَهُ له فسلَّمه إليه بنواصيه. ثم شرع في عمارته، وبرع به في إماراته.

وهو ممدوحُ فحولِ الشُّعَراءِ في أوانه، ومستودعُ دُرَرِ القرائح في صوانه. وله شعرٌ ما قَصَّرَ به عن مَدَى، ولا تأخر عن الزهر المبلل بالنَّدى. فمنه قوله في غلام ضربه، وقد أبدع فيه وأغرب، وقال فأطرب ، وهو:(١)[البسيط]

أسطو عليه وقلبي لو تمكَّنَ من ... كفَّيَّ غَلَّهما غَيظاً إلى عُنقي

وأَستعيرُ إذا عاتبتُهُ حنقاً ... وأين ذُلُّ الهوَى من عِزَّة الحنقِ(٢)

ومنه قوله:(٣)[مجزوء الرمل]

بكرتْ تنظرُ شَيبي ... وثيابي يومَ عيدِ

ثم قالت لي بهزءٍ ... يا خليعاً في جديدِ

لا تغالطني فما تصـ ... ـلحُ إلا للصُّدودِ

---

*الخريدة (الشام) ١ : ٥٥٢. وفيات الأعيان ٣ : ٤٠٩. معجم الأدباء ٢ : ٥٨٤ .

١ : الخريدة ١ : ٥٥٥. والوفيات ٣ : ٤٠٩ .

٢ : الخريدة: وأستعزُّ. والوفيات: إذا عاقبته .

٣ : معجم الأدباء ٢ : ٥٨٦ .

ومنهم:

٨- أبو سلامة، مرشدُ بنُ عليٍّ بنِ مقلد*

وهو ممن كتب خطّاً فائقاً، وأضحى لجيوبِ الكمائمِ فاتقاً. وتقدَّمَ على قومه فتأخّروا عن شوطه، وتأثَّروا بزجره قبل سوطه. وأسنَّ وعُمِّرَ، وسنَّ معروفاً منذ أُمِّر. وولد أولاداً نجباء، وأمجاداً كرماء.

وذكره صاحبُ بغية الألباء فلم ينشد له شعراً، ولا أَنْشَقَ له عطراً. وقد أنشد له مؤلف «الفضل الأغزر في ملوك شيزر» (٢٢) شعراً كثيراً، أليقُهُ بالأبيات، وأنسبه طللاً يلحق بالأبيات، قوله: [الطويل]

بكائي على إخوانِ صدقٍ فقدتُهُم أصابهم سهمُ الرّدَى وعداني

فلا صاحبٌ إن غبتُ عنه أشوقه ولا صاحبٌ إن متُّ عنه بكاني

ومنهم:

٩- حميدُ بنُ مالكِ بنِ مُغيث بنِ نصرِ بنِ منقذِ بن محمدِ بن منقذِ بنِ نصرِ بنِ هاشم، أبو الغنائم*

الملقب بمكين الدَّولة. تاليَ قرآنٍ لا يَفْتُر منه لسانُه، وتالي غمامٍ لا يقصر عنه إحسانُه. ينظم من الشِّعر فاخِرَ عقودِه، ويشقُّ زاخرَ بحورِه. ولا يُرَدُّ عن مقصوده.

شاعرٌ فحل، ظاهر في كلامه جَنَى النّحل. مع عفافٍ لا يُدَنِّس له بُردا، ولا يكدِّر له وِردا. هذا إلى تَتَيُّمٍ بسَلمَى وسُعدَى، وكَلَفٍ لا يبيتُ ليلةً لا يستنجزُ وعدا. كلُّ هذا صناعةً أدبيةً، ورقةً عربيَّةً. ومن شعره السّائرِ، ونظمه الطَّائر،

---

* الخريدة (الشام) ١ : ٥٥٨. ومعجم الأدباء ٢ : ٥٨٦. وفوات الوفيات ٤ : ١٣٠ .

* معجم الأدباء ٢ : ٥٨٨ و٣ : ١٢٢٦. وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٤٦٦ .

قوله:(١)[البسيط]

مـــا بعـــدَ جِلِّقَ للمـــرتاد منزلةٌ ولا كَـــسُكّانهـــا في الأرضِ سُكّانُ
في كلِّ ناحـــيـــةٍ عينٌ وكلُّ فـــتىً تلقـــاهُ من أهلهـــا للعينِ إنســـانُ

ومنهم:

١٠- أبو الفضلُ، إسماعيلُ بنُ أبي العلاء*

سلطانُ بنُ عليٍّ بنِ منقذ. أبوه عمُّ مؤيّدِ الدَّولة أسامة. هو الفضلُ حقيقةً، وله الفعلُ الجميل خليقةً. نشأ شابّاً يترنَّحُ غُصنُهُ شباباً، ويضيءُ ذهنُهُ شهاباً، ويرقُّ خلقُهُ شراباً. اعتورت المنايا سراجَه، وعجَّبت الرّزايا أدراجَه. فما بزغَ حتى أَفَل، ولا آبَ حتى قَفَل. وذكره العمادُ الكاتب وقال: سمعت من شعره:(٢)[الطويل]

ومُـهَـفْـهفٍ كـتـب الجـمـالُ بخـدّه سطراً يُحـــيِّـــرُ ناظرَ المتـــأمِّلِ
بالغـتُ فـي اسـتـخـراجـه فـوجـدتُـه لا رأيَ إلاّ رأيُ أهـــل المـوصـــلِ

وذكره صاحب بغية الألبّاء، وقال: اتَّصل بي ذكره، وأنه كان في مخيّمه، فطار عليه زُنبورانِ، وكان على رأسه مملوكٌ وضيءُ الوجه، فطيَّرهما. فكتب إلى ابنِ عُنين:(٣)[الطويل]

مـتـفـرِّدَينِ تَرنَّمـا في مـجلسٍ فنفـاهمـا لأذاهمـا الأقـوام(٤)

١: معجم الأدباء ٢: ٥٨٩ و ٣: ١٢٢٧، البيت الأول حسبُ.
* خريدة القصر (الشام) ١: ٥٦٤، ومعجم الأدباء ٢: ٥٨٩.
٢: الخريدة ١: ٥٦٤، ومعجم الأدباء ٢: ٥٩٠.
٣: الخريدة ١: ٥٦٥.
٤: الخريدة ومعجم الأدباء: ومفردين.

(٢٣) هذا يجودُ بما يجودُ بعكسه هذا فيشكر ذا وذاكَ يُذامُ[١]

فأجابه:[٢][الكامل]

هذانِ زنبورانِ أما جودُ ذا عسلٌ وذا لَدْغٌ عليه يَذامُ

كَلِحاظ من أهوَى وريقةُ ثغره خمرٌ لراشفها وذاكَ سهامُ

ومنهم:

١١ – أبو الفتح يحيى بنُ سلطان بن منقذ*

مجد الدين[٣] كان لا يعدمُ بينهم تمجيداً، ولا يُطاول أخدعاً وجيداً. إلاّ أنّه كان يتنعب من العيش زهيداً، ثم قُتِلَ بعد ذلك شهيداً. وله شعرٌ منه:[البسيط]

والشمسُ مصفرَّةٌ في الغرب قد نشرت شعاعَها في تفاريقٍ من السُّحبِ

كأنَّما السُّحبُ أعلامٌ موردَّةٌ والشمسُ من تحتها ترسٌ من الذَّهبِ

وروى هذه أيضاً لغيره. وإنَّما شيخنا علاء الدّين الكندي رواهما له، ومنه سمعت.

ومنهم:

١٢ – أبو مرهف، نصرُ بنُ علي بنِ مقلد*

عمُّ مؤيّد الدَّولة أسامة. وكان يلقَّبُ بعزِّ الدَّولة. مؤرِّخٌ لا يفوته فائت، ولا

١: الخريدة ومعجم الأدباء: هذا فيحمد.

٢: معجم الأدباء ٢: ٥٩٠ في الحاشية.

* خريدة القصر (الشام) ١: ٥٦٧. ومعجم الأدباء ٢: ٥٩١.

٣: الخريدة: فخر الدين. معجم الأدباء فخر الدولة.

* خريدة القصر ١: ٥٦٨. ومعجم الأدباء ٢: ٥٩١.

تخفَى عليه حالُ مقيل ولا بائت. فضلاً أتقنه، وشغلاً جعله ديدنه. هذا، مع تُحَف أناشيد، وطُرَف شِعْرٍ ألذُّ من الأغاريد. سريعُ المحاضرة، سَرِيُّ المذاكرة، يغترفُ من بحرٍ لجِّيّ، ويقتطفُ من ليل دجوجي، فلهذا لا تعدُّ دُرَرُه ولا دراريه، ولا تُحَدُّ أواخره ولا مباديه.

ذكره العمادُ الكاتب الأصفهاني فقال: حضرنا عند الملكِ الصالحِ ليلةً بدمشقَ، في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، والأميرُ مؤيّدُ الدَّولة حاضرٌ، يناشدنا مُلَحَ القصائد، ويَنشد لنا ضالة الفوائد. وجرى ذكرُ بيتين لبعضهم، في المشط الأسود والمشط الأبيض، وهما لأبي الحسين أحمد بن محمد الدويدة، وهما: [الخفيف]

كنتُ أستعملُ السوادَ من الأمـ ... شاطَ والشَّعرُ في سوادِ الدياجي
أتلقّى مثلاً بمثلٍ فلمّا ... صارَ عاجاً سرَّحتُهُ بالعاج

فقال أسامة: أخذ هذا المعنى عمّي نصر، وعكسه، فقال: [الخفيف]

كنتُ أستعملُ البياضَ من الأمـ ... شاط عُجباً بلمَّتي وشبابي
(١٤) فاتَّخذتُ السَّوادَ في حالة الشّيـ ... بِ سُلُوّاً عن الصِّبا والتَّصابي

ومنهم:

١٣- أبو الفوارسِ، مرهفُ بنُ أسامةَ بنِ مرشدِ بنِ عليٍّ بنِ مقلدِ بنِ نصرِ بنِ منقذ، عضدُ الدَّولة*

أسنَّ وما خلع جلبابَ الشَّباب، ولا ودَّعَ سلمى والرّباب. بخلقٍ زادته السنونُ صَفاءَ، وأفادته رقةً يتخذُ معها مواصلةَ الراحِ جفاء. وكان كريماً خَرْقَ البنان، خُلِقَ للقلمِ والعنان. اقتنى الكتبَ وجمعها، واجتنَى الآداب وأبدعها، ومُتِّع

*خريدة القصر (الشام) ١: ٥٧٠. ومعجم الأدباء ٢: ٥٩٣.

بحواسِّه فما فقدها، ولا طلبها إلاّ وجدها. ما تَغَبَّرَ له ذهن ولا عقل، ولا غاب عنه بحثٌ ولا نقل. وكان إلى أن مات يقرأُ الخطَّ الرقيق قراءةَ الشُّبّان، ولا يتمادى عليه أوان.

ومما كتب به إلى أبيه:[1] [الطويل]

رحلتم وقلبي بالولاءِ مشرّقٌ لديكم وجسمي للعناءِ مغرِّبٌ[2]
فهذا سعيدٌ بالدُّنوِّ منعَّمٌ وهذا شقيٌّ بالبعادِ معذَّبُ
وما أدّعي شوقاً فسحبُ مدامعي تترجمُ عن شوقي إليكم وتُعربُ
ووالله ما اخترت التّأخُّرَ عنكم ولكن قضاءُ اللهِ ما منه مهربُ

انتهى البيت المنقذي .

ثم نذكر بقية من نحن بصددهم، فنقول:

١٤ – القاضي أبو غانم عبد الرزاق بن أبي حصين*

المعري أصفه مختصراً، وأدل عليه مقتصراً، فأقول: إن تقدَّمه بلديُّهُ بزمانه، فقد أدركه بإحسانه، وما يأتي من شعره أنموذَج من بيانه. ومنه قوله في كوز الفُقَّاع:[3] [الوافر]

ومحبوسٍ بلا جُرمٍ جناه له حبسٌ بباب من رصاصِ
يُضَيَّق بابُهُ خوفاً عليه ويوثق بعد ذلك بالعِفاصِ[4]
إذا أطلقته خرج ارتقاصاً وقبَّل فاك من فرحِ الخلاصِ

١: الخريدة ١: ٥٧٢. ومعجم الأدباء ٢: ٥٩٤ .

٢: الخريدة: للفناء. معجم الأدباء: بالعناء .

*خريدة القصر (الشام) ٢: ٦٥ .

٣: الخريدة ٢: ٦٥. والفقاع: شراب الشعير .

٤: العفاص: غلاف يغطّى به رأس القارورة .

وقد ترجم له العماد، وقال بعد إيرادها: وما أُعجب به من إنشادها، ما صورته هذه الأبيات الحسنة، صقلتها الألسنة وهي عروسها في كنِّها، خندريسٌ في دَنِّها، مطبوعة في فنِّها. يعدُّ هذا الأسلوبُ من النظم معمّىً. (٢٥) ويدلُّ على أن لقائله فضلاً جمّاً. انتهى كلام العماد.

ولو شاء في الثَّناء زيادة لزاد. ومن شعره قوله في حجر الرِّجْل:(١)[الكامل]

وعجيبةٍ أبصرتها فخبأتُها   لُغزاً لكلِّ مساجلٍ ومناضلِ
ما تستقرُّ بكف ألكن ناقصٍ   حتى تُجرُّ برجل أروعَ فاضلِ(٢)

ومنهم:

١٥- أبو العلاء بن أبي الندى*

أبو العلاء بنُ أبي الندى، وقيل ابن جعفر بن عمرو المعري. الشعرُ فَضْلُهُ على فضائله. والأدبُ طبعٌ يبدو على مخائله. من هذه البلد التي أخرجت الأخاير، ومُلِئَتْ بجواهرهم الذخائر. وكان أبو العلاء ذاك، ذكاء ليس فيه شاك.

قال فيه العماد: «اشتغل صغيراً بالفقه، وكان في الذكاء عديم الشِّبْهِ، سمح البديهة والرَّويَّة. مجيدٌ وحيدٌ فريدٌ، غدر به عمره، وطُوي نشرُه، وغَيَّضَ فيضه قبرُه، ونَضَبَ عند تَموُّج عُبابِه بحرُه. ولو عاش لكان آيةً، فلم يُبقِ في علمٍ من العلومِ غاية». ومن شعره يمدح بهاء الدّين الشَّريف:(٣)[الكامل]

من أين كانَ لكُنَّ يا حُدَقَ المَهَى   علمٌ بنَفْثِ السِّحرِ في عُقَدِ النُّهى

١: الخريدة ٢: ٦٥.

٢: الخريدة: يستقر... يجر.

*خريدة القصر (الشام) ٢: ٧١.

٣: الخريدة ٢: ٧١.

أم من أعارَ البانَ في مهج الورى فتكاً فأصبح بالقَنَا متشبِّها
من كلِّ ميّادِ القوام منعَّمٍ يختالُ من سُكرِ الشَّباب فيزدهَى [1]
واهي الجفون فلو تكَفَّلَ جفنُهُ فِعلَ الصّوارم لاستقلَّ وما وهى
يبدو بوجهٍ كُلَّما قابلتَهُ أهدَى إليكَ من المحاسنِ أوجُها
كالفضَّةِ البيضاءِ إلا أنّه يلقاك من ذهبِ الحياء مموّها
وله على القمرِ المنيرِ فضيلةٌ كفضيلةِ القمرِ المنيرِ على السُّها [2]
جمُّ البهاء كأنَّما جُمعتْ له تلك الصّفاتُ الغُرُّ من شِيَم البها
البدرُ يقصُرُ أن أُقايسَهُ به والشّمسُ تصغرُ أن أشبهه بها
وظلمتُ شامخَ مجده إن جئتُهُ عند المديحِ ممثّلاً ومشبِّها
أنتم بني الزهراء، أهلُ الحُجَّةِ الـ زهراءِ إن فَطِنَ المجاورُ أوسَهَا
فإلامَ يُجحَدُ في البريَّة حقُّكم قد آنَ للوسنانِ أن يتَنبَّها
(٢٦) صُنتم ببذلِ عُروضكم أعراضكم وصيانَةُ الأعراضِ في بذلِ اللُّها
ماذا أقولُ، وما لوصفِ علاكُمُ حدٌّ، ولا لنهاكم من منتهى
منكم سَنَا الشَّرَفِ المبينِ جميعُهُ وإلى بهاءِ الدِّينِ بعدكُمُ انتهى

ومنه قوله: [3] [البسيط]

لا غروَ إن كانَ منْ دوني يفوزْ بكم وأنثني عنكم بالوَيْلِ والحَربِ
يُدْنَى الأراكُ فيمسي وهو مُلْتَثِمٌ ثغرَ الفتاةِ ويُلقَى العودُ في اللهب

١: الخريدة: ويزدهى.
٢: الخريدة: فله.
٣: الخريدة ٢: ٧٢.

ومنه قوله في المروحة:[1][الوافر]

وقـــابضـــةٍ بعنـانِ النَّســـيم تُصـــرِّفُــهُ كــيف شــاءت هبــوبا
فـمن حـيثُ شـاءت أهبَّت صَـبـاً ومن حـيثُ شـاءت أهبَّتْ جنوبا
يُضَـــمِّخُ بالـطِّيـب أردانَهـــا فَـتُـهـدي لملبـسـهـا الطِّيبَ طيـبـا
إذا أقـــبل القُــرُّ كَـــانــت عـدوّاً وإن أقـبلَ القـيظُ صـارت حـبـيـبـا

ومنه قوله في غلام ينظر في مرآة:[2][البسيط]

بدا لنا فـــازدهانا حُـسْنُ صـورته حـتى امـتـرينا لهـا في أنه بَشَـرُ
وقـابلتْ وجـهَـهُ مـرآتُهُ فـبـدت كـأنهـا هالـةٌ في وسطهـا قـمـرُ

ومنه قوله:[3][الطويل]

خــذي قلبَـهُ رهناً وردّي له الكرى لعلَّ خـيـالاً منك في النَّوم يطرقُ
فــواعــجــبـاً للطَّيْف ليس بواصلٍ إلى الجـفن إلاّ وهو وسنانُ مطبقُ
يصــدُّ إذا الأبوابُ تُفـتَحُ دونه ويقـربُ منهـا شـخصُهُ حين تُغلقُ
ومـا ذاك دأبُ الزّائريـن وإنّمـا زيـارتُـهُ للصَّـبِّ زورٌ منـمّـقُ[4]

---

١ : الخريدة : ٢ : ٧٣ .

٢ : الخريدة ٢ : ٧٣ .

٣ : الخريدة ٢ : ٧٤ .

٤ : الخريدة : فقدٌ منمق .

ومنهم:

١٦- محمد بن حيدر البغدادي*

الأديبُ أبو طاهر، محمدُ بنُ حيدرِ البغداديُّ. ممن زاد بذكره الخطيري. زينةُ الدَّهر وجلاها حسناء لم يغلها المهرُ. وله لطائف أغضُّ من الزَّهر، وأندى من الأقاحي على النَّهر، ومنها قوله:(١)[الكامل]

يا جاحدي فضلي وقد نطقت ... بفضائلي بَدَهاتُهُ عنه

(٢٧) هل أنت إلاَّ البدرُ توضحه ... شمسُ الضُّحى وكسوفُها منه؟

وقوله:[المنسرح]

أما ترى البدرَ كيفَ مدَّ على ... دجلةَ ضوءاً من نوره البَهِجِ

والجسرُ من فوقها يرقِّصُهُ النـ ... ـسيمُ من مائها على اللُّججِ

كأنها لاذةٌ مفرَّكةٌ ... يقطعها قاطعٌ من الشَّبجِ

ومنه قوله:[الوافر]

وصاحبةٍ وردتُ بها غديرا ... يقدِّرُ من صفاءِ الماءِ أرضا

كأنَّ الوحشَ حين تعبُّ منه ... يقبِّلُ بعضُها للشَّوقِ بعضا

وقوله:(٢)[الطويل]

ومدامة كَدَمِ الذَّبيح سَخَا بها ... للشَّرب من لَهَواته الإبريقُ

حتى إذا ضحكَ الزُّجاجُ لقربها ... منه بكى لفراقها الراووقُ

وقوله:[مجزوء الكامل]

---

*خريدة القصر (العراق) ٢: ٢١٩.

١: الخريدة ٢: ٢٢١.

٢: الخريدة ٢: ٢٢٠.

يا صــاح قـد جـمع السُّـرو ... رُ لنا بقـربك مـا تبـدَّدْ
قم فـاسـقني والسـحبُ با ... كـيـةٌ وطرفُ البـرق أرمـدْ
والـليـل فـد شـابت ذوا ... ئبُ أفـقـه والبـدرُ أمـردْ
والمـاءُ فـي وسـط الصّـرا ... ة كـأنّـه زردٌ مـبـددْ

وقوله:(١)[الهزج]

خَـف الأمـرَ وإن هـانَ ... ولا يـطـغَ بـك الشّـبعُ
ولا تـصـد مـن الكُـلْـ ... فـةِ مـا يَصْـقله الطَّبعُ
فـقـد يَخـشى من الفـأ ... رِ على من عـضَّـه السَّـبُعُ

ومنهم:

١٧- أبو الفتح، محمدُ بنُ عبد الله، سبطُ ابنُ التعاويذي*

الملقّب بأمين الدَّولة. رجلٌ تدفع العينُ عوذَه، وتمنع من يرتاد الرَّوض نبذه. كان من الكتابِ استرزاقاً لا صناعةً واستحقاقاً. لو أن مادته في الشِّعر له (٢٨) بضاعة. وأدبه نسب النسيم إذا سرى سحرا، ونَبَّهَ عيون النّور من وسعه الكرى. وله في الشعر توليد غير موءود، وديوان شعر ما فيه مخرّجٌ لا مردود. وكله مما يَلجُ بلا استئذان، ويصل إلى القلبِ قبل الأذان، إلاّ أنَّ الغوصَ في أكثره قليل، والدَّقيق في مواضعه منه حليل.

وهو ممن تديَّر ريفاً، وتفيّأ من النَّخيل ظلاً وريفاً، لا يعلِّلُهُ إلا أساها، ولا يعلمه شكوى الفراقِ إلا نوحُ الحمائم في مصبحها وممساها. وكان مسترزقاً

١: الخريدة ٢: ٢٢٣.

*سبط ابن التعاويذي – حياته وشعره، نوري شاكر الآلوسي.

بالمديح ، مادّاً منه كفَّ المستميح.

وبعث مديحاً إلى السُّلطان صلاح الدّين -قدَّس اللهُ روحه- أرسله لأمله رائداً، وبعث يطلب بكرمه معنىً زائراً.

وبعث قصيدة إلى العماد الكاتب استجداه فيها فروةً يدفع بها بردَ الشِّتاء الكالح، ونبلَ الوبلِ الرَّاشق، وخطّار البرق الرامح.

وكان شيخنا شهاب الدِّين مفتوناً بطريقه، مغبوناً في رحيقه. لا يقدم عليه شاعراً من معاصريه، ولا يحب ذا أدبٍ لا يكون من ناصريه.

وحدَّثني الحافظ أبو الفتح ابن سيّد الناس العمري، قال: كان قاضي القضاة ابن دقيق العيد يُثني عليه ويقول: من يُحسنُ مثلَ قوله:[1][السريع]

سَرَتْ بنا في ليلةِ القرِّ تجمع بين الإثْمِ والأجْرِ

واللهِ لو مُدحتُ بمثلها لأجرتُ عليها ألفَ دينار .

قلت: وحَسْبُهُ ثناءُ هذين وكفى .

ومن سَهْلِ مطبوعه، وجيده المنتقَى من مطبوعه، قوله:[2][الخفيف]

باتَ يجلو عليَّ روضَةَ حُسْنٍ بتُّ منها ما بين روضٍ وآسٍ[3]

قلقي من وشاحِهِ وبقلبي ما بخَلخالِهِ من الوَسْواسِ

ومنه قوله:[4][المنسرح]

---

١ : ديوانه ١٥٤ .

٢ : ديوانه ٢٣٦-٢٣٧ .

٣ : الديوان: بت فيها .

٤ : ديوانه ١٥٩ .

وقـائد الجُـرْدِ كـالعـقـاربِ لا يُدركُـهـا في نجـائهـا البَـصَـرُ(1)

حـمـاتُـهـا كلَّ يومٍ ملحـمـةٍ حـمـاتُهـا والقنا لهـا إبَرُ

ومنه قوله:(2)[مجزوء الكامل]

قـالت وأدمـعـهـا تَسـيـ لُ أسىً على الخـدِّ الأسـيـلِ

(29) يـا بـينُ كـم أجـلـيـتَ يـو مَ نَوَى الأحـبَّـةِ عن قـتـيلِ

منها في المديح:

يـا فـارجَ الكـرب العظيـ مِ وكـاشفَ الخطبِ الجليلِ

أحـسـنـتَ في الدَّهـر المسُـي ءِ وجُـدْتَ في الزّمنِ البـخـيلِ(3)

ومنه قوله:(4)[الخفيف]

بأبي الأسـمـرُ العـزيزُ وقـد بـا تَ على غيرةِ الوشاةِ سميري(5)

زارني بعـد هجـعـةٍ يمسحُ الرّقْـ دَةَ عن جـفنِ عـيـنـهِ المزرورِ

ومنه قوله:(6)[الكامل]

عـودي مـريضـاً في يديكِ شـفـاؤه أشـفـى وأنتِ بما يكابدُ أعلمُ

ولطالما وجَـدَ الطَّبـيـبُ لدائه بُرءاً إذا كـان الطَّبـيبَ المُسْقِمُ(7)

1: الديوان: في نجابها.

2: ديوانه 322-323.

3: الديوان: الزمن المحيل.

4: ديوانه 162.

5: الديوان: الأسمر الغرير.

6: ديوانه 370.

7: الديوان: ولقلما وجد المريضُ لدائه.

ومنه قوله:[1][الطويل]

يعـــزُّ علـى زُرقِ الأسنَّةِ عَـــودُها ... ومـــا نَهلَتْ ذوابلُهـــا السُّـــمـــرُ
تحـوم ظمـــاءً والنحـــورُ كـــأنَّهـــا ... مَنَاهِلُ وِردٍ والرِّمـــاحُ قطاً كُـــدْرُ

ومنه قوله:[2][مجزوء الكامل]

أيـن اسـتـــقلَّت بـالحـــبـــيب ركــابُهُ ومـتـى ظَعَنْ
ولـربَّ لـيـلٍ بـتُّ فـــيــــه صـــريعَ باطيــــةٍ وَدَنْ
مع مـــخطفٍ لَدْنِ الـقـــوام إذا انثنى رخصِ البـــدنْ
لـكـنَّـنـــي كـــــــقَّـرتُ لـيلـــةَ زرتُـهُ عـنِّي وعـــنْ

ومنه قوله:[3][المنسرح]

قـد أقـسـمتْ لا اهتَدَى الخيــالُ إلى ... جـــفني وَبَـرَّتْ لميـــاءُ في القـــسمِ
أمْـــزُجُ شكواي بـالخـــضـــوعِ لهـــا ... ودمعَ عـــيني صَـــبَـــابَةً بدمي

ومنه قوله:[4][الكامل]

يا شـــاكي اللَّحظاتِ شكوى مُـغـرمٍ ... يـلقـــاكَ وهو من التـــجلُّدِ أعـــزلُ
أَصْـــمَتْ لواحظكُ المقـــاتِلَ رامـيـاً ... أفـمـــا يَدِقُّ على سـهـــامِكَ مـقـــتلُ

(٣٠) ومنه قوله:[5][الطويل]

١: ديوانه ١٧٥ .
٢: سقطت الأبيات من الديوان .
٣: ديوانه ٣٧٤–٣٧٥ .
٤: ديوانه ٣٢٧ .
٥: ديوانه ١٠٦ .

إذا مـا أظلّتني عناقيدُ فرعِها سقتني بكأسِ الثَّغْرِ ماءَ العناقيد

ومنه قوله:[1][السريع]

وليلةٍ باتَ سميري بها وناظري بالنَّجم معقودُ
حتى امحى صِبغُ الدُّجى واغتدت كأسُ الثُّريّا وهي عنقودُ[2]

ومنه قوله:[3][الكامل]

خُذْ في أفانينِ الصُّدود فإنَّ لي قلباً على العِلاّت لا يتقلّبُ[4]
أتظنني أضمرتُ بعدكَ سَلوةً هيهات عطفُكَ من سُلُوّي أقربُ

ومنه قوله:[5][مجزوء البسيط]

وباردِ الظَّلْم شتيتِ الثَّغْرِ واهي المواعيدِ معاً والخَصْرِ[6]
في خدِّه ماءُ الشَّباب يجري قافيةً من شِعري[7]
أصبحتُ لا أملكُ فيه أمري

ومنه قوله يمدح:[8][الكامل]

قومٌ إذا اعتقلوا مثقفةَ القنا لِوغىً حَسِبتَ الأُسدَ في الآجامِ[9]

١ : ديوانه ١٠٨ .
٢ : الديوان: حتى انجلى .
٣ : ديوانه ٢٢-٢٣ .
٤ : الديوان: لا يُتَغلَّبُ .
٥ : ديوانه ١٧٩ .
٦ : الديوان: واهي المواثيق .
٧ : سقط الشطران الرابع والخامس من الديوان .
٨ : ديوانه ٣٨٠ .
٩ : الديوان: أنابيب القنا ... في آجام .

غُلبٌ ولكن في المغافِرِ منهم ... حَدَقُ المها وسوالفُ الآرامِ

ومنه قوله:[1] [الوافر]

عليلُ الشوقِ فيك متى يصحُّ ... وسكرانٌ بحبِّكَ كيف يصحو

وأبعدُ ما يُرامُ له شفاءٌ ... فؤادٌ من لحاظك فيه جرحُ[2]

فبينَ القلبِ والسُّلوانِ حربٌ ... وبين الجفنِ والعبراتِ صُلحُ

ومنه قوله:[3] [المتقارب]

حَمَتْهُ صَوارِمُ ألحاظِهِ ... فأصبحَ والثَّغرُ من فيهِ ثغرُ

نَشَدتُكَ يا ظالمَ المقْلَتَيْنِ ... هل عند قلبي لعينيكِ وِتْرُ

ومنه قوله:[4] [الوافر]

بنفسي من وهبت لها رُقادي ... فَلَيلي بعد فرقتها طويلُ

(٣١) وما بخلت عليَّ بيومِ وصلٍ ... ولكنَّ الزَّمانَ بها بخيلُ

ومنه قوله:[5] [السريع]

تختلفُ الأيامُ في أهلها ... مثلَ اختلاف المدِّ والجَزْرِ

وما لإنسانيتي شاهدٌ ... عندي سوى أنِّيَ في خُسْرِ

ومنه قوله:[6] [الطويل]

١: ديوانه ١٠٢ .

٢: الديوان: فؤاد فيه من عينيك جرح .

٣: ديوانه ١٨٢ .

٤: ديوانه ٣٣٩ .

٥: ديوانه ١٩١ .

٦: ديوانه ٤٠٣ .

ومما شـــجـــاني أنّني يومَ بَينهم شكوتُ الذي ألقَى إلى غـيـرِ راحمِ
ولو كنتُ مُـذْ بانوا سـهـرتُ لسـاهرٍ لهـانَ ولكنّي سـهـرتُ لنائمِ

ومنه قوله يذكر عودَ الوزارة:[١] [الكامل]

أنتم وإن رَغَمَ العِـدَى وُرَّاثُهـا قـدمـاً وغـيـرُكُمُ الدعيُّ الملحقُ
لَكَم استـفـاد على الإباء شَـمـوسُـها وبكم تجـمَّعَ شـمـلُها المتـفـرِّقُ

ومنه قوله:[٢] [المتقارب]

ورُبَّ لـيـالٍ مـزجـنا بـهـنَّ حَـرَّ الفـراقِ ببـردِ التـلاقي
تقـضَّت قـصـاراً ولكنَّهـا أطالت عليّ الليـالي البـواقي

ومنه قوله:[٣] [مجزوء الكامل]

جـذلانُ مِن مَـرَحِ الشَّـبـا ب ينامُ عن ليلِ المسـهَّـدْ[٤]
ظبيٌ سـقـانـي خـمـر عـينيـ ـهِ فـأسكرنـي وعَـربـدْ

ومنه قوله:[٥] [مجزوء الرجز]

وليلةٍ شربت فيـهـا بالرقـاد السَّهَـرا قضّيتُها يزاحمُ العشاء منها السّحرا
لو كُحِّلَ الصُّبحُ بها من قِصَرٍ ما شعرا باريتـهـا نواظراً مكحـولةً وطُـررا
فـبتُّ أسـتـجـلي بهـا وهي سِـرارٌ قـمـرا

---

١ : ديوانه ٢٩٧ .

٢ : ديوانه ٢٩٩ .

٣ : ديوانه ١٢٤ .

٤ : الديوان : عن ليلي وأسهد .

٥ : سقط الرجز من الديوان .

ومنه قوله يصف الحمام الرسائلي من مديح :[1][الوافر]

تَنالُ بجــدِّكَ الطَّلبَــاتِ حــتــمــاً فليس يفــوتُهــا أبداً طلابُ[2]
(٣٢) وتصــدرُ عن مــراحلهــا سراعــاً كــمــا ينقضُّ للرَّجْمِ الشُّــهــابُ
تخــوضُ دمــاءَ أفــئــدةِ الأعــادي فــمنه على مــعــاصــمــهــا خِضــابُ

ومنه قوله :[3][الرجز]

يا نابذاً بين الظِّبــاءِ قَلْبَــهُ ذريَّةً لكل ســهــمٍ عــاثِرِ
كــيف تعــرّضتَ وأنت حــازمٌ يومَ اللِّوى لأعينِ الجــآذرِ
أمــا علمتَ أن أحــداقَ الظِّبــا ءِ النُّجْلِ لا يؤخــذنَ بالجــرائرِ

ومنه قوله :[4][مجزوء الكامل]

لــلــه زورتُــهُ وقــد مــالت إلى الغــرب النجــومْ[5]
وقــلادةُ الجــوزاءِ عَــقــدٌ في تــرائبــه نظيــمُ
وقــد انتــشــى خُــوطُ الأرا كــةِ والحَــمــامُ لــه نديــمُ

ومنه قوله :[6][الطويل]

يُجــيلُ على مَــتْنَيْــهِ ســودَ غــدائرٍ كــمــا نَفَضَ الغُصنُ المرنَّحُ أوراقــا[7]
وقــالوا نَجَا من عقرب الصُّدغِ خدُّهُ فــقلتُ اعــترفــتم أنَّ فــيــهِ دِرياقــا

---

١ : ديوانه ٣٦ .
٢ : الديوان : منها طلابُ .
٣ : ديوانه ٢٠٦ .
٤ : ديوانه ٣٨٧ .
٥ : الديوان : لله رونقهُ .
٦ : ديوانه ٣٠١ .
٧ : الديوان : يجول ... سودُ .

ومنه قوله:[1][البسيط]

يُظَنُّ مَنْ فَتَنَتَهُ أنّها عَنَمُ ولّت تُشيرُ بأطرافٍ مُخَضَّبِه
أنَّ الخضابَ على ذاك البنانِ دَمُ تروقُهُ وهو لا يدري لِشَقوته

منها في المديح :[البسيط]

يكادُ يقطُرُ من نادي أسِرَّتِهِ ماءُ الحياءِ ومن أعطافِهِ الكَرَمُ

ومنه قوله:[2][مجزوء الكامل]

قُمْ يا نديمُ فنادِ في النُّدماءِ حيٌّ على الفلاحِ[3]
سِيما ونشرُ الرّوضِ قد جلبته أنفاسُ الرياحِ[4]
والديكُ كالنشوان من طربٍ يصفِّقُ بالجناحِ

ومنه قوله:[5][مجزوء الكامل]

ولقد نَزَعْتُ عن الغوا يةِ لابساً ثوبَ الوقارِ
(٣٣) لما تَبَلَّجَ فجرُ فَوْدي وانجلى ليلُ العِذارِ
وكذا المُريبُ يسيرُ ليـ لتَهُ ويكمنُ في النَّهارِ

ومنه قوله يعاتب:[6][الكامل]

لا غَرْوَ أن نسيتْ عهود مودتي وقديمَ أيامي وسالفَ صحبتي

---

١ : ديوانه ٣٩٢ .
٢ : ديوانه ٨٩ .
٣ :الديوان : الندمان .
٤ : سقط البيتان الثاني والثالث من الديوان .
٥ : ديوانه ٢١٣ .
٦ :سقط البيتان من الديوان .

أنا لا أُعَدُّ اليومَ إلا مَيِّتاً ومتى وفى الأحياءُ قطُّ لميِّتِ

ومنه قوله:[1] [المتقارب]

فمن شبَّهَ العمرَ كأساً يَقرُّ قَذاهُ ويرسبُ في أسفَلهْ
فإني رأيتُ القَذَى طافياً على صفحةِ الكأسِ من أوّلِهْ[2]

ومنه قوله:[3] [مخلع البسيط]

لم يبقَ لي في هَوَى الغواني مُذْ تقضَّى الصِّبا طماعَهْ
خلعتُ نفسي من التَّصابي ما لأخي الشَّيبِ والخلاعَهْ
أنكرنَ مني شيباً وعُدْماً فلا بضاعٌ ولا بضاعَهْ

ومنه قوله يذم خُشكنانجة من قصيدة:[4] [البسيط]

وخُشْكَنانِجَةٍ سوداءَ فارغةٍ كأنَّها قطعةٌ من قرنِ جاموسِ

ومنه قوله:[5] [الوافر]

إذا ما الرّعدُ زمجرَ خِلْتُ أُسداً غضاباً في السَّحابِ لها زئيرُ
وإن سلَّتْ صوارِمَها الغوادي أفاضَ عليه جوشَنَهُ الغديرُ[6]

ومنه قوله:[7] [السريع]

---

١ : ديوانه ٣٥٥ .
٢ : الديوان : طائفاً .
٣ : ديوانه ٢٦٩ .
٤ : ديوانه ٢٤٣ .
٥ : ديوانه ٢٣١ .
٦ : الديوان : فإن سلَّت ... أفاض عليها جوشنها .
٧ : ديوانه ٧٠ .

وروضـــــةٍ غَنَّاءَ باكـــــرتُهـــــا والشَّــمسُ قــد جــاوزتِ الحــوتا
سَـــرَت بريّاها نســيم الصَّـــبــا تحــملُ نَشْــرَ المسكِ مــفــتــوتا[1]
وردً مــا اســـــتــــودَعَــهُ تربُهــا من لُؤلُـؤِ القطـرِ يواقـــيـــتـــا

ومنه قوله:[2][المنسرح]

يرنحـهـا نَشَواتُ الشباب فـتـمشي كــمــا انعطف الغـصنُ غَـضّـا
(٣٤) صَحَتْ وهي بالدَّلِّ سكرى القوا مِ وصــحّت لواحظُهــا وهي مَـرْضَى
أقـــامَ لي خَـــدُّكَ الدَّليلَ بما ضَــرَّمَــهُ من جَـوىً على كـبـدي
إنّ مــرايا الأحــداقِ تحــرقُ مــا قــابَلَهُ نُورُها على البُـــعـــدِ

وقوله:[3][الوافر]

أدرْ كـــأسَ المدامِ عليَّ صِــرفــاً ولا تُفـــســـدْ كـــؤوسَكَ بالمزاجِ
ودعـنـي والصّـــــلاة إذا تدانـت فـليس عـلى خـــرابٍ من خـــراجِ

وقوله:[4][الطويل]

ســمحتُ بدمــعي للدِّيارِ مُــســائلاً رسومَ الهـوَى لو أنَّ تَسْـآلَهـا يُجـدي
على القلبِ تجْني كلُّ عينٍ بلحظِهــا وعـيني على قلبي جَنَتْ وعلى خـدّي

وقوله:[5][المنسرح]

وريعَ ســربُ النُّجــومِ فــاســتـبــقت فــي أُخـــرياتِ الظلامِ تَطَّرِدُ[6]

١ : الديوان : سَرَى .
٢ : سقط البيتان من الديوان .
٣ : ديوانه ٧٦ .
٤ : ديوانه ١٤٨ .
٥ : ديوانه ١٥٢ .
٦ : الديوان : واستبقت .

وطار عن وكره إلى الأفقِ النَّسْـ ـرُ وخاف الغزالةَ الأسدُ

وقوله:[1][الكامل]

قالت أتقنعُ أن أزورَكَ في الكَرَى فتبيتَ في حُكْمِ المنامِ ضجيعي
وأبيكَ ما سَمَحَتْ بطيفِ خيالها إلا وقد ملكتْ عليَّ هجوعي

ومنهم:

١٨- أبو الغنائمُ، محمدُ بنُ عليٍّ بنِ المعلِّمِ الواسطيٌّ*

الملقَّبُ نجم الدِّين. شاعرٌ كأنَّما حُرِّكَ بكلِّ هوى، وحُرِّق بكلِّ جَوَى، فتحمَّلَ كلَّ صبابة، وتَجَمَّلَ بالصبرِ لو أصابَهْ. فداوَتْ نسيمُهُ وَصِبًا[2]، وهبَّت جنوباً وَصَبَا[3]. وسكنَ البطائح، وسكبَ في رواقها الأحمديِّ[4] دَمَ كلِّ دمعٍ طائح. وعُنِيَ بشعره بين يديْ شيخِ الطائفةِ أحمدِ بنِ الرفاعيِّ، قدَّسَ الله روحَه، فطَابَ به هو والفقراءُ، فعادت عليه بركاتُهم، وسَرَتْ فيه حركاتُهم، وحصلت له حظوة نَهْنَهَتْهُ في العراق، ورفعت رأسَهُ من الإطراق، فلم يخلُ مجلسُ (٣٥) رئيسٍ من منشدٍ لشعره أو مستنشدٍ، ومتَّهمٍ به أو متَحدٍّ.

واتَّخَذَتْ ديوانَه الوعّاظُ موضعَ إنشادهم، ومكانَ استشهادهم. فذهبَ بالقلوب، ونهبَ الألباب، بلَفْظِه الخلوب، للَطافة مأْخَذه، وقُربِ وصوله إلى القلبِ ومنفذه: حتَّى إنَّ الكلمةَ كانت تُختطفُ من فمه، وتُقتطفُ قبل أن يثمرَ

١: ديوانه ٢٧٤ .

*خريدة القصر (العراق) ٤: ٤٣٠. ووفيات الأعيان ٥: ٥ .

٢: الوَصِبُ: المريض .

٣: الصَّبَا: الريح التي تهب من الشرق.

٤: الأحمدي: نسبة إلى الشيخ أحمد الرفاعي، شيخ الطريقة الأحمدية.

بها أَفنانُ قَلمِه. فلا تُنشدُ له قصيدة إلا تَنَاهَبَ إنشادَها من حَضَر، وتواثَبَ إليها كلٌّ منهم وابتدر. فقلَّ أن تميَّزَ مُنشدٌ له بإنشاد، أو برز منفرداً بإيراد، لمسابقة الحضورِ له إلى أبياتها، مسارعة الجميعِ له إلى غاياتِها، لسرعة انتشارها، وسعة اشتهارِها، فجاء كلُّه حلواً رقيقاً، وصفواً رحيقاً.

ومن مختارِه المختال، وشجارِه المعتال، قوله: [المتقارب]

دَعُوهُ فقد قيلَ إن الغرا — م جنونٌ وما كَذَبَ القائِلُ
ولا تَسَلُو حاضراً غائباً — كفى مخبراً دَمْعُهُ السائلُ
قِفا بي ولو ساعةً في العقيـ — ق لنبكي على النَّاحِلِ النَّاحِلِ
يحاولُ من دمعِهِ ناصراً — على البينِ والنَّاصرِ الخاذِلِ

وقوله: [الطويل]

أَلَمْ تَسْأَموا عذلي، دَعونَي والبُكَا — أُلامُ على فيضِ الدموعِ أُلامُ
أسُكَّانَ نَجدٍ أينَ أيَّامُ رامةٍ — إذ الوردُ من ماءِ الوِصالِ جمامُ
صَحَا كلُّ ذي سُكْرٍ بكم غيرَ شاربٍ — له النَّجمُ خِدْنٌ والدُّموعُ مُدامُ
سَلُوا غيرَ طرفي إن سألتم عن الكَرَى — فما لجفونِ العاشقينَ منامُ
وخلُّوا زفيري يَحْدُ دمعي فكلَّما — تَتَابَعَ برقٌ استهلَّ غمامُ

وقوله: [البسيط]

أضَلَّهُ وطريقُ الرَّكْبِ ملحوبُ — وها أمامَكَ حيثُ البانُ ملحوبُ(١)
عرِّج وقِفْ وقفةً لَوَتْ الإزا — رَبه فما عليك به إثمٌ ولا حُوبُ(٢)
دَعِ التجلُّدَ وامْدُدْ للغرامِ يداً — مَنْ غَالَبَ الشَّوقَ أمسَى وهو مغلوبُ

١: ملحوب الأولى: واضح. والثانية: مقشور.
٢: الحُوب: الإثم.

(٣٦) وما خلتُ أنَّ الهَوى يقَضي عَلَيَّ به ... والحبُّ كالحَيْنِ للإنسانِ مجلوبُ
لم أَخَلْ أنَّ سرَّ الوجْدِ يَفْضَحُهُ ... من الحمائمِ تغريدٌ وتطريبُ
فما بَدَا البارقُ العلويُّ معترضاً ... إلا أَبيتُ وعندي منه أُلهوبُ
كأنَّما هو من جنبيَّ مخترطٌ ... للوَمْضِ أو هو في جنبيَّ مقروبُ
يبدو وأَبكي دماً فهو الصدوقُ مُنىً ... مالاحَ إذ ومضُهُ بالبيضِ محجوبُ

وقوله: [البسيط]

كم لي أَمدُّ غطاءَ الصَّبرِ أستر أسـ ... ـرارَ الغرامِ وكفُّ البين يكشفُهُ
وكم أُكتِّمُ دمعي وهو منسكبٌ ... يجري، وخوفاً من الواشي أُكَفْكِفُهُ
لا تُنكروا ماءَ أَجفاني وحُمْرَتَهُ ... لو كان في العينِ دمعٌ كنتُ أَنزفُهُ
أَفْنَى الهوَى أدمعي نَزْفاً ولم يَرَني ... سِوَى دَمي فهو بالتَّوديعِ يذرفُهُ

ومنها في المديح:

وما أَمُتُّ بشعرٍ بِتُّ أَنظمُهُ ... للمدحِ فيكَ ولا سجعٌ أَصنِّفُهُ
أَخذتُ منكَ الذي أُثني عليكَ به ... فأَنتَ لا أنا بالنُّعمَى مؤلِّفُهُ

وقوله: [المنسرح]

دارٌ بقُوسَ صَحَّتِ النفوسُ بها ... والحبُّ حيث الشَّقاءُ والعِلَلُ[1]
مذ سَكنتها البدورُ ما انتقلتْ ... عن جوِّها والبدورُ تنتقلُ
توسِعُ فتكاً فليس ندري الـ ... جراحاتُ بها أم عيونها النُّجُلُ

وقوله: [الرمل]

---

١ قوس: قرية بمصر.

كَلَفي فيكُمُ قديمٌ عهدُهُ ... ما صَبَاباتي بكم مُكْتَسَبَهْ
أينَ ورقُ الجِزْعِ مَنْ لي أَنْ ... أرى عُجْمَهُ أو أن أُشاهد عَرَبَهْ
ونَعْم إذا بَانَ حَزْوَى فاسألوا ... إن شَكَكتم في عذابي عَذَّبَهْ
عن جفوني النومُ من بعده ... وإلى جسمي الضَّنَى مَنْ قَرَّبَهْ
وصِلوا طيفاً إذا لم تصِلوا ... مستها ما قد قطعتم سَبَبَهْ
(٣٧) فإلى أَنْ تُحسنوا صنعاً بنا ... قد أساءَ الحبُّ فينا أدَبَهْ
أعشقُ اللَّومَ لحبي ذكركُم ... يا لمرٍّ في الهَوَى ما أَعْذَبَهْ

وقال: [الخفيف]

قسماً بالقدودِ وهنَّ رماحٌ ... ولحاظُ العيون وهنَّ سهامُ
ويجورُ الهوَى وأعظمُ أقسا ... مِ المحبِّينَ هذه الأقسامُ
لأُطيلنَّ وقفةَ الحُزنِ في الـ ... أطلالِ حتَّى يرثي لي اللُّوَّامُ

وقال من أخرى: [الطويل]

تظلُّ عيونُ النُّور في تلعاتِهِ ... إلى أَعينِ السُّحْبِ الهَوَامي روامِقَا
فتضحكُ أنواءُ السَّحَابِ إذا بكت ... عليه غزارٌ موثقاً وشقائقاً

وقال من أخرى: [الطويل]

تخالُ لديهِ الشَّمسَ في الجوِّ غادةً ... عليها ردىً من نقعِهِ وخِمارُ
ويقدَحْنَ من نقع الحَوَامي على الحصى ... لَظىً برؤوسِ السُّمْرِ منه شرارُ

وقال منها في المديح:

وراحَ ببذلِ المالِ صبّاً كأنَّهُ الـ ... فرزدقُ والجودُ الصَّريحُ نوارُ
إذا هزَّ يومَ الرَّوعِ رمحاً فإنَّما ... لثعلبِهِ صَدْرُ الكميِّ وجارُ

وقال :[الطويل]

فللّه عطفٌ من صَبَا الغورِ مائسٌ ولله طرفٌ من سَنَا البرقِ يدمعُ
يشاهدُ منه النَّجمُ جَفْنَ مُسَهَّدٍ ويقرعُ منه الخدَّ ماءٌ مشعشعُ

وقال من أُخرى :[الطويل]

وصارخةٍ من أيكةٍ أجَّجَتْ له لظاً طالما أذْكتْهُ في قلبه الوُرْقُ
بَكَتْ طَرَباً فانْصاعَ يبكي تشوقاً فدمعتُها زورٌ ودمعتُهُ حقٌ
وهل يستوي ذو صبوةٍ وابنُ راحةٍ إذا استعبرا، هيهاتَ بينهما فرْقُ
ذَرِي الآنَ يا ورقاءُ نوحَكِ إنَّما الـ بكاءُ لِمَنْ دمعُهُ يخجلُ الوَدْقُ
(٣٨) فما أنا بالمُثني عليكَ وإنَّما له الحُزْنُ في هذا البُكَا ولَكَ السَّبْقُ

وقال :[المنسرح]

يا لَلْهوَى نَمَّت الجفونُ بنا وليس يخلو المحبُّ مِنْ زَلَلِ
ما عَصَيْنا القلوبَ، أعيُنُهُمْ نحن، وَهَبْنَا القلوبَ للمُقَلِ

وقال :[الخفيف]

قُلْ لحيٍّ على اللِّوَى والكثيبِ الـ فردِ جادَ الحَيَا الكثيبَ الفردا
قد وَقَفْنا من بعدِكم نسألُ الـ بانَ ضلالاً عنكم ويشكو الرَّبْدا (١)
فشفانا صَمتاً، ولم يشفِ نطقاً وحَكَاكم ليناً ولم يحكِ قدّاً

وقال :[الطويل]

عَسَى مَنْ كَسَا الجسمَ السَّقامَ يعودُهُ ومَنْ سَلَبَ الجفنَ المنامَ يُعيدُهُ

---

١ : الرَّبْدُ : الإقامة .

فـمـا يَبـريَ المشـتـاقَ إلا مـعلَّةٌ … ويُـنـقـصُ داءَ المحبِّ إلا مـزيـدُهُ[١]

وقال: [البسيط]

هو الحِمَى مغانيه مغانيهِ … فاحْبِسْ وعانِ بليلى ما تعانيهِ
لا تسألِ الرَّكبَ والحادي فما سألَ الـ … عُشَّاقَ قبلَكَ من ركبٍ وحاديهِ
ما في الصَّحابِ أخو وجدٍ يطارحُهُ … حديثَ نَجدٍ ولا صَبٌّ نجاريهِ
إليكَ عن كلِّ قلبٍ في أماكنه … ساهٍ، وعن كلِّ دمعٍ في مآقيهِ
ما واجدُ الصَّبرِ في المعنى كفاقده … وجامدُ الدَّمعِ في المعنى كجاريهِ
لقي الكئيبُ هوىً عادت أواخرُهُ … على العقيق كما عادت أواليهِ
يجدِّدُ العشقَ والأشجانُ تُخلقُهُ … وينشُرُ الدَّمعَ والأحزانُ تطويهِ
ربعٌ، ثغور الهوَى، لا الرَّوضُ يُضحكُهُ … وأَعينُ العشق، لا الأنواءُ تُبكيهِ
خَلاً، وغيرُ فؤادي ما يهيمُ به … دَعَا، وغيرُ دموعي ما تُلبِّيهِ
يا منزلاً بدواعي البينِ منتهبٌ … وما البليَّةُ إلاَّ من دواعيهِ
فالنَّارُ من زفراتي لا بوارقهِ … والماءُ من عَبَراتي لا غواديهِ
(٣٩) ومُودَعُ القَلْبِ إذْ ودّعتُهُ لَهباً … حاشاهُ حاشاهُ من قلبي وما فيهِ
يوهي قُوَى جَلَدي من لا أَبوحُ به … ويَستبيحُ دمي من لا أُسمِّيهِ
قَسَا فما في فؤادي ما يعاتبُهُ … ضعفاً يلاقي فؤادي ما يقاسيهِ
لم أدْرِ حين بَدَا والكأسُ في يدهِ … منْ كأسهِ السُّكْرُ أَمْ عينيهِ أَمْ فيهِ
وما المدامةُ إلا من ثَنيَّتهِ … ومَا الظُّلامَةُ إلاَّ من تَثَنِّيهِ
لو لم يَطُلْ عصرُهُ فخراً وتاَهَ به … عجباً لما اهتز عطفاه من التِّيْهِ

وقوله: [الكامل]

١: معلَّةٌ: مشغلةٌ.

عَرَضَ العَقيقُ له وجَرْعاءُ الحِمَى فطواهما نظراً وأعْرَضَ عنهما
هاجَا صبابتَهُ ولم يَقُلِ اسلَمَا لهما ولا حال الهوَى ما هجتما
صَوْناً لسرِّهما القديمِ وحقَّ مَنْ حَمَلَ المحبَّةَ أنْ يصونَ ويكتما

منها: [الكامل]

يا ردفُه،افْتُضِحَ الكثيبُ،وعطفُهُ عُرِفَ الـ قضيبُ بما استعارا منكما
ما ضرَّ ذاك، الظُّلمَ لو اتّقى ظلمي وعافَ تألُّمي ذاك اللَّمى

وقوله: [الكامل]

وارحمتا للصَّبِّ تاهَ وما له جَلَدٌ، ولا حملُ الأَذَى من عادِهِ
هو في العراقِ، وقلبُهُ بتِهامةٍ يا قُربَ مسمَعِهِ، وبُعْدَ فؤادِهِ

وقوله: [الكامل]

لو رامَ هذا السَّائقُ العجلانُ خَبَّرَ الغَضَا لا بانَ عنهُ البانُ
أَمْسَوْا، وقد ظعنوا يحدِّثُ عنهُمُ ويميلُ عنهُ كأنَّه سكرانُ
ما يستفيقُ كأنَّما عَرَضَتْ له الـ أشواقُ أَوْ وَلَعَتْ به الأَشجانُ
وكأنَّهُ صَبٌّ تَهيجُ له الصَّبا ذكرَى تمايَلُ عندها الأغصانُ
بانوا وفي عَذَباته من طيبهم ماءُ الثَّرَى، وكأنَّهم ما بانوا
إنْ تَجْتنبْ حَزْوَى فلا ذَهْلٌ بها يستوقفُ الحادي ولا شيبانُ
(٤٠) فَخَفَى هوىً نَطقتْ به أجفانُهُ هيهاتَ ليس مع البُكا كتمانُ
يَنسَى، وأذْكَرَهُ العقيقُ وما لَه وَلَهِي ولا دمعي به الهتَّانُ

منها:

أأصـونُهُ وهو العـقـيقُ وطالما سَـمَحَتْ به الأجـفانُ وهو جُـمانُ
إنَّ الأُلَى بخلوا بردِّ تحيَّةٍ مـا ضنَّ بعـدهم بدمعٍ شـانُ
خُـذْ من عـيـونهم الأمـانَ وهلْ لمن حَـمَلَ الغـرامَ من العـيـونِ أمـانُ
كم في البـراقعِ من قِـسِيٍّ حـواجـبٍ تُـصْـمي القـلوبَ وغـيـرها المِرنانُ

منها:

واسـتـقـبلوا الوادي فـأطْرَقَت المَهى وتحـيَّـرَتْ بغـصـونهـا الكثـبـانُ
فكأنَّمـا اعـتـرفـت لهـم بقـدودها الـ أغـصـانُ أو لعـيـونهـا الغـزلانُ

وقوله: [الوافر]

إذا رُفِـعَـتْ عن الغَـورِ الخـيـامُ وعـزَّ مَـرامُـهـا هانَ الحِـمـامُ
دعـوني والبُكا، فَلِغَـيْـرِ طَرْ فِيَّ البُكَا ولغـيـرِ أذنيَّ الملامُ

منها:

أَقُصُّ على البَـشـامِ بهـا حـديثي ولولا الدَّمعُ لاحـتـرقَ البـشـامُ
أُشَـبِّـبُ بالغـصـون فـلا التـواءٌ يـنـوبُ عن القُـدودِ ولا قـوامُ
يفـرِّقُ شـملَ دمـعي البـانُ فـيـهـا ويـنظُمُ نـثـرَ شكوايَ الحِـمـامُ
يميـلُ كـأنَّما يقـسَى نسـيـمٌ يمرُّ عليـه أو دمـعـي مـدامُ

منها:

إذا كـانت حـواجِـبُـهـا قِـسـيّـاً فـإنَّ لحـاظَ أَعْـيُنهـا سِـهـامُ
إذا نفـسي ودمـعي قـابلاهُ دَرَى مـا الريحُ والغـيـثُ الرهامُ

وقوله: [الكامل]

دعني فـمـا اخْـضَـرَّ العـقـيقُ إلاّ وصَـرَّحَ نبـتُـهُ بزفـيـري
مَـهْـلاً فـمـا دمعي بمحبـوسٍ ولا قلبي على جـورِ النَّوى بصـبـورِ
(٤١) وإليكَ عن ذكـرِ المحبّين الأُلَى دَرَجـوا فـمـا المطويُّ كـالمنشـورِ

وقوله :[الكامل]

مـا وقـفـةُ الحـادي على يَبـرينَ وهـ وَالخلـيُّ مـن الظِّبـاءِ العـينِ
إلا لِيَـمْنَحَنِـي جـوىً ويزيدنـي مـرضـاً على مـرضي ولا يبـريني
قسـمـاً بما ضُـمَّتْ إليـه شفـاههم من قـرقف في لؤلؤ مكـنون(١)
إن شـارَفَ الحـادي الغُـويرَ لأقْـضِـيَنْ نَحْـبي ومن لي أن تبـرَّ يميني(٢)
ولقـد مـررتُ على العـقـيق بزفـرةٍ أمْـسَى الأراك بهـا بغـيـر غـصـونِ
فَـبَكا الحـمـام ومـا يحنُّ صَـبـابتي وشكَـا المطيُّ ومـا يَحـنُّ حنيـني
وأَظنُّ مـا اشـتـملت عليـه أضـالعي أهدي الذي حلَّت به لجـفـوني
فلذاك نـارُ حَـشَـاي يظهـرُ سـرُّها من حـرِّ هذا الدَّمعِ بعـد كُـمـونِ
أنا كـالسَّـحـاب إذا توالَى بَرقُـهُ والَى بغـيـثٍ كـالدُّمـوعِ هتـونِ
يا صـاحـبي مـا أَنت إن لم ترثِ لي يومـاً على سِـرِّ الهـوَى بأمينِ
سَلْ باللِّوَى إن كنت تخـبـرُ فـيـه عن دمـعي الطَّليقِ ودمـعي المكنونِ

وقوله :[مجزوء الكامل]

قـف بـي عـلـى الـوادي الـذي أقْـوَى رُباً وَعَـفَـا مـحـلا
أَشكـو بـلائـي إلـيـه والـ مَـشْكُوُّ من شـاكـيـه أبْلَى
وعـلـى مـرارات الـهـوَىَ مـا أعـذبَ الشَّكْـوَى، وأحْـلاَ

---

١ : وفيات الأعيان ٥ : ٧. هذا البيت والذي يليه حسب . وفيه : ضُمَّت عليه .

٢ :وفيات الأعيان : العذيب لأقضين .

وقوله :[الكامل]

وتنكَّرَ الوادي فأصبحَ بعدَهم	قفراً وشملُ جَميعهم مُتَبَدِّدا
وكأنَّما الأغصانُ لم تُصْبِحْ به	سَكْرَى ولم يُمْسِ الحمامُ مغرِّدا

وقوله :[البسيط]

بانوا بِزُهْرِ النُّجوم الطَّالعاتِ فَمَا	في الرَّبع معنىً ولا بالرَّوْضِ من زهرِ
(٤٢) وأيُّ نورٍ تشيم العين من فلكٍ	أمسى خلاءً بلا نجمٍ ولا قمر

وقوله :[الكامل]

إنّ الأُلى رحلوا بأقمار الدُّجى	وربا النقا ونواظر الغزلان
لم يَنْجُ ربُّ صنيعةٍ بتدرُّعٍ منهم	ولا بالشَّدِّ ربُّ حصان
شهروا عن الطعن العيون وكيف لا	تحمي وهنَّ مقاتل الفرسان

وقوله :[الكامل]

وأصون عن نظر الوشاة مدامعي	من أن يبوح الدَّمع بالكتمان
ويخونني طرفٌ فينطق بالذي	أخفيه من شأن الممنع شاني
مالي وما لليلِ وقّفَ طولُه	هديَ الكواكب وقفة الحيران

وقوله :[الكامل]

لا تعجبوا إن عاف مشربه الذي	أجفانه سمحت بأحمرِ مربد
هي مهجةٌ لا دمعة جَمدت وقد	ذابت دماً فكأنَّها لم تجْمُدِ

منها :

أمزودي الأضيافِ ضيف جمالكم	لم يحظ لا بقرًى ولا بتزوُّد
لارقة للمشتكي بجنابكم	وجد المحبُّ ولا جدًى للمجتدي

أترى الذي صبغ الوجوه برقة الصْ صَهباء صاغ قلوبها من جلمد

وقوله: [مجزوء الكامل]

رحلوا بأغيد مائس الـ أعطافِ معسول الشمائل
طامي الوشاح بعيد مَهْـ وى القرط ريّان الخلاخل
يفتر عن درٍّ علاه كأنَّ مَبْسِمَه المراسل (١)
يجفو ويبعث طيفه فهو المقاطع والمواصل
كالبدرِ وجهاً وهو أبـ ـهى طلعةً والبدر كامل
(٤٣) والغصن قداً وهْوَ أحـ سن منه معتدلاً ومائل
والسِّحْرِ لحظاً وهْوَ أفـ تك في الحشا من سحر بابل

وقوله: [المنسرح]

أين تريد درّس الربع البلا هو الحمى فاحبس عليه الإبلا
وقفت أشكوه بجفن مارقا حوادث البين، وقلب ما سلا
بكيته فهل رأيتم طللاً قبل وقوفي فيه يبكي طللا
عليَّ أن أمطره دمعي وما عليَّ إن جاد الحيا أو بخلا

وقوله: [البسيط]

لم يدر بي عاذلي لولا لَظَى نفسي ولا اهتدى الطيف بي لولا توقّده
يا للهوى دَلَّ عذالي على سقمي وجدي الذي كأحرِّ النّار أبرده

وقوله: [من الرجز]

يا صاح إن فُتَّ الأراك سالماً منه مراحاً لم يفته مَغْدا

١: المُرْسَلَةُ: قلادة طويلة تقع على الصَّدر.

يهـدي إليك النوح من حـمـامـه	غبُّ الهـدوء قَلقـاً مـا يهـدا
أمَّـا الهـوى: بـان اللِّوى ورنده	سـقى الحـيـا بان الهـوى والرَّنْدا

وقوله :[البسيط]

يقـوى البـلاء على قلبي وأُوثـره	علـمـاً بأنَّ بلائي فـيـه يؤثره
وتسـتلذُّ الضَّنى نفسي وعـادتهـا	ألاّ تمـرّ بـصـافٍ لا تـكـدِّره
يا نازلين الحـمى رفـقـاً بقلب فـتىً	إن صـاح بالبين راعٍ باح مُـضـمَـره
لا تحسبوا الصّدَّ عن عهدي يُغَيِّرُني	غـيـري مـلازمـة البلوى مـغـيِّـره
كم تستريحـون في صـبحي وأتعبـه	وكـم تنامـون عـن ليلـي وأسـهـره

وقوله: [الرمل]

أتلقَّى باحـتـجـاجي ذنبـه	مـغـمـداً مـا من مـسـاويه سـهـرْ
فـإذا قـيل أسـا قلت عـفـا	وإذا قـيل جنى قلت غـفـرْ
(٤٤) مـادنا إلاّ نأى من عِـزِّه	هـو والشَّـمس سـواءً والقَـمَـرْ
يوسُـفِيُّ الحـسن زادت بسطـةً	بمعـانيـه علـى البـدوِ الحَـضَـرْ

وقوله :[مجزوء الكامل]

مـا زال يـظـهـرني البـكـا	لهم ويخـفـيني النّحـولُ
حـتى رثى ليَ حـاسـدي	فـيـهم ورقَّ ليَ العـذولُ

وقوله :[من الرجز]

تنبـهي يا عـذبـات الرَّنْدِ كم	ذا الكـرى هـبَّ نسـيم نجـدِ
مـرَّ على الرَّوض وجـاء سـحـراً	يسـحبُ ثوبـي أرجٍ ورنـدِ
حـتى إذا عـانقت منهـا نفـحـةً	عـاد سـمـومـاً والغـرام يعـدي

واعجباً منّيَ أستشفي الصَّبا ... وما تزيد النَّارَ غير وَقْدِ
أعلِّل القلب ببان رامة ... وما ينوب غُصُنٌ عن مَدٍّ
وأسأل الرَّبعَ وَمَنْ لي وَعَى ... رجع الكلام أو سخا بردٍّ
تعِلَّةٌ وقوفنا بطلل ... وضلةٌ سؤالنا لِصَلْدِ
وأقتضي النوح حمامات اللوى ... هيهات ما عند اللوى ما عندي
بانوا فلا دار العقيق بعدهم ... داري ولا عهد الحمى بعهدي
وأنتِ يا عيني وُعِدْتِ بالبكا ... هذا الفراق فانعمي بالوَعْدِ
آهٍ من البُعْدِ ولو رفقتم ... ما ضرَّني تأوُّهي للبُعْدِ
ماذا على العاذل لو كنّيتُ عن ... حَزْوَى وليلَى بالحمى وهندِ

وقوله: [الطويل]

أمن بابل أم من لواحظك السِّحْرُ ... أمن حانةٍ أم من مراشفك الخَمْرُ
وهل ما أراه الموت أم حادث النوى ... وهل هو شوقٌ بين جنبيَّ أم جمر
سَلُوا بعدكم وادي الحمى ما أساله ... دمي أم دموع العاشقين أم القطْرُ
أيحكي الحيا عذب المذاقة أبيضاً ... سيول دموعي وهي مالحةٌ حُمْرُ
يجفُّ السحاب الرطب فيكم وتنضب الـ ... مياه وطرفي ما يجفُّ له شَفْرُ
بكيتُ دماً إذ ليس لي عنكمُ غنىً ... وذبتُ جوىً إذ ليس لي عنكمُ صَبْرُ

منها:

وفي الركب من لو حطّ ليلاً نقابه ... لردَّ الدآدي وهْيَ من وجهه قُمْرُ(١)
بكى فالتقى باللؤلؤ الرطب هازئاً ... على نحره من طرفه اللؤلؤ النثرُ

---

١ الدأداء: آخر أيام الشهر، ويقال: ليلة دأداء شديدة الظلمة، وجمعها دآدي.

وقوله :[الطويل]

أجيـــراننا إنَّ الدمـــوع التي جـــرت رخـــاصـــاً على أيدي النّوى لغـــوال
أقيمـوا على الوادي ولو عُمْر ساعةٍ كلـوثِ إزارٍ أو كـــحـــلٍّ عـــقــالِ

ومنهم :

١٩- عمارةُ بنُ عليٍّ بنِ زيدان الحكمي*

الفقيهُ ، اليمني، الشافعيُّ. شاعر لا تنقشع عارِضَتُه، ولا تتوقع معارضته، لو قاومهُ المغلَّب لما ناهضه، أو قاوله الفرزدق لماناقضه. لا يدركُ لبحره قرار، ولا لبدره سِرار[١]. كان عربيّاً فصيحاً، ينطف ردنه خزامى وشيحاً، تكلم بلسان العرب فما أخطأ، ولا فات سهماً ولا عرفاً، بفصاحةٍ تسيل شعابها وتسير هضابها. وأصله من مدينة يقال لها (مِرْطان) من تهامة، وتأدُّبهُ بزبيد من اليمن. وحج سنة تِسْع وأربعين وخمسمائة، فسيَّرَه القاسم بن هاشم بن فُلَيْتة صاحب مكة المعظمة رسولاً إلى مصر، فسرى إليها يتأنّس بمهنّده، ويقطع الظلام يكتحل في كل ميلٍ بإثمد. هذا، ورائد الفضل يقدمه، وقائد الحظِّ يخْدمُه. فأتى مصر والملك الصالح ابن رزيك يومئذٍ وزيرها، وبه يبتدأ من يزورها، والفائز اسم ابن رزيك معناه، ومضطجع مهدٍ لولاه لم يُلْهَم لمعناه، فأكرم الصالح منه زائراً أشهى من الطيف لماماً، وأخفّ من الضيف مقاماً، ودخل على الفائز بقبو الذهب وهو في مجلسٍ كلُّ أشمِّ الأنف فيه خاضع، وكلُّ شامخ الرأس لديه متواضع، وكلُّ طرفٍ متشاوسٍ به عضيض، وكُلُّ جناح همةٍ متعالٍ عنده مهيض، لا يتكلّم فيه إلاّ أذن وقال صوابا، ولا يتكلم فيه إلاّ من منحه الحصر (٤٦) أن

* النكت العصرية. والخريدة (الشام) ٣ : ١٠١، الروضتين٢ : ٢٧٢. ووفيات الأعيان ٣ : ٤٣١ .

١ : سَرارُ الشّهْرِ وسِرارُه: آخر ليلة فيه.

يردّ جوابا، والفائز على سرير مرتفع تقعُ مرامي العيون دونه وتودُّ أسرَّةُ النجوم أن تكونه، وزعماء الجيش قد أخذت مجالسها في نواحيه، ومنعتها المهابة أن تتخيل أنها فيه، فأنشد قصيدة مر بها الفائز ووزيره الصالح ووصف حسن قيامه بالمصالح، وهي:[1][البسيط]

الحمدُ للعيسِ بعدَ العَزْمِ والهمَمِ ... حمداً يقومُ بما أَوْلَتْ من النِّعَمِ
لا أجْحَدُ الحقَّ عندي للركابِ يدٌ ... تمنَّتِ اللُّجْمُ فيها رُتْبةَ الخُطُمِ
قَرَّبْنَ بُعْدَ المزارِ العزِّ من نظري ... حتى رأيتُ إمامَ العصرِ من أُمَمِ[2]
ورُحْنَ من كعبةِ البطحاءِ سائرةً ... وَفْداً إلى كعبةِ المعروفِ والكَرَمِ[3]
فهلْ دَرَى البيتُ أنّي بعد فُرْقَتِهِ ... ما سرتُ من حَرَمٍ إلا إلى حرمِ
حيث الخلافةُ مضروبٌ سُرادقُها ... على النقيضَيْنِ من عفوٍ ومن نقَمِ
وللإمامةِ أنوارٌ مقدّسةٌ ... تجلو البَغيضَيْنِ من ظُلْمٍ ومن ظُلَمِ
وللنبوَّةِ آياتٌ تَنُصُّ لنا ... على الحقيقينِ من حِلْمٍ ومن حُلُمِ[4]
وللمكارمِ أعلامٌ تعلّمنا ... مَدْحَ الجزيلَيْنِ من بأسٍ ومن كرمِ
وللعُلَى ألسُنٌ تُثْني محامدُها ... على الحَميدَيْنِ من فعلٍ ومن شيمِ
درايةُ الشَّرفِ البذّاخِ ترفعُها ... يدُ الرَّفيعين من مجدٍ ومن هممِ
أَقسمتُ بالفائزِ المعصومِ معتقداً ... فوزَ النَّجاةِ وأجْرَ البِرِّ في القَسمِ
لقد حَمَى الدينَ والدُّنيا وأَهلَهما ... وَزيرُهُ الصّالحُ الفَرّاجُ للغُمَمِ
اللابسِ الفخرَ لم تَنْسجْ غلائلَهُ ... إلاّ يدٌ لصنيعَيْ السَّيفِ والقلمِ[5]

---

١ : النكت العصرية ٣٢–٣٣. وفيات الأعيان ٣ : ٤٣٢–٤٣٣ .

٢ : النكت والوفيات : بُعْدَ مزار .

٣ : النكت والوفيات : البطحاء والحرم .

٤ : النكت والوفيات : على الخفين من حكم ومن حكم .

٥ : النكت والوفيات : يد الصنيعين .

وُجودُهُ أوْجَدَ الأيام ما اقترحتْ … وَجودُهُ أعدمَ الشاكينَ للعَدَمِ
قد ملَّكَتْهُ العوالي رِقَّ مملكةٍ … تُعيْرُ أنف الثُّريا عِزَّةَ الشَّمَمِ
أرى مقاماً عظيمَ الشأنِ أوهمني … في يقظتي أنّه[من] جُمْلَةَ الحُلُمِ[1]
يومٌ من العمرِ لم يخطر على أملي … ولا ترقَّتْ إليه رغبةُ الهممِ
ليت الكواكبَ تدنو لي فأنْظِمَها … عُقودَ مدحٍ فما أرضى لكم كلمي
(٤٧) ترى الوزارةَ فيه وهي باذلةٌ … عند الخلافةِ نُصحاً غيرَ متَّهمِ
عواطفٌ أعلمتنا أنَّ بينهما … قرابةً من جميلِ الرأي لا الرَّحمِ[2]
خليفةٌ ووزيرٌ مدَّ عَدْلُهُما … ظلاً على مفرقِ الإسلامِ والأُممِ
زيادةُ النِّيلِ نقصٌ عند فيضِهِما … فما عَسَى تتعاطى مِنَّةُ الدِّيَمِ[3]

فاستحسن قصيدته الحاضرون. ثم عاد إلى مكة وهم إليه بعيونهم ناظرون. ثم إنّ صاحبَ مكة أعاده إلى الفائز مرة ثانية، وهبَّتَ إلى مصرَ ريحٌ يمانية ومدّ إليها منه بحرٌ عدّت البحار السبعة ثمانية. وأتاها على نيَّةِ مقيم، وبعلانية أنَّه عنها لا يريم، فلما دنا عمارة من الفائز أدناه، وسوّغه فوق مناه، شكراً لمسعاته، وبِرّاً كلّمه به بغير ترجمان من دعاته، وذلك بما لقّنه ابن رزيكٍ وفطّنه، واستجلبه به ليوطِّنه، ثم اختص بابن رزيك خصوصيّة اللسان بالبيان ، واليد بالبنان، فغَرفه الصالح بِسَجْله، وعرفه نجح ما جاء لأجله، وجعله لا يطأ الثريّا برجله، ولا يطلب الجوزاء بأن تصاغ بحجله، وقد تقدّم في ترجمة الفائز ذكر وفادته، وأنَّها كانت بكر سعادته، وأتينا هناك على عيونٍ من أخباره، ومكنونٍ من أشعاره، فلقد أحلَّه ابن رزيكِ منه مكاناً تسفُّ عنه الرياح المحلِّقة، وتشف عنه مصابيح النجوم

١ : النكت والوفيات : أنها من .

٢ : الوفيات : علمتنا .

٣ : الوفيات : نتعاطَى .

المعلّقة، ثم إنّ الصالح أراد به زيادة اختلاطه، قوة ارتباطه، فدعاه كما تقدم في ذكر الفائز ليدخُلَ في مذهبه، ويعجِّل له آلاف ذهبه، فتباعد من أربه وتأفف من سوء مشربه، وكان الصَّالح قد كتب إليه :[الكامل]

قل للفقيه عمارةٍ يا خير من أضحى يؤلِّف خطبةً وكتابا

الأبيات الخمسة المقدّمة الذكر، فيما مرّ من هذا الكتاب . فلما أتت عمارة هذه الأبيات، وسع من الغيظ فوق مليئه، وحمل النَّفَس حشو عبيئه، وأبى له أن يخيب يقينه، وأنف له لهذه الدنيّة دنية، وكان شافعي المذهب، حسن المعتقد، متعصِّباً لأهل السنّة. وكان هذا ينكِّب خطّته، ويتجنَّبُ خلطته (٤٨) وكتب إليه جواباً أقذاه، وطوى جوانحه على أذاه وهو :[الكامل]

يا خير أملاك الزَّمان نصابا حاشاك من هذا الخطاب خطابا

الأبيات الثَّلاثة المقدّمة أيضاً . ثم إنَّ الصَّالح يفسد ما بينه وبين عمارة، وسكت عنه تصريحاً وإشارة، وسدّ هذا الباب فلم يفتح له قفلا، ولم يكلِّفه منه فرضاً ولا نفلاً، بل قاربه إذ جانب ، وواصله إذ جاذب، وكان هو وإياه خليطي خمر وماء، وقسيمي بؤسٍ ونعماء، وكان الصَّالح يغمره ببحره، ويؤمِّره على أمره، وعمارة يجعل شكره صحيفة آنائه، وحقيبة ثنائه، يقرن كل بيت بوفْقِه، وينظم كلّ معنىً إلى لفقه، ومضت قريحته على هذا التوالي، ودبت الأيام ودرجت الليالي، بفرائد ماتت بين السحر والنحر، وقصائد نظمت حاشيتي البرِّ والبحر، ومدائح ركبت الأفواه ووردت المياه، وطرقت الأندية والخدور، وحلت الأطراف والصدور، وقال فسكت كلُّ متكلِّم، وصدّ كلُّ ناطقٍ مترنِّم، ويدُلُّ على أكبر حاله قصيدته التي مدح بها السُّلطان صلاح الدّين ، ومنها قوله :[الطويل]

أيا أذن الأيام إن قلت فاسمعي لنفثة مصدور وأنَّةِ موجع

يقاصرني خطو الزمان وباعه ... فقصَّرَمن ذرعي وقصّر أذرعي
وأخرجني من موضعٍ كنت أهله ... وآداني بالجور في غير موضعي
تيممت مصراً أطلب الجاه والغنى ... فنلتهما في ظلِّ عيش مُمَتَّعِ
وزرت ملوك النَّيل أرتاد نيلَهمُ ... فأدركت آمالي وأخصب مرتعي
وجاد ابن رزيك فيهما بمواهبٍ ... وكم زاد عن مرمى رجائي ومطمعي
مذاهبهم في الجود مذهب سنةٍ ... وإن خالفوني في اعتقاد التشيُّعِ
فقل لصلاح الدّين والعدل شأنه ... من الحاكم المصغي إليّ فأدّعي
فياراعيَ الإسلام كيف تركتنا ... فريقي ضياع من عرايا وجوّع
ونصري له من حيث لا أنت ناصرٌ ... بضرب صقيلاتٍ ولاطعن شرَّعٍ
فمالك لم توسع عليَّ وتلتفت ... إليَّ التفاتَ المنعم المتبرِّع
فيا واصل الأرزاق كيف تركتني ... أمدُّ إلى زند العلا كفَّ أقطع
وأقسمت (٤٩) لو قالت لياليك للدجى ... أعد غارب الجوزاء قال لها اطلعي
فيا زارع الإحسان في كلِّ تربةٍ ... ظفرت بتربٍ تنبت الشُّكْرَ فازرع

ومن شعره النَّادر وقوله المبادر، ما سأشنِّف به هذا التَّصنيف، وأكمل عور هذا التَّأليف. وقد حكى ابن خلكان عنه، وقد ذكره ، قال: « ورأيت في كتابه الذي جعله تاريخ اليمن، أنَّه فارق بلاده في شعبان سنة اثنتين وخمسين، ثم قال: فأحسن الصالح وبنوه وأهله إليه كلّ الإحسان وصحبوه مع اختلاف العقيدة بحسن صحبته. ثم قال: وكانت بينه وبين الكامل ابن شاور صحبةٌ متأكِّدة قبل وزارة أبيه، فلما وزر استحال عليه، فكتب إليه:[1] [الطويل]

إذا لم يُسَالِمْكَ الزَّمانُ فحاربِ ... وباعِدْ إذا لم تنتفعْ بالأقاربِ

١ : النكت العصرية ١٣٠-١٣١، وخريدة القصر (الشام) ٣ : ١٢٨-١٣٠، ووفيات الأعيان ٣ : ٤٣٤ .

ولا تحتقرْ كَيْداً ضعيفاً فربَّما تموتُ الأفاعي من سموم العقارب (١)
فقد هَدّ قِدْماً عرش بلقيسَ هدهدٌ وخَرَّبَ فأرٌ قَبْلُ سدَّ المآرب (٢)
إذا كان رأسُ المالِ عُمرَكَ فاحترز عليه من الإنفاق في غيرِ واجبِ
فبينَ اختلافِ اللَّيلِ والصُّبحِ معركٌ يكرُّ علينا جيشُهُ بالعجائبِ
وما راعني غدرُ الشَّبابِ لأنني أنِسْتُ بهذا الخُلْق من كلِّ صاحبِ
وغدرُ الفتى في عَهدِه وَوَفائِه وغدرُ المواضي في نُبُوِّ المضاربِ
إذا كان هذا الدُّرُّ معدِنُهُ فمي فَصُونُوه عن تقبيلِ راحةِ واهبِ
رأيتُ رجالاً أصبحت في مآربٍ لديكم وحالي وحدُها في نوادب (٣)
تأخَّرتُ لما قدَّمتهم عُلاكُمُ عليَّ وتأبَى الأُسْدُ سبقَ الثَّعالبِ
تُرَى أين كانوا في مواطِنيَ التي غدوتُ لكم فيهنَّ أكرمَ نائبِ (٤)
ليالِيَ أتلو ذكْركم في مجالس حديثُ الوَرَى فيها بغمزِ الحواجبِ

ومما كان فيه بلاؤُهُ الموكّلُ بالمنطق قوله–وقد رأى مصلوباً مما أنشد له ابن سعيد– وقال: وكأنما كان لسانَ حاله، وهو:[الكامل]

ورأت يداه عظيم ما جنتا فنفرنَ ذي شرقاً وذي غرباً
(٥٠) وأمال نحو الصدر منه فماً ليلوم في أفعاله القلبا

وكذلك أنشد له قوله:[الكامل]

يا ساكن الجفن القريح وليته يرعى لجاري الدّمع حقَّ الجارِ

---

١ : النكت، والوفيات : سمام .
٢ : النكت : أخرب . النكت، والوفيات، والخريدة : قبل ذا سدَّ مأرب .
٣ : النكت، والوفيات : في مآدب . الخريدة : أصبحو في مآدب .
٤ : الخريدة : سقط البيتان الأخيران .

ومن شعره قوله :[البسيط]

واقبض على كلماتي كفَّ منتقدٍ زيفَ الكلام فليس الصّفرُ كالذَّهَبِ
قصائدٌ لم تزل في كلِّ جارحةٍ من حسنها نشوات الخمْرِ والطَّرَبِ
كانت مكرَّمةَ المثوى منزّهةً في أرض مصرَ عن التّصريح بالطلبِ
فأصبحت في زمانِ التُّركِ طاميةً تحوم حول زلال الماء والعشبِ
حتى كأنّ أذى قلبي يطيب لهم كالعود لولا حريقُ النَّارِ لم يطِبِ

وقوله :[1][الكامل]

غَصَبَتْ أميَّةُ إرثَ آلِ محمّدٍ سَفَهاً وشنَّت غارةَ الشَّنانِ
وغدتْ تُخالفُ في الخلافةِ أهلَها وتُقابلُ البُرهانَ بالبُهتانِ
لم تَقْتَنِعْ حكامهم بركوبهم ظهرَ النِّفاقِ وغاربَ العدوانِ[2]
وقعودِهم في رُتبةٍ نَبَويّةٍ لم يَبْنِها لهمُ أبو سُفيانِ
حتَّى أضافوا بعد ذلك أنَّهم أخذوا بثأرِ الكُفرِ في الإيمانِ
فأتى زيادٌ في القبيح زيادةً تَركتْ يزيدَ يزيدُ في النُّقصانِ

تأمل هذا اللفظ المحكَم، والمعنى المحكَّم، والتجنيس الخالي من التكليف، والعبارة البريئة من التعقيد، والعروس المحببة إلى من زفّت إليه، وجليت عليه، وإلى المقاصد الملائمة لهوى الممدوح، وقد جلاها هذا الفقيه السُّنِّي، لابسةً إزار التشيُّع المحض، (٥١) بارزةً في رداء الروض الغض. وقد أكثر النَّاس في هذا المعنى فما منهم من قارب هذا الفحل ولا داناه، ولا أشبه أعلى شعره ولا أدناه، ولهذا تحق له بهذا المدح ومثله أن يخصَّ، تنكأُ الشيعة جناحه وتريشه بالندى،

١ : النكت العصرية ٣٦٣ .
٢ : النكت : ... تقتنع أحلامها بركوبها .

وقلَّ من يسود سدى، ولهذا كان قسيم ذهبها وإن باين تأسي مذهبها، وهذا الذي أورده في الدَّولة الصّلاحيَّة ذلك المورد الذي عجز عن إصداره، ورفعه على الجذع التي لا تناسب جلالة مقداره، ولكنه القضاء المحكّم ، والبلاء المحتَّم، فنعوذ بالله من خرقٍ لا يرقع، وخَرَقٍ يودع صاحبه البلقع .

عدنا إليه، ومنه قوله :[الكامل]

يا حاسدي عضد الإمام جهالةً غضُّوا جفونكم على الأقذاءِ
فوحقّهِ ما نال إلاَّ حقّهُ والدرُّ أحسنه على الحسناءِ

وقوله :[1][الطويل]

خَفَضْتَ لواءَ الحمدِ من بعد رَفْعِهِ وحلَّتْ بنانُ العَتْبِ عَقْدَ لوائي
ولم يتخلّف بيننا كلُّ خاملٍ أشرِّف من مقداره بهجاءِ[2]

وقوله :[البسيط]

ألقى الكفيل أبو الغارات كلكله على الزمان فضاعت حيلةُ النُّوَبِ
لما تمرّد بهرامٌ وأسرته جهلاً وراموا قراع النبع بالغَرَبِ
صدّعت بالناصر المحيي زجاجتهم وللزجاجة صَدْعُ غير منشعبِ
في ليلة قدحت زرق النِّصال بها ناراً تشبُّ بأطراف القنا الأشبِ
ظنوا الشجاعة تنجيهم فقارعهم أبو شجاعٍ قريع المجد والحسبِ
سقوا بأسكر سكراً لا انقضاء له من قهوة الموت لا من قهوة العنبِ
تسنَّموا إبلاً يتلو قلائعهم يا عزة السّرج ذوقي ذلة القتبِ
(٥٢) كأنهم فوقها خشبٌ مُسنَّدةٌ إن النِّفاق لمنسوبٌ إلى الخشبِ

---

١ : النكت العصرية ١٥٧ .

٢ : النكت : يتحدث .

سمـا إليـهم سـمـوّ البـدر تـصحـبـه ... كـواكبٌ من سـحاب النقع في حُجُبِ
في فـتـيـةٍ من بني رزيكِ تحسبـهم ... عن جـانبـيـه رحـاً دارت على قطبِ
كـأنّ لمع المواضي في أكـفّهمُ ... صـواعقٌ في الوغى تنقضُ من سـحبِ
مـتـوّجٌ من بني رزيك تنسبـه ... بين المسـاعي إلى جـرثومـة العـربِ
مـا أليق التّـاج مـعـصـوباً بمفـرقـه ... ورُبَّ مـعـتـصب بالتـاج مـغـتـصبِ
أرضـتـه عن هفـوات النّاس قـدرته ... فـمـا يكدّرُ صـفـو الحلم بالغـضبِ
تجـر بين يديه من سـوابقـه ... قبٌّ ترقـرق منهـا الحسن في أهبِ
من كلّ أجـرد مـسكيٍّ الأديم له ... صـبغٌ إذا شـاب رأس الليل لم يشبِ
وأحـمـرٍ شـفـقيٍّ اللون مـتّـقـدٍ ... بحـدّة الشـوط لا بالسـوط ملتـهبِ
مـسـوّمـاتٌ عـرابٌ لم تزل أبداً ... تجلـى وتكسـى بما بزّت من السّلبِ
يُرى لكلٍّ هلالٍ من مـراكبـها ... خـيط المجّـرة مـجـروراً على اللببِ
جـردٌ إذا جَـرَّدَتْهـا كفُّ عـزمـتـه ... للغـزو هزّت عَذاب الشرك في العَذَبِ
تثـيـر نقع دُخـانٍ تحـتـه لهبٌ ... إنّ الدّخـان لنمّـامٌ على اللهبِ
تحكي مـجـر عـواليـهـا إذا رحلت ... عن منزلٍ أثر الحـيـات في الكثبِ
لانت صـفـاة عَدُوٍ أنت قـارعـهـا ... فـاصلبْ على ملّة الأوثان والصُّلُبِ
فـعندك الضُّـمَّـرُ الجردُ التي عـرفوا ... وفـوقـهن أسـودُ الغـاب لم تغبِ
إذا تـهـنت بـك الأيـام قـاطبـةً ... فـمـا الهنـاء بمقـصـورٍ على رجبِ

وقوله: [الكامل]

جـاءته إخـوتـه ووالده إلى ... مـصـر على التـدريج والتـرتيبِ
فـانظر إلى الأسـبـاط زارت يوسـفـاً ... والشّـمل مـجـتـمع إلى يعـقـوبِ
جـاءوا ومـا جـاءوا أباهم فـريةً ... بحـديث ذيـبٍ أو دمٍ مكـذوبِ

وقوله: [1] [الطويل]

فهاجرتُ بعد الصالح الملك هجرةً غدت سبباً للعز وهو المسببُ [2]
(٥٣) غفرت به ذنب الليالي التي مضت وربَّتما يستوجب العفو مذنبُ
رأينا بيومي بأسه ونواله علاً ضاع فيه حاتمٌ والمهلَّبُ
أقول لمغترٍّ بظاهر بشره تيقظ فإنَّ الماءَ تخفيه طُحْلُبُ
ولا تركنن للبحر عند سكونه وبادر فإنَّ البحر إن هاج يعطُبُ
وقد يبسم الضرغام وهو معبِّسٌ وقد يتلظى البرق والغيث يسكُبُ

وقوله: [الطويل]

عليم بأوضاع السياسة لم يزل يصرفها منه الخبير المجرِّبُ
وهون قدر الانتقام فما يُرى له أثر في وجهه حين يغضبُ

هذا الذهب الإبريز، والأُنموذج الغريب، والمدح الذي يحثا في وجه سواه التُّراب والحلم الذي ليس فيه ما يستراب، والحكمة ثمانيه [هكذا!] وما أثمن حكمته، وأوفر حظّه منها وقسمتَه، وانظر إلى أين طوّح نظره، وهمتّه، عدنا إليه، وقوله: [البسيط]

نور النبوة في ذا الدست مؤتلقٌ للنَّاظرين ونار العزم تلتهبُ
في صدره فائزٌ بالنصر مُحْتَجِبٌ بنوره وبتاج العز معتصبُ
لا يستوي وملوك الأرض في شرفٍ إلاّ كما يتساوى الصُّفر والذهبُ
من معشرٍ شابت الدنيا ومجدهُمُ غُصنٌ وأثوابه فضفاضةٌ قشبُ
لولا الوزير أبو الغارات ما خفقت للنصر في القصر راياتٌ ولا عُذبُ

---

١ : النكت العصرية ١٧٦ . البيت الأوّل حَسْب .
٢ : النكت: نحو الصالح ... سبباً للأمن .

وسطوةٍ لو خلت عن عفو مقتدر ... على العقاب لكادَ الجوُّ يلتهبُ
يا ابن النبي نداءٌ ما لصاحبه ... قلبٌ إلى غير حسن الظنِّ ينقلبُ
كم موقف لك قد نادى نداك به ... يا مادحين لكفٍّ المادحِ السَّلَبُ

وقوله :[البسيط]

الأروعُ البُّر لا تخشى بوادره ... إذا استخفّت رجالاً سورةُ الغضبِ
لو كان في السَّلفِ الماضي لكان به ... إما وليّاً لعهدٍ أو وصيَّ نبي

(٥٤) وقوله :[البسيط]

عمت رعايته أقصى رعيَّتهِ ... حتى استوى نازحٌ منها ومقتربُ
يا طالب الشرف الأقصى ولو عدمت ... بنو أبي طالبٍ ما أنجح الطلبُ
ولو تولت بنو رزيك نصرتكم ... في سالف الدهر ما نابتكم النُّوَبُ
أندى الملوك وجوهاً غير أنّهم ... ترضى المواضي بأيديهم إذا غضبوا

وقوله :(١)[السريع]

طرقتُها والليلُ وَجْفُ الجَناحْ ... وما تَلَبَّسْتُ بثوبِ الجُناحْ(٢)
في ليلةٍ بات نجادي بها ... ذوائب تخفق فوق الوشاحْ(٣)
وفاح من عرف الصبا عنْبَرٌ ... أحرقه الفجر بجمر الصباحْ
لاموا عليها مغرماً سمعه ... كراحة الناصِرِ عند السماحْ
كأنما أسيافه روضةٌ ... لما بها من ورقات الصفاحْ
والملكُ لا يَسْكبُ خُطَّابَهُ ... إن لم يُكَلِّمْهم كُلومَ الجراحْ

---

١ : النكت العصرية ١٩٢. البيتان الأولان والأخير .
٢ : وَجْفُ الجناح : اشتدّتْ ظلمته .
٣ : النكت : ذوائباً .

فـالقـدس قـد آذنَ إغـلاقـه   على يدي يوسف بالانفـتـاحْ
مَلْـكٌ إذا حـدَّثْتَ عن بأسـه   قال النَّدى واذْكُرْ حديثَ السَّماحْ

وقوله :(١)[الكامل]

ضاقَ الصَّعيدُ على جيادِكَ بعدما   ضمنت صِعادُكَ فتح كلِّ صعيدِ (٢)
والغربُ واليمنُ القَصيُّ وأهلُهُ   من خوفهم في قائمٍ وحصيدِ
فإلى متى أيدي الكُماة معوقةٌ   عن نَشْرِ ألويةٍ ونشرِ بنودِ
وخلفتَ مملكةً تقولُ طريقُها   للدَّهرِ أرِّخ بي وخلٍّ تليدي

وقوله :[الكامل]

شرفاً بني رزيك إنَّ علوّكم   أبداً على مسِّ الحديد حديدُ
لا تفتل الأيام حبل مكيدةٍ   إلا وفيه لأمركم تأكيدُ

وقوله :(٣)[الكامل]

يا دارُ دارَ عليكِ سعدُ المشتري   وجَرى إليكِ زُلالُ نَهْرِ الكوثرِ (٤)
ولقد كُسِيْتِ من الرُّخامِ غَلائلاً   نُسِجتْ ولكن من نقيِّ المَرْمَرِ
وكأنَّ حُسْنَ سَوادِه وبياضِه   ليلٌ تبسَّم عن صباحٍ مُسْفِرِ (٥)
كرايش الحَبَرَاتِ أو كقلائد   كافورُهنَّ مفصَّلٌ بالعنبرِ
دَارَتْ مناطقُه على فِسْقِيَّةٍ   تُملَى فتحكي مُقلةً من محجرِ (٦)

١ : النكت العصرية ٢١٣ .
٢ : الصعاد : الرماح .
٣ : النكت العصرية ٢٦٣-٢٦٤ .
٤ : سعد المشتري : كوكب، وهو رمز للسعادة عند العرب .
٥ : النكت : بياضه وسواده .
٦ النكت : دارت محاسنه. الفسقية : حوض من الرخام ونحوه، مستدير، يملأ بالماء في القصور .

وعلى جوانبها بساطُ خميلةٍ ... قَدْ فَرْوَزُوهُ بالنَّبات الأخضرِ

وقوله: [الوافر]

رحلتُ وكان حظي في رحيلي ... وقربي في التَّنائي عن بلادي
فمن عثرت به قدمٌ فإني ... بمصْرٍ قد عثرتُ على المرادِ

وقوله: [1] [الكامل]

سَفَرَ الزَّمانُ بواضحٍ مِن بِشْرِه ... وَافْتَرَّ باسمُ ثغرِه من ثَغْرِهِ
وأضاءَ حتى خلتُ فحمْةَ ليله ... طارَتْ شَراراً من توقُّد فجره
باليَاسرِ المُغني بأيسرِ جُودِهِ ... والمقتني عزَّ الزَّمانِ بأَسْرِهِ [2]
ما كانت الدُّنيا تضيق بطالبٍ ... لو أنَّ واسِعَ صَدْرِها من صَدْرِهِ

لله هذه الديباجة الخُسْرُوانية، والحبرات اليمانية، عدنا إليه:

وقوله: [البسيط]

هبت رويحة نجْدٍ وَهْيَ من قَطَرِي ... فعطّرت بالخزامى نفحة المطرِ
عليلة النَّفَس الحادي وأحسن ما ... هبّ النسيم عليلاً آخر السَّحرِ
واستشرفت عقدات البان لي فهفا ... قلبي بمعْتدلٍ منها ومنأطرِ
أضُمُّهنَّ وفي الأغصان تسليةٌ ... عن القدود وليس العين كالأثرِ
والليل قَدْ طال حتى خلْتُ أنْجُمَهُ ... مسمّرات أو الأفلاك لم تَدُرِ
قالت: كبرت وشَبَّتْ فيك ناشئةٌ ... من الغرام تنافي حالة الكِبَرِ؟!
ومادَرَت أنَّ حَبَّ الحُبِّ منبتُهُ ... في أسود القلب لا في أسود الشَّعرِ

---

١ : النكت العصرية ٢٢٢ .

٢ : الياسر: الممدوح .

أنكرتِ أشهبَ رأسي بعد أدهمه ... والفرع ليلٌ وحسن الليل بالقمرِ
(٥٦) يا قصّر الله باع الدهر كيف سعى ... في نقض مبرمة الأطراف في مَزَرِ
وردّ بقلة راسي وهي ذاوية ... وكان أخضرها ريحانة العُمُرِ

وقوله منها :[البسيط]

من ذا يعيرك أجفاناً لتوقعها ... في قبضة الظالمين الدمع والسهرِ
قالوا أتبكي لهم والقلب من حجرٍ ... فقلت والماء قد يجري من الحجرِ
قلبٌ: هو الطَيْرُ في جوِّ الغرام فَلِمْ ... تبتاعه إنَّ ذا بيْعٌ على غررِ
لكلِّ وردٍ ذبولٌ قد سمعت به ... إلاّ الذي فوق خديه من الخفرِ
لك الحديث الذي تبقى حوادثه ... ما قيّد الذكر مثل الصارم الذَّكَرِ
قالوا إلى اليمن الميمون رِحْلَتُهُ ... فقلت ما دونه شيءٌ سوى السَّفرِ
لا توقدن لها النَّار التي عَهِدَت ... خفِّض عليك تنل ما شئت بالشّررِ
الحالُ ملءُ يدٍ والقوم ملك يدٍ ... وما أطيل وهذا جملة الخَبَرِ
يا عَدْنُ كم فيك إلاّ في رُبَا عَدَنٍ ... للجسم من وطن والقلب من وطرِ
رِدْها على الصَّفو من حمات مشرعها ... فقد عهدناك ورّاداً على الكدرِ
وطأْ بِها هامة الدنيا وأوح إلى ... فِرْقِ المنابر ما توحي إلى السُّوَرِ
كانت إليك عيون الملك ناظرةً ... وكنت أشرف مأمولٍ ومُنتظرِ
تصدّعت بك من مصر زجاجتها ... ما للزجاجة من صبرٍ على الحجرِ
غَسَلْتَ بالسَّيْفِ والأيام راغمة ... ما كان فوق رداء الملك من وضرِ
وقد قصدتك في جاهٍ وفي وزرٍ ... وإن فعلت فَما تُخْطي خطا سفري
فإن عزمت فقل فيها لعزمك يا ... ذَريعةَ الخير لا تُبقي ولا تذري

وقوله:[1] [الكامل]

وأَجَلُّهـــا يـومَ الخـليـجِ فـــإنّه ... من بينهـا يومٌ أَغــرُّ مُـشَـهَّـرُ
وافـاكَ فـيـه النيلُ وهو من الحـيـا ... خَـجِلٌ يقـدِّمُ رِجْلَهُ ويؤخِّـرُ
قـد جـاءَ مـعـتـذراً إليكَ وتائبـاً ... مِنْ ذنبـه الماضي ومـثلُكَ يَعْـذِرُ
(٥٧) لـولا تعـثُّـرُهُ بأذيالِ الثَّـرَى ... مـا كـان مـذروراً عليـه العَنْبَـرُ
وَلَو انّه لاقى ركـابَكَ صـافـيـاً ... صِـرفـاً لكدَّرَهُ العـجـاجُ الأكْـدَرُ[2]
ولقـد عَـدِمناهُ فَنُبْتَ نيـابةً ... عَـزَّ الغنيُّ بهـا وأثْرَى المُعْـسِـرُ
كَـسْـرُ الخليجِ عـبارةٌ عن مِنَّةٍ ... أضْحَى بهـا كَسْرُ البَرِيَّةِ يُجْـبَـرُ

وقوله:[3] [الكامل]

أكـفـيلَ آلِ مـحـمَّـدٍ ووليَّـهم ... في حـيث عُـرْفُ ولائِهم إنكارُ[4]
واخـجلتـا للبـيضِ كـيف تطاولَتْ ... سـفْـهـاً بأيدي البيضِ وهي قـصـارُ
رصـدوك في ضـيق المجـال بحـيث لا الـ ... خـطِّيُّ مُـتَّـسِعٌ ولا الخطّارُ
أوْفَى أبو حَـسَنٍ بعـهـدك عندمـا ... خـذلت يمينٌ أختـهـا ويسـارُ
غـابت حُـمـاتُكَ واثقينَ ولـم يَغِب ... فـكأنَّهُم بحـضـورِه حُـضَّـارُ
لا تَسْـألَنْ إلاَّ مَـضـارِبَ سَـيْـفِـه ... فلقـد تزيد وتنقص الأخـبـارُ
هي وقـفـةٌ رُزِق المكـرّم جـهـدها ... وعلـى رجـالٍ يومـهـا والعـارُ

وقوله:[5] [الكامل]

---

١ : النكت العصرية ٢٢٣-٢٢٤ .
٢ : النكت : ركابك أبيضاً .
٣ : النكت العصريّة ٢٣٠ . البيت الأوّل حسب .
٤ : النكت : وليِّهم .
٥ : النكت العصرية ١٠٢-١٠٣ .

لم تحترقْ دارُ الخليج وإنّما ... شُبَّتْ لمن يَسري بها نارُ القِرَى
طَلَبَتْ يفاعَ الأرضِ دونَ وهادِها ... فتوقَّدتْ في راسِ شامخةِ الذُّرَى
طلعتْ طلوعَ النَّجم نال به الهُدى ... سارٍ أضَلَّ طريقَهُ فتَحيَّرا (١)
ودليلُ ذلك أنَّها لم تشتعلْ ... في اللَّيلِ حتّى رَنَّقَتْ سِنَةَ الكَرَى
أَوهلَ تزورُ النَّارُ ساحةَ جنّةٍ ... أجْرَيْتَ فيها من نَداكَ الكوثرا
فتملَّ داراً شَيَّدتْها نعمةٌ ... يَغْدُو العَسْيرُ بأمرِها متيسِّرا (٢)
ألبستَها بيضَ السُّتورِ وحُمْرَها ... فأتَتْ كزهرِ الورد أبيض أحمرا
لم يبقَ نوعٌ صامتٌ أو ناطقٌ ... إلاّ غَدا فيها الجميعُ مُصَوَّرا
فيها حدائقُ لم تَجُدها دِيمَةٌ ... أبداً ولا نَبَتَتْ على وجهِ الثَّرى
لم يَبْدُ فيها الرَّوضُ إلاّ مُزْهِراً ... والنَّخلُ والرُّمانُ إلاّ مثمرا (٣)
(٥٨) وبها من الحيوانِ كلُّ مُسَهَّرٍ ... لَبِسَ النسيجَ العبقريَّ مشهَّرا
أَنِسَتْ نوافر وحشها بسباعها ... فظباؤها لا تتقي أُسْدَ الشَّرَى
وبها زرافاتٌ كأنَّ رقابَها ... في الطُّولِ ألويةٌ تؤمُّ العَسْكرا
نُوبيَّةُ المَنْشَا تُريكَ منَ المها ... رَوْقاً ومن بُزْلِ المهاري مِشْفَرا

وقوله: [من الرجز]

عندِ ظباءِ الجلهتين (٤) ثارُه ... وبين أطناب المها عِشارُه
فلا تَرِقَّا لشكاة مغرمٍ ... أَسْلَمَهُ إلى الضَّنى اصطبارُه
تخيَّرَ الموت بألحاظ المها ... فخلِّيا عنه وما اختيارُه

١: النكت: سقط البيت والذي يليه.

٢: النكت: سقط البيت.

٣: النكت: سقط البيت.

٤: الجلهتان: هما حافتا الوادي، وهما بمنزلة الشَّطَّيْن.

يا حبَّذا في حُبِّهِنَّ لوعةٌ ... تُضْرِمُ وجداً لا يبوح ناره
وموقف رقّت حواشي عتبه ... ودقّ حتى لم يَبِنْ سراره (١)
من كلٍّ من طال لسان عتبها ... على محبٍّ قصَّرَ احتذاره
يا صاحبيَّ والغرام صبوةٌ ... ألذُّها ما عظم اشتهاره
فاستقبلا رونق عيشٍ مُقْبِلٍ ... وابتدراه لا يفت بداره
فقد ضَمِنْتُ للعذول عنكما ... أمراً عليَّ في الهوى إمراره
إن كان دَيْناً فعليَّ دينُه ... أو كان عاراً فعليَّ عاره
لا تسألنَّ شاكياً عمَّا به ... فإنَّما سكوته إمراره
يا هذه إنّ المشيب حُلّةٌ ... يَخْلعها على الفتى وقاره
فلا تَصُدِّي واعلمي بأنّه ... ما كلُّ من شاب بدا عُوارُه
إن أقلع الوَبْلُ فعندي طَلُّهُ ... أو ذهب الخَمْرُ فبي خُماره (٢)
سقى مغانيك وإن لم يغنها ... عن أدمعي مع الحيا مدراره

يَسْحَبُ ذيل السُّحْبِ فيها وابل ... تزجى على وجه الثرى أستاره
تحسبُ صوت الرعد في ربابه ... صوت قطيع أرزمت (٣) عشاره
كأنّ بدراً (٤) سمحت يمينُه ... بذلك الوابل أو يساره
(٥٩) أبلج من غسان، لا نصيفه ... يدرك في المجد ولا معشاره

---

١ : سراره : سَرار الشهر وسِرارَه : آخر ليلةٍ فيه .
٢ : خُماره : الخُمارُ من الخمر؛ هو ما يصيبُ شاربها من ألمها وصداعها، أو ما خالط الإنسان من سُكْرِ الخَمْر.
٣ : أرزمت : صوَّتت، يقال : أرزمت النَّاقة : حنَّت على ولدها أو صوّتت حنيناً عليه، وأرزم الرعد وأرزمت الريح اشتد صوتهما .
٤ : بَدْر : هو بَدْرُ بن رُزِّيك أخو الصالح الوزير طلائع بن رُزِّيك .

فــــــرَّ مـن الـذّمِّ إلى بـذل الـنـدى فـــاعـــجب لليثٍ زانه فـــراره
من آل رزيك الذين أقــســـمـــوا لا خُـــذلَ الحقُّ وهـم أنصـــاره
مـــؤيَّدٌ ســــمـــر القنا بـنانُه مُظَفَّـــرٌ بيض الظُّبى أظفـــاره
يـطـلـع مـن أبـنـائه فـي مـلـكـه نجـوم ملك تجـتلى أقـــمـــاره
أشـــبـــالُ خـــيسٍ وهـم أسـودُهُ صـــغـــارُ عَـصْرٍ وهـم كـــبـاره

وقوله :[الوافر]

وقـــــائلـةٍ مـن الـرجـل الـذي لا تماثله الرجـــال فـقلت عـيـسى
فـقـالـت مـا دليلك قلت أضـحـت بهـــمَّـــتـــه كلوم الدهـــر توسى

في[1] بعض كتَّاب النصارى وقد خدم بدار الكباش بمصر :[المتقارب]

رأيت أبَا الـنَّقْصِ ضـــاقـت بـه مـذاهبـه في التـمـاس المعـاشِ
فـمـن حُـبِّـه لبنات القـرونِ[2] غـــدا وَهْوَ خــادم دار الكبــاشِ

وقوله :[البسيط]

مــدائحي وســجــاياه ونائله ثلاثـةٌ نُظِـمت كـــالدُّرِّ في نسقِ
يُرجى ويخـشى مـا في ذاك من عـجب كـالماء يُشْـرِقُ إذ يُنجي من الشَّـرَقِ

وقوله :[3][الكامل]

لمّا أدارَ[4] سُـــلافَـــةَ الأحـــداقِ دبَّتْ حُـمـيّـا نشـوةِ الأشـواقِ

---

١ : أي قال عمارةُ في بعض كتّاب النّصارى يهجوه ويستهزئُ به، ويُكنّى أبا الفضل سماه الشاعر أبا النقص استخفافاً وسخريةً وتندُّراً. ويظهر انّ كلمة (قال) أو (قوله) ساقطة .

٢ : يقصد الكِباش وهي ذكور الغَنَم .

٣ : النكت العصرية ٢٩٨ .

٤ : النكت : أدار مدامة .

مـا كنتُ أدري قبلَ رؤيةِ وجهِهِ ... أنَّ الخدودَ مصارعُ العشّاقِ

وقوله :[البسيط]

من كان لا يعشق الأجياد والحدقا ... ثمَّ ادّعى لذّة الدنيا فما صَدَقا

في العشق معنىً لطيفٌ ليس يدركه ... من البريّةِ إلاّ كلُّ من عَشِقا

لا خفّفَ الله عن قلبي صبابته ... بالغانيات ولا عن طَرْفي الأرقا

من كلِّ شمسٍ إذا قابلتها التثمت ... كأنَّما أشفقت أن ألثُمَ الشفقا

(٦٠) وقوله [في] طرخان بن يوسف وقد صُلِبَ :[1][الوافر]

تمنّى رفعةً وعُلُوَّ قَدْرٍ ... فأصبح فوقَ جذعٍ وهو عالٍ[2]

ومدَّ على صليبِ الصَّلب منهُ ... يمينا لا تطول على الشمالِ[3]

ونكّسَ رأسَهُ بعتابِ قلبٍ ... دعاه إلى الغَوايةِ والضَّلالِ

وقوله :[البسيط]

قل للرعيّة لا تقنط مطامعها ... فجرح عيسى بعبد الله يندملُ

أما ترى حركات النِّيل قد نشطت ... من بعدما كان في أعطافها كَسَلُ

زيادة النِّيل في إقبال دولته ... مما يدلُّكَ أنَّ السَّعْدَ مقتبِلُ

وقوله :[الطويل]

أفاتح أرض النيلِ وهْيَ منيعةٌ ... على كلِّ راجٍ فَتْحها ومؤمِّلِ

متى توقد النَّار التي أنت قادحٌ ... بغمدان مشبوب سناها بمندلِ

وتسمع من لَفْظِ التحيّةِ ما سما ... إليه ابْنُ هِندٍ وهو باغٍ على علي

---

١ : النكت العصرية ٤٧ . خريدة القصر (الشام) ٣ : ١١٠ .

٢ : النكت والخريدة : أراد علوَّ منزلة وقدرٍ .

٣ : النكت والخريدة : صليب الصلب ... إلى الشمال .

وتخلق ملكاً لا تحيل بفخره ... على أحدٍ إلاّ على عزمك العلي

وقوله: [الطويل]

له راحةٌ ينهلُّ جوداً بنانها ... ووجه إذا قابلتَه يتهلَّلُ
يرى الحقَّ للزوّار حتى كأنّه ... عليهم -وحاشا قدره- يتطفّلُ

وقوله: [الكامل]

لو كنت أمدح غير آل محمّدٍ ... لرفعته فوق السِّماك الأعزلِ
قومٌ إذا ما أسندوا خبر العلا ... جاؤوا بأقرب مُسْنَدٍ عن مُرْسَلِ
من كلِّ ملثوم البساط غدت به ... قمم الرؤوس حواسداً للأرجلِ
ووصلت حبلك في الحياة بحبلهم ... صِلَةَ الأشاجع رُكِّبت في الأَنْمُلِ

وقوله يمدح القاضي الفاضل: [البسيط]

من راكب وعلى أعجاز نضوته ... شُكْرٌ تفيضُ به الأنساغ والحُزُمُ(١)
(٦١) يستخبرُ الناس عن عبد الرحيم وهل ... يخفى بذروة طودٍ شامخٌ عَلَمُ
واشكر يداً من أبيه عن وليِّهما ... شكراً يصدِّقها الإكرام والكرمُ
جاورت منه الفرات العذب مطعمه ... وزاخراً من أخيه الملحُ يلتطمُ
خرَّجت من يدك العليا إلى يده ... وكُلُّ شِعْبٍ بوادي مَكَّةٍ حَرَمُ

وقوله: [الوافر]

أيا شمس الخلافة وهو نَعْتٌ ... يصدِّقه جبينك بالضياءِ
تشيِّعُ جود كفِّك في فؤادي ... وعَدِّي بالتشيُّع في الولاءِ

---

١ : نضوته: يقال أنضى فلانٌ كانت دوابّه هزيلة، فالنّضوة هي الدابّةُ الهزيلة لكثرة الترحال والتعب.
والأنساغ: مُفردها نِسْغ: وهو سَيْرٌ عريضٌ طويل تشدُّ به الحقائب أو الرحال ونحوها.

وقوله :[الكامل]

واذكر محامد أحمدٍ من قبل أن تجد القوافي فترة المغصوبِ
واخْتَرْ له صفوَ الكلامِ فإنّما صفو النُّمَيْرِ لذاذة المشروبِ

وقوله :[الكامل]

إن لم يكن لك في القوافي رغبةٌ فالطم بها وجه الرجاء وهاتها
فالأُمُّ لا تأبى إذا لم يولها أصهارها خيراً طلاق بناتها

وقوله :(1)[الطويل]

أَيَخْفَى صَحيحُ الوُدِّ والسقمُ لائحُ وَيُكْتَمُ سِرُّ الشَّوقِ والدَّمعُ بائحُ
جنحت إلى الواشي ولولاك ما التقى سهادي وطرفي والجوى والجوانحُ
وليلة هوَّمنا بذي الطَّلْح زارنا خيالك وهناً والمطايا طلائحُ
فبتُّ ولم أسكر سوى سِنَة الكَرَى أُطارحهُ ذكر الهوى ويطارحُ
وأصحبُ أيَّامي على العلَلِ التي بها تمرضُ الأيّام وهي صحائحُ
ولولا أبو النجْمِ المظفَّر عُطِّلت مساربُ من سُبْلِ الندى ومسارحُ
لئن شركوه في اسمه دون فعله فما يستوي البحران عذْبٌ ومالحُ
لئن حلَّ في دست الوزارة عادلٌ سما قبله فيها إلى النجم صالِحُ
فإنَّك يا بدر بن رزيك عنهما لَنِعْمَ المكافي للعدى والمكافحُ
(٦٢) نهضتَ بأمرِ الدَّولةِ النَّهضَةَ التي جزاكَ بها خيراً وليٌّ وكاشحُ
وأوريت نارَيْهما عقاباً ونائلاً وما وَرِيا إلا وزندُكَ قادحُ

وقوله :[الطويل]

١ : النكت العصرية ١٩١. الأول حسبُ .

إذا أكــثــرَ المحــمــومُ من هَذَيانه تُقَــدِّمْ له عــذرُ الخبــيــر بشــانه
ولا تتــأخّــرْ حين تُدعَى لحــاجــةٍ فـمــا الغـيـثُ بالمحـمـودِ بعـد أوانه

ومنهم:

٢٠- ابن الساعاتي، عليُّ بنُ رستم، بهاءُ الدين، أبو الكرم الخراساني*

شاعرُ كلِّ وصفٍ حقيق، وثائرُ كلُّ ساعةٍ منه بعمر الشقيق. ولا يضاهي حُسْنَ ديباجته الحقائق، ولا تَعُدُّ نظير درجته الرقائق. بفطنة زائدة، وفطرة لم تُنفق ساعاته بغير فائدة. مذ نشأ بذَّ مَن أنشا، ومن حين راهق سايَرَ النجومَ ورافق. ومن أوّل ما نزع التمائم، برع في أهلِ العمائم، وشرع يُفتّق الزهرَ من الكمائم، ويهزُّ الغصنَ تحت الحمائم. وكان ذا شباب رقَّ ماؤه، وترفَ نعماؤه. يجلو قمر السَّماء، ويعطو بجيد ظبيةٍ أدماء. تَرِفٌ عليه طُرَّة، وسالفٌ ولينُ أعطاف لا تخالف.

ولم يخلُ مُذ كان من كآبة معشوق ، وصبابة مشوق، حتى عُدَّ في الأعيان، وقعد على ذروة البيان، وقرّبته الملوك، فحظي بالجميل ، وحُبِيَ بالجزيل. وكانوا إذا أنشد لديهم الشعراء، قُدِّم ابن الساعاتي، وأحسن إذا أساء العاتي، لروائع لا يقدر الواصفُ يوقّنها، وبدائع ما مضى قبلها، فآتى ذلك الساعة التي أنت فيها. ومنه قوله:(١)[الكامل]

نَهبتْ منامَ العاشقينَ جفونُهُ فلذاك ليس يراك كالوسنانِ
ذو وجنةٍ حمراء حولَ عذاره وكذا تكون شقائق النعمانِ

*انظر ترجمته في مقدمة ديوانه .

١ : ديوانه ٢ : ٤٧٨ .

رشأٌ عَصَيْتُ عواذلي وأطعتُه فأطاع فيَّ وُشاتَهُ وعصاني

وقوله:[1][البسيط]

وأهيفَ القدِّ حيّاني بكأسِ طِلاً كالشَّمس يحملها بدرُ الدُّجَى السَّاري
فقلتُ لمَّا رأيتُ الكأسَ في يَدهِ قد أمكن الجمعُ بين الماءِ والنَّارِ

(٦٣) وقوله:[2][الطويل]

إذا الحبُّ لم يشفع بسُقمٍ وأدمعٍ فهاتيكَ دعوىَ لا تُزَكَّى شهودُها
لقد سقمت مثلَ الجسومِ جفونها فلولا عُمومُ السُّقمِ كنّا نعودُها
عدا مقلتي برقُ الحِمَى ووميضُهُ فما غادرت من لوعةٍ تستزيدُها
وما هو إلا صارمٌ قتلَ الدُّجَى وحمرتُهُ لوثٌ فَمَنْ ذا يقيدُهَا[3]

وقوله:[4][الطويل]

وبي سالمُ الأحشاءِ من ألم الهوى نظرتُ إليه نظرةً سبّبت حتفي[5]
فيا آخذي أجفانَهُ بظلامتي دعوها فما أصمَى فؤادي سوى طرفي

وقوله:[6][الطويل]

شكوتُ إلى خدّيه فعلَ لحاظهِ وقد فُوِّقَتْ نحوي سهامُ جفونه
فقال كذا الوردُ الجَنِيُّ بدوحةٍ يمانعُ عنه شوكُهُ في غصونه

---

١ : ديوانه ١ : ٣٢٩ .
٢ : ديوانه ١ : ٧١ .
٣ : الديوان : قتل الكرى .
٤ : ديوانه ١ : ٢١٥ .
٥ : الديوان : جلبت حتفي .
٦ : ديوانه ١ : ٧٦ .

وقوله في أرمد :[1] [البسيط]

قـــالوا به رمــــدٌ ينهَى لواحظَه ... ألاّ تُخـيف على قلبٍ ولا كـبـرِ [2]

قلتُ احـذروا مـقلتيـه فـهي قـاتلةٌ ... وضـعـفُـهـا الآن ينجـيـهـا من القَـوَدِ

ألم تـروا عـارضَـيْـه كـيف قـد لبـسـا ... من خـوفِ عـارضـهـا ثـوباً من الزّردِ

إن السِّنانَ مـــخـــوفٌ وهـو ذو كلفٍ ... والسَّـيفُ يقطع منه الحـدُّ وهو صـدي

وقوله :[3] [الكامل]

ولقــد وقــفتُ بهــا وكفُّ ربيــعـهــا ... فـي نـسـج حُلَّـةِ نَـورهـا تـتـــــأَلَّقُ

وشــذا خـيـوطِ المزنِ يرسلهـا الحـيـا ... إبـراً وأكــمــامُ الـنبــاتِ تفــتَّقُ [4]

والبـــانُ يـرقصُ والحـــمـــامُ هـواتفـــاً ... تشــدو وأطرافُ الغــديرِ تصــفّقُ [5]

وقوله :[6] [الكامل]

ألزمــتني قـــولَ الوُشـــاةِ وليس من ... عــدْلِ الهـوى أخـذي بقـولِ النَّاسِ

وأُريهُمُ أن قـــد سلوتُ مُـــغــالطاً ... وبليـــتي في الدَّمعِ والأنفـــاسِ

(٦٤) وأمـا وحـبِّكِ لو تفـوزُ بسلوةٍ ... كـــفِّي وقـــد عَلِقَتْ بذيلِ النَّاسِ

عـــفتُ الحنينَ إلى زمـــانٍ ذاهبٍ ... وأبيـتُ ذكــــري لـلمـلولِ النـاسي

وقوله :[7] [الكامل]

---

١ : ديوانه ٢ : ٨ .

٢ : الديوان : فلا تُخافُ .

٣ : ديوانه ١ : ٩٠ .

٤ : الديوان : وسَدى .

٥ : الديوان : هواتفٌ .

٦ : ديوانه ١ : ٩٠ .

٧ : ديوانه ١ : ٨٨ .

ما هذه يا عمرو أوّلَ وقفة ... هانَ العزيزُ بها ولانَ الجليدُ[1]
أنكرتَ أدمعَهُ وليس ببدعةٍ ... بالماءِ أن يتفجَّرَ الجلمودُ

وقوله:[2] [مخلع البسيط]

يا سائلاً عن غليلِ قلبي ... لقد تجاهلتَ للسؤال
أنتَ على القُربِ والتنائي ... أعلمُ مني بكلِّ حالِ[3]

وقوله:[4] [الكامل]

يا قلبَ عاشقِهِ وسهمَ جفونِهِ ... مَن ألزمَ المقتولَ حبَّ القاتلِ؟

وقوله:[5] [الطويل]

تَعجَّبَ عمروٌ أن وقفتُ بمنزلٍ ... كلانا لفقدانِ الأحبَّةِ ناحلُ
لئن جُنَّ فيه العاشقون صبابةً ... فأصداغُهُ للعاشقينَ السلاسلُ

وقوله:[6] [الخفيف]

زعموا أنني تَعَشَّقْتُكِ سو ... داءَ دون بيضِ الغواني
ليس معنَى الجمالِ فيكَ بخافٍ ... إنما أنت خالُ خدِّ الزّمانِ

وقوله:[7] [الكامل]

---

١ : الديوان: جليدُ .
٢ : ديوانه ١ : ٢٦٣ .
٣ :الديوان: بشرح حالي .
٤ : وقوله : سقطت من الأصل . ديوانه ٢ : ٢١٥ .
٥ : ديوانه ٢ : ٢٥٢ .
٦ : ديوانه ٢ : ٢٩٢ .
٧ : ديوانه ١ : ١٢٢ .

وسـألتِ عن قلبي وأنت سلبته ... سواكَ العارفِ المتجاهلِ
عاقبتني طوعَ الوُشاةِ تجنِّياً ... وأخذتني ظلماً بقولِ العاذلِ

وقوله :(١)[الكامل]

لو أنَّ صدّكُمُ تَمَثَّلَ لَيْلَةً ... لَثَنَتْ غياهِبُها الخيالَ عن السُّرَى
ولئن غدرتَ فسنَّةٌ مأثورةٌ ... ما حُلْتَ عن شِيَمِ الليالي والورى
غَلَبَ الهيامُ عليه حتى أنَّهُ ... وكفاكَ حبّاً، لو وصلتَ لما دَرَى (٢)
فانْقَعْ بذكرِ الصَّبرِ حرَّ فؤاده ... أو لا فحدِّثْ مقلتيه عن الكَرَى
حَجَبوكَ بدراً في الهوادج طالعاً ... وثنَوْكَ ظبياً في الأكلَّة أحورا
ما هذه الغزلان بين كناسها ... لكنَّها الأُسدُ الضواري والشَّرى
(٦٥) من كلِّ ماضي اللَّحظِ زهَّدَ قومَه ... في البيضِ حتّى أنَّها لا تُشترَى (٣)

ومنهم :

٢١- شرفُ الدين، أبو المحاسن، نصرُ الله بنُ عُنين، الدمشقيّ*

شاعرٌ لا يطاق بِلُبِّه، ولا يَهابُ الأسدُ إلا إذا كفَّ مخلبه. ينفَحُ بلسانِ صلّ، ويلفحُ بنيران غِل. أنفذ في المدامِ من المسام، وأشدُّ في الإيلام من الهوام. بلسانٍ أفتكُ في الأعراض من المقراض، وأَنهكُ للأجسام من الأمراض. دؤوباً لَزِمَ منه طباعَ العقربِ، ووثوباً مثل وُثُوبِ شجاعٍ أو أقرب، وأسلوباً أقَدم به إقدام الخناع ولم يترقّب فلم يسلم منه بريء على الإطلاق، ولا حُميَ عرضٌ منه بمكارم

١ ديوانه٢ : ٢١٩ .

٢ الديوان : وكفاك دَلّهاً .

٣ الديوان : ما تشترى .

*انظر ترجمته في مقدمة ديوانه بتحقيق خليل مردم .

الأخلاق، بهجاءٍ لا يخلصُ منه إنسان، ولا يخلو ربُّ سيف ولا طيلسان. هذا مع كلمةٍ بتصريفِ الأمر مقبولة، وعظمةٍ على الكبرِ مجبولة، وهمَّة نصبها على نقعٍ في شَرَكهِ، وأُحبولةٍ تعرض إلى العَرضِ الفاضليِّ.

واشتغل به زمانه، وأشْغَلَ بيانُهُ بنانَه. فما قال لكلبِهِ أخسَّهُ إذ نَبَحَ، ولا التفتَ إليه هجاءٌ أو مدح. وتصدَّى لأهلِ دمشقَ تصدّياً، أدوى قلوبَ الجميع، وآرى أذْنَ كلِّ سميع، فقاموا لمقاومة سُمِّه، ومقاحَمَةِ تَمِّه، فآلَ به الحال إلى الهِجاج، واختراقِ الفجاج، فتغلغلَ في البلاد، ومُنيَ بالبعدِ عن موضعِ الميلاد. وطاف الحجاز، واليمنَ، والهندَ، والسّندَ، وما وراء النَّهرِ، وخراسانَ، وبلادَ العجمِ، والعراقَ، مُذَبْذَبا في مهامهها الفساح، راكباً على كَفَلِ الليل وهادي الصَّباح.

وكان على بعدِ الديارِ لا ييأسُ من روحِ الاقتراب، على طول الاغتراب. ومع هذا، لا تنْجلي عن أهل دمشق غيابته، ولا تنجلي غوايته، بل يُصَبُّ عليهم وَبْلُه، ويصيبُ فيهم نبلُه، ومن ذلك قوله:(١) [الكامل]

فعلامَ أبعدتُم أخَا ثِقَةٍ | لم يجترمْ ذنباً ولا سَرَقا
انْفُوا المؤَذِّنَ من بلادكُمُ | إن كان ينفي كلَّ مَنْ صَدَقا

على أنه ما ذكَرَ دمشقَ إلا ضاقت ضلوعُهُ بزفراتها، وفاضت عيونُهُ بعبراتها.

(٦٦) وله في هذا أشعارٌ لم يقصَّ لها جناح، ولم يقصر بها ارتياح.

ثمَّ إنَّه ما سكنَ له قلق، ولا سُلبَ عن جفنه أرق، حتى أُزيلت عن العودِ إليها موانعُه، وأزيحت أسبابُ من كان لا يصانعه. ثم لما استقرت به الدار، وبها لم يدع أهلها من بوائقه، ولم يعد إلا وقد أذنت بقدومه جعجعة صواعقه. ومنها

١ : ديوانه ٩٤ .

قوله:[1] [المتقارب]

هجوتُ الأكابرَ في جلَّقٍ ورعتُ الرفيعَ بسبِّ الوضيع[2]
وأُخرجتُ منها ولكنَّني رجعتُ على رُغم أنفِ الجميع

ومما استعطف به هذه النائبة، حتى لانَ له قَلْبُها القاسي، وخفَّ عليه حبلُها الراسي، قصيدةٌ كتبها إلى الملكِ العادلِ، أبي بكر ابن أيوب، منها:[3] [الكامل]

ما في أبي بكرٍ لمعتقدِ الهُدَى شكٌّ يُريبُ بأنه خيرُ الورَى
بين الملوكِ الغابرينَ وبينه في الفضلِ ما بينَ الثُّريَا والثَّرى
يعفو عن الذَّنبِ العظيم تكرّماً ويصدُّ عن قولِ الخَنا متكبّرا
وله البنونَ بكلِّ أرضٍ منهُمُ مَلِكٌ يقودُ إلى الأعادي عسكرا
من كلِّ وضَّاحِ الجبينِ تخالُهُ بدراً، فإن شهِدَ الوغَى فَغَضَنْفَرا
يعشو إلى نارِ الوغَى شَغَفاً بها ويَجلُّ أن يعشو إلى نار القِرى
متقدمٌ حتى إذا النَّقْعُ انجلى بالبيضِ عن سَبْيِ الحريمِ تأخّرا
يا أيها الملكُ الذي ما في فضا ئلِه وسؤْددِه ومحتدِه مِرا
أشكو إليكَ نوىً تمادَى عمرُها حتى حسبتُ اليومَ منها أشهُرا
لاعيشتي تصفو ولا رسمُ الهوى يعفو ولا جفني يصافحهُ الكرى
ومن العجائبِ أن تفيَّأ ظلكم كلُّ الورى، ونُبذتُ وحدي بالعَرا

ثم كانت له من الملكِ المعظمِ عيسىَ، حين أفضىَ إليه ملكُها، مكانةٌ أَشرقَتْ عِداه، وأشرقت بنداه. وكان لا يفارقه حيث شادَ وخيّم، ولا يتجهّم له وجهُهُ حيثُ تقشَّعَ أو غيَّم. وولاّه بدمشق وظيفة نظر الديوان، فباشرها حتى (٦٧)

١: ديوانه ٩٤ .

٢: الديوان: ورعت الوضيع بهجو الرفيع .

٣: ديوانه ٦–٨ .

استقال، وهدأ شيطانه وقال، وخَرِس إلا ما أضحك به الملكَ المعظمَ فقال.

وكان يُعجَبُ بنوادره، ويُعجلُ إيماء الطرفِ ببوادِره، ويقترحُ عليه في خواص مجلسه، ليُخرجَ بينهم تلك الدّفائن، ويُغرقَ في بحره الأُجاج تلك السفائن، إلا مَن ركبَ ذلك البحرَ على خطر، أو وقف في طريقه ليقع منهم في حُفُر.

ولمّا كان في العراق، حضر مجلسَ الإمام الرّازي، في يومٍ ذيول السُّحُبِ عليه مكفوفة، وعينُ الشمس به مطروفة، والثَّلجُ قد بثَّ في الجوِّ سرايا نوره، وبعث من الأُفقِ تحايا كافوره. وأريُ ماءِ كلِّ غديرٍ في إناء بلّوره. فسقطت لديه حمامة لَزَبَها[١] خاطف، ووقعت عليه كما يستجير الخائف، فقام ابن عُنَين، وقال:[٢] [الكامل]

يا ابنَ الكرامِ المطعمين إذا شَتَوْا ... في كلِّ مخمصةٍ وثلجٍ خاشفِ[٣]
العاصمينَ إذا النفوسُ تطايرت ... بين الصوارم والوشيج الرّاعفِ[٤]
مَنْ نبّأ الورقاءَ أن محلَّكم ... حَرَمٌ وأنّكَ ملجأٌ للخائفِ
وَفَدَتْ عليكَ وقد تدانَى حَتْفُها ... فحياتُها ببقائها المستانفِ
لو أنّها تُحبَى بمالٍ لانثنتْ ... من راحتيكَ بنائلٍ متضاعفِ[٥]
جاءت سليمانَ الزمان حمامة ... والموت يلمع في جناحي خاطفِ[٦]
قَرِمٌ لواهُ الجوعُ ثمَّ أعاده ... من دونها يهوي بقلبٍ واجفِ[٧]

١ : لَزَبها : ضيَّق عليها.

٢ : ديوانه ٩٥.

٣ : الثلج الخاشف : الخشن.

٤ : الوشج : عرق.

٥ : الديوان : ولوانها.

٦ : الديوان : الزمان بشكوها

٧ : الديوان : قرم لواه القوت حتى ظلَّهُ ... بإزائه يجري بقلب واجفِ

فقال له الإمام: أنت ابنُ عُنين الدمشقي -ولم يكن يعرفه من قبل- فقال: أنا هو. فأُدني من مجلسه، وأسنى له خالص وُدِّه وأنفسه.

ولم يبق من أهل المجلس إلا مَن كتب شعره، ورواه، ثم كان لا يؤثر إلا هواه.

وأشعارُهُ كلُّها موضع استحسان، ومجمع إحسان. فمنه قوله يمدح المعظم نوبة دمياط، وهو:(١)[الطويل]

سلوا صهوات الخيلِ يوم الوغَى عنّا ... إذا جهلت آياتنا والقنا اللُّدْنا
غداةَ لقينا دونَ دمياط جحفلاً ... من الروم لا يُحصَى يقيناً ولا ظنّا
قد اتَّفقوا رأياً وعزماً وهمّةً ... وديناً وإن كانوا قد اختلفوا لُسْنا
(٦٨)تداعوا بأنصارِ الصليبِ فأقبلت ... جموعٌ كأن الموجَ كان لهم سُفنا
عليهم من الماذيِّ كلُّ مفاضةٍ ... دلاصٍ كقرن الشمس قد أُحكمت وضنا
وأطمعهم فينا غرورٌ فأرقلوا ... إلينا سراعاً بالجيادِ وأرقلنا
فما بَرِحت سمرُ الرماحِ تنوشهم ... بأطرافها حتى استجاروا بها منّا
سقيناهم كأساً نَفَتْ عنهمُ الكَرَى ... وكيف ينام الليلَ مَنْ عَدِمَ الأمنا
لقد صبروا صبراً جميلاً ودافعوا ... طويلاً فما أجدَى الدفاعُ ولا أغنَى
رأوا الموتَ من زُرْقِ الأسنّة أحمرا ... فألقوا بأيديهم إلينا فأحسنّا(٢)
منحنا بقاياهم حياةً جديدةً ... فعاشوا بأعناق مقلّدةٍ منّا
ولو ملكوا لم يأتلوا في دمائنا ... ولُوغاً ولكنّا ملكنا فأسجحنا
فكم من مليكٍ قد شددنا إسارَهُ ... وكم من أسيرٍ من يدِ الأسْرِ أطلقنا(٣)

---

١ : ديوانه ٢٩-٣١ .

٢ : الديوان: لقوا الموت .

٣ : الديوان: من شقا الأسر .

أســـودُ وغىً لولا وقـــائعُ سُـــمـــرنا لما ركـبـوا قـيـداً ولا سكنوا سـجنا[١]
يسـيـــرُ بنا من آل يعـقـوبَ مـاجـدٌ أبَى عـزمُـهُ أن يسـتـقـرَّ بـه مـغنَى[٢]
سَـرَى نحـو دمـيـاطٍ بكلِّ سـمـيـذعٍ بحـيـث يَرى وِردَ الوغىَ الموردَ الأهْنَى
وطهَّــرَها من رجـسـهـا بحـسـامـه هُـمـامٌ يرى كَـسْـبَ الثَّنا المغنمَ الأسنَى
مَـآثرُ مـجـدٍ خلَّفَـتْـهـا سـيـوفُـهُ لهـا نَبـأٌ، يفنَى الزمـان ومـا تفنَى[٣]
وقـد عــرفت أسـيـافُنـا ورقـابُهـم مواقِعَها فيهم، فإن عاودوا عُدنا[٤]

وقوله :[٥][الطويل]

ومـــا شـــامَ من أعلى المقطَّم جــفنُهُ سـنـــا بـــارقٍ إلا تـــوالـــت قُـسطــارُهُ
حـديثُ صِـقـــالِ الخدِّ لم يـذْوِ وردُهُ ولا دبَّ كـــالـريحـانِ فـــيـــه عِـذارُهُ

وقوله وهو مريض، يتقاضى نفقةً ينفقها ، وطبيباً يعوده، وصَبيّاً معظمياً من الغيث يجوده :[٦][الكامل]

انـظر إلـيَّ بـعـينِ مـــــولـىً لـم يـزلْ يـولـي النَّـدا وتـلافَ قـــــبـل تـلافي
أنا كـــالذي أحـــتـــاجُ مـــا يحـــتـــاجُـــهُ فـــاغـنـم دُعـــائـي والثـنـاء الوافـــي[٧]

(٦٩) وقوله في ملوك بني أيوب، رحمهم الله :[٨][الوافر]

---

١ : الديوان : لولا قراعُ سيوفنا .
٢ : الديوان : آل أيوب .
٣ : الديوان : خلَّدتها سيوفه ... ولا يفنَى .
٤ : الديوان : مواقعها فيها .
٥ : الديوان ٩١ .
٦ : ديوانه ٩٢ .
٧ : الديوان : فاغنم ثواني .
٨ : ديوانه ٣٣ .

هُمُ تركـوا صليبَ الكفـرِ أرضـا يُداسُ وكـان مـعـبـوداً يُبـاسُ
وأرغـمَ بـأسُـهـم آنافَ قـومٍ تجنَّبـهـا لعـزَّتهـا العُطـاسُ

وقوله:[1] [البسيط]

أبيتُ وأسرابُ النُّجوم كـأنهـا قـفـولٌ تهـادَى إثرهنَّ قـفـولُ

وقوله:[2] [الطويل]

ألا يا نسـيمَ الرّيحِ من تلِّ راهطٍ ورو ضِ الحمَى كيف اهتديتَ إلى الهند
فـأصبحَ طيبُ المسكِ يُخفي مكانَهُ حياءً ولا يبدو شذا العنبر الورد[3]
أأهلُ الحِمَى خصّوكَ منهم بنفحةٍ فـأصبحتَ معتلَّ الصَّبا عَطِرَ البُرد
إذا جـمعت بيني وبينهم النّوى فـأيّ يد مشكورةٍ للنوى عندي[4]

وقوله منها:

فـمـا زالت الأيامُ ترهف حدَّها وتسحتُ حتى استأصلت كلَّ ما عندي[5]
فـأقـبلتُ أجْتـابُ البـلادَ كـأنَّني قـذىً حَـالَ دون النَّومِ في أعينٍ رُمـدِ

وقوله:[6] [الكامل]

مـا بالُهُ في عـارِضَـيْـهِ مِـسْكُهُ ولقـد عـهـدتُ المسكَ في سُرُرِ الظِّبَـا
عـجـبـاً له اتَّخـذ الوشـاةَ وقـولَهم صِـدقـاً وعـاينَ مـا لقـيتُ وكـذّبا

---

١ : ديوانه ٦٨ .
٢ : ديوانه ٧٣ .
٣ : الديوان : طيب الهند .
٤ : الديوان : لئن جمعت .
٥ : الديوان : ... الأيام تمهي شفارها، وتشحذ . وتسحت : تستاصل .
٦ : ديوانه ٣٨-٣٩ .

وقوله:[1] [الكامل]

خَــودٌ تَعــثَّــرُ كلّمــا رقــصـتْ ... من شَـــعـــرها بمبلبلٍ زَجلِ[2]

وبليَّــتي من ضـــيقِ مــقلتـــهـــا ... إن خـــيفَ قَـــتْلُ الأعين النُّجْلِ[3]

تـسـعَى بصــافــيــةٍ مــعــتّــقــةٍ ... تبــدو لنا في الكأسِ كــالشُّــعَلِ

وَدَنَتْ كــأنّ شــعــاعَــهــا قــبسٌ ... بــادٍ وإن جــلَّــت عـــن المَــثَــلِ

في روضـــةٍ غنّى الربيعُ بــهـــا ... فـــأبانَ صنعـــةَ علَّة العلَلِ[4]

فكأنّمـــا فَــرَشَت بســاحــتــهـــا ... بُسُطَ الزُّمُـــرُّدِ راحـــة النَّفَلِ[5]

وكـــأنَّ كَفَّ النجمِ من طَرَبٍ ... نثـــرت عليـــهـــا أنجُمَ الحَـــمَلِ[6]

وَدَعَتْ حـــمــائِمُــهــا مــراجــعــةً ... فــوقــفتُ في شـــغلٍ بلا شُـــغُلِ

شقَّ الشــقــيقُ بهــا مــلابسَــهُ ... حُـــزناً على ديبـــاجـــة الأُصُلِ

وكـــأن في أغـــصـــانهـــا ســحـراً ... ثاني الثَّــقــيلِ ومطلـقَ الرَّمَــلِ[7]

ومنها قوله:

مــلــكٌ زَهَــتْ أيامُ دولــتـــــــه الــ ... غـــرَّاءِ وافــتـــخـــرت على الدُّوَلِ

يغـشَى الوغَى والحـربُ قـد كَـشَـرت ... للمـــوتِ عن أنيـــابهـــا العُـــصُلِ

والشــمس كــالعــذراء كــاسِــفَــةٌ ... مـــحـــجـــوبةٌ بالنّقعِ في الكلَلِ[8]

ملكٌ صـــــوارمُـــــهُ رســـــائلُهُ ... إنَّ الصــــــــوارمَ أبلـغُ الرُّسلِ

١: ديوانه ٤١ .

٢: الديوان: بمسلسلٍ رَجِلِ .

٣: الديوان: خيف فتك .

٤: الديوان: غُني الربيعُ .

٥: الديوان: فرش الزمرد .

٦: الديوان: كف الجو .

٧: الديوان: فكأن .

٨: الديوان: في كلل .

مَلِكٌ قَصَرْتُ على مدائحه شِعري، وعقدُ نوالِه أملي[1]

ومنها قوله يمدح الملك المعز، صاحب اليمن، ويحرّضه على الأشراف بمكة، وكان قد أُخِذَ بها وسُلِب، ودبّت إليه عقاربُ شرارها فلسب:[2] [البسيط]

أعْيَتْ صفاتُ نَداكَ المصقعَ اللسنا وحُزْتَ في الجُودِ فَضْلَ الحُسْنِ والحَسَنا[3]
وما تريدُ بجسمٍ لا بقاءَ له مَنْ خلَّصَ الزُّبدَ ما أبقى لكَ اللَّبَنا
ولا تَقُلْ ساحلُ الإفرنج أملكُهُ فما يساوي إذا قايستَهُ عَدَنا
وإن أردتَ جهاداً رَوِّ سيفكَ من قومٍ أضاعوا حقوقَ الله والسُّننا[4]
طهِّرْ بسيفِكَ بيتَ اللهِ من دَنَسٍ وما أحاط به من خِسَّةٍ وخَنَا
ولا تَقُلْ إنَّهم أولادُ فاطمةٍ لو أدركوا آل حربٍ قاتلوا الحَسَنا

وقوله يمدحُ الصاحب صفي الدين، ابن شكر، وكان مالكيّ المذهب:[5] [البسيط]

في ظلِّ أبلجَ يُستسقَى الغمامُ به فيستهلُّ ويستشفَى به الكلَبُ
المستقلُّ بما تُعنَى الملوكُ به والمستقلُّ لنا الدُّنيا إذا يَهَبُ[6]
ثبتُ الجنانِ له حلمٌ يوقِّرُهُ إذا هَفَا بحلومِ السَّادة الغَضَبُ
صافي الضمائر، مرضيُّ السّرائرِ محـ ـمودُ المآثرِ ترضى باسمه الخُطَبُ
(71) إذا احْتَبَى للفتاوى فهو مالكُها وإن حَبَا خجلت من جوده السُّحُبُ

١: الديوان: وعند نواله.

٢: ديوانه ١٠٢ ولسبته العقرب: لسعته.

٣: الديوان: وجرت في الفضل حدَّ الحسن.

٤: الديوان: فروض الله.

٥: ديوانه ٤٦.

٦: الديوان: بما أعيا الملوك.

فمـا رأينا إمـامـاً قـبلَ رؤيتِـه ... يَرَى النَّوافلَ فـرضـاً فـعلـهـا يـجبُ
يقظانُ للمـجـد يحـمي مـا توارَثَهُ ... آباؤه الصِّـيـدُ من فـخـرٍ أبٌ فـأبُ
قـومٌ ترى الوفـدَ في أبيـاتهم زمـراً ... فـالمجـدُ يُخـزَنُ والأمـوالُ تُنْتَـهَبُ
لو أزمـعـوا أمـرهم يومـاً على أجـأ ... رأيتَ أركـانَ سلمىَ خـيـفـةً تَجبُ
يا أيـهـا الصـاحبُ الصـدرُ الوزيرُ ومن ... إلى مـفـاخـرِهِ العليـاءُ تنتسبُ[1]
دُعـيتَ في الدولة الغـرّاء صـاحِبَـها ... حَـقًّا فظنَّ جـهـولٌ أنـه لَقَـبُ[2]

وقوله:[3] [الخفيف]

خــبَّـروها بأنَّه قـد تصـدَّى ... لسلوٍّ عنـهـا ولو مـات صـدّاً
عنفت طيـفَـهـا على ظنّهـا أنْ ... نَ خـيـالاً منهـا إلينا يُهـدَى[4]
كـذَّبتـهـا ظنونُهـا لا الكَرَى زا ... رَ جـفـوني ولا الخـيـالُ تهـدَّى[5]

ومنها قوله:

وتعـاطَى الملوكُ مـثلَ مـعـاليـ ... ـه فنالوا من دون ذلكَ جـهـداً[6]
هـلكـوا دونَ نيـلِ مـا أمّلوهُ ... مَنْ يطر فـوقَ طَورِه يتـردّى
لم يقف دونهم ولو كـان يلقَـى ... رتبـةً مـن ورائهـم لتـعـدَّى

وقوله يمدح الإمام فخر الدين الرّازي:[7] [الكامل]

---

١ : الديوان: الصاحب المولى الوزير.
٢ : الديوان: فظنَّ.
٣ : ديوانه: ٤٩–٥٢.
٤ : الديوان: تسدَّى.
٥ : الديوان: تعدَّى.
٦ : الديوان: نيلَ معاليه.
٧ : ديوانه ٥٣–٥٤.

بحـرٌ تصـدَّرَ للعلومِ ومن رأى بحـراً تصـدَّرَ قبلَهُ في محـفلِ
غَلَطُ امـرئ بأبي عليٍّ فـأسَهُ هيـهـاتَ قـصَّـرَ عن مـداه أبو علي[١]
لو أنَّ رسطاليسَ يسـمعُ لفظةً من لفظِه لَعَسـرَتْهُ هَزَّةُ أفكلِ
ويحـارُ بطليـموس لو لاقـاه من برهانه في كل شكل مـشكلِ[٢]
فلو انهم جُـمعـوا لديه تيقَّنـوا أنَّ الفـضـيلة لم تكن للأوَّلِ

وقوله في الأمجد بهرام شاه:[٣] [البسيط]

تمضي المنايا بما شـاءت أسنَّتُـهُ إذا القَنَا بين فرسـان الوَغَى اشْتَجَرا
(٧٢) تكاد تُخفي النجومُ الزُّهْرُ أنفسَها خـوفـاً ويُشـرقُ بهـرام إذا ذُكِـرا[٤]

وقوله:[٥] [الخفيف]

وَرُبا عَـزَّتا وقـد جـادها الثَّلْـ جُ ولاحـت من سـائرِ الأقطارِ
كـعـروسٍ من آلِ سـاسـانَ تُجلَى مـن دبيـقـي ثوبُـهُ فـي إزارِ[٦]

وقوله في جنديّ استحسنه وهو ببلاد الهند:[٧] [مجزوء الكامل]

مـا للمـحـبِّ وللعـواذلْ لو أنهم شُـغِلوا بشـاغلْ
مـا أنكروا أُعـجـوبـةً إذ يُصـبـحُ الهنديُّ قـاتـلْ[٨]

١: أبو علي: الشيخ الرئيس ابن سينا .
٢: الديوان: ولحار .
٣: ديوانه ٥٧ .
٤: خوفاً: سقطت من الأصل، وإثباتها من الديوان .
٥: ديوانه ٧٥ .
٦: الديوان: في دبيقي حلّة وإزار .
٧: ديوانه ١٠٩ .
٨: الديوان: أعجيبةٌ .

وقوله على لسان حائك، يُوَرِّي بصناعته كأنه يفخر:(١)[الطويل]

أنا الذي لولا صنائعُ كفِّه ... لما رُفِعَتْ يوماً لملكٍ مضاربُه[٢]
فتىً يتقاضَى صُنْعَهُ النَّاسُ دائماً ... فلم يخلُ وقتاً من غريمٍ يطالبُهْ
له قَصَبَاتِ السَّبقِ في كلِّ موطنٍ ... يطيل إذا أسدى لمن لا يُناسبُهْ
ويَسْقي إذا الأنواءُ في العام أخلفت ... فَهَلْ مثلُ آبائي تُعدُّ مناقبُهْ
وكم قد كَسْونا من يتيمٍ وميِّتٍ ... سترنا ولولانا لبانت معايبُهْ
وكم قد سَعَى جدِّي لمدٌ صنيعةٍ ... تُهَزُّ لها أعطافُهُ وجوانبُه[٣]
وكم راضَ صعباً جامحاً متمنّعاً ... يلاينُهُ طوراً وطوراً يصاعبُهْ
ولست كمن ولَّى فراراً من الضَّنى ... يُطيلُ سؤالاً عن رفيقٍ يصاحبُه[٤]

وقوله في البئر، في معرض الإلغاز :[٥][الطويل]

وروميةٍ في الدار عندي عزيزة ... عليَّ تروِّيني الحديثَ بلا ضَجَرْ
تفوتُ القنا الخطِّيَّ طولاً وشكلُها ... يوازي الغلامَ الطفلَ في الدار إن خطر[٦]

وقوله في المرآة :[٧][الطويل]

وفاتنةٍ عندي عزيز نجارُها ... عليها حُليٌّ من لُجين ومن تِبرِ[٨]

---

١ : ديوانه ١٢٥-١٢٦ .
٢ : الديوان : وإني الذي .
٣ : الديوان : أعاطفه ومناكبه .
٤ : الديوان : من الوغى .
٥ : ديوانه ١٦٤ .
٦ : الديوان : في شدة الخطر .
٧ : ديوانه ١٦٦ .
٨ : الديوان : ومملوكةٍ عندي .

يؤثِّرُ فيها الوهمُ من صَلَفٍ بها … فمن أجلِ هذا لا تَرِيمُ من الخِدْرِ[1]
تخبِّرني عني بما لا رأيتُهُ … فتصدقُ فيما خَبَّرتْ وهي لا تدري
(٧٣) تقابلُ بالمكروهِ إن قابلت به … وإن قوبلت بالبِشرِ لاقَتْهُ بالبِشرِ[2]

وقوله في الكركة التي يستخرج فيها ماءُ الورد :[3][الطويل]

ومثقلةٍ حملاً إذا ما بناتُها … مَرَتها أعارتها الغواني نهودَها[4]
تباري ثقالَ المعصراتِ بدرِّها … فما تركت للسُّحبِ إلا رعودها

وقوله في جواب لابن عدلان في حبلِ الغسيل :[5][الخفيف]

أبداً يكتسي العواري من النا … سِ، ومن يكتسي العواريَ عاري
فهو يُكْسَى، واليومُ صحوٌ ويعرَى … جسمُهُ في مواقِعِ الأمطارِ

وكان الذي كتب به ابنُ عدلان إليه :[6][الخفيف]

وضئيلٍ له الهواءُ مقيلٌ … مكتسٍ يومَه وفي الليلِ عاري[7]
ويُرَى لابساً صنوفَ ثيابٍ … وهو ذو فاقةٍ حليفَ افتقارِ
تعتليه الكُسَا ثقالاً فيُلقيـ … ـها خِفافاً في آخرياتِ النهارِ[8]

---

١ : الديوان : عن الخدر .

٢ : الديوان : تقابل بالتقطيب .

٣ : ديوانه ١٧٥ .

٤ : الديوان : بمثقلة .

٥ : ديوانه ١٦٩ .

٦ : ديوانه ١٦٨ .

٧ : الديوان : ما ضئيلٌ .

٨ : في : سقط في الأصل . وإثباته من الديوان .

وقوله في الزِّرِّ والعُروة:[1][الوافر]

وَبَعْلٍ كلُّهُ ذَكَرٌ صحيحٌ ... وأُنْثَى كلُّها فَرْجٌ مباحُ[2]
فتفضي هذه، ويحب هذا ... ولا يوديهما ذاكَ الجراحُ[3]

وقوله:[4][المتقارب]

تعجَّبَ قومٌ لِصَفْعِ الرَّشيدِ ... وذلكَ ما زال من دأبِهِ
رحمتُ انكسارَ قلوبِ النِّعالِ ... وقد دنّسوها بأثوابِهِ
فواللهِ ما صَفَعوهُ بها ... ولكنهم صفعوها بِهِ

وقوله في هجاء الفاضل، وقد تَمَحَّل عليه وتقوّل فيما لا ينسبُ إليه ومثله من يصفح، وما زالت الأشراف تهجا وتمدح. والذي قاله:[المنسرح]

حاشى لعبد الرحيم سيِّدنا الـ ... فاضلِ مما تقوله السَّفَلُ
وتبَّ من قال إنّ حَدْبَتَهُ ... في ظهره من عبيده حَبَلُ
هذا قياسٌ في غير سيِّدنا ... يصحُّ إن كان يحبلُ الرَّجُلُ

(٧٤) وقوله في مثله:(٥)[الطويل]

سألتُ السَّديدَ الفاضليَّ وقد بَدَا ... عليه هزالٌ بعد شدَّة أسْرِه
أكنتَ مريضاً؟ قال: لا، وإنما ... يخبِّرني عبدُ الرحيمِ بسرِّهِ[6]

١: ديوانه ١٧٠–١٧١.
٢: الديوان: ببعل.
٣: الديوان: وتفضي.
٤: ديوانه ١٨٥.
٥: ديوانه ٢١٩.
٦: الديوان: قال كلا ... تخبِّرني ... لسره.

فقلت له: إن العظيمَ اختيارُهُ لأوضحُ فحلٍ من تفاقُم أمرِهِ[(١)]
فما هذه ما بينَ ثدييْكَ، قال لي: تقعُّرُ صدري من محدَّبِ ظهرِهِ

وقوله في جدالٍ طال بين فقيهين يعرف أحدُهما بالجاموس، والآخر بالبغل:[(٢)] [الكامل]

البغلُ والجاموسُ في جَدَلَيهما قد أصبحا مثلاً لكل مناظرِ
برزا عشيَّة يومِنا فتناظرا هذا بقرنَيْهِ وذا بالحافرِ[(٣)]

وقوله:[(٤)] [الكامل]

ما إن مدحتُكَ أرتجي لك نائلاً فحرمتني فهجوتُ باستحقاقِ
لكنني عايَنْتُ عِرضَكَ أسوداً متمزّقاً فقدحت في حُرَّاقِ

وقوله:[(٥)] [البسيط]

وما هجوتُ ابن عصرونٍ أرومُ له فضلاً ولا نلتُ من فخرٍ ولا شَرَفِ
لكن أُجرِّبُ فيه خاطري عبثاً كما تُجَرَّبُ بيضُ الهندِ في الجيفِ

وقوله في ابن دحية الكلبي اللغوي:[(٦)] [السريع]

١: الديوان: إن القطمَّ ... لأوضع فحل.
٢: ديوانه ٢٠٥.
٣: الديوان: عشية ليلة.
٤: ديوانه ٢٠٧.
٥: ديوانه ١٩١.
٦: ديوانه ٢٢٠.

دحـيـــةُ لَمْ يُعـــقبْ فَلمْ تنتـــمي إليـــه بالبـــهـــتـــان والإفك[١]
مــــا صحَّ عنـد الناسِ شيءٌ سِوَى أنَّـكَ مـــن كَلْـبٍ بــــلا شَــــكٌّ

وقوله :[٢][الوافر]

شكَا شِــعــري إليَّ وقـــال تهـــجــو بمثلي عِـــرضَ ذا الكـلبِ اللئـــيمِ
فـــــقلتُ لـه تَسَلَّ فـــرُبَّ نجـــمٍ هوى في رجم شــيطـانٍ رجــيـمِ[٣]

وقوله في ابن المؤيَّدِ، وقد عُزل :[٤][المتقارب]

شكَـا ابنُ المؤيَّـدِ من صــــــرفِــــه وذمَّ الزمـــانَ وأبدَى السَّـــفَـــهْ[٥]
(٧٥) فـلا تغـضبنَّ إذا مـا صُــرِفْـتَ فــلا عدلَ فـيـكَ ولا مــعــرِفَـهْ[٦]

وقوله في علويٍّ أحبَّ صبيّاً يلقب الجمل :[٧][المتقارب]

فـديتُكَ قل للشــهـــاب الشَّـريفِ وإن شــاط غـيـظاً لذا واحـتــفلْ[٨]
أتزعُـمُ أنَّكَ من شـــــيـــــعـــةِ الـ وصيِّ وأنـــت تحـبُّ الجــــمـلْ[٩]

وقوله مما كتب به وهو مريضٌ إلى الصلاح الإربلي :[١٠][الوافر]

---

١ : الديوان : فكم تنتمي .
٢ : ديوانه ١٨٨ .
٣ : الديوان : في إثر .
٤ : ديوانه ٢٢٩ .
٥ : الديوان : تشكّي المؤيدُ .
٦ : الديوان : ولا تغضبن .
٧ : ديوانه ١٣٥ .
٨ : الديوان : للشريف الشهاب ... لذا واحتفل .
٩ : الديوان : من عترة .
١٠ : ديوانه ١٢٠ .

إليك شكيَّتي عبثَ الليالي لقد حصَّت نوائبها جناحي (١)
وكيف يفيقُ من عبثِ الليالي مريضٌ لا يَرى وجهَ الصلاح (٢)

وقوله في صبي أسود أحبه، وقصر منه على حبَّة القلب حُبَّه:(٣)[الطويل]

أجل أنا في لونِ الشَّبيبةِ مغرمُ وإن لجَّ عُذَّالٌ وأسرفَ لُوَّمُ
وقد عابني قومي بتقبيل خدِّه وما ذاك عيبٌ أسودُ الرُّكنِ يُلثَمُ (٤)

وقوله، مما كتب به إلى الملك المعظم عيسى:(٥)[البسيط]

إذا لقيتَ الأعادي يوم معركةٍ فإنَّ جمعَهم المغرورَ منتهبُ
لكَ النفوسُ وللطيرِ اللحوم وللـ وحشِ العظامُ وللخَيَّالةِ السَّلَبُ

وقوله في العجلةِ المعدَّة لجرِّ الأثقال، وأجادَ المقال:(٦)[البسيط]

أهلَ العلومِ أُحاجيكم بواردةٍ لا ترتوي ذات إبطاءٍ على عَجَلَهْ
إذا استوى بين رجليها امرؤ نطقت بمزعجاتٍ من الأصواتِ متّصلهْ
تمشي وقائدها من خلفها أبداً تميدُ في المشي كالسكرانة الثَّملَهْ
صعراءُ إن قامت فهي مائلةٌ وإن مشتْ فهي كالميزانِ معتدلَهْ
محمولةٌ وهي للأثقالِ حاملةٌ مقيمةٌ لا تزالُ الدَّهرَ مرتحلهْ

وقوله في محي الدين بن أبي عصرون، وكان يباشر الحرب تحت الراية

---

١ : الديوان:

أبثّك ما لقيت من الليالي لقد قصت نوايبها جناحي .

٢ : الديوان: من عنت .

٣ : ديوانه ١١٢ .

٤ : الديوان: قومٌ .

٥ : ديوانه ٩٣ .

٦ : ديوانه ١٥١ .

الناصرية الصلاحية، سقى اللهُ أيامها:[1][الوافر]

سمعتُ بأنَّ محي الدين يغشى الـ وغى والحربُ ساريةُ المنايا[2]
فلا تشهد بصفعانٍ قتالاً فَقَوْسُ النَّدفِ لا تُصمي الرّمايا

(٧٦) وقوله:[3][البسيط]

لو كنتُ أسودَ مثلُ الفيل هامَتُهُ عبلَ الذِّراعَيْنِ في غرموله كِبَرُ
كانت حوائجُ مثلي عندكم قُضيت لكنني أبيضٌ في أيره قِصَرُ

وقوله:[4][السريع]

أقولها بالغةً ما عَسَى والطبلُ لا يُضربُ تحت الكُسَا[5]
قاضيكَ إن لم تخصه فاقصِه أولا فلا يَحكمُ بين النِّسا[6]

وقوله:[7][الطويل]

فيا منَ لراجٍ أن تبيت مُغذَّةً ببيداء دون الماطرونَ ركابُهُ
وقامت جبالُ الثّلجِ زُهراً كأنَّها سَفائنُ في بحرٍ يعبُّ عُبابُهُ[8]

---

١ : ديوانه ١٣٠ .
٢ : الديوان : ضارية المنايا .
٣ : ديوانه ٢٣٦ .
٤ : ديوانه ١٣١.
٥ : الديوان : أقولها لو بلغت ... فالطبل .
٦ : الديوان : إن لم تقصه فاقصه .
٧ : ديوانه ١٩ .
٨ : الديوان : جاء عجز البيت لبيت آخر، على هذا النحو :
وقامت جبال الثلج زهراً كأنَّها بقية شيب قد تلاشى خضابه
ولاحت قصور الغوطتين كأنَّها سفائن في بحر يعبُّ عبابه

وقوله:[1][الطويل]

وقــد شَــرِقت زُرْقُ الأَسِنَّة بالدِّمــا ... وأنكرَ حــدَّ المشــرفيِّ قــرابُهُ
فكم أمــردٍ خطَّ الحســامُ عــذارَه ... وكم أشيبٍ كان النجيعَ قرابُهُ[2]

ومنهم:

٢٢- إسحاقُ بنُ أبي البقاء، يونس بنِ عليٍّ بن يونس، فتحُ الدين، أبو محمد

من كُتَّابِ إنشاء الملك الناصرِ بن العزيز، وكان في فَلَكِ أولئك الجماعة له تبريز، وله تَخَيُّلٌ لطيف، وتحيُّلٌ طريف، إلاّ أنَّ مَدَدَهُ ضعيف، وجَدَدَه مخيف. يدفق محاربه نزز[3]، وتمام معانيه عوز. ومن شعره الرقيق، وخمره الرحيق، قوله مما أنشد له ابن سعيد:[الخفيف]

أدغَمــوا الذّابلاتِ في مــثلهـا منـ ... ـهمُ وفي المِثْلِ يحســنُ الإدغــامُ
وأمــالوا إليــهم أَلِفــاتِ النَّبعِ ... حــتى لم تحــمِــهم منه لامُ

وقوله:[الطويل]

وما زلتَ من حيث استقلَّت بك النوى ... أُسائلُ أنفاسَ الصَّبا عنك والبرقا
ومن كلفي بالشَّــرقِ لما حللتَــهُ ... توهَّمَ قــومٌ أنني أعــبُدُ الشَّــرقا

١: ديوانه ٢٠-٢١.

٢: الديوان: النجيع خضابه.

٣: نزز: اضطراب.

ومنهم:

٢٣- عونُ الدين، سليمانُ بنُ عبد المجيد بن الحسنِ بنِ عبد الله بن الحسن بنِ العجمي*

وليَ الشام أيامَ الناصر المذكور، وهو من أكابرِ بيوت حلب (٧٧)، وممن ينفق له كل جلب. وهو ممن قتله سيفُ السيفِ السامري، وأطاحَ دمه الفري، ورماه بأيْدَتِه، وعرَّاه من فائدته، حتى صار عرضُهُ بما بَذَلَ منه منديلاً لكل ماسحٍ، وبئراً يُدلي فيه كل ماتح. ولم يرعَ له بيتاً لا يُغمط حقُّهِ، ولا يُجحد سبقُه. ومن شعره ما أنشده له ابن سعيد، وهو قوله:[1][الوافر]

لهيبُ الخدِّ حين بدا لعيني ... هوى قلبي عليه كالفَرَاشِ
فأحرقه فصار عليه خالاً ... وها أثَرُ الدُّخانِ على الحواشي

ومنه قوله، وقد رمى رجلاً بما رماه به السامريُّ من الداء العضال، والمرض الذي لا يشفَى منه إلا ماءُ الرجال، وهو المعروف المنكور، والمنسيُّ المذكور، والفضاءُ الواسع لوقع المهنّدةِ الذُّكور. والذي قاله:[السريع]

ابنُ القطيمي له فقحةٌ ... شيعيَّةٌ تصبو إلى القائمِ
أبخلُ من كلبٍ ولكنَّهُ ... بجحره أكرمُ من حاتمِ

ومنه قوله:[البسيط]

وكلما لجَّ طرفي في تأمُّله ... ليشتفي القلبُ قال الحُسن كيف ترى
هذا الذي أبدعَ الرحمنُ صورتَه ... ولا تفاوُتُ فيه فارجعِ البصرا

*وفيات الأعيان ٦: ٢٥١. وفوات الوفيات ٢: ٦٦.

١: الفوات ٢: ٦٧. والوفيات ٦: ٢٥٢.

ومنه قوله :[الكامل]

تمّتْ محاسنُهُ بمرسَلِ صُدغِه فالصبرُ عنه بشرعِه منسوخُ
رشأٌ يلوحُ البدرُ من أطواقِه حسناً ومن وجناتِه المرِّيخُ

ومنه قوله :[السريع]

يا لائمي في حُبِّ ذي عارضٍ ما البلدُ المخصبُ كالماحِلِ
يجولُ ماءُ الحُسْنِ في خدِّهِ فيقذف العنبرَ بالسّاحلِ

ومنه قوله، وقد قال له الملكُ الناصرُ بنُ العزيز: أنت من أهل البيت :(١)[الطويل]

(٧٨) رعى اللهُ مَلْكاً ما له من مُشابهٍ يَمُنُّ على العافي ولم يكُ منّاناً(٢)
لإحسانه أمسيتُ حَسَّانَ مدحِه وكنتُ سُليماناً فأصبحتُ سَلمانا

ومنهم :

٢٤- محيي الدين بنُ زيلاق الموصليُّ. وهو أبو العزيز يوسفُ بنُ يوسف بن يوسف بنِ سلامة، العباسيُّ*

الشريفُ قدراً، الشَّريد شِعراً، الشهيدُ الذي قُتِلَ صبراً. قتله التتارُ حين ملكوا الموصل قتلاً بالسيف، يطيل النجمَ لنومه تسهيدا، ويُحيي الشفق بدمه على ثوبه شهيدا. وهو ممن ضربَ في النَّسَبِ بعرقِه، وأخذ من الأدبِ بحقّه، وتّمَ مذهبَ الكرمِ بخلقه أيّ معنى لمرتَحلِه، أو معنىً لم يحلّه، أو طيِّبٍ محرّمٍ على سواه لم يحله .

١ : الفوات ٢ : ٦٧ .

٢ : الفوات : العاني .

*فوات الوفيات ٤ : ٣٨٤. والتذكرة الفخرية ١١٢، ومواضع عديدة أخرى .

وشعرُهُ قريبُ التناولِ على الأفهام، قريبٌ يعدٌّ من الإلهام. طاف الآفاقَ له طيفُ زائر، وشقَّ الأقطار بجناح طائر. وهو لميل النفوسِ إلى سماعه، وميلِ الرؤوس بإيقاعه، كأنَّما اشتقَّ من كلِّ البلاد، وشقَّ ليجتبيه كلَّ فؤاد، سواءٌ العاكفُ فيه والباد، والمتروِّي منه والصاد.

قلت: وقد ذكره ابنُ الفخر عيسى الإربلي في تذكرته، وهي التذكرة الفخرية، وقال: «فارسٌ مبارزٌ في حلبات الأدب، وعالمٌ مبرزٌ في لغة العرب. شعره أحسنُ من الروضِ جادَهُ الغمام، وأزهى من اللؤلؤ الرطب زانه النظام. قال: وعاشرتُه مدَّةً فملأ سمعي ببدائع فرائده، التي هي أحسنُ من الدُّرِّ في قلائده. وطلبتُ منه الإجازة فاعتذر اعتذارَ خَجل، وأطرق إطراقَ وَجِلٍ، وقال: أنا واللهِ أُجلُّكَ عن هذا الهَذَرَ، وأنت أَوْلَى من عَذَرَ[١] وسريعُ الاعتلاقِ بالخواطر، والاعتلاج في الضمائر. ومن مشهود قدره، في مشهور شعره، قوله:[٢][الطويل]

بعثتَ لنا من سحرِ مقلتكَ الوَسْنَى ... سُهاداً يذودُ الجَفْنَ أن يألفَ الجفنا
وأبصر جسمي حُسْنَ خصرك ناحلاً ... فحاكاه لكن زاد في دقَّةِ المعنى

ومنه قوله:[الكامل]

يومٌ تكاثَفَ غيمُهُ فكأنَّهُ ... دون السَّماءِ دخانُ ندٍّ أخضرِ
(٧٩) والطَّلُّ مثلُ برادةٍ من فضّة ... منثورةٍ في تربةٍ من عنبرِ
والشمسُ أحياناً تلوحُ كأنّها ... أمةٌ تعرِّض نفسها للمشتري

ومنه قوله:[الطويل]

---

١ : التذكرة الفخرية ١١٢ .

٢ : الفوات ٤ : ٣٨٩ .

أدرِها فدمعُ المزْنِ قد أضحكَ الربُى ... ونظَّمَ دُرَّ النظم دَرُّ الغمائمِ
وقد آنَ للإصباحِ أن يصدعَ الدُّجَى ... كذا حدّثتنا عنه وُرْقُ الحمائمِ

ومنه قوله، وأحسن: [البسيط]

إنِّي لأَقضي نهاري بعدكم أسفاً ... وطولَ ليلي بتسهيد وتعذيبِ
جفنٌ قريحٌ وقلبٌ حشوُهُ حُرَقٌ ... فمن رأى يوسفاً في حزنِ يعقوبِ

ومنه قوله: [1] [المنسرح]

أحورُ يجلو الدُّجَى تبسُّمُهُ ... أسمرُ يحلو بذكرِهِ السَّمَرُ
جوامعُ الحُسْنِ فيه كاملةٌ ... فالقلبُ وقفٌ عليه والبَصَرُ [2]

ومنه قوله: [3] [الكامل]

وإذا شكوتُ من الزَّمانِ ومسَّني ... ضيم ونكَّسَ صَعْدتي إعصارُ
وعلمتمُ أني بكم متعلِّقٌ ... فَعَلَى عُلاكمْ لا عليَّ العارُ

ومنه قوله: [الوافر]

فبات يمجُّني عذباً شهيّاً ... كأن رُضابَهُ ضربٌ وراحُ
إلى أن رقَّ جلبابُ الدَّيَاجِ ... وقسرَّت في تبسُّمها الرياحُ

ومنها:

وأخشى أن ينمَّ بنا ضياءٌ ... يكون لسِرِّنا فيه افتضاحُ
فقلت: أقم، فَدَتْكَ النفسُ، عندي ... فإن لم تبدُ لم يبدُ الصباحُ

---

١ : التذكرة ١١٥ .

٢ : التذكرة: فيه ظاهرة .

٣ : الفوات ٤ : ٣٩٥ .

ومنه قوله :[الكامل]

قــد زُخــرفت في وجنتــيــه جنَّةٌ أُنْسُ النفــوس بهــا وحظُّ الأَعْــيُنِ
يا مــوسِــراً من صنف كلِّ مــلاحــةٍ أظفــرتَ من هذا الزّمــان بمعــدن
أبدأت في وصلي فــهــلاّ عــدت لي وكــســوتني ســقــمــاً فــهــلاّ عــدتني
ووعــدتني عطفــاً عليَّ فلم أطِبْ نفـــســـاً، إنّ عـطفـك ينثني

(٨٠) ومنه قوله :[الخفيف]

مــا أهتــدي بعــدكم رقــاداً إلى جــفــ ني ولا أهتــدي السُّلُوَّ لبــالي
وحــيــاتي بعــد الفــراقِ دليلٌ أنَّ مَــوْتَ النفــوسِ بالآجــالِ

ومنه قوله :[السريع]

هل أنت يا وفــدَ الصَّبــا مــخــبــري بربع أحــبــابي مــتى روَّضــا
وهــل أقــام الحيُّ مِن بعــدنــا مــخــيّــمــاً بالجِــزعِ أم فــوّضــا
وأنــت يــا بــارقَ نجــد إذا أضــأت جــيــراناً بذات الأضــا
فـقل لهم: ذاك الغــريبُ الذي أمــرضــتــمــوه بجــفــاكم قَــضَى
حــاشىَ لذاكَ الوجــدِ أن ينقــضي وعــهــدنا بالخــيف أن يُنقَــضَــا
ويــا شــفــاءَ النَّفــسِ لو أنَّهُ كــان طبــيــبَ الدَّاء مَنْ أمْــرَضــا
أحــبــابنــا منذ وداعِ اللِّوى لم ألق عــيــشــاً بعــدكم يُرتضى
ولا رأت عــينــاي مــذ غــبــتُــمُ يومــاً كــأيَّامــي بكــم أبيــضــا

ومنه قوله :[١] [المنسرح]

بمَن كـــســا وجنتــيكَ من حُلَلِ الــ حُــسْنِ رياضــاً نســيــمُــهــا عَــبِقُ

١ : الفوات ٤ : ٣٨٨ .

لا تَثْنِ عطفاً إلى الوُشاة فما ... سَلاكَ قلبي لكنّهم عشقوا
أنت بحالي أدرى وحالُهُمُ ... قد وضّحت في حديثنا الطُّرُقُ
ما كنتُ يوماً إليكَ معتذراً ... لو أنهم في حديثهم صدقوا

ومنه قوله: [البسيط]

نقشت أناملَها وأنبتَ خَدُّهُ ... ورداً يزيد ملاحَةً عن عهده
فإذا أشارت بالغناء بَدا لنا ... مخضرُّ آسٍ بنانها من ورده

ومنه قوله، مما أنشده له ابن سعيد: [الطويل]

ومن عجبي أن يحرسوك بخادمٍ ... وخُدَّامُ هذا الحُسْنِ من ذاكَ أكثرُ
عذاركَ ريحانٌ وثغركَ جوهرٌ ... وخدُّكَ كافورٌ وخالُكَ عنبرُ

(٨١) ومنه قوله من قصيدة مطولة، ضمنها ذكر دمشق:[1] [الكامل]

أدمشقُ لا زالت تجودُك ديمةٌ ... يرفُّ بها زهرُ الرياضِ ويونق[2]
أنّى التفتُّ فجدولٌ متسلسلٌ ... أو روضةٌ مرضيةٌ أو جوسق[3]
يشدو الحمام بدَوْحها فكأنّما ... في كلِّ عودٍ منه عودٌ يخفقُ
وإذا رأيتَ الغُصْنَ تُرقصه الصَّبا ... طرباً رأيتَ الماءَ وهو يصفّقُ
فحَمامُها غَرِدٌ ونَبتُ رياضها ... خَضِلٌ وركبُ نسيمها مترفّقُ
وترى من الغزلان في ميدانها ... فرقاً أُسودُ الغيلِ منها يفرقُ
والقاصدون إليه إمّا شائقٌ ... متنزِّهٌ أو عاشقٌ متشوِّقُ

---

١ : التذكرة ٤١٦، والفوات ٤ : ٣٨٤ .

٢ : التذكرة: يزهو بها. الفوات: ينمى بها .

٣ : التذكرة والفوات: أو جنة .

لا تُخـدَعَنَّ فـمـا اللَّذاذةِ والهـوَى ومـواطـن الأفـراحِ إلا جِلّـقُ[1]

ثم أعقبَ هذه القصيدة برسالة منها:[2]

«حتى إذا بلغت النفسُ أمنيتها، وأقبلنا على دمشق فقبّلنا ثَنيَّتَها، رأينا منظراً يقصر عنه المتوهِّم، ويملأ عين النّاظر، المتوسم: ظلٌّ ظليل، ونسيمٌ عليل، ومغنىً بنهاية الحُسْنِ كفيل. يُطوَى الحزنُ بنشره، ويصغر قدرُ البلاد[3]دون قدره، فيَصْغرُ عن صفته شِعبُ بوان، ويُغمدُ في مفاضلته[4] سيفُ غمدان، ويبهت لمباهاتِه نظرُ الإيوان. فالأغصانُ مائسة في سندسيِّها، متظاهرة بفاخر حليها. قد ألقحتها الأنهار فأثقلتها بحملها، ولاعبتها الصَّبا، فتلقَّتْ كلٌّ واحدةٍ بمثلها[5]. فسرنا منها بين جنّات كظهور البُزاة، وجداولَ كبطونِ الحَيّات. قد هزَّ الشوقُ أطيارَها فصدحت، وحرَّكَ النسيمُ رباها فنفحت، وحنَّت علينا[6] أفنانُها حنُوَّ الوالدات على الفطيم، وحجبت عن معارضتنا الشمسَ[7] وأذنت للنسيم، فإذا أصابت شمسُها فرجةً، لاحظتنا ملاحظةَ الحياء، وألقت على[8] فضّةِ الماء شعاعها، فَصَحَّحت صناعة الكيمياء. ثم أفضينا إلى فضاءٍ قد أثْرَى من الرّوض

١ : التذكرة: لا تكذبنَّ .

٢ : الفوات ٤ : ٣٨٦-٣٨٧ .

٣ : الفوات: ويقف قدر البلدان .

٤ : الفوات: في مفاصله .

٥ : الفوات: زادت الرسالة البيتين التاليين:

لها ثمر تشير إليك منه بأشربة وقفن بلا أواني
وأمواهٌ يصلُّ بها حصاها صليلَ الحلي في أيدي الغواني

٦ : الفوات: فَحَنَتْ عليها .

٧ : الفوات: حاجب الشمس .

٨ : الفوات: على: سقطت .

ثراه، وغَنِيَ عن منَّة السّحاب ذراه، قد تشابَهَ فيه (٨٢) الشّقيقان خدّاً وزَهرا، واقترن الباسمان[١] أقاحاً وثغرا، وتغايرَ أخضَراهُ آساً وعذارا، وأصفراهُ عاشقاً وبهارا، فأيُّ همٍّ لا تطرده أنهاره المطّردة، وفرحٍ لا تجلبُهُ أطيارها المغَرِّدَة. ولّما وصلنا إلى محلِّها الذي هو مجتمعُ الأهواء، ومقرُّ السَّرَّاء، ومَقْنَصُ[٢] الظّباء، واستَوْطَنّا وطنَها الذي هو للظامي نَهَلُهُ، وللمستوفر عَقْلُه .[الطويل]

أجـدَّ لنا طيبُ المكانِ وحسنُـهُ ... منىً فـتمنّينا فكنتَ الأمانيا

وهذا مع إكثاره لا يبلغُ اليسيْرَ من نَعْتِها، وما يُري آيةً من الحُسْنِ إلا هي أكبر من أختها.

ومن شعره قوله :[الكامل]

هذا فـؤادي في يديكَ تذيبُـهُ ... غادرتَهُ عَرَضَ الهُمومِ تصيبُهُ
مـا كـان يبلغُ من أذاهُ عـدوُّه ... مـا قـد بلغتَ به وأنت حبيبُهُ
تُهدي الشِّفاءَ له وأنتَ نعيمُهُ ... وتَزيدُهُ مَرَضاً وأنتَ طبيبُهُ
وسَرَى النَّسيمُ فهزَّ عِطْفَ غرامِهِ ... إذ كانَ من جهةِ الحبيبِ هُبوبُهُ

ومنه قوله :[٣][المنسرح]

حيـاةُ وجدي مـاءٌ بوَجْنَتِهِ ... مـا كَدَّرتْ صَفْوَهُ يَدُ الكَدَرِ[٤]
إن يَطُلِ الفِكْرُ في تورُّدِها ... فـذاكَ واللهِ موضعُ النَّظَرِ

---

١ : الفوات : الياسمين .

٢ : الفوات : ومقتنص .

٣ : التذكرة ١١٦ .

٤ : التذكرة : يد الخضر .

ومنه قوله:[1][الطويل]

دعـاهُ يَشِمْ برقـاً على الغَـوْرِ لائحـاً	يضيءُ كمـا هَزَّ الكمـاةُ الصَّفـائحـا
ولا تمنعـــاهُ أن يمُرَّ مـــسلِّمـــاً	على مَعْهَدٍ قضَّى به من العيشِ صالحا
فـمـاذا عليـه أن يطارحَ شـجـوَه	حـمـائمَ فوق الأيكتين صـوادحـا[2]
بعيـشكُمـا هل في النَّسيمِ سُلافـةٌ	فقد راحَ منها القلْبُ ريّانَ طافحا[3]
وهل شـافَهَتْ في مرِّها روضةَ الحِمى	فـإنّا نرى من طيِّهـا النَّشْرَ فـائحـا[4]
وقـوفـاً فـهـذا السَّفْحُ أَسقي ربوعَـه	دموعاً كـمـا شاء الغرامُ سوافحـا[5]
منازلُ كـانت للشّمـوسِ مطالعـاً	ولِلغـيـدِ من أُدْمِ الظِّباءِ مسـارحـا

(٨٣) ومنه قوله:[الطويل]

وإن سَفَحتْ عيناي دَمْعيَ أحمـراً	فلا عَجَبٌ سَيْلُ العقيق من السَّفحِ
أيجْعَلُهُ الواشي على الوجْدِ شاهداً	وحُمـرتُه في الجفنِ تشـهَدُ بالجُـرْحِ

ومنه قوله:[الكامل]

يا مـانِحي طولَ السَّقـامِ ومـانِعي	بجـفـاهُ وردَ رُضـابه المعسـولِ
ما صار وجهُكَ للمحاسنِ جامعاً	إلاّ وثغـرُكَ قِـبْلَـةُ التّقـبيـلِ

وحكَى الإمامُ الفاضلُ أبو العباس، ابنُ العطارِ، أن ابنَ زيلاق أهدَى إلى بدرِ الدينِ لُؤْلؤ، صاحبِ الموْصِلِ، جَمَلاً، وكَتَبَ معه إليه يداعبُهُ:[مجزوء الرجز]

١: التذكرة ١١٧ .

٢: الفوات: فوق الأثلتين .

٣: الفوات: سكران طافحا .

٤: الفوات: في مرة .

٥: الفوات نسق .

يا أيُّها الملكُ الذي ببابه كُلُّ أَمَلْ
لولم تكن بدراً لما أهدَى لك الثورُ الجَمَلْ

ومنهم:

٢٥- أبو بكر بنُ عَدِي بنِ الهيذامِ الموصلي

قوَّسَ بالمعاني حتّى تَهوَّسَ، وتعالى في تشييد المباني حتى تنكَّس. عَرَضَ له وسواسٌ اختلَ به نظامُ عَقْلِه، ونقصَ تمامُ فَضْلِه، وكان لا يخلو في جنونه من طُرَفٍ أفْرَحُ من البساتين، وألْطَفُ ما يُحْكَى عن عقلاءِ المجانين. ثم زاد يُبْسُ مزاجِه، ويُئِسَ من علاجِه، فأتى جبلاً ألقى نفسه من شاهقه فَهلَك، وحلَّ رَمْسَهُ لا ينتفعُ بما مَلَك، وقد أنشد له ابنُ سعيدٍ قوله: [الخفيف]

أنَا صَبٌّ وماءُ عيني صَبٌّ وأسيرٌ من الضَّنى في قيودِ
وشُهودِي على الهَوى أدمع العيـ ـن ولكنّني قَذَفْتُ شُهودي

ومن شعره قوله: [مجزوء الكامل]

أفدي الذي ناديتُهُ وركابُهُ بِيَدِ النَّوَى
مولايَ حُبُّكَ نيّتي ولكلِّ عبدٍ ما نوى

ومنهم:

٢٦- أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ الوفا، ابنُ الحلاوي، الربعيُّ الموصِلِيُّ*

شَرَفُ الدِّيْنِ، أبو الطّيِّب، ذو الصّناعةِ التي لها لذاذةٌ في الذوق، وحلاوةٌ (٨٤) في مرارةِ الشَّوق. لم تُرْمَ بضاعَتُهُ بالكساد، ولا صناعتُهُ بالفساد. على

* التذكرة الفخرية ١٣٦. وفوات الوفيات ١: ١٤٣.

أنّها صناعةُ حلاوي ما عرفتها العرب، ولا ألفتْها في مأدُبات الأدب، ولا ألّفَتْها الألبابُ من لُباب البرِّ والضَّرب، ولا جادت بتقريبها ذاتُ جُفونٍ ولا جفان، ولا جاءت بضربٍ من ضربها شفةٌ ولا لسان. ولا تطاول إلى منّها الحلاويِّ حلاويٌّ الأرْي والشَّراب، ولا ندَّ مثلُ عَبَقها في نادي الأعراب. ولا ذاقت العينُ شبيه طَعْمِ حلاوتها في صُحونِ خُدودِ الكواعبِ الأتراب، ولا تجاسرَ النخلُ أن يُساقطَ رُطَبَهُ الجنيَّ لمقابلتها، ولا النَّحْلُ أن يعرضَ شهدَهُ الشَّهيّ لمشاكلتها، ولا مكرر السكران يبرز من غلفه الملبسة لماثلتها. ومن مَعموله الغالي، وقوله العالي، ما أنشده له ابنُ سعيد:(١)[الطويل]

كتبتُ فلولا أنّ هذا مُحَلَّلٌ ... وهذا حرامٌ، قِسْتُ لفظَكَ بالسِّحْرِ(٢)
فواللهِ ما أدري أزهرُ خَميلةٍ ... بطِرسِكَ أم دُرٌّ يلوحُ على نَحْرِ
فإن كان زهراً فهو صُنْعُ سحابةٍ ... وإن كان دُرّاً فهو من لُجّةِ البَحْرِ

وكان له فَرَسٌ أصابه داءُ الحَمَرِ لزيادةِ عَلَفِه، فأمر غلامَهُ أن يُسَيِّره ليَخِفَّ ثِقْلُه، فأهمل الغلامُ ما أمَرَهُ به، فَتَشَبَّكَ صَدْرُه، فلام الغلامَ، فادَّعى أنّه سيَّره، فقال:(٣)[مجزوء الرجز]

ابْنُ الحلاويِّ أنا ... دَعْ قولَكَ المُعلّكا
لو أنّهُ مُسَيَّرٌ ... لما غدا مُشَبَّكا

ومما اخترتُهُ من شعره قولُه، مما كَتَبَ به إلى بدرِ الدّين لؤلؤ، صاحبِ الموصلِ، ليلةَ نصف شعبان :[الطويل]

---

١ : الفوات ١ : ١٤٦ .

٢ : الفوات : وذاك حرام قست خطك .

٣ : الفوات ١ : ١٤٥-١٤٦ .

أَتَى للهَنَا ابنُ الحلاويِّ مادِحاً ... بنادرِ شِعْرٍ فيكُمُ مُحْكمِ الرَّصْفِ
يُهنِّيكَ بالنِّصفِ الذي أنت بدرُهُ ... وقد حازَ في أشعاره غايةَ اللُّطْفِ
ففي النِّصْفِ أَبْهَى ما يُرى البدرُ طالعاً ... وأحْسَنُ معمولِ الحلاويِّ في النِّصْفِ

(٨٥) ومنه قوله يخاطب شخصاً اسمه الركن :[الوافر]

على دارِ السّلام وأنت فيها ... لأَجلكَ دائماً مني السّلامُ
بقربكَ لذَّ لي فيها مُقامي ... ولولا الرُّكْنُ ما طابَ المُقامُ

ومنه قوله في مليحٍ قصَّرَ شَعرَه :[الكامل]

قصّرتَ شعرَكَ كي تقلَّ ملاحةً ... فَكَسَاكَ أبهَى الحُسْنِ وهو مُقصَّرُ
وقطعتَهُ ليقلَّ عنّا شرُّهُ ... والإثمُ أقْتَلُهُ القصيرُ الأبتَرُ

ومنه قوله :[1][الطويل]

يُهدِّدُ منه الطَّرفُ من ليس خَصْمَهُ ... ويُسْكرُ منه الرِّيقُ من لا يذوقُهُ
حَكَى وجهُهُ بدرَ السّماءِ فلو بدا ... مع البدرِ قال النّاسُ هذا شقيقُهُ

ومنه قوله :[الكامل]

أطلقْتُ أدمعَ عينِهِ يوم النَّوَى ... وفؤادُهُ أحكمتُ شَدَّ وثاقِهِ
أسْهرْتُهُ وأَسَلْتُ مقلَتهُ دماً ... أتُرى ذَبَحْتُ النَّوْمَ في آماقِهِ

ومنه قوله :[2][الكامل]

أحيا بموعِدِهِ قتيلَ وعيدِهِ ... رَشَأٌ يَشُوبُ وِصالَهُ بصدودِهِ
لم أنْسَهُ إذ جاء يسحبُ بُرْدَهُ ... والليلُ يخطرُ في فُضولِ بُرودِهِ

---

١ التذكرة : ١٣٩ الثاني حسب . والفوات ١ : ١٤٣-١٤٤ .
٢ الفوات ١ : ١٤٦ .

والصُّبحُ مـأسـورٌ، أجَـدَّ لأَسْـرِهِ جُنْحُ الظَّلامِ تأسُّـفـاً لفـقـيـده

فـالليلُ يرفُلُ في ثيـاب حـداده والصُّبحُ يرسُفُ في وثاقِ حديده[1]

ولذاكَ لم تَنَمِ النُّجـومُ مـخـافـةً من أن يُفـادي الصُّبْحُ فكَّ قيوده[2]

مـا زال يُرْشِـفُنَا شـقـيـقـةَ ريقـهِ طيـبـاً، ويُلْثِـمُنا شـقـيقَ خُـدوده

حـتى تحكَّمَ في النُّجـومِ نُعـاسُـهـا والتـذَّ كُـلُّ مُـسَـهَّـدٍ بهـجـوده

ومنه قوله:[3][الطويل]

يقولون يحكي البدرَ في الحُسْنِ وجهُهُ وبدرُ الدُّجَى عن ذلك الحُسْنِ منحطُّ

كـمـا شـبّـهـوا غُصْنَ النَّقا بقوامِهِ لقد بالغوا في المدحِ للغُصْنِ واشتطُّوا[4]

(٨٦) ومنه قوله، وقد عَرَّف النور السهرزوري بينه وبين بدر الدين لؤلؤ في أيَّام العشر:[الطويل]

وعـشْرٍ رأيتُ البـدرَ فيـه مـجـالسي وأَعْجَبُ شيءٍ رؤيةُ البَدْرِ في العَشْرِ

هداني إليـه النُّورُ حـتى أتيـتُـهُ ولا عَـجَـبٌ إن دلَّ نورٌ على بَـدْرِ

ومنه قوله، مما كتب إلى الصّاحب بهاء الدِّين زهير: [البسيط]

تَجـيـزها وتُجـيـزُ المادحينَ بهـا فـقلْ لنـا أزُهيـرٌ أنـت أم هَـرِمُ

ومنه أخذ الصاحبُ جمال الدين بن مطروح فقال:[الوافر]

أقـول وقـد تَـوَالَى منكَ بِـرٌّ وأهلاً مـا بَرِحْتَ لكُلِّ خـيْـرِ

---

١ : الفوات : والليل .

٢ : الفوات : تنم الجفون ... يعاني الصبح .

٣ : الفوات ١ : ١٤٧ .

٤ : الفوات : بالمدح .

ألا لا تذكروا هَرِماً بجودٍ فما هَرِمٌ بأكْرَمَ من زُهَيْرِ

ثم رجع إلى تتمّةِ ما اخترنا لابنِ الحلاوي. ومنه قوله وقد خلع عليه خلعةً صفراءَ فكَرِهَهَا، وبوجْهِ الوَجَلِ شبّهها: [الكامل]

فعلامَ أَلْبَسُ من فواضِلِ جُودِكم ما لا يليْقُ بهِمّتي وفَخاري
صفراءُ أنبأَ لونُها لما أتت بقصورِ حُجَّتِها عن الإعذارِ

ومنه قوله في الشَّبّابةِ، وأجاد في التضمين، ووفّى من الإجادة بما هو به ضمين: [1] [الطويل]

وناطقةٍ خرساءَ بادٍ شُحُوبُها تلقَّفُها عَشْرٌ وَعَنْهُنَّ تُخْبِرُ [2]
يلذُّ على الأسماع رجْعُ حديثها إذا سُدَّ منها منْخَرٌ جاشَ مَنْخَرُ [3]
ولم أرَ مثلي شاقَهُ صوتُ مِثْلِها وكم مثلها فارقتُها وهي تَصْفُرُ

ومنه قوله مما كتب به إلى بعض أصدقائه يَستعيْنُ به في عاريّةِ صُوانٍ له من شخْصٍ كان يصحبُه من الأمراء: [الطويل]

أريدُ من المولى الأميرِ الذي سَرَتْ مواهِبُهُ بين الوَرَى سَيْرَ عَدْلِهِ
أخا سَفَرٍ ما حَلّتِ الشّمْسُ وجْهَهُ من الأرض إلاّ صدّها قَدْرَ شكْلِهِ
فكُنْ مُسْعِدي فيما طلبتُ فمقصدي بأنّي لا أنْفكُّ من تحْتِ ظِلِّهِ

---

١ : فوات الوفيات ١ : ١٤٥، الأول والثاني حسب .

٢ :الفوات: تكنفها عشر .

٣ : عجز البيت لتأبط شراً، وصدره: فذاك قريع الدهر ما عاش حول .

(٨٧) ومنهم:

٢٧- مجْدُ الدّين بنُ الظَّهيْرُ*

هو أبو عبد الله، مُحَمَّدُ بنُ أحمدِ بن أحمدِ بن عُمَرَ بنِ أحمدِ بن أبي شاكر، الإربليُّ، الحنفيُّ. إمامُ الأدبِ إذا أتى كُلُّ أحدٍ بإمامه، ومَلِكُ البيانِ الآخذُ بزمامه، وبدرُ السّماءِ الذي لا يغتاله النَّقْصُ عند تَمامِه، وبحرُ العِلمِ الذي يسيرُ في الآفاقِ بَغوْثِ غَمامِه، ويسري في الخواطرِ التي لا تسري خطراتُها إلاّ بزمامه. وُلِدَ بإربلَ وأخذ عن أدبائِها. وأقام بعانة مُحَمِّلاً لصهبائها. ثمَّ أتى دمشقَ واستوطنها، واستوطى وَطَنها، وكان حِرْزاً للبَّتِها، وكنزاً لطلبتها. ودرّس بالقيمازيّةِ مدّة سنين، تَنشرُ به الفتاوَى عَذْبَها، وتُحيي مواتَ الأمواتِ أدبَها.

ذكره ابنُ اليونيني رَحِمَهُ الله، وقال: «وكان وافر الدِّيانة، دَمِثَ الأخلاق، حلوَ النادرة، كثير الصَّدَقَة، صَحِبْته في طريقِ الحجازِ الشَّريفِ سنةَ ثلاثٍ وسبعين وستمائة، ورأيتُ من جميلِ أوصافِه ما يجتمع في غيره».

قلتُ: وهو شيخُ شيخنا شهابِ الدّين أبي الثناء محمود، وعنه أخذ، ومنه فَلَذَ. وأنشد مما أنشده قوله:(١)[الكامل]

صبراً كمالَ الدينِ يا مَن حِلْمُهُ ... أرسَى من الطَّوْدِ المنيفِ وأرسَخُ
غَشّى السِّرارُ أخاكَ قبل تَمامِهِ ... ضَنّاً بمجدكَ أن يكونَ له أخُ

وقوله:(٢)

---

*مقدمة ديوانه بتحقيق ناظم رشيد.

١: ليس في ديوانه.

٢: ديوانه ٤٣.

طاف بَدْرُ الدُّجَى بشَمْسِ النّهارِ في رياضٍ أنيقةِ النُّوّارِ [١]
وأتانا بها يَقُدُّ أديمَ الـ ـليلِ منها صَوارِمُ الأنوار
جاء يسعَى بها إلينا وقد خا طت يَدُ اللّيلِ أعيُنَ السُّمَّارِ [٢]
وكأنَّ النّجومَ نَوْرُ رياضٍ وكأنَّ المرِّيخَ شُعلةُ نارِ

وقوله: [٣] [الكامل]

ما شانَهُ الألمُ الملمُّ ولم يَزَلْ لأليْمِ أدواءِ القُلوبِ طبيبا
فالرِّيْحُ تزدادُ اعتلالاً كُلّما هبَّتْ ولا تزدادُ إلاّ طِيبا

وقوله: [٤] [الخفيف]

أكْثَرَ اللّوْمَ في الحبيبِ أناسٌ عَيَّروني ببَذْلِه بَعْدَ مَنْعِ
قُلْتُ شمْسُ الضحَى أشدُّ ابتذالاً وهي محبوبةٌ إلى كلِّ طبعِ

وقوله، مما كتبت إليه من العُلا سَنَةَ حجِّه: [٥] [الطويل]

بلغنا العُلَى والشوقُ يحدو ركابَنا وذكْرُكُمُ زادٌ لنا وسميرُ
لعلَّ النّوى ينجابُ عنَّا ظلامُها فتدنو ويبدو للعيونِ سنيرُ [٦]
وتُروَى أحاديثُ الغَرامِ صحيحةً وترْوَى بكم بعد الغليْلِ صُدورُ
وتحدثُ في اللُّقيا أمورٌ عجيبةٌ وتحدُثُ من بعدِ الأمورِ أمورُ

١: الديوان: الأزهار.
٢: الديوان: يد النوم.
٣: ديوانه ٢٨.
٤: ديوانه ٥٠.
٥: ديوانه ٤٠.
٦: سنير: جبل بين حمص وبعلبك. (معجم البلدان: سنير).

وقوله:[1][الطويل]

أمَا والمطايا في الأزمّة تمرحُ وقد شفّها طولُ السُّرى فهي طُلّحُ
يُتمِّم من أرضِ الحجازِ منازلا لها دونَها مَسْرىً فسيْحٌ ومَسْرَحُ
قسيٌّ عليها كالسِّهام سواهمٌ كرامٌ كما أمْسَوا على النُّوق أصبحوا[2]
يميلُ بهم سكْرُ السُّهادِ كأنّما على كلِّ كَوْرٍ غُصْنُ بانٍ مرنّحُ

ومنه قوله:[3][الكامل]

نَمْ لا جُنَاحَ عليكَ في سَهَري وما ألقاهُ في ليلي الطويلِ وجُنْحِه
طرفي وقلبي، ذا يفيضُ دماً، وذا[4] دون الورَى أنت العليمُ بقرحِه
وهما بحُبِّكَ شاهِدَان وإنّما[5] تعديلُ كلٍّ منهما في جرحِه
والقلب منزلُكَ القديمُ فإن تَجِدْ فيه سواكَ من الأنامِ فَنَحِّه

وقوله:[6][الطويل]

وإن لم أكنْ يا أهلَ ودِّي مكاتِباً فما أنا من أسْرِ الصَّبابةِ معتقُ

وقوله:[7][الكامل]

طَلْقُ المحيّا والوجوهُ عوابسٌ صفوُ المواردِ والزّمانُ مكدَّرٌ
ما كان فعْلُكَ في النّدى متعدِّيا إلاّ وأنتَ لكلِّ خيرٍ مصدرُ

١ : ديوانه ٣٢ .
٢ : الديوان: سواهم الوجوه .
٣ : ديوانه ٣٤ .
٤ : الديوان: ذا يسيل دماً .
٥ : الديوان: فهما .
٦ : ليس في ديوانه .
٧ : ليس في ديوانه .

وقوله:[1] [الطويل]

أحـــبـــابَنا والدارُ منكم قـــريبـــةٌ ... هل الوصلُ يومـــاً إن دعـوتُ مـجـيبُ
وهل عندكم حـفظٌ لعـهـدِ مـتـيَّمٍ ... حليـفـــاهُ منكم لوعـــةٌ ونَحـــيْبُ
(٨٩) يحنُّ إليكم والخطوبُ تنوشُــه ... ويشـــتـــاقكم والنّائبــاتُ تنوبُ
لـه أنَّـةٌ لا يمـلـكُ الحِـلْـمُ ردَّهـا ... إذا هــبَّ مـن ذاك الجَنـابِ جَنُـوبُ

وقوله مما أنشده ابن اليونيني له:[2] [الخفيف]

قـــد دُفِـعْنا إلى زمانٍ لئـيـمٍ ... لم نَنَلْ منه غـيـرَ غلِّ الصُّدورِ

ورثاه تلميذه شيخُنا شهابُ الدين أبو الثنا محمود الكاتب بقصيدةٍ منها:[3] [الطويل]

ألا في سـبـيل الله من ضيمَ بَعْـدَهُ ... حِمَى المجدِ حتى لانَ للجهلِ جانبُهْ
وفي ذمَّـةِ الرّضـوانِ بحـرُ ندىً غَـدَتْ ... مُـشَـرَّعـةً للواردينَ مـشـاربُهْ
ولـلهِ مَن فـاقَ المجـازينَ سَـعْـيُـهُ ... ومَنْ أدركَ المجـدَ المؤثَّلَ طالبُـهْ
بكتْـهُ مـعـاليـهِ ولم يُرَ قَـبْلَهُ ... كـريْمٌ مَـضَى والمكرمـاتُ نوادبُهْ
ولا غَـرْوَ أن تبكي المعـالي بشجـوها ... على المجـدِ إذ أودَى وهنّ صـواحِـبُهْ
أمـا والذي أرسَى كـثـيـراً وحلْمَـهُ ... لقـد طاشَ حلمي يوم زُمَّت ركـائبُـهْ
وقد كدتُ أن أقضي غراماً كما قَضَى ... فـؤادي الذي قـد أدركَ الفـرضَ واجبُهْ

---

١ : ديوانه ١٩ .

٢ : ديوانه ٤٨ .

٣ : فوات الوفيات ٣ : ٣٠٤ البيتان الرابع والخامس حسب .

ومنهم:

٢٨- الجلالُ ابنُ الصفّار الدنيسري*

كَتَبَ الإنشاءَ بماردِين، وخدم ملوكَها عددَ سنين. وكان صاحبَ قَلَمٍ أُبقِيَ البيانُ في روعِه، وأَبْقَى الإحسانَ في نوعِه. لكنّه ممّنْ رَجَحَتْ كَفَّةُ شعره في الوزن، وصَلُحت نفائسُ دُرِّه للخَزْن. ولما ماجَ طوفانُ التتارُ بديارِ بكر، غرقَ في سيلهِم العَرِم، وتقطَّعَ بسيف موجهم المزدحِم. واسْتَتَرَ فما نَفَعَهُ الاستتار، وحَذِرَ وأبَى اللهُ إلاّ أن يُقْتَلَ بسيوفِ التَّتار. وأنشد له ابْنُ سعيد:[1][الكامل]

تعلّقْتُهُ أُمِّيَّ حُسْنٍ فما له ... أَتَى بكتابٍ ضمنَهُ سُورَةُ النَّمْلِ[2]

ومالي أنا المجنونُ فيه وشَعْرُهُ ... إذا مَرَّ بالكُثْبانِ خُطَّ على الرَّمْلِ

وأنشد له:[3][الكامل]

فمتى تقوم قيامتي بوصاله ... ويضمُّ شملينا معادٌ شاملُ

وأكون من أهل الخطايا؛ خدُّهُ ... ناري، وصُدغاهُ عليَّ سلاسلُ

(٩٠) وحَكَى لي بعضُ أصدقائِه: استدعاه إلى مجلسِ شراب، ومَكْنسِ غزلان وأتراب، على أنّه يأتيه صبيحةً عنده، ليقضوا يومَهما في لذّةِ العَيشِ ورَغَدِه، وقدَّمَ إليه الوعْدَ من العشاء، والليلُ تَزْهرُ نجومُهُ، ويصابرُ السَّهَرَ نومُه. فلما نصَّفَ الليلُ، جاءت السُّحُبُ ترقُصُ في أعِنَّتِها، وأصليت سيوفُ البُرُوقِ للنجوم وأسنَّتِها. فأصبحت الأرضُ قارورة، وقُطِعَتْ عن الجماعةِ في الفَرْضِ

---

*فوات الوفيات ٣: ١١٩.

١: الفوات ٣: ١٢٢.

٢: الفوات: تعشَّقْتُهُ.

٣: الفوات ٣: ١١٩.

الضَّرورة، وخاف عَتْبَ صديقه، فكتب إليه، والحالُ يشهدُ بتصديقه: [الخفيف]

حالَ بيني وبينكَ حالا ... نٌ وُحَولٌ وقربُ عَهْدِ عِهادِ
وكأنَّ الطريقَ لَيْلُ مُحِبٍّ ... وكأنَّ السَّماءَ كَفُّ جَوادِ

ومن شِعْرِه قولُه:[1] [المتقارب]

هل اختط فانْآدَ غُصناً وَريقاً ... غرير حَكَى الكأسَ ثغراً وريقاً
أم الصُّدغُ لما صَفَا خدُّهُ ... تمثَّلَ فيه خيالاً دقيقاً
حَجَجْتُ إلى كعبةِ الحُسْنِ منه ... وَوجَّهتُ وجهي إليه مَشوقاً[2]
وقبَّلْتُهُ فَوَردتُ العُذَيْبَ ... وحزتُ الثَّنايا وجئتُ العقيقا

ومنه قوله: [المنسرح]

حَلاَ بأفواهنا مُقَبَّلُهُ ... وإنَّما في عيوننا مُلُحا
يُديرُ من خدِّه ومن يدِه ... وفيه، من كلِّ واحدٍ قَدَحا

ومنه قوله في فحمٍ يوقد: [الطويل]

تذكّرتُ أيّام الشَّبابِ الذي مَضَى ... تَمنَّيتُهُ لمّا ترنَّح أغصُنا
فأزهرَ منه الآبنوسُ بنفْسَجاً ... وأثْمَرَ عُنّاباً وأورق سَوْسَنا

ومنه قوله: [السريع]

ويوم قُرٍّ نَدٌّ أنفاسِهِ ... تمزِّقُ الأوجُهَ من قَرصِها
يومٌ تَوَدُّ الشّمسُ من بَرْدِهِ ... لو جَرَّتِ النّارَ إلى قُرصِها

1: الفوات ٣: ١٢٠.
2: الفوات: إليها.

ومنه قوله :[المتقارب]

ويومٍ حـواشِيـهِ مَـضْـمـومـةٌ ... علـينا تحـاذرُ أن تَفْـرُجـا

(٩١) قـبـصت والتـفتّ أريد ... أختـهـا فـأحْـتَـمتْ بالدُّجَى [١]

وقوله :[البسيط]

حتى إذا اخضَرَّ من ماءِ الشّبابِ عـذا ... رَاهُ كـمـا احـمـرَّ خـدّاهُ من الخَـجَلِ

خـافت زُمُـرُّدَ عـينيـهِ ذُؤابَتُـهُ ... فـاستخبـأَتْ خلفَهُ فَهْيَ ابْنَةُ الجَبَلِ

وحُكِي عنه أنّه حضر مجلساً ، وقد طلعت في أُفقهِ شُهُبُ الأقداح، وكتم الزهرُ شذاه ففاح. والجوُّ قد لَبِسَ ثوبَ السّحابِ المُصنْدَل، وشُبَّ على حُوْرِ الرَّوقِ المنْدَل ، ومالَ يتناثرُ من القطر عنقودُهُ المهدَّل، ومن دونه الرَّبابُ، مسحَّفٌ[٢] به ذيلُ السَّحاب، كَسِرْبِ قطاً تعلّقَ بالأحْبُلِ، أو قطيعِ نعامٍ تعلّق بالأرْجُلِ، فقال :[البسيط]

كنّا نبيتُ نشاوَى من مُدامِ هوى ... عـذراءَ لم نفترعْ كأساً ولا جاما

ونجتني الوردَ حتى لانَ مَسْمَعُهُ ... للنّاسِ فـازددتُ من واشيـهِ نَمّاما

أمـا ترى الروضَ نسّاجـاً مُـلاءَتَهُ ... على الثَّرى وغمـامَ المُزْنِ رقّاما

إذا تناثَرَ سِلْكُ الطّلِّ كـان لـه ... في مثلِهِ من أُصولِ الدَّوحِ نظّاما

جَـمْرٌ أَلَمَّتْ بخمريِّ البنفْسَجِ في ... أَسِيِّهِ يدُ سـارٍ هبَّ نسّاما

فَـفَـتَّـقَـتْـهُ جيوباً حين صارَ له ... نشْرُ اللّطائمِ لمّا انشقَّ أكماما

وقوله :[البسيط]

ألمَّ طيـفُكُمُ وهناً فحيّاني ... وظنَّ أنَّ الكَرى من بعض سُلواني

١ : كذا، وفيه وهم.

٢ : أسْحَفَتِ الريحُ السَّحابَ: ذهبت به .

ولم أنَمْ غـيـرَ أنّي مِتُّ من كَلَفي / بكم فلمـا ألمَّ الطَّيف أحـيـاني

وقوله :[الكامل]

لا تخشَ من عينِ الكمالِ فما انتهتْ / بكَ غـايةٌ إلاّ وأنتَ الأفـضـلُ
وإذا بلغتَ فـلا تزالُ زيادةٌ / لَكَ في العُلَى فمتى تتمُّ وتَكْمُلُ

وأنشد له ابن سعيد :[الطويل]

ووالله مـا أخَّـرتُ عنك مـدائحي / لأمْـرٍ سـوى أنّي عـجَـزْتُ عن الشُّكر
(٩٢) وقد رُضْتُ فكري مَرّةً بعْدَ مرّةٍ / فما ساغَ أن أهدَى إلى مثلكم شِعري
فـإن لم يكن دُرّاً فـتلك نقيـصَـةٌ / وإن كـان دُرّاً كـيفَ يُهْـدى إلى البَحْـرِ

ومن شعره قوْله :[البسيط]

أحــبـابَنا هل لأوقـاتٍ لنا سَلَفَتْ / بقـربكم، والتـئـامُ الشَّـمل عَـوْداتُ
بِنتُمْ فـلا البـانُ مـيّـاسٌ يُرنِّحُـهُ / مَـرُّ النَّسيمِ ولا الرّوضـاتُ روضـاتُ
ورُبَّ ديْرٍ طَرَقنا بابَهُ سَـحَـراً / وللنّواقـيسِ في أعـلاهُ أصـواتُ
فـقـال راهبُـهُ مَنْ ذا؟ فـقلتُ له: / قـومٌ إليكَ لهم في الدّيرِ حـاجـاتُ
فـقـام يسعَى إلى إكـرامنا عَـجِـلاً / وقـال: بُشـرَى لكم عندي المسـرّاتُ
فاشربْ على وجْهِ من تهوَى مُشَعْشعةً / بنورها تَـهْـتَـدي الزُّهرُ المنيـراتُ
كـأنّهـا الشَّـمسُ نوراً والمديرُ لها / بدْرُ الدُّجُنـةِ والأقـداحُ هـالاتُ

ومنه قوله : [البسيط]

لم يُبقِ منّي الضَّنَى رسـمـاً ولا طَلَلاً / سِوَى رسوم بَقَتْ من جِسْمِيَ البالي
فـخلِّني أُجْـرِ رَسْمَ الرَّسْمِ سُحْب دَمٍ / فـالدَّمْعُ دمْـعِيَ والأطلالُ أطلالي

ومنه قوله :[الخفيف]

حُـزُني من أقـاحِ مَـبْـسِـمِـهِ العَـذْ ب ِ وويلي مِنْ طَرْفِـهِ النَّرْجِـسِيْ
أَسَـرَتْني طليـعَـةٌ بـلواءٍ أخـضـرٍ، من عـذارِهِ الخـارجي

ومنه قوله :[الكامل]

مـا إن علـيـهم في الـهـوى دَرَكُ حـقنوا دَمَ العُـشّـاقِ أم سَـفَكـوا
وَصَلوا كَلَمْـعَـةِ بارقٍ خَطَفَتْ وَجَـفَـوا فـمـا أبقـوا ولا تَركـوا
قـال الوشـاة سـلا، وأدْمُـعُـه يشـهَـدْنَ أن وُشـاتَهُ أفكوا (١)
مـاضـرَّةٌ والعُـذْرُ مـجـتَنَبٌ لو أنَّه بـالعـهـد يمْتَـسِكُ
يجلو عـروسـاً كُلّمـا دمَعَ الرْ رَاووقُ أبدى ثغـرها الضَّـحِكُ
كـانت من الأقـداح طائـرةً لولا بـهـا مـن لؤلـؤ سُـبُـكُ

(٩٣) ومنه قوله :[الكامل]

ومُـهَـفْـهَفٍ لَدْنِ المعـاطف جِسْمُـهُ مـاءٌ ولكن قَلْبُـهُ جُلمـودُ
عَـبَثَ الهـواءُ بعطفِـهِ وهو الصّـبـا فـأمـالَهُ المقـصـورُ والممـدودُ
فـي قَـدِّهِ والرِّدْفِ مِنْهُ تـنازَعَ الـ حِـقْفُ المهـيلُ وناضِـرٌ أملودُ
حـتى إذا مـا طال ذلك منهـمـا قطع التنازُعَ بندُهُ المعـقـودُ

ومنه قوله :[الكامل]

لي من مـحـيّـاهُ البـهيّ ومن أجـفـانِ عـيني الرّوضُ والمَطَرُ
من ريقِ مَـبْـسَـمِهِ وشـاربِهِ مـاءُ الحـيـاةِ العَـذْبُ والخَـصِـرُ

١ : في الأصل : قالوا الوشاة، وهي مسوغة، وقال أوجه .

ومنهم:

٢٩- يوسفُ بنُ بركةَ بنِ سالم الشيبانيُّ، التلعفريُّ*

شهابُ الدين أبو المحاسن. وأبوه يعرفُ بابن عَرَّاج. رَجُلٌ خضعت له رقابُ المعاني، وطمعت أنها لشُهبِ السّماءِ تُداني، بهمّةٍ بلَّغتها ما أرادت، وسوّغتها المنى وزادت. وكان لا يرتفع عليه رأسُ أديب، ولا يمتنعُ عليه لمن شمخ مِنْهمْ أنْفُهُ تأديب. وتصالت معه تصاليَ الكواكبِ في مطلع الفجر، وتخاضعت له تخاضع العشاق في الهَجْر. ومَدَح ملوكَ بني أيُّوب، وَمَتَح ماءهم الشَّروب، ومُنِحَ منهم ثِقَلَ الأردانِ والجيوب، وصَحِبَهُ الأشْرَفُ، ووهبه فأسَرَف، وكان بآلِ بيت النبوّةِ كَلِفاً متواليا، وشغفاً مغاليا. لا يرى إلاّ آلَ أحمد شيعةً لإسعاده، وذريعةً في معادِه، وأنشد له ابن سعيد قوله:(١)[الكامل]

وإذا الثّنيّـةُ أشرقَتْ وشـممـت من أرجـائهـا أرَجَـاً كنشـرِ عَـبـيْـرِ
سلْ هُضبها المنصوبَ أين حديثُها الـ ـمـرفـوعُ عن ذيلِ الصَّـبا المجـرورِ(٢)

ومن شعره قوله:(٣)[الكامل]

رَبْعٌ عَلِقْتُ به وربعُ شـبـيـبـتي نَضْـرٌ وفَـوْدي لَيْلُهُ لم يُقْـمـرِ(٤)
للهِ عَـصْـرُ شـبـيـبـةٍ قـضَّـيْتُـهُ في جـوِّهِ برحـيقِ صَـرْفٍ مُـسْكِرِ
(٩٤) مع كلِّ مـعـتـدلٍ يرنِّحُ صـعـدةً من قـدِّهِ ويُديرُ مـقلة جـؤذرِ

---

*فوات الوفيات ٤ : ٦٢ . وفيه محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة، وكذا في ديوانه .

١ ديوانه ١٨ .

٢ الديوان : حديثه .

٣ الديوان ١٣ عدا الرابع .

٤ الديوان : وربع شبيبتي .

ورشـيـقـةٍ ممشـوقـةٍ لو تُقـيـتْ بالبـدرِ ليلةَ تِمِّـه لـم يُسْـفـرِ

وقوله مهنئا بعيد نحر:[١][الطويل]

ولا تنحـرِ الأعـداءَ فـيه مُـضـحِّـياً فـفـيـهم عـيـوبٌ لا يتمُّ بهـا النَّحْـرُ

وبهذا ذكرتُ بيتين كنت كتبتُهما جواباً للفاضلِ إلى الصفا الصفدي. فأما ما كَتَبَ به إليَّ فهو مع غَنَمٍ أهداها إليَّ في الأضحى، وهو:[الطويل]

أتتني ضـحـاياك التي قـد بعـثـتـهـا لتـصـبحَ كـالأعـداء في بكرةِ الأضـحى

وحـسـبُكَ أعـدانا كـلابٌ جـمـيْـعُـهُـم وحـاشـاكَ لا تجزي الكلابُ لمن ضحَّى

وأما ما كتبتُ به إليه وهو المراد هنا فهو:[الطويل]

أيا مَن أرجِّي فـيـه أنَّ عـداتـه تبيت كما تُمْسي ضحاياه أو تُضْحي

وحَـقِّكَ مـا أُهدي إليك أضـاحـيـاً ولـكنّـني قـدَّمتُ أعـداكَ للذَّبحِ

عدنا إليه. ومن شعره قوله:[٢][الوافر]

تمتَّـع من سُـهـادٍ أو رُقـادِ ولا تـأمـلْ كـرى تحت الـرِّجـامِ

فـإنَّ لثـالـث الحـالَيْـن مـعنىً سـوى حـالِ انتـبـاهِـكَ والمنـامِ

وهذه حكمةٌ ما فاز بطلاوتها سَبْقُ اليونان، ولا عرفتها الهِندُ ولا آباؤها إلى كنعان.

عدنا إلى قوله. ومنه[٣][البسيط]

عُجْ حين تسـمعُ أصـواتَ النواقِـيسِ من جـانـب الدَّيْرِ تحت الليلِ بالعـيسِ

١: ليس في ديوانه

٢: ليس في ديوانه.

٣: ديوانه ٢٠.

مُستخبراً عن كُمَيْتِ اللّون صافيةٍ ... قد عتَّقتْها أُناسٌ في النَّواوَيسِ
يسعَى بها من نصارى الدَّيْرِ بدرُ دُجىً ... يَميْسُ في فتيةٍ مثل الطَّواويسِ
فاصرفْ بدينارها صرفَ الزّمانِ إذاً ... ونادمِ الشَّمسَ من نحل الشماميسِ (١)

وقوله: (٢) [السريع]

أصبحَ قارونَ ولكنَّه ... ما عِنْدَه يوماً لراجيْه خَيْرْ
واللهِ ما يَمْلِكُ من جُبَّةٍ ... إلاّ وقد نِيكَ بها ألفَ أيْرْ

وقوله: (٣) [الكامل]

أرأيت غيرَكَ يا حياةَ الأنْفُسِ ... من يحرسُ الوردِ الجَنِيَّ بنرجسِ
يا من يُديْرُ بوجنتيهِ ومقلتيه ... وراحتيه لنا ثلاثةَ أكْؤُس
آنَسْتُ إذ أخذ الكَرَى من مُقْلَتَيْ ... يَ زمامَ هاتيكَ الجفونِ النُّعَّس (٤)
ما كنتُ أطمعُ قبلها في مثلِها ... لكنّني من بعدها لم أيأسِ (٥)

وقوله: (٦) [البسيط]

إذا سئلت عن الدنيا وساكِنِها ... فقل دمشقُ وموسى الأشرفُ المَلِكُ
المستنيرُ سَناً والليلُ مُعْتَكِرٌ ... والمستشيطُ سَطاً والخيلُ تعتركُ

١: الديوان:
فاصرف بها صرف خطب الدهر مغتنماً ... ما دامت الشمس مع تلك النماميس.
٢: ليس في ديوانه.
٣: ديوانه ١٩.
٤: الديوان:
آنست ليلتنا وقد أخذ الكرى ... بزمام هاتيك ...
٥: الديوان: ... فأعدتني من مثلها لم أيأس.
٦: ليس في ديوانه.

مَلْكٌ تبـرٌ يمينُ المقسمين إذا | قالوا بغير ارتياب إنَّهُ مَلِكُ
تناقضت حالتاه فهو يومَ وغىً | غِرٌّ وفي الآراء مُحْتَنِكُ

وقوله:(١)[الكامل]

ذَرْني وعَزْمِيَ والسُّرى والعيسَ والـ | قَفْرَ الذي لا يُهتَدَى لسبيله
في كلِّ مشتبهِ الجوانبِ تربُهُ الـ | مُغْبَرُّ يخفقُ منه قلبُ دَليْله

وقوله:(٢)[البسيط]

أفدي الذي زارني في الليلِ مستتراً | أحلَى من الأمن عند الخائف الدَّهِشِ
ولاحتِ الشَّمسُ تحكي عند مطلَعِها | مرآة تِبرٍ بدت في كفِّ مرتعشِ

وقوله:(٣)[الوافر]

إذا أمسى فراشي من ترابٍ | وبتُّ مجاور الملِكِ الرَّحيمِ
فهنُّوني أخلاَّئي وقولوا | لَكَ البُشْرَى قدمْتَ على كريْمِ

وقوله: وقد رأى الفلوسَ الأسديّة أيامَ الظاهرِ بيبرس:(٤)[السريع]

يقولون في أرضِ مصرَ الغِنى | وليس لأقوالهم مُسْتَنَدْ
وكيف يُرَجّى بها مُعْدِمٌ | غِنىً وعلى كُلِّ فَلْسٍ أسَدْ

وقوله:(٥)[الكامل]

---

١ : ليس في ديوانه .
٢ : ليس في ديوانه .
٣ : ليس في ديوان .
٤ : ليس في ديوانه .
٥ : ديوانه ٣٦ .

القَلْبُ دلَّ عليك أنك في الدُّجى قَمَرُ السَّماءِ لأنه لكَ منزلُ
(٩٦) هَبْ أنَّ خدَّك قد أُصيبَ بعارضٍ ما بالُ صُدغِكَ راح وهو مُسَلْسَلُ

وقوله :[1][البسيط]

من ضَلَّ في شَعْرِهِ يُهْدَى بمَبْسَمِهِ وثَغْرُهُ البارقُ السّاري به ساري
رفعتُ عن أدمعي الشَّكوى فوقَّع لي لا ينقطِعْ رَسْمُ هذا المدمعِ الجاري

وقوله :[2][الكامل]

من لي بطيفٍ منكمُ إن أغمضَتْ عيني يُعيْنُ على الأَسَى ويُريحُ
هذي الجفونُ ، وإنّما أين الكَرَى منها؟! وهذا الجسمُ أين الرّوحُ؟!

وقوله :[3][الطويل]

تحيَّرتُ لما قالَ نشوان عطفُهُ فقلتُ وقد أزرَى بما يُثبتُ الخطُّ
أمِنْ لَحْظِهِ أمْ لفظِهِ أَمْ رُضابِهِ يمِيْلُ ألا إنَّ الثلاثة أسْفَطُ[4]

وقوله :[5][الكامل]

بعثَتْ إليَّ ودوننا رملُ اللِّوَى طيفاً على قَتْلِ النّفوسِ مُحَرِّضَا[6]
فمددْتُ بين يَدَيْه خداً مذهباً أَجْرَى البكاءُ دَماً عليه مُفَضَّضَا
مَن لي بمرسلةِ الخيالِ وقد جَلاَ بالوَصْلِ، ليلَ السُّخطِ لألاءُ الرِّضا

---

١ : ليس في ديوانه .
٢ : ليس في ديوانه .
٣ : ديوانه ٣٤ .
٤ : الإسفنط :الشراب .
٥ : ديوانه ٢٢ .
٦ : الديوان : بعثت لنا لما تبدت باللوى .

لأُعيدَ رُمّانَ النهودِ مكسّراً　　منها وتفاحَ الخدود معضّضا

في قوله معضّضا استخدامٌ، ما لكُلٍّ فكرةٍ عليه إقدام، هو في كلّ معنىً كأنما وضع بإزائهِ، وَصُنعٌ لتمام أجزائه، والبيت الآخرُ تضمين من شعر السَّريِّ الرّفّاء، وقد جاء به طبعُهُ العفْو، لا يبينُ لِصَنْعَةِ الرَّفاء فيه الرَّفو.

وقوله:(١)[الخفيف]

من بني التُّركِ كُلّما جَذَبَ القَوْ　　سَ رأينا في وَسْطِه بَدْرَ هالةْ(٢)

يقع الوهم حين يرمي فما تد　　ري يداه أم عينُه النبّالةْ(٣)

قلتُ لما لَوَى دُيُونَ وصالي　　وهو مُثْرٍ وقادرٌ لا مَحالةْ

بيننا الشرعُ قال: سِرْبي فعندي　　من صفاتي لكلٍّ دعوَى دلالةْ

(٩٧) وشهودي من خالِ خدّي ومنْ　　قدّي شهودٌ معروفةٌ بالعدالةْ(٤)

أنا وكّلْتُ مقلتي في دم الخَلْـ　　قِ، فقالت: قَبِلتُ هذي الوكالةْ

ومنه قوله:(٥)[الخفيف]

يا شيبُ كيف وما انقضَى زَمَنُ الصِّبا　　عَجّلتَ منّي اللِّمَّةَ السوداءَ

لو أنّها يومَ الحسابِ صحيفتي　　ما سُرَّ قلبي كونها بيضاءَ

ومنه قوله:(٦)[الكامل]

١: ديوانه ٣٤.

٢: الديوان: في كفه.

٣: الديوان: أوقع... فلم ندر.

٤: الديوان: في خال.

٥: ليس في ديوانه.

٦: ديوانه ١٨.

بشـقـيقِ وجنتكَ الجنيِّ وآسِـهـا عـالجْ لواعجَ عـاشـقـيكَ وآسِـهـا
واسـمحْ بإرسـالِ الرُّقـادِ لمقلةٍ أهدتْ إلى جَـفنيكَ كلَّ نُعاسِـها [1]

ومنه قوله:[2] [الكامل]

قف سـائلاً بلوَى الكثـيبِ الأيمَنِ داراً عَـفَتْ فكأنّهـا لم تُسْكَنِ
وحَـذارِ من حَـدَق الظِّبـاءِ فلم يزل جَـمْـرُ المنايا في سـوادِ الأعْـيُنِ [3]
رحلوا بواضـحـةِ الجـبينِ إذا بَدَتْ فَلِمُـجْتلٍ وإذا انثنتْ فلمُـجْـتَنِ [4]
يا ظبـيـةً عُـشّـاقُـهـا في حُـبِّـهـا لا يظفـرونَ بغـيـرْ حَظِّ الألْسُنِ [5]
ليس الغـرامُ كـمـا عَـهِـدتِ وإنّه باقٍ وأمّـا الصَّبْرُ عَنك فـقـد فَني [6]
أرجـو خـيـالَكِ والرُّقادُ مـشـرّدٌ عنِّي لقـد أمَّلْـتُ مـا لـم يُمْكِـنِ

ومنه قوله:[7] [الطويل]

أمُـتْلِفَ عـيني بالدُّمـوعِ وبالبكا ومـهـجـةَ قلبي بالأسَى المتـوقِّـدِ
تُعـذِّبُ قلبي. قلت: طرفيَ مُـشْرِكٌ، فـمـا العُـذْرُ في تعـذيب قلبي الموحِّـدِ

ومنه قوله:[8] [الخفيف]

---

١ : الديوان : بإرسال الخيال .
٢ : ديوانه ٤٤ .
٣ : الديوان : وحذار أحداق ... تزل حمر .
٤ : الديوان : وإذا غدت فلمجتني .
٥ : الديوان : في حسنها .
٦ : الديوان : أما الغرام.... فإنّه.
٧ :ليس في الديوان .
٨ : ديوانه ٤ .

أيُّ سهمٍ من مقلةٍ نجلاءِ أثْبتَتْهُ اللِّحاظُ في أحشائي[1]
وخدودٍ لو لم تنقَّطْ بخالٍ قلتُ: كالجلّنارةِ الحمراءِ

ومنه قوله:[2] [الرمل]

يا خليلي خلِّ داراً أقفرت ومحلاً غابَ عنْه السُّكَّنُ
ودماءً سفكَتْهُنَّ الدُّمى ما سلاحُ العيْنِ إلا الأعْيُنُ

(٩٨) ومنه قوله:[3][الخفيف]

لا تُغْرَ بالغُوَيْرِ إذ تتثنّى فيه أعطافُ كلِّ غُصْنٍ وريقِ[4]
واثْنِ محمَرَّ خدّيكَ واسْتُرْهُ وإلاّ يَنْشقُّ قلبُ الشَّقيْقِ

ومنه قوله:[5][الخفيف]

لورعيتم للعاشقين ذِماما لبعثتم قبل الخيالِ المناما
كان ظنّي أنَّ الحمائمَ تشفي فسقاني نَوْحُ الحمامِ الحِماما
لا وأيامِ قربكم ما نهاني عَنْكُم عاذلٌ يطيْلُ الملاما
كُلّما قال: دَعْهم. قلت دَعْني لا شَفَى اللهُ فيهمُ لي سقاما

ومنه قوله:[6][الوافر]

لواحِظُكَ التي تُصمي الرّمايا سِهامًا حاجبيكَ لها حَنَايا[7]

---

١ : الديوان: في الأحشاء .
٢ : ديوانه ٤٣ .
٣ : ديوانه ٣٩ . الأول حسب .
٤ : الديوان: إذ ما تثنت .
٥ : ديوانه ٤٠ .
٦ : ديوانه ٥٢ .
٧ : الديوان: سهام حاجباك .

مَلَكْتَ بِعَدْلِ قدِّكَ كلَّ رِق وذاك العَدْلُ جَوْرٌ في الرعايا[1]

ومنه قوله:[2] [الكامل]

مذ شام سيفَ لحاظِهِ مَسْلولا لا يلتقي إلاّ دماً مطلولا[3]
فإذا عَطَا، قُلْ: كيف فارق سِرْبَهُ وإذا سَطَا، قُلْ: كيف أخلَى الغِيلا[4]

ومنه قوله:[5] [الكامل]

حدِّثْهُ عن نَجْدٍ فَذَاكَ يُعِينُهُ واسْأَلْهُ فيه هل تَجِفُّ جفونُهُ[6]
واسْتَمْلِ ما تُمْلِيهِ نفحةُ روضِهِ سَحَراً، وترفعُهُ، إليكَ غصونُهُ[7]

ومنه قوله:[8] [الكامل]

أألومُكُم في هجركم وصدودكم ما هذه في الهَجْرِ منكم أوَّلَهْ[9]
قسماً بكم قد حِرْتُ مما أشتكي حتى الدُّجَى وعَدِمْتُه ما أطْوَلَهْ[10]
يا سائلي عن شرحِ حالي في الهوى تَرْكي الجوابَ جوابُ هذي المسألةْ[11]
يا راحلين وفي أكِلَّة عِيسِهِم رشأٌ، عليه، حشا المُحِبِّ مقلقَلةْ

١ : الديوان : كل رامي ... لعدل أجور .
٢ : ديوانه ٥٢ .
٣ : الديوان : المسلولا .
٤ : الديوان : فارق تربه .
٥ : ديوانه ٤٧ .
٦ : الديوان : حدِّثه عن نجد فلولا عينه وعيونها ما جنَّ منه جنونه
٧ : الديوان : عبقة روضة ... إليه .
٨ : ديوانه ٣٣ .
٩ : الديوان : في الحب منكم .
١٠ : الديوان : حسبي الرجاء عدمته .
١١ : الديوان : يا سائلي عن حالتي من بعدهم ترك .

أسَـرَت له العـشـاقَ نُضْـرَةُ وجنةٍ ... بسـوى اللواحظِ لا تـبـيتُ مُـقـبَّلَةْ[١]
لو لـم يُصِبْ صُـدْغَيْـهِ عـارضُ خـدِّهِ ... ما أصْبَحَتْ في سالفيـه مُسَلْسَلَةْ[٢]

(٩٩) وهذه القطعة من قصيدة أوّلها:

هذا العـذول عليكمُ مـالي وَلَـهْ؟ ... أنا قـدْ رَضـيْتُ بذا الغَـرامِ وذا الوَلَهْ

وكُلُّها جيِّدةٌ وهذا مختارها، وكُلُّها جنانٌ وهذه ثمارُها. وأتى فيها بأبياتٍ أكثر فيها من التورية بأسماء الكتب وهو مالا أستَحْسِنُهُ. ولا يُعَدَّ مع المُحْسِنينَ وإن أجاد مُحْسِنُه.

ورأيت بخطٍّ الفاضلِ كمالِ الدِّين أبي العبّاس أحمد بن العطّار الشيباني الكاتب، رحمه الله، ما صورتُه: «ذُكِرَ أنَّ أبا الشيص كان لو قيل له: ابن من أنت؟ لقال: وقف الهوى بي حيث أنت... البيت. ولو قيل لشهاب الدين التلعفري: ابْنُ من أنت ؟ لقال: هذا العذول عليكُمُ ما لي وله... . ثم قال: وهي قصيدةٌ مشهورة سيّارةٌ محفوظة، دائرة على ألسنةِ العالَمِ. وعارَضَها جماعةٌ من معاصريه، فلم يتّفق لهم ما اتّفق له من الجودة والسيرورة.

عدنا إلى تتمّة شعره. ومنه قولُه[٣] [الكامل]

مـهـمـا الجفـونُ كـذا محاربةُ الكَرَى ... مـا لي انتـفـاعٌ بالخـيـالِ إذا سَـرَى[٤]
كم ذا التبـالُهُ في الهَـوَى عن حـالتي ... دَمـعي يَسـيْلُ وأنتَ تسـألُ ما جَرَى!
وحـيـاةِ حُـبِّكَ إنَّ قـولَ عـواذلي ... لك: إنني سـالٍ، حَـديثٌ مُـفْـتَـرَى

١: الديوان: سقط البيت.

٢: الديوان: لولا هواي ومهجتي وجنونها ...

٣: ديوانه ١٦.

٤: الديوان: كذا يجانبها.

مـا كنت قبل لحاظ طرفك مُشْبتاً أنَّ الظباءَ تصيد آسادَ الشَّرَى[1]

وقوله:[2] [الكامل]

أأفوزُ من أسرِ الهَوَى بخلاصِ كيف المناصُ ولاتَ حينَ مناصِ
ليَ ظاعنٌ كم دون يوم لقائه من فتً أكبادٍ وشيبِ نواصي
دمعي وصبري فيه، هذا طائعٌ لي حين أدعوه وهذا عاصي
جرحت لواحظُهُ فؤاديَ فاغتدى بلَواحظي من وجنتيه قصاصي
ما كان يهجرني ويُسرفُ لو رأى ما في الفؤادِ له من الإخلاص
كم ذا التَّجَنِّي والجفا يا دُرَّةَ الـ غوّاصِ أو يا ظَبيةَ القنّاصِ[3]

(١٠٠) **ومنهم :**

٣٠- نجم الدين القمراوي*

ليثُ فصاحةٍ لا يساوَر، وغيثُ سماحةٍ لا يُسارر. وجدولُ بيانٍ لا تغمد قُضُبه، ومَهْمَهُ فكر لا تُتَطامَنُ هُضُبُهُ، وحديقةُ حُدَقٍ لا تشْبَعُ منه نظراتها، ومهبُّ صباً لا تميل به خطراتُها. وكان لا يُسْأَمُ معه طولُ السّمَرِ، ولا تجالس مذكراته في كلِّ ناحية من وجهها قمر، بلطائفَ يماثل العقودَ فريدُها، وأحاديثَ يودُّ إذا ما انقضت أحدوثةٌ لَوْ يُعيدُها. لكنّه عَصَفَتْ به ريحُ التتار، وشقَّت طَوْدَهُ فما اسْتَقَلَّ ولا سار. وأنشد له ابن سعيد :

---

١ : الديوان : سقط البيت .

٢ : ديوانه ٢١ .

٣ : الديوان : يا جؤذر القناص .

* وفيات الأعيان ٣ : ٣٣٢ .

ويا ليلَ الذُّؤابة ما كفاني تطاوُلُ حالكِ الليل البهيمِ
وحاكمْتَ النسيمَ على مُرورٍ بعِطْفَيْهِ فمالَ مع النَّسيمِ

ومنه قوله وهو مما يُعَدُّ في حُسْنِ التخلُّصِ في ممدوحٍ اسمُهُ علي: [الكامل]

عجباً له ثنّى على مجروحه وقد انتضى باللَّحظِ سيفَ عليٍّ
مَلِكٌ غدا ودعاؤهُ وولاؤهُ فَرْضٌ على الشّيعيِّ والسُّنّيِّ

ومنهم:

٣١- فتيان الشاغوري*

فتيان الشاغوريُّ. بَحْرٌ رُبّما قَذَفَ الدُّرَّة، وبرٌّ طالما طاولت الجبالُ منه الذرّة. تَنْبُهُ منه فِطَنٌ لا يدرك له غِرّة، وجَرَى منه سابقٌ أدْهَمُ ربّما وَضَحت له غُرّة. يقع له الجيِّدُ في أثناء كلامه، ويَنْقَعُ موردُه للصادي بعضَ أُوامِه، وتتولّد له معانٍ ما مُنِعَتْ بالتمام، وتتجلَّى له نجومٌ طَلَعَتْ وباقيها تحت سُتورِ الظلام. وأنشد له ابن سعيد: (١) [البسيط]

فبطنُها حَجَرُ الأسباطِ مُنْبجِسٌ وظهرُها حَجَرُ الإسلامِ مُسْتَلَمُ (٢)

ومنه قوله: (٣) [المنسرح]

قد كَتَبَ الحُسْنُ بالعَذارِ على كاغِدِ تُفّاحِ خدِّه ألِفا
كأنّه عاشقٌ لوَجْنَتِهِ حتى إذا ما تقابلا وقفا

* مقدمة ديوانه بتحقيق أحمد الجندي .

١ : ديوانه ٤٣٨ .

٢ : الديوان: منبجساً ... يستلم .

٣ : ديوانه ٢٧١ .

ومنهم:

٣٢- عبدُ الرحمنِ بنُ عوضِ بن محبوبٍ، الكلبيُّ، المعرِّيُّ، عفيفُ الدين التلّمسانيُّ، أبو البركات*

ممن كان له في الحديث اللطيف غاية، وله بالحديث الشريف رواية، مع دماثةِ خُلُق يتجافَى عنها الماء (١٠١) وهو سلسال، والصبهاء وهي جريال، والنسيمُ وقد لعبت الشَّمولُ منه بأعطافِ الشَّمال. وما نقصَ حَظُّهُ من أدبٍ بارع، أو فكر مسارِع. ومن شعره المشعشعُ السَّلسبيل، الملمّعُ به بَرْدُ الأصيل، الصّافي الظِّلِّ في خدِّ النهرِ الأسيل، قوله، فيما أنشده له ابن سعيد: [الطويل]

فإنْ نُحْتُ في أفنانِ وجدي يَحِقُّ لي ... لأنِّي بما أوليتموني مطوَّقُ
قطعْتُم، ولم أسرِقْكُمُ الودَّ، كُتبَكُم ... وكيف يُجازَى القطعَ من ليسَ يسرِقُ

ومنهم:

٣٣- محمدُ بنُ سوارِ بن إسرائيلِ بنِ الخضرِ بنِ إسرائيلِ بنِ محمّدِ بنِ الحسن بنِ الحسينِ، الدمشقيُّ*

الأديبُ نجمُ الدين، أبو المعالي وله صحبةٌ بالقدوةِ صاحبِ الطريقةِ عليٍّ الحريريِّ -رحمه الله- . لَبِسَ بها من ديباجته، وشَرِبَ من زجاجته، فلاح عليه نورُ إيمانِه، وفاح له من سرٍّ حقائبه ما عَجَزَ عن كتمانه، وفاءَ عليه من ظلٍّ حقائقه ما تقلُّ الأرواحُ في أثمانه. وتقدّمت له صحبةٌ بالسُّهرورديِّ. وأجْلَسَه في ثلاثِ خَلَوات، وآنَسَهُ في الجَلَوات. وكانَ له أدبٌ غَضٌّ تميل به الأغصانُ والقدود،

* مقدمة ديوانه بتحقيق يوسف زيدان.

* فوات الوفيات ٣: ٣٨٣.

وتُخْلَعُ عليه النفوسُ والبرود. أَشْغَلَ قلبَ الشَّجيِّ والخليِّ: فهذا غَنَّى وهذا ناح. وأسْمَعَ أذُنَ السَّالي والمغرم: فهذا كتَمَ وهذا باح. وكان لا يخلو منه سماع، ولا عَقْدُ اجتماع. تتهاداه مجالسُ الكبراء سروراً للنفوس، وتتعاطاه سُلافاً في الكؤوس، وتميل به لإمالة الطَّرَبِ الرؤوس. وجرت بينه وبين الخيميِّ في القصيدة البائية المحاكمةُ التي قَضَى فيها ابنُ الفارضِ عليه قضاءً لم يقدر حاكمٌ على نقضه، ولا أعانَهُ صاحبٌ على تجرُّعِ مُمضِّه. ثم كان بعده لا يزال مُنَقَّباً بالحياء، مذبذباً يَمشي على استحياء، لما أَلْقَ به من وصمةِ عارِ الادّعاء، وسِمَةِ قُبْحٍ لا يُطْلَبُ منه بعدها رفْعُ يدٍ بصالح الدُّعاء. وكان مع كثرة حضوره حيث تصفِّقُ الألحان، وتُصَفّقُ أواني المدام، بنت خضرة القُدُسِ لا بنت الجان، لا يَدْخُلُ طابقَ الرَّقص، ولا يزداد وحْدَهُ إلاّ بمقدار ما يأخذُ في (١٠٢) النقص.

وحَكَى قاضي مجد الدين بن العديم، قال: أُريتُ في النوم كأني داخلٌ إلى بلده، فقيل لي: إن نجم الدين بن إسرائيل، قد صار كاتباً عند الوالي بها، فقلت: [الوافر]

إلى كم ذا تغــرُّكَ الليــالي   وتبـدي منك حالاً بعـد حـالِ
فطوراً شـيخ زاويـةٍ وفقـرٍ   وطوراً كـاتبٌ في دار والـي

وذكرت هذا المقامَ للطفِ موقعه، وطرف نظمه في موضعه.

ومن فائقِ شعره، وفائحِ نشره، قوله: [الكامل]

يا واحـدَ الحُسْنِ الذي لولا الجفـا   مـا عاقَـهُ عني العشيَّـةَ عائقُ
أنت الأمـيـرُ على الملاحِ بأسـرهم   وعليك من قلبي لواءٌ خـافقُ

ومنه قوله: [الكامل]

أعَلمتَ ما أبكَى الجفونَ وأسهرا   برقٌ أعارَ الأفق مرطاً أحمرا

باتت تُشامُ على البشامِ سيوفُهُ فكأنما باتت تهزُّ على الكرى
وعلى الثنيَّة من تَنَمَّر حلّةٍ ما إن يزال غيورُها مستنمرا
تُذكَى الولائدُ في متونِ يفاعها بالمندلِ الهندي نيران القِرى
ووراء أستارِ الخدورِ خريدةٌ يُمسي حِماها بالرماح مستَّرا
سمراءُ تُحسَبُ أنها كافورةٌ قد خالطت للطيبِ مسكاً إذفرا

ومنه قوله، يذكر أنابيبَ بركةٍ تُصعد الماء عالياً ثم تحدره نجوماً، وتوشيه في جلبابِ اللُّجَّةِ الزرقاءِ رقوماً، وهو:[البسيط]

ترقى أنابيبُها بالماءِ مصعدةً حتى تفوتَ صعوداً طَرْفَ رائيها
تحكي رماحَ لُجينٍ طال شامخُها قبَّ السماءِ رشاشٌ من عواليها

منه قوله: [الرمل]

وهبوا عيني إذا لم تصلوا نظرةً من طيفكم يجلو قذاها
ومحالٌ أن ترى طيفكُمُ عينُ صبٍّ فقدت فيكم كراها

ومنه قوله:(١)[الكامل]

يا سيِّدَ الحكماءِ هذي سُنَّةٌ مسنونةٌ للناسِ أنت سننتَها
(١٠٣) أَوَ كلَّما كلَّت سيوفُ جفونِ من سفكَتْ لواحظُهُ الدماء سننتَها

ومنه قوله يخاطب شريفاً أتى مصرَ فنزلَ باللؤلؤة:[المنسرح]

يا ابنَ رسولَ اللهِ لم أدرِ ذا الـ أمرِ الذي جئت به ماهُوَهْ
عهدي باللؤلؤ في بحرِهِ وأنت بحرٌ حَلَّ في لؤلؤهْ

ومنه قوله يرثي الشيخ العارف علي الحريري:[الكامل]

---

١ : الفوات ٣ : ٣٨٦ .

بكت السمـاءُ عليـه سـاعـةَ دفنه بمدامعٍ كـاللؤلؤ المنثـورِ
وأَظنّهـا فـرحت بمصـعـدِ روحـه لمّا سـمـت وتعلّقت بالنورِ
أوَ ليس دمعُ الغيث يجـري بارداً وكـذا تكونُ مـدامعُ المسـرورِ

ومنه قوله:[1] [الطويل]

ودارٍ لكم بالبـانِ عن أيمنِ الحمـى يلوحُ عليهـا نضـرةٌ وسـرورُ
كـأنَّ مـواطي الخيلِ فيهـا أهلَّةٌ وآثارُ أخفـافِ المطيِّ بدورُ

ومنه قوله: [الطويل]

لقـد عـادني من لاعجِ الشوقِ عـائدٌ فهل عهدُ ذاتِ الخالِ بالسّفحِ عـائدُ
نديميَّ من سـعـدٍ أديرا حـديثـهـا فـذكـرُ هواها والمدامـةِ واحـدُ
فـديتُكِ هل إلمامـةُ من خـيـالكم تعـودُ لقـا قـد ملَّ منه العـوائدُ
وكـيف يزور الطيف، لا الليلُ سـاترٌ عليـه، ولا الطرف المسـهَّـدُ راقـدُ

وقوله: [السريع]

ويومِ قُـرٍّ بدا غَـيـمُـهُ يلفُّ قـرصَ الشَّـمس في بُردهِ
كـأنَّمـا الأرضُ وقـد زُلـزلـت تهـتـزُّ للرِّعـدةِ مـن بـردهِ

ومنهم:

٣٤- عليُّ بنُ يحيى البطريق، البغداديُّ، الحليُّ*

الكاتبُ، نجمُ الدين، أبو الحسن. طلعَ نجمُهُ عليّاً، وجمعَ نظمُهُ حُليّاً، وبرعَ أدباً فائقاً، وذهباً نافقاً، وكتبَ الإنشاءَ إلاّ أنّه لم يكن لبيانه سحرٌ يُؤثر، ولا لجنانه

---

١ : الفوات ٣ : ٣٨٥ .

* فوات الوفيات ٣ : ١١٢ .

نهرٌ يتدفق ولا كوثر، لتقصيرٍ وقع في قسمه، وقَعَدَ بنثره عن نظمه.

وكانت له في الأيام الكامليَّةِ (١٠٤) قَدَمُ صدقٍ في الولاء، وقِدَمُ استحقاقٍ في الأولياء.

ومن شعره المحرّرِ الحالي لفظُهُ، المكرّرُ، ما أنشده له ابنُ سعيد، وهو:(١)[البسيط]

أعاذَكَ اللهُ من همّي ومن وَصَبي ... ولا لقيتَ الذي ألقَى من العَرَبِ(٢)

فذا زماني أبو جهلٍ، وذا جَرَبي ... أبو مُعيطٍ، وذا قلبي أبو لهبِ(٣)

وقوله:[الكامل]

كُنْ كالديارِ فكلُّ مغنىً منهم ... قد كان بعدهمُ جديداً أخلقا

وتغيَّرت صفةُ الغوُيَرِ فلم يكن ... ذاك الغويرَ ولا النّقا ذاك النّقا

وقوله في ابن أبي الحديد، عارض الجيش، وقد لبس خلعةً خضراء، ماسَ في ورقها غصنُه، وثارت فيها بسيوف جفونه فتنه:[مخلع البسيط]

لما بدا مائسَ التَّثَنّي ... في خضر أثوابِه تميدُ

قبّلتُهُ باعتبارِ مغنىً ... لأنّه عارضٌ مديدُ

وقوله وقد تقلّد راجحُ الحلّي سيفاً محلّىً ورمحاً:(٤)[الوافر]

تقلّد راجحُ الحلّي سيفاً ... محلّىً واقتنَى سُمرَ الرّماحِ

وقال الناسُ فيه فقلت: كُفُّوا ... فليس عليه في ذا من جُناحِ

١ : الفوات ٣ : ١١٢ .

٢ : الفوات : مولاي لا بتَّ في همي وفي نصبي ... الجرب .

٣ : الفوات : هذا زماني .

٤ : الفوات ٣ : ١١٣ .

أيقـدرُ أن يُغيـرَ على القـوافـي وأمـوالِ الملـوكِ بـلا سـلاحِ

وقوله يشكو –وهو بالقاهرة– طلوعَهُ كلَّ يومٍ إلى القلعة الجبلية، ووقوعه لمعاناة تردُّدِه إليها في بليَّة:(١)[الخفيف]

لي على الرِّيقِ كلَّ يومٍ ركـوبٌ في غـبـارٍ أغصُّ منه بريقي
أقـصـدُ القلعـةَ الخـرابَ كـأنّي حـجـرٌ من حـجـارةِ المنجنيق
فـدوابي تفنَى وجسـمـيَ يضنَى(٢) هـذه قلعةٌ على التـحـقـيـقِ

ومنهم:

٣٥– ابنُ نجمِ الموصلي، شرفُ الدين

ولم أعرف اسمه. ما قَصَّرَ عن إحسانِ تبييض الصحيفة، ويعوّض النجوم بكلمه الشريفة. وَصَلَ جناحَ الموصلِ ذكره الجائل، وشعره الطّائل. وقد أنشد له ابن سعيد:[الكامل]

(١٠٥) فالعَضبُ أبترُ والمثقَّفُ ذابلٌ وكلُّ حنيَّةٍ مرنانُ

ومنهم:

٣٦– أيدمر المحيوي، فخرُ التُّرك، أبو شجاع *

مولى وزير الجزيرة. أثبتَ الفضلَ للتُّركِ وما ترك. وهاجَمَ سيلَ الليلِ ولا دَرَك، وواثب القرائحَ ففاز بالدّرَك، ولزَّ السّحائبَ فما قدرت على الحَرَك، وجمع عقد الجوزاء وقد انفرك، ونصر آل خاقان وعلى خدّه القاني دمُ المعترك، وصادَ المعاني

١: الفوات ٣: ١١٣ .

٢: الفوات: فدوابي تحفى .

* مقدمة مختار ديوانه .

ولامُ عذاره الشَّرَك، وساوت السيوفُ لحاظَهُ والأجفانُ من المشترك. التقط الدّراري ونظمها عقوداً، وأضرمها وقوداً، وقسّمها صهباء عنقودا. وخلط سحرَ بيانه بسحرِ أجفانه، فجاءَ بسحرٍ عظيم، ومدام لفظه بمدامِ لحظه، ولا غول فيها ولا تأثيم، وسلبَ بطَرْفه وطُرَفه، وكلاهما فتَّان، ونَزّه في شِعره وشَعره، وكلاهما بستان. والحبُّ يُشربُ صفاؤه ورونقه، والحسنُ يظهر في شين رونقه. فآذن أن التركَ لا تُرامَى ولا تُرام، وأنَّ الأقلامَ في أيديهم مثلُ السهام، وأنّ في بني يافث من يسمو بني سام، وأن الحسنَ لا ينفكُّ عن أفنيتهم، والغصن لا يعقدُ عليه إلا ازرار أقبيتهم.

وكان كعبة جمال يُحَجُّ إليه، وصنمَ حُسْنٍ لا تزال طائفةٌ يعكفون عليه. وقلَّ من لم يكن بشعره هائما، وعلى ثغره حائما، ومن بدائع نظمه ونثره السَّاخرين، وبيانه وبنانه وما تظاهر عليه الساحران، ما أنشده له ابن سعيد، قوله:(١)[الكامل]

وكأنَّ نرجسَهُ المضاعفَ خائضٌ ... في الماءِ لفَّ ثيابَهُ في رأسهِ

وأنشد له:(٢)[الطويل]

شكا رمداً جفنُ الأصيلِ إلى الدجَى ... فكحّلَهُ ميلُ الظلامِ بإثمدِ

ومن شعره:(٣)[السريع]

يا حبذا مجلسُنا مجلساً ... قد حَفَّت النعمةُ جلاّسَهْ

يجلو علينا الغصنُ أعطافَهُ ... زهواً ويُهوي الزَّهرُ أنفاسَهْ

---

١ : المختار ٥٨ .

٢ : ليس في المختار .

٣ : ليس في المختار .

ومنهم:

٣٧- ابنُ عربي، سعدُ الدين الدمشقي*

شاعرٌ وصّاف، وبطلٌ (١٠٦) يُقَدَّمُ على الأوصاف، ومتفنِّنٌ ذُلِّلتْ عناقيدُه للقطاف، وحُلِّلتْ مدامتُهُ والسَّاقي قد طاف، وطلعت دراريه وما أكَنَّتها الأسداف، وبرزت دُرَرُه وما وَلدها البحرُ ولا خبَّأتها الأصداف.

وكان يُظهر التّهتُّكَ وليس كفاك، ويُشهرُ الغرامَ وما هو على ذاك. يتخيَّلُ في كلِّ طورٍ حبيباً ما رآه، وجوىً ما أقلَّه ولا واراه.

ومن بدائعه التي سَبَرها، ومحاسنه التي في كلِّ حفظٍ سيّرها، وفي كلِّ لفظ صوّرها، ما أنشده له ابن سعيد، وهو:[الطويل]

وقالوا قصيرُ شعرِ مَن قد هويتُهُ فقلتُ دعوني لا أرى فيه مخلصاً
مُحيّاهُ شَمْسٌ قد عَلَتْ غصنَ قدِّهِ فلا عجبٌ للظِّلِّ أن يتقلَّصا

وأنشد له:[الكامل]

عاينتُ في الحمّامِ بدراً مشرقاً يرنو بمُقْلَةِ شادنٍ مذعورِ
يُرْخي ذوائبه على أعطافِهِ فيريك ظلاً لاح فوق غديرِ

ومن بديع قوله:[الكامل]

وافَى إليَّ مع الظّلامِ مسلّما فلقيتُ منه نُضرةً وسرورا
غصناً رأيتُ النورَ منه بثغره فضممته وقرأتُ منه النورا

ومنه قوله:[الطويل]

* فوات الوفيات ٣: ٢٦٧.

وبدرٍ بدا منه العذارُ كأنَّهُ بقيَّةُ ليلٍ فرَّ من وَضَحِ الفجرِ
محوتُ بفرطِ اللّثْمِ خَطّ عذاره ألم تَرَ ذاك المحوَ في صفحةِ البدرِ

ومنه قوله في قصّار: [الكامل]

أحببتُ قصّاراً محاسنُهُ شَرَكُ العقولِ ونزهةُ النفسِ
أقسمتُ لولا أنّه قمرٌ ما كان محتاجاً إلى الشمسِ

ومنه قوله: (١)[الخفيف]

قيلَ لي جسمُ مَنْ تحبُّ نحيلٌ وهو مما يشينُهُ فاسْلُ عنه
قلت: ما ذاك من سقامٍ ولكن خِفَّةُ الرُّوحِ أعدت الجسمَ منه

(١٠٧) ومنه قوله: [الطويل]

وبالنفس أفدي طلعةَ القمرِ الذي إذا ما انْثنَى كالغُصنِ يا خجلَةَ الغُصنِ
يخاطبني خوفَ الرّقيبِ بنفرةٍ فيفهمُ قلبي غيرَ ما سمعت أُذني

ومنه قوله: [الخفيف]

هو لا شكَّ واحدُ العصرِ في الـ حُسْنِ ولكن قدُّهُ يتثنَّى
رَشَأٌ أعْرَبَتْ عن السِّحرِ عينا هُ وأجفانُهُ على الكَسْرِ تُبنَى

ومنه قوله: [الكامل]

زعمَ العذولُ بأنّ قلبي قد سَلاَ كلاّ وحقِّكَ هذا يُتَخَيَّلُ
فهواكَ في طيِّ الجوانحِ مودعٌ وعليه من شفتيَّ بابٌ مقفلُ

ومنه قوله: [الطويل]

---

١ : الفوات ٣ : ٢٧٠ .

أقولُ وقد وافَى الرسولُ مخبِّري بأن حبيبيَ قد أساءَ بيَ الظَّنَّا
بعيشكَ ما أبدَى الحبيبُ وقالهُ وما ظلَّ يحكي قال لي الغُصنَ اللَّدْنا

ومنه قوله:[1][الخفيف]

يا خليليَّ في الزيادة ظبيٌ سَلَبتْ مقلتاه جفني رقادَهْ
كيف أرجو السُّلوَّ عنه وطرفي ناظرٌ حُسْنَ وجهِهِ في الزِّيادَهْ

ومنه قوله:[الكامل]

قالوا الحلولُ بحيِّزَيْن لجوهرٍ حُكْمٌ عليه العقلُ غيرُ مساعِدِ
هذا حبيبي وهو فردٌ حلَّ في طرفي وقلبي في زمانٍ واحدِ

ومنه قوله:[مخلع البسيط]

ورُبَّ قاضٍ لنا مليحٍ يُعربُ عن منطقٍ لذيذِ
إذا رمانا بسهمِ لحظٍ قلنا له دائمُ النفوذِ

ومنه قوله:[الطويل]

كلفتُ بظبيٍ ظلَّ يقطفُ مشمشاً على سُلَّمٍ فيه اعتصامٌ لهاربِ
كذا البدرُ لولا أنَّه في مسيره رَقَا دَرَجاً لم يتّصلْ بالكواكبِ

(١٠٨) ومنه قوله:[السريع]

شاهدتُ دولاباً له أدمعٌ تكفَّلت للرّوضِ بالرَّيِّ
فاعجبْ له من فَلَكٍ دائرٍ ما فيه برجٌ غيرُ مائيِّ

ومنه قوله:[السريع]

---

١ : الفوات ٣ : ٢٦٨ .

يا مانعي القبلة في خدِّهِ فتّتتَ قلبي فهو مفتوتُ
لا تخشَ أنفاسي ولا حرَّها فإنّما خدُّكَ ياقوتُ

ومنه قوله: [الكامل]

ماذا الذي تعني بقولك جوهرٌ إذا الشيءُ أو عَرَضٌ وقصدُكَ يحضرُ
جسدي هو العَرَضُ الذي أنكرتَهُ فافترَّ، قلتُ له وهذا الجوهرُ

ومنه في مجروحِ اليد: [الطويل]

وبدرِ دُجىً في الكفّ منه جراحه يظنُّ بأني في محبّته سمحُ
فقلتُ له إن الدُّموعَ شواهدي بأنّي من سُكرِ المحبّةِ لا أصحو
فقال: وما تُغني شهودُ مدامعي لديَّ إذا ما كان في يديَ الجرحُ

ومنه قوله في صانعِ تطماج: [المنسرح]

أضحىَ يبيعُ التطماجَ بدرُ دُجىً يغربُ في القلبِ كلما طلعا
قلت وقد صفَّهُ على طبقٍ ما هذه؟ قال وما خَدَعا
كُنَّ بدوراً رامت مشابهتي فَقَطَّعتها لواحظي قطعا

ومنه قوله في حريري: [الوافر]

أقول له ألا ترثي لصَبٍّ عديمٍ للمساعدِ والنَّظيرِ
أقام ببابكم خمسينَ شهراً فقال: كذا مقاماتُ الحريري

ومنه قوله في حجّام: [الكامل]

حاولتُ منه الوصلَ قال بشرطِ أن آتيكَ والرُّقباءُ ليست تعلمُ
كَدَّرْتَ بالشَّرْطِ الوصالَ، فقال لي: أوَمَا علمتَ بأنّ شرطيَ مؤلمُ

(١٠٩) ومنه قوله في غلامٍ اسمه سليمان: [الطويل]

وبدرِ دُجَىً مـا زال ينشـدُ طرفُـهُ عـزيزَ أسىً، مَنْ داؤُهُ الحـدقُ النُّجْلُ
له وجنـةٌ تَدْمَى مـن اللحظِ رقّـةً يكـادُ بهـا مـاءُ الشـبيـبـةِ ينهلُ
فـهـذا سليـمـانٌ لرقَّـةِ خـدِّهِ إذا دبَّ فـيـه النَّملُ كلَّمَـهُ النَّملُ

ومنه قوله: [الكامل]

ناديتُ مَن أهواه وهـو مُـقَـلَّـمٌ أظـفـارَه، يـا نزهـةَ المتـأمِّـلِ
فـأجـابني: أتظنني قلَّمـتُـهـا عن حـاجـةٍ، لا بل لمعنىً عنَّ لي
لأُريكَ يا من بالهلالِ تقـيـسني إنَّ الهـلالَ قُـلامـةٌ مـن أنملـي

ومنه قوله في جواب أبيات جاءته من نظام الدين، ابن المولى: [الطويل]

بعثتَ بأبيـاتٍ إذا مـا عـرضْتُـهـا بسـوقِ ذوي الألبـابِ ليس تُسـامُ
فـإن لَحَظَتـهـا منك عينُ عنايـةٍ فـهـنَّ لآلٍ رأيـهـنَّ نظـامُ

ومنه قوله مما كتب به إلى مجد الدين بن العديم: [الطويل]

أمولايَ مجدَ الدينِ ما زلتَ مسدياً بقـولٍ وفـعلٍ كلَّ فـضلٍ وإفـضـالِ
أطوف بهـذا العـيـدِ حـولك داعـياً لأنَّكَ قـد أصـبـحتَ كـعـبـةَ آمالي
ولَمّا بدا منك الصَّـفَـا جـئتُ سـاعـياً إليك ولـم أقطع مـسـافـةَ أمـيـالِ
وغـيـريَ يسـعى كي ينالَ بكَ الغِنَى ومـا أنا من يسـعى بجـاهٍ ولا مـالِ
ولكنَّمـا أسـعى لمجـدٍ مـؤثَّـلٍ وقـد يدركُ المجدَ المؤثَّلَ أمـثـالي

ومنه قوله في دواة: [الخفيف]

ودواةٍ مـن أنـفـعِ الأدواتِ مـصطَفـاةٍ لما حَـوَتْ من صـفـاتِ
إن عَـدَت منبعَ الحـيـاة فـلا غَـرْ وَ فـمـاءُ الحـيـاةِ في الظُّلمـاتِ

ومنه قوله في مؤذّن :[الخفيف]

وبنفسي مؤذّنٌ مذ سباني | لم تفدني شكوى الغرام إليه
كيف يُصغي لما أقولُ حبيبٌ | واضعٌ إصبعيهِ في أُذْنيهِ

(١١٠) ومنه قوله في قوّاس :(١)[السريع]

قلتُ لقوّاس له طلعةٌ | من رامَ عنها الصّبرَ لم يقدرِ
يا مَن له وجهٌ كبدرِ الدُّجَى | كيفَ تبيعُ القوسَ للمشتري

ومنه قوله في طيوريٍّ :[مخلع البسيط]

هذا الطيوريُّ قلتُ يوماً | لهُ ولم أرهب الأعادي
يا جامعاً صنفَ كلِّ طيرٍ | هل لك في طائرِ الفؤادِ

ومنه قوله فيمن يبيعُ قضامة :[الكامل]

باع القضامَةَ شادنٌ تَرِفٌ | فاضت عليه مدامعي فيضا
يا مَن قضامتُهُ مجوهرةٌ | الثغرُ منك مجوهرٌ أيضا

ومنه قوله :[مخلع البسيط]

خاصمني مَن أهيمُ فيهِ | ورام جرحي بما يبيدُ
يا مالكي ما أقولُهُ في | واقعةٍ بعدها الحديدُ

ومنه قوله في نشّار :[الخفيف]

أيُّها البدرُ لو تواصلني اليو | مَ لقاربتَ في وصالكَ سعدا
ما وجدنا لحُسْنِ نشركَ ندّاً | بل وجدنا لطيبِ نشرك نِدّا

---

١ : الفوات ٣ : ٢٦٨ .

ومنه قوله يرثي رجلاً يلقّبُ البدر، دُفِنَ بالشرف الأعلى :[البسيط]

يا بدرُ إن كنت في ظلماءَ موحشةٍ فالبدرُ في سُدَفٍ والدرُّ في صَدَفِ
دُفِنتَ في الشَّرَفِ الأعلى ومن عَجَبٍ هبوطُ بدرِ الدُّجَى في ذروةِ الشَّرَفِ

ومنه قوله يصف شِعرَ عون الدين سليمان، ابن العجمي :[الطويل]

يقولون عونُ الدينِ أضحَى لجِدهِ قريضٌ كروضٍ باكرتْهُ عِهادُهُ
فقلتُ لهم هذا سليمانُ عصرِهِ يَدينُ له في كلِّ معنىً فرادُهُ
إذا هو أمسَى في القريضِ مفكّراً عرضْنَ عليه بالعشيِّ جيادُهُ

ومنه قوله :[الكامل]

أمبشِّري ممن أحبُّ بزَوْرةٍ أهلاً وسهلاً بالبشارةِ والهَنَا
(١١١) ما كان أسمحني عليكَ بخلعةٍ لو كان عندي حلةٌ غير الضّنا

ومنه قوله :[الكامل]

عفتُ المُدامَ سوى مدامةِ ريقهِ ذاكَ الرّحيقُ ختامُهُ مسكُ اللَّمَى
إن سمتُهُ خمرَ الرُّضابِ يقولُ لي أَهَمَمْتَ أن تَعصي؟ فقلتُ: اللُّوَّما

ومنهم: ١

٣٨- أبو عبد الله الكردي*

مدْرةُ حرب، وندرةُ أخدانٍ، ما رقم بهم طراز شُرْب. فهمُهُ مثلُ سيفه، كلاهما حدٌّ، ونظمُهُ مثلُ سَيْبه، كلاهما ما له حدٌّ.

وقفتُ له على شعرٍ كثير، لم يعلق بخاطري منه شيّ، ولا أطلَّ على أنهارِ صُحُفي منه ظلٌّ ولا فيّ، إلا أنَّهُ شاعرٌ مجيدٌ قادرٌ على التوليد. لا يحضرني منه إلا ما أنشده له ابن سعيد، وهو وقوله: [الوافر]

إذا ما اشتقتُ يوماً أن أراكم ... وحالَ البُعدُ بينكمُ وبيني
بعثتُ لكم سواداً في بياضٍ ... لأبصركم بشيءٍ مثلِ عيني

ومنهم:

٣٩- جمالُ الدِّين، يوسفُ بنُ البدرِ لؤلؤ، الذهبيُّ*

كما نسبوه الجوهريُّ. واللؤلؤ أبوه، والبدرُ والده، أو هو جمالُهُ اليوسفيُّ، أو أخوه. وأدبُهُ أعبقُ في المجامع من النسيم، وأعلقُ بالمسامعِ من قُرطِ الثّريّا في أُذنِ الليلِ البهيم. أدخلُ على الخواطرِ من الأفكار، وأوضحُ للنواظرِ من رؤيةِ النهار. وله في نوعِ التورية من البديع، ما أخمد وُراةِ شرارهِ مَن قَدَح، وفرَغَ الكأسَ وما أبقى سُؤْراً في القَدَح. وكان من شعراء ابن العزيز، عزيزاً عنده مكانُه، مجيراً له بما يسعُهُ إمكانُه، ومما أنشد له ابن سعيد قوله: [البسيط]

والخيلُ قد نشرت من نقعها صُحُفاً ... قامت كتائبها ما بينها سَطَرا

---

١ :سقطت من الأصل.

* فوات الوفيات ٤ : ٣٦٨.

تُملي علينا الرُّدَيْنيّاتُ ما نظمت فيها ويُملي علينا السيفُ ما نَثَرا

ومن شعره :[البسيط]

دعِ الفصادَ إذا ما كنت مشتكياً بكلِّ أحورَ في أعطافه مَيلُ
ولا تُرِقْ دمَكَ القاني فحسبُكَ ما تُريقُهُ بظُباها الأعيُنُ النُّجْلُ

(١١٢) وقوله :[١][السريع]

حَلاَ نَبَاتُ الشَّعْرِ يا عاذلي لما يُدِلُّ في خدِّه الأحمرِ[٢]
فشاقني ذاك العذارُ الذي نباتُهُ أحْلا من السُّكَّرِ

وقوله في رفّاء :[٣][مجزوء الكامل]

بمهجتي الرَّفّا الذي فَضَحَ الذَّوابلَ لينُهُ
لم يَرْفِ قلبَ متيَّمٍ قد مزّقتهُ جفونُهُ

وقوله :[الكامل]

والعيسُ مثلُ العاشقينَ مع النّوَى حملت من الأثقالِ ما لم تحملِ
ولَكمْ سبقتُ حُداتَهم بمدامعي حتى جعلتُ قِطارَها في الأوَّلِ

وقوله :[٤][السريع]

هَلُمَّ يا صاحِ إلى روضةٍ يجلو بها العاني صَدَا همِّهِ

---

١ : الفوات ٤ : ٣٨٠ .
٢ :الفوات : نبات الخد .
٣ : الفوات ٤ : ٣٨١ .
٤ : الفوات ٤ : ٣٧٧ .

نسـيـمُـهـا يعـثـرُ في ذيله وزهرُها يضـحك في كـمِّـه (١)

وقوله :(٢)[السريع]

أدرْ كـؤوسَ الرَّاحِ في روضـةٍ قـد نمَّقتْ أزهارها السُّحْبُ
الطيـرُ فـيـهـا شـيِّقٌ مـغـرمٌ وجـدولُ الماء بـهـا صبٌّ (٣)

وقوله :(٤)[السريع]

فـعـاطني الصّـهـبـاءَ مشـمـولةً عـذراءَ فـالواشـونَ نُوَّمُ
واكـتـم أحـاديثَ الهـوى بيننا فـفـي خـلال الرّوضِ نمّامُ

وقوله في غلامٍ غرق :[المتقارب]

أسَلْتَ الدمـوعَ إلى أن جَـرَتْ ووارَاكَ تيّـارُها المُغْـدِقُ
وأيُّ غـزالٍ هضـيم الحـشـا يحـلُّ العـيـونَ ولا يغـرقُ

وقوله :[الكامل]

أحـمـامـةَ الوادي بشـرقيِّ الغـضـا فغصونُهُ في راحتيكِ وجمرُهُ في أضلعي
فـإذا هَوَى بكِ منزلٌ مـسـتـوبـلٌ رفـعـتكِ هوجُ اليـعـمـلاتِ الوضَّعِ
كلّفـتُـهـا مَسْحَ الفـيـافي قـسـمـةً فلذاك تضـربُ أذرعـاً في أذرعِ
عِـدْهَا الحـمَى إن أرزمت وإذا وَنَتْ فـإلى جنابِ ابنِ العـزيز المـمـرعِ
(١١٣) وانظر أسـاريراً تلوحُ فـإنَّهـا في كـفِّـه طُرُقُ النّدى المتنـوِّعِ

---

١ : الفوات : وزهرها يرقص .

٢ : الفوات ٤ : ٣٧٧ .

٣ : الفوات : مغرم شيق .

٤ : الفوات ٤ : ٣٧٨ .

وقوله:[1][مجزوء الكامل]

رفــــقــــاً بِصَبٍّ مــــغــــرمٍ أبليــــتَــــهُ صَــــداً وهجــــرا
وافــاكَ ســــائــــلُ دمــــعِــــهِ فــــرددتَهُ فــي الحــالِ نــهــرا

وقوله:[2][مجزوء الرجز]

وروضــــةٍ دولابُــهــــا إلى الــغــصــونِ قــد شكا
مـن حــيــث ضــاع زهـرُها دار عــلــيــه وبــكــى

وقوله:[مخلع البسيط]

مــا نظرت مــقلتي عــجــيــبــاً كــالــلــوزِ لما بــدا نــوارهْ
اشــتــعل الرّأسُ منه شــيــبــاً واخــضــرّ من بعــدِ ذا عــذارهْ

وقوله:[3][الطويل]

وبتُّ أُعــاطيــه الحــديثَ مُنَمَّــقــاً وبات يعاطيني العتيق مشعشعاً[4]
ولم أدرِ أنّ الصُّــبحَ كــان مــراقــبــاً لنا من وراءِ الليل حــتى تطلّعــا

وقوله:[السريع]

ولا تعــذلوني في هوى شــادنٍ هَوَيتُ طرفــاً منه ســحــارا
لو لم يكن حــبِّيَ من حُــسْنِهِ يحــســدُهُ النَّجمُ لما غــارا

وقوله:[5][الخفيف]

---

١ : الفوات ٤ : ٣٧٨ .

٢ : الفوات ٤ : ٣٧٨ .

٣ : الفوات ٤ : ٣٧٦ .

٤ : الفوات : فبت .

٥ : الفوات ٤ : ٣٨١ .

وجنانٍ ألِفْتُهـا حينَ غنّتْ حـولها الوُرْقُ بكرةً وأصيلا[1]
نهرها مسرعاً جرى وتمشَّتْ في رُباها الصَّبا قليلاً قليلا

وقوله، وفيه زيادةٌ على المتداول: [الطويل]

جنبنا إلى العيسِ الجيادِ جوامحاً سوامي الهوادي أن تنال فتُلجما
يريكَ بدوراً وطؤها وأهلَّةً وآونةً من قَدْحها الصّخرَ أنجما

وقوله: [الطويل]

في جنَّةٍ أضحَى الأقاحُ مُدَرهماً في جانبيها والبهارُ مدنَّرا
لمّا تشعَّبَ ماؤها بين الرُّبا عبثت به أيدي الصَّبا فتكسَّرا

وقوله في قريب منه مع العكس: [الكامل]

(١١٤) وحديقةٍ مطلولةٍ باكرتُها والشمسُ ترشفُ ريقَ أزهار الرُّبا
يتكسَّرُ الماءُ الزُّلالُ على الحَصَا فإذا غدا نحو الرّياضِ تشعَّبا

وقوله[الكامل]

لم أنسَهُ إذ قال أين تُحلُّني حذراً عليَّ من الخيالِ الطّارقِ
فأجبتُهُ: قلبي. فقال تعجُّباً: أسمعتَ قطُّ بساكنٍ في خافقِ

قوله: [الطويل]

لقد بتُّ عند الفارسِ النَّدْبِ ليلةً وما غرَّني إلاّ شقائي وأطماعي
فبتُّ أُقاسي البردَ في طولِ ليلتي مغطّىً كرأسِ القُنَّبيطِ بأضلاعي

وقوله: [الكامل]

١: الفوات: ألفتها إذ تغنت فوقها.

ومعذَّرٍ قد بايتته جماعةٌ وَفَّوا بما وعدوهُ عندَ الليلِ
واكتالَهُ كلٌّ هناك وما رأى منهم سوى حَشَفٍ وسوءَ الكَيْلِ

وقوله :[الطويل]

وعلَّقتُهُ سيفاً من البيضِ مرهفاً بغيرِ حُلاهُ لم أكن أتقلَّدُ
أبيتُ ولي من ساعدَيْهِ حمائلٌ على عاتقي في الليلِ وهو مجرَّدُ

وقوله :[الطويل]

يكلّفني العذَّالُ صبراً وقد قَضَى ليَ اللهُ عنه الصبرُ ليس يكونُ
وما كان إلا الرّوضَ نشراً وبهجةً فلا غروَ أن تجري عليه عيونُ

وقوله من قصيدته الزّائية الزّاهية، الآمرةِ الناهية، التي حلّق إليها كلُّ شاعر في زمانه، فوقع وسار وراءها، ولكنَّهُ من نصف الطريق رجع :[الطويل]

فأتبعتُهم طرفاً إلى الجزعِ باكياً وراءَ المطايا لا بكيّاً ولا نزّا
وقلتُ لحادي العيسِ رفقاً بمدمعي وبالعيسِ لا تُفني قطاريهما لزّا
وفي الكلّةِ الحمراءِ بيضاءُ غادةٌ مريضةُ لحظ العينِ مملوءةً عجزا
تُسارقنا باللحظِ خوف رقيبها فآونةً شزراً وآونةً غمزا

(١١٥) وقوله مما كتب به إلى بعض أصحاب جمال الدين أحمد المصري النحوي يعزيه فيه :[الطويل]

عَزاؤكَ زينَ الدين في الذاهب الذي بَكَتْهُ بنو الآداب مثنىً وموحدا
هُمُ فارقوا منه الخليلَ بن أحمدٍ وأنت ففارقتَ الخليلَ وأحمدا

وقوله عند عبور الملك الظاهر الفرات :[مجزوء الخفيف]

ظنَّ أن يحفظوا الفر اتَ ببيضِ الصَّفائحِ

كيف يحمونها وقد ... جاءها كلُّ سائحِ

وقوله :[البسيط]

ولاحَ كأسُ الثُّريّا في مشارِقِه ... ملوّحاً من شعاعٍ ساطعٍ ذَهَبا
وللبروقِ وميضٌ في الغمامِ حَكَى ... تحتَ العجاج سيوفَ الناصرِ القُضُبا
له يدٌ لا عدمناها يفيضُ بها ... بحرٌ فَلَمْ ذا يباري جودُها السُّحُبا
يدٌ تلاقَتْ يراعاتٌ بها وفتى ... أنّى تُجارى وحازت ذلك القَصَبا

وحدَّثني شيخنا أبو الحسن الكندي ، عن بعض مَن خرج معه يوماً، حين تقشّعت الحرور، وطَفَتْ نارَها الشِّعرَى العبور، وبدا سُهيلٌ يزهر في الصباح كالقنديل، وأثمرَ كلُّ غصنٍ في جانح كلِّ أصيل، وباكَرَ الدهرُ بسرَّائه، وكفَّ بأسَ بأسائه، وتقدمت الشّتاءَ آلاؤه، وعطف تشرينُ فرقَّ جوُّه وماؤه، وطاب المقيلُ في بردِ أفيائه، وترقرقت على صفحات النهر دمعةُ أندائه، وأتى الخريفُ مخلّفاً زرعَ الزعفران، ناشراً من ذهَبيّاته مصبغات الألوان، والأترجُّ كأنَّه عاشقٌ مدنف، والسّفرجلُ كأنَّهُ وَجِلٌ مختطَّف، والرّمّانُ كأنَّهُ من صافي الذهب أُكر، والتفاحُ كأنَّهُ جامدُ الراحِ أو خدودُ تلك الشجر، والنسيمُ قد كرَّ من طرادِ أيلولَ وأتى مبشّراً بالغمامِ كذيلِ الغلالةِ المبلول، والأرضُ تتوقعُ الشتاءَ توقُّعَ المأمول، وتنتظر الغيثَ انتظارَ المحبِّ عَوْدَ الرسول. والنَّبتُ قد صَحَتْ مُقَلُ نرجسه، ولم يبقَ منها ناظرٌ إلاَّ (١١٦) وهو بالطَّلِّ مكحول.

إنه لما رأى تلك المحاسنَ الأشتات، اهتزَّ إعجاباً بفصلِ الخريف، وما جمع منها زمانُه، وأبدع في تأليف ألوانها أوانُه، فقال :[الكامل]

رقَّ النَّهارُ وراقت الأنهارُ ... وسَرَى النسيمُ وغَنَّت الأطيارُ
وأتى الخريفُ مُبَشِّراً بصبوحه ... فتخلَّقت لقدومه الأشجارُ

وثَنى معاطِفَهُ الخليجُ وصَفَّقَتْ أمواجُه وتراقصَ التَّيَّارُ
ودعا إلى شُربِ الأصائلِ والضُّحَى في كلِّ وادٍ بلبلٌ وهَزارُ
واجْنَحْ لحانةِ كرمةٍ في ظلِّها الرَّاحُ بِكْرٌ والدِّنانُ عِشارُ
واشربْ على ذهبيَّةِ الأوراقِ من ذهبيَّةٍ بيدِ السُّقاة تُدارُ
قد أيْنَعَتْ وتألَّفت فكأنَّما هي جُلَّنارٌ للنديم ونارُ
عذراءُ رقَّصها المزاجُ بحلَّةٍ في طوقها من لؤلؤٍ أزرارُ

وقوله: [الكامل]

ومِنَ التَّعَلُّلِ أنني أرجو الصَّبا تغدو تبثُّ تحيَّتي وتروحُ
أو أطلبُ الأحبابَ بين معاهدٍ قد ضاعَ فيها رَنْدُها والشِّيحُ

وقوله:(1)[الكامل]

وبمهجتي المتحمِّلونَ عشيَّةً والرَّكبُ بين تلازمٍ وعناقِ
وحُداتُهُم أخذت حجازاً بعدما(2) غَنَّت وراء الظُّعنِ في عشّاقِ
وتنبَّهت ذاتُ الجناحِ بسُحرةٍ في الواديينِ(3) فنبَّهت أشواقي
أنّى تباريني جَوىً وصبابةً وكآبةً وأسىً(4) وفيضَ مآقي
وأنا الذي أُمْلي الجَوَى من خاطري وهي التي تُملي من الأوراقِ
ولقد صَفَحْتُ عن الزَّمانِ لليلةٍ عَدَلَ الحبيبُ بها وجارَ الساقي

وقوله:(5) [الرمل]

---

١ : الفوات ٤ : ٣٦٩ .

٢ : الفوات : عندما .

٣ : الفوات : بالواديين .

٤ : الفوات : وكآبة وهوى .

٥ : الفوات ٤ : ٣٨١ .

ورياضٍ وقَفتْ أشجارُها وتمشَّتْ نسمةُ الرِّيحِ إليها[١]
طالعت أوراقَها شمسُ الضُّحَى بعد أن وقَّعت الوُرْقُ عليها

(١١٧) وقوله:[٢] [السريع]

جاء الشتاءُ الغثُّ مستعجلاً مبادراً بالغَيمِ والغَمِّ[٣]
وفصلُهُ الباردُ قد جاءني منه بكانونٍ بلا فَحْمِ

وقوله:[٤] [السريع]

إن تمادَى الغيثُ شهراً هكذا جاء بالطوفانِ والبحرِ المحيطْ[٥]
ما هُمُ من قومِ نوحٍ ياسما أقلعي عنهم فهم من قوم لوطْ

وقوله:[٦] [المجتث]

يا عاذلي فيه قل لي إذا بدا كيفَ أسلو
يمرُّ بي كلَّ وقتٍ وكلَّما مرَّ يحلو

وقوله: [المنسرح]

يا شادناً كلَّما مررتُ به يخفقُ قلبي له ويضطربُ
قد قمتُ بالقلبِ في هواكَ ضَنىً وإنَّما قمتُ بالذي يجبُ

---

١ : الفوات : نسمة الصبح .
٢ : الفوات ٤ : ٣٨٣ .
٣ : الفوات :
جاء الشتاء الغث يا سيدي بل يا شهابي في دجى الهم .
٤ : الفوات ٤ : ٣٧٧ .
٥ : الفوات : إن أقام .
٦ : الفوات ٤ : ٣٧٨ .

قوله :[1] [المتقارب]

أيا صـــاحِ أشكو إليك الخُـــمــــار ... ومـــا فـعلت بي كـــؤوسُ العــقــار[2]
وجــــورَ سُـــــقـــاةِ الكؤوسِ التي ... ترينا الكواكبَ وسطَ النَّهــــار[3]

وقوله : [الرمل]

وحـــمــامُ الأيكِ في الأشــجــارِ قــد ... بثَّت الأشــجــانَ فـيــهــا والـغــرامــا
والصَّـبـــا مـــعـــتلَّةٌ من طولِ مـــا ... حُـــمِّلَتْ من كلِّ مـشـتـاقٍ سـلامــا

وقوله :[البسيط]

وحـفـتـيـان الذي غـرَّ العِـدَى طـمعٌ ... فـيـهــا فـأهلكتـهم في نيلهـا الغُـررُ
رام العـدى لكَ دفـعـاً عن جـوانبـهـا ... وكـــيـف يُدفعُ ســيلٌ وهو منحــدرُ

وقوله :[الطويل]

ومـــا ذهبت شــمسُ الأصـيلِ تحـيَّـةً ... إلى الغـرب حـتى ذهبت فـضَّـةُ النهـرِ
وأمـسَى أصـيلُ اليـومِ ملقىً من الضَّنا ... على فُـرُشِ الأزهارِ في آخــرِ العــمــرِ

وقوله :[السريع]

لنا حـــديثٌ يا حــمـــامَ الحــمَى ... توضــحـــهُ الأشــجـــانُ أيَّ اتِّضـــاحْ
(١١٨) ألِفْتَ غـصناً وأنا في الهـوى ... فَــــقَـــدْتُ غـــصناً وأطلنا النُّواحْ
فــــهــــاتِ طارحني فكلٌّ غـــــدا ... منّا على غــــــــصنٍ تغنّى وناح

وقوله :[الكامل]

---

١ : الفوات ٤ : ٣٨٣ .
٢ : الفوات : أمولاي أشكو .
٣ : الفوات : وجور السقاة التي لم تزل تريني .

وسَريْتُم طوعَ النَّوى ورجعتُمُ وكذا الكواكبُ سيرُها ورجوعُها
ما كنتُ أعلم أنّ دائرة النّوى فيكم وفي أكبادنا تقطيعُها

وقوله :[الطويل]

وأهيفَ طرفي منه في جنَّةٍ غدا وقلبيَ من أعراضِها في جهنَّما
أغنَّ يريكَ الغصنَ من لينِ قدِّه قويماً ويبدي زهرهُ أن تبسّما

وقوله :[الخفيف]

ورشيقِ القوام حلوُ التَّثنّي والثَّنايا مهفهفٌ أُملودُ
هو بدرٌ قبلتُ فيه ومن ما ت ببدرٍ مثلي فذاكَ شهيدُ

وقوله في كحَّال كحَّل غلاماً حَسَناً غُدوةَ يومٍ، ثم مات الكحَّالُ مساءَ يومه :[1][الكامل]

يا قوم قد غلط الحكيمُ وما دَرَى في كَحْلِهِ الرَّشأُ الغريرُ وطبِّه[2]
وأراد أن يُمضي نِصَالَ جفونِهِ لتصيبنا بسهامها فَبَدَتْ بهِ

وقوله :[3][مجزوء الرمل]

رُبَّ ناعورةِ يومٍ باتَ ينـدىَ ويفوحْ
تضحكُ الأزهارُ منها وهي تبكي وتنوحْ

وقوله :[مجزوء الكامل]

إنَّ الذين ترحَّلوا نزلوا بعيني الناظرهْ

---

١ : الفوات ٤ : ٣٧٧ .
٢ : الفوات : بطبه .
٣ : الفوات ٤ : ٣٧٨ .

أنزلتهم في مقلتي فإذا هم بالساهرهْ

وقوله يخاطب رجلاً أحبَّ غلاماً يُلقَّبُ بالجارح :[1][مجزوء الخفيف]

قلبكَ اليومَ طائرٌ عنك أم في الجوانحِ
كيف ترجو خلاصَهُ وهو في كفِّ جارحِ

ثم قوله وقد بلغه أن ذلك الرجل قال : خَلُصَ الطائر :[2][الكامل]

(١١٩) خلَّصْتَ طائرَ قلبك المضْنى هوىً[3] من جارحٍ يغدو به ويروحُ
ولقد يَسُرُّ خلاصُهُ إن كنتَ قد خلّصتَهُ منه وفيه روحُ

ومنه قوله في غلامٍ ورّاق :[4][الطويل]

خليليَّ جدَّ الوجدُ واتصلَ الأسى وضاقت على المشتاقِ في قصدِهِ السُّبْلُ
وقد أصبحَ القلبُ المعنّى كما ترى معنّىً بورّاقٍ وما عنده وَصْلُ

ومنه قوله يشكو غرفةً كان يسكنها، والحرُّ يلفح هجيرُه، ويتوقَّدُ سعيرُه :

مولايَ أشكو غرفةً في ناجدٍ كالنار تلفحُ بالهجيرِ اللافحِ
عزَّ النسيمُ بها فليس بسانحٍ وخلا الذبابُ بها فليس ببارحِ

ومنه قوله :[5][مخلع البسيط]

عرِّجْ على الزَّهرِ يا نديمي ومِلْ إلى ظلِّهِ الظَّليلِ

---

١ : الفوات ٤ : ٣٧٩ .
٢ : الفوات ٤ : ٣٧٩ .
٣ : الفوات : قلبك العاني ترى .
٤ : الفوات ٤ : ٣٧٩ .
٥ : الفوات ٤ : ٣٨٠ .

فالغصنُ يلقاكَ بابتسامٍ والرِّيحُ تلقاكَ بالقبولِ (١)

ومنه قوله: (٢) [مجزوء الكامل]

الزهرُ ألطفُ ما رأيـ ـتُ إذا تكاثرتِ الهمومْ
تحنو عليَّ غصونُهُ ويرقُّ لي فيه النَّسيمْ

ومنه قوله، وقد استسقوا فلم يُسقوا: [الكامل]

لما بدا وجهُ السماءِ لهم متجهّماً لم يُندِ أنواءَ
قاموا ليستسقوا الإلهَ لهم غيثاً فما أسقاهم الماءَ

ومنه قوله في عاملٍ كان بالجامع المعمور، سعى في تأخير رواتب النَّاس : [الكامل]

أضحَى بديوانِ المصالحِ عاملٌ ما سرَّني أن ليس فيه سنانُ
بَطُلت رواتبنا عليه وإنَّما قد قام في بُطلانها البرهانُ

ومنه قوله: [الكامل]

عرِّج بوادي النَّيْرَبينِ بنا وقِفْ فيه بحيث تلاقت الغزلانُ
وانظر إلى جنّاته العَليا التي شبَّ القضيبُ بها وشابَ البانُ

(١٢٠) ومنه قوله : [البسيط]

يا سيِّدي شرفَ الدين الجوادَ أتت إليك أبكارُ أفكاري ولم تَقِفِ
فهاكَ ألفاظها إن لم تكن دُرراً فإنَّها أنجمٌ سارت إلى الشّرفِ

ومنه قوله: [المجتث]

---

١ : الفوات : فالزهر يلقاك .

٢ : الفوات ٤ : ٣٧٩ .

يـا ذا الـنَّـدَى والمـعـالـي نسـيـتَ وعـدي شـهـورا
قـد كـنـتَ تَـنْـسَى قـلـيـلاً فـصـرتَ تَنْسَى كـثـيـرا

ومنه قوله: ملغزاً في فحم: [الوافر]

ومـا أحـوىً له قـدٌّ إذا مـا أردنا وصْـفَـهُ قلنا قـضـيـبـا
تبـيـت بـه الـقـلوبُ إذا قـلاها على جـمـرٍ يـذيـبُ به القلوبا
أحِنُّ إليـه إن هبَّت شـمـالاً وأذكـره إذا هـبَّـت جـنـوبـا
به خَـرْقٌ وبـي خُـرَقٌ إليـه وأرجـو أن أُزادَ بـه لـهـيـبـا
وكـم أبـدى لنـا نـاراً يـبـيـسـاً وقـدمـاً كـان يـخـفـيـهـا رطيـبـا
عـريـقُ الأصـل سـوَّده أبـوه ولـم يكُ فـي مـغـارسـه نجـيـبـا

ومنه قوله: [الكامل]

يا حـسنَهُ في الجـيـش حين غـدا يـخـتـالُ بين الـسُّـمْـرِ والقُـضْـبِ
لـم ألـقَ أحْـلَـى مـن شـمـائـلـه فـي الـعـينِ لمـا سـارَ فـي الـقـلـبِ

ومنهم:

٤٠- محمدُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيم بن الخضرِ، الطبريُّ*

الآمليُّ المحتد، الحلبيُّ المولد، المهذَّبُ، أبو نصرٍ الحاسب. حاسبٌ لو شاء لأحصَى الأرض مساحة، وقسّم البرّ والبحر بالراحة، لا يعزب عنه في الحساب مثقال ذرَّة، ولا في السحاب إذا أراد عِدَّةَ قطرةَ. لو همَّ بجمع رمل عالج لأحصاه، أو حصر شجر ضارج لاستقصاه. ذكيٌّ فهم، وطالبُ علمٍ نهمٍ. لا يشوب

الانتقامُ عفوَه، ولا يكدِّر ما في ضريح الغمام صَفْوَه. تخيَّلَهُ المصدَّقُ المكذَّب، وشعره وافق اسمه المهذَّب. لو رقا الصخرَ للانَ له قاسيه، أو دعا الجليلَ لخضع له راسيه. (١٢١) لو زاد المطرُ لأمسكَ عقوده الواهية، أو صاد الحجرَ لأنبطه عيوناً جارية. وأنشد له ابن سعيد: [الطويل]

جُننْتُ فعوَّذني بكتبكَ إن لي ... شياطينَ شوقٍ لا يفارقنَ مضجعي
إذا استرقت أسرارُ وجدي تمرداً ... بعثتُ عليها في الدُّجَى شهبَ أدمعي

ومنه قوله: [السريع]

هذا هلالٌ كهلالِ الدُّجَى ... من شَعره قد لاح في غيهبِ
إن عطفَ الصُّدغُ على خدِّه ... فانظر إلى المرِّيخ في العقربِ

ومنه قوله: [السريع]

وشادنٍ أبصرتُهُ راكباً ... في كفِّه جوكانُهُ يلعبُ
كالبدرِ فوقَ البدرِ في كفِّه ... هلالُهُ والكرةُ الكوكبُ

ومنه قوله: [البسيط]

وشادنٍ ذي عذارٍ كنتُ أعشقُهُ ... فَصَارَ يُحلقُ لما طغى الشَّعَرِ
فاليومَ قد زار موسى طور عارضِهِ ... وكان بالأمس في أرجائِهِ الخَضِرُ

ومنه قوله: [الكامل]

ومهفهفٍ ريحانُ نبتُ عذاره ... في وردِ خَدّيه الجنيِّ الأحمرِ
أصلى بنارِ الخدِّ عنبرُ خالِهِ ... فبدا العذارُ دخانَ ذاك العنبرِ

ومنه قوله: [الكامل]

ومعودٍ صيدَ الطيورِ بكاسرٍ ... والعاشقينَ بكسرِ طرفٍ لائحِ

هيــهــاتَ أفلتُ من هوى مـتـقنِّصٍ أبداً بجــارحـةٍ يصــيــدُ وجـارحِ

ومنه قوله في مليح يعمل التكك :[السريع]

يـا بائعَ التِّكَّةِ في ســوقِــه مــحكمــةً بالظفــرِ والعــقــدِ
مــا حــاجــتي إلا إلى تكَّةٍ تحـلُّهــا في خلـوةٍ عـنـدي

ومنهم :

٤١- نورُ الدين الأسْعرديُّ*

ذو سخفٍ حجَّ ابنَ الحجاج، وهبَّر ابن (١٢٢) الهبّارية، ألبدَ البديعَ الهمدانيَّ، وهرّ نافخاً في وجه الوهراني. وأتى بكلِّ حلو إحماضُه، وبكلِّ تبسُّمٍ إيماضه، لو هزأ بالنّجومِ لأطفأ مصابيحها الزَّاهية، أو هجا البَدْرَ المنيرَ لرماه بداهية.

وكانت بينه وبين بني العديم مودةٌ ما تقطَّعت أسبابها، وتصرَّمت لهم أيامٌ مضى طيبُها وبقيت آدابُها. ومما أنشده له ابن سعيد :[الطويل]

ولم أرَ شـمـسـاً قـبلها في زجـاجـةٍ مكلَّلةٍ من نفــســهــا بنجــومِ
وتـنظر من ســتــرِ الزجــاج كــأنهـا سَنا البــرقِ يبــدو مـن دقـيقِ غـيـومِ

ومن شعره قوله يعتذر عن هفوةٍ، وكان قد أضرّ :[الوافر]

أيــا مــلــكــاً لــه ظـلٌّ ظـلــيــلٌ يُقــالُ به ويولي كلَّ نُعــمى
أقلني إن عــثــرتُ أريكَ ســهــواً فــأولى مــا يُقــالُ عِــثــارُ أعـمى

* فوات الوفيات ٣: ٢٧١ .

وقوله:(١)[الطويل]

سباني معسولُ المراشفِ عاسلُ الـ … معاطف مصقولُ السوالف مائدُ
يرومُ على أردافه الخصرُ مسعداً … «إذا عَظُمَ المطلوبُ قلَّ المساعدُ»(٢)

وقوله:[السريع]

قال وقد قصَّرْتُ في نيكهِ … سُدَّ فضا مبعري الواسعِ
فقلتُ يا مولايَ عذراً فقد … «اتَّسعَ الخرقُ على الراقعِ»

وقوله:[البسيط]

وجئتُهُ طائعاً أبغي البرازَ له … فقال: دعني فقد ضاقت بي الحِيلُ
فقلتُ صبراً على ما قد بليتَ به … فظلَّ ينشدني والدمعُ ينهملُ
يحتاجُ من عرف الجمَّال منزلةً … يوسِّعُ البابَ حتى يدخل الجَمَلُ

وقوله:[المتقارب]

سألتُ الوزيرَ أتهوى النِّساءَ … أم المُرْدُ جاروا على مُهْجَتِكْ
فقال وأبدى الخلاعةَ لي … كذا وكذا قلتُ: من زوجتِكْ؟

وقوله:[البسيط]

لما ثنى جيدَه للسكرِ مضطجعاً … وهْناً ولولا شفيعُ الرّاحِ لم ينم
(١٢٣) دببتُ ليلاً عليه بعد هجعتهِ … شكراً فَقُلْ في دبيبِ النّورِ في الظُّلمِ

وقوله:[المجتث]

هذا النَّصيرُ عجيبٌ … يا وَيْحَهُ كم ينيكُ

١: الفوات ٣: ٢٧٣.

٢: العجز للمتنبي، وصدره: وحيد من الخلان في كل بلدة. ديوانه ٣١٩.

مــــــــــــــؤذِّنٌ لا يــصــلِّــي كـــــــأنَّمـــــــا هـو ديـكُ

وقوله :[الخفيف]

قلتُ يومــــاً للصـــــدر هل تُثْـ بتُ البَـعْثَ وتنفي إنكارهم للحشـرِ
قــال :أثبتُ. قلتُ: ذقنُكَ في اســتي قـال: أنفي فـقلت: في وسط جحـري

وقوله :[الخفيف]

لا تقــولوا تدري النَّصــارَى حــســاباً ليس تـدري غــيــر علـم الخـبــاثـهْ
كـيف يدري الحـســابَ من جـعلَ الوا حِـــدَ ســبـــحـــانَهُ بجــهـلٍ ثلاثـهْ

ومنهم:

٤٢- جمالُ الدين بنُ خطلخ، الأمويُّ

فـرعٌ من ذلك الأصـل سمق، وجـوادٌ على العِرْقِ سبق. بقيـةٌ من علومٍ بهـا الأعـداءُ أقرّت، وحلومٍ مثل الجبال استـقرّت. نطق فأبانت أمويته عن أنسابهـا، وأنابت قريش لآدابهـا، وأنامت معدَ لا تسفه أحلامُهـا، وأنالت كنانةَ ما تخفق عليه أعلامها. ونفحُ محاضرةٍ من عبدِ شمس هاشم، ولَحَا مجالسة من قصيٍّ قُصارَى كل اسم. ومن شعره ما أنشده له ابن سعيد ، وهو قوله:[السريع]

صــــابونُـهُ في راحـــــتي منـعمٌ أصـــبـحت السُّحْبُ له حُـسَّـدا
تلاطَمَ البــحــرانِ في صــدرها فـــأصـــبحَ الموجُ بهـــا مُـــزبدا

ومنهم:

٤٣- يحيى بنُ يوسفِ بنِ يحيى، الصَّرصريُّ، الفقيهُ، الحنبليُّ*

فقيهٌ أديبٌ، ومحبٌّ ما مثلُ حبيبه حبيب. جعل المدائحَ الشريفةَ النبويّة -زادها الله شرفاً- فري قريحته، ودأبَ أيامه، في مسائه وصبيحته. ملأ صحائفه بحسناتها، وملأ بطيبها أسماعَ حُداتها، حتى عرف بولوج ذلك الباب، وولوع قلبه بما تتهافت عليه الألباب، وقَرّ في كلِّ خاطرٍ هيامه بساكن ذلك الحمى، وقيامه في كنف الذي به احتمى. وكان منورَ البصيرة، وإن أظلم منه البصر، طويلَ الباعِ (١٢٤) في وصف هواه وإن اقتصر. بانَ شوقاً إلى المحلِّ النازح، ويحنُّ إلى من حنَّت إليه المطيُّ الرَّوازِح. وكان من الفقهاءِ الحنابلة المبالغين، وقصيدته العينيةُ التي أولها:[١][الطويل]

تواضَعْ لربِّ العرشِ علَّكَ تُرْفَعُ

ناطقة، وحلَّلَ الإطناب في محاسنه. هذا إلى مالا شكٌّ فيه، ولا ريبَ في فضله الذي لا يدّعي مكثرٌ أنه يُوَفِّيه، مما كان به من ثوب الصَّلاح مرتدياً، وإليه من حُسْنِ الثوابِ مهتدياً.

وقد وقفت له على مدائحَ ليست من المشرفات المحمدية، ولا مما تقي نار الخطوب كراماتها الأحمدية. ومن طُرَرِه المقومِ للتشريف المنظوم في المديح الشريف، قوله:[٢][البسيط]

يا سائقَ الرَّكبِ لا تعجل فلي أربٌ فوقَ الرَّواحِلِ حالت دونه الحجبُ

---

* مقدمة ديوانه بتحقيق مخيمر صالح.

١: ديوانه ٢٧٩-٢٩١.

٢: ديوانه ٣٠-٣١.

لعلّ بدرَ الدُّجَى يُرْخي اللِّثـــامَ لنا عن عـارِضَـيْـهِ فـيشـفَى الوالـهُ الوَصِبُ
مــــاذا عـلـى ظاعـنٍ شطَّ المزارُ بـه لـو أنَّهُ في الـدُّجَى يدنـو ويقـــتـــربُ
أحبـابنا إن تـكن أيدي النَّوَى عـبـثت بشـمـلنا فـهـو بالتـفـريق منتـهـبُ
فـإنَّ حـبَّكمُ وسطَ الحُـشـاشـةِ لا تـنالُـهُ غـيَــرُ الأيـام والنُّـوَبُ
هلاّ عطفـتم على صبٍّ بكم فـعلت به سَطَا البينِ مـالا تفـعلُ القُـضُبُ (١)
فـؤادُهُ نازحٌ مـسـتـأنسٌ بكـم وجـسـمُـهُ وهو بين الأهلِ مـغـتـربُ
ما هبَّ من نحوكم في الصُّبحِ نشرُ صَباً إلا وهَزَّ إليـكـم عـطـفَـهُ الطَّـربُ
ولا تـرنَّـم قُـمـريٌّ عـلـى فـنَنٍ إلا وظلَّ من الأشـواقِ ينتـحبُ
يحنُّ نحـو الحِـمَى إذ تنزلون بـه وليـس بينهـمـا لو لاكُمُ نسبُ
وإن جـرَى ذكـرُ سلعٍ في مـسـامعـه فـإنه لدواعي وجـده سـببُ
سَـحَّت غـمـائمُ أنوارِ المزيدِ على قـبابه البيضِ سحّاً دونه السُّحُبُ (٢)
فـهي الشِّـفـاءُ لأسـقـامي وسـاكنُهـا هـو الحـبـيبُ الذي أبغي وأطَّلبُ
يا ناقـتي لا تغـشَّـاكِ الضَّـلالُ ولا مسَّ القـوائمَ منك الأَيْنُ والنَّصَبُ
سـيـري إلى أن تحلِّي ربعَ أفـضـلِ مَنْ في الأرضِ شُـدَّ إلي أقطارِهِ القـتـبُ
مـحـمـدٌ خَـيْـرُ مـبـعـوثٍ برحـمـةٍ من خـيـرِ بيتٍ عليـه أجـمعَ العَـرَبُ
(١٢٥)عفٌّ كريمُ السجايا من سُلالةِ إبـ راهيـمَ أكـرمُ خلقِ الله منتـجبُ
مـهـذَّبٌ طاهرٌ طابت أُرومَـتُـهُ وطـابَ بـين الـورى أمٌّ لـه وأبُ
به هَدَى اللهُ قـومـاً صـدَّهم سَـفَـهـاً عن الهدَى الخَمْرُ والأزلامُ والنّصَبُ (٣)
أتاهُمُ بـكـتـابٍ صـدَّقَ الصُّحُفَ الـ أُولى كـمـا صـدَّقت آياته الكتُبُ
فـأَخْـرَجَ النـاسَ من ليلِ الضّلالِ به إلى صـبـاحِ رشـادٍ ليس يحـتـجبُ

---

١ : الديوان : لولا عطفتم . . . شطا البين .

٢ : الديوان : سحّت مزائد .

٣ : الديوان : هدى به الله .

دعـا إلى اللهِ ربِّ العـرشِ وهـو على بصـيـرةٍ لا يغطِّي نورَهـا الرِّيَبُ

وقوله:(١)[الخفيف]

لو وَفَى مـولَعٌ بليٍّ العِـدات لم تخنِّي الدمـوعُ بين العُـداة
ناظرٌ بالبكاءِ أضـحَى حسـيـراً وَحَشـاً تنطوي على الحسـراتِ
أتمنَّى أرضَ الحجـازِ ودوني حـاجـزٌ من صـوارفِ النائبـاتِ
كلَّمـا أهْدَت النسـيمُ عـبـيـراً من رُباها أجـودُ بالعـبـراتِ
آهِ للبـارقِ التِّـهـاميِّ أذكَى لي على أبرقِ الحـمى زفـراتي
طال شـوقي إلي منازلَ فـيـهـا يقـصـرُ الهمُّ مـثلَ قَصْرِ الصلاةِ
فوق خُوصٍ تفري جيوبَ الدياجي باجـتـيـاب المهـامـهِ المقـفـراتِ
طالبـاتٍ البـرِّ في قطعـهـا البْـرَ وفلي البـيـداءِ والفلواتِ(٢)
فـهي في الآلِ كـالأجـادلِ تهـوي بل تُرى كـالجـادلِ المشـرفـاتِ
وإذا مـا وَنَتْ تعـرَّض حـاديـ ـها بذكـرِ الحِمَى غَدَت طائراتِ(٣)
فـهي تطوي صـعبَ الفـلاةِ بأسـرا رِ الهـوَى لا بطيـبـةِ النغـمـاتِ
وعليـهـا شُـعْثُ النَّواصي تواصَـوْا في سـبـيل الهدَى بحسنِ الثبـاتِ
وأجـدّوا بمسـجـدِ الخـيفِ عـهـداً وأقـامـوا للرمي بالجـمـراتِ
ثـمَّ حلَّت بأرضِ طيـبـةَ ربعـاً فـيـه أضـحت مـعـادنُ الطيِّـبـاتِ
النبيُّ الهـادي البـشـيـرُ أبو القـا سمِ ذو البـيِّنـاتِ والمعـجـزاتِ

وقوله:(٤)[الكامل]

---

١ : ديوانه ٥٩-٦٠ .

٢ : الديوان : (في) سقطت .

٣ :الديوان : فعرّض .

٤ : ديوانه ١١٧-١١٨ .

(١٢٦) لي بينَ سلعٍ والعقيقِ عهودُ بَلِيَ الشَّبابُ وذكرُهنَّ جديدُ[١]
أيّامَ أرفلُ في جلابيب الصِّبا وَعليَّ من خِلَعِ الوصالِ برودُ
كلُّ الليالي للمحبِّ بجوِّه ليلُ التمامِ وكلُّ يومٍ عيدُ
إنَّ امرأً يمسي ويصبحُ عاكفاً بجنابه العطرُ الثَّرى لسعيدُ
تُدنيه بالآمالِ أحلام الكَرَى منّي وإنَّ مزارَه لبعيدُ
إن متُّ من شغفي به وصبابتي فقتيلُ أسياف الفراقِ شهيدُ
كيفَ اللِّقاءُ ودونَ من أحْبَبْتُهُ وَعْرُ الحجازِ ومن تهامةَ بيدُ

وقوله:[٢] [الخفيف]

يا وُلاةَ الفلا ذميلاً وَوَخْداً كيف خلَّفتُمُ العُذَيبَ ونجدا[٣]
هل جرى بعدنا النسيمُ مريضاً في ثراهُ فهزَّ باناً ورندا
أم كست من رُباهُ أيدي الغوادي كلَّ عطفٍ من الأزاهيرِ بُردا[٤]
خبِّروني كيف الحجازُ وهل مَرْ رت بأعلامه الرّكائبُ تُحدا[٥]

وقوله:[٦] [البسيط]

ماذا أثارَ بقلبي السَّائقُ الغَرِدُ لما انبرت عيسُهُ نحو الحِمَى تَخِدُ[٧]
وددتُ لو أنني أصبحتُ متّبعاً آثارَها أردُ الماءَ الذي تردُ

١: الديوان: سلع والقباب.
٢: ديوانه ١٠٧.
٣: الديوان: الغوير ونجدا.
٤: الديوان: أم كست رباه.
٥: الديوان: هل.
٦: ديوانه ١٠٩–١١٠.
٧: الديوان: لما غدت.

أهوَى الحــجــازَ ولولا ســاكنوه لما ... حــلا بنجــدٍ لي التَّــهــجــيــرُ والنَّجــدُ
ولا اطَّبــانيَ بـرقٌ في أبـارقِــه ... كــأنه صــارمٌ فـي مــتنه ربدُ (١)
هل من سـبـيلٍ إلى ذات السُّــتـورِ ولو ... أنَّ الظُّبــا والقنا من دونهـا رَصَدُ (٢)
فــفي هواها قـليلٌ أن يُطَلَّ دمي ... وكـم لهــا من قــتــيلٍ مــا له قَــوَدُ
وبالعــقــيق حــبــيبٌ لـو بذلتُ لـه ... روحي لكان يسـيـراً فـي الـذي أجدُ

وقوله :(٣)[الكامل]

ذَكَـرَ العـقـيق فـهـاجَـهُ تذكـارُهُ ... صـبٌّ عن الأحــبــابِ شطَّ مــزارُهُ
وَهَـفَتْ إلـى سـلـعٍ نـوازعُ قـلـبِـه ... فــتــصــرَّمت بين الجــوانحِ نـارُهُ
(١٢٧) شغـفـاً بمـن ملكَ الفؤادَ بـأسره ... وبـودِّه أن لا يـفـكَّ إســارُهُ
يـا مَنْ ثَوَى بين الجــوانحِ والحــشــا ... مـنـي وإن بـعــدت عـلـيَّ ديـارُهُ
عـطفــاً على قلبٍ بحــبِّكَ هـائمٌ ... إن لـم تصلهُ تقطَّعت أعــشـارُهُ (٤)
وارحم كـئـيـبـاً فـيك يقـضي نحـبَهُ ... أسـفـاً عليك ومـا انقـضت أوطارُهُ
مـا اعـتـاضَ من سُمـرِ الحـمَى ظلاًّ ولا ... طابت بغـيـرِ حـديثكم أسـمـارُهُ (٥)
هل عـائدٌ زمنٌ تضـوَّع نـشـرُهُ ... أرجـاً ورقَّتْ بالرِّضى أشـجـارُهُ (٦)
يحـمي النَّزيلَ وكـيف لا يحـمي وقـد ... حُــفَّت بجـاه المصطـفـى أقطـارُهُ

وقوله :(٧)[الكامل]

١ : اطّباني : شدّني واستمالني . وربد السيف جوهره .
٢ : الديوان : أن القنا والظبا .
٣ : ديوانه ١٣٩ .
٤ : الديوان : تصدعت أعشاره .
٥ : الديوان : عن سمر .
٦ : الديوان : هل عايد .
٧ : ديوانه ٢٣٧-٢٣٨ .

سُلوانُ مـثلكَ للمـحبِّ عـزيزُ وعليـكَ لومُ الصَّبِّ ليس يجـوزُ
قلبي ذلولٌ في هواكَ ومسـمعي فَلَـهُ عن اللُّوَّام فـيكَ نشـوزُ
يا مَنْ شأى بجماله شمسَ الضُّحَى ولـقـدِّه دانَ القنا المهـزوزُ
هل للمتـيَّمِ في وصالك مطمعٌ فلعلَّهُ بالقُـربِ منكَ يفـوز
أنا عـبـدكَ الرّاضي بِرِقِّي فـارْضَني عـبـداً فلي في ذلك التمـييـزُ
لا عـارَ يلحقُ في هواكَ لعـاشقٍ ومحبُّ غيرك عِرضُهُ مغموزُ[1]
لا أدَّعي فيك الغرامَ مغمغماً في مثلِ حُبِّكَ يكشفُ المرموزُ
نَظْمُ القريض بمدح غيرك نقدُهُ زيفٌ ونظمُ مديحكَ الإبريزُ[2]
كلُّ العَروضِ بحسنِ مدحكَ كاملٌ يحلو به المقصورُ والمهموزُ

وقوله:[3][الكامل]

إن بانَ من تهوى وأنت مثبَّطٌ وصبرتَ لا تبكي فأنت مفرِّطُ
فاحلل عقودَ الدَّمعِ في دار الهوى فلهـا البكاءُ عليك حقٌّ يُشْـرَطُ[4]
طَلُّ الدموعِ على ثَرَى الأطلالِ في شرعِ الغرامِ فريضةٌ لا تسقطُ
دارٌ عَلِقْتَ بها وفودُكَ فاحمٌ أفتنثني عنها ورأسُكَ أشمطُ
كيف التَّسلِّي عن هَوَى بدرٍ له في القلبِ منِّي منزلٌ متوسِّطُ[5]

(١٢٨) وقوله:[6][الكامل]

---

١ : الديوان : بعاشق .

٢ : الديوان : لغير مدحك .

٣ : ديوانه ٣٣٦ .

٤ : الديوان : حقاً .

٥ : الديوان : هوى قمر .

٦ : ديوانه ٣٠٢ .

لومُ المحبِّ عليكَ ليس يسوغُ ... فَلِمَ العذولُ عن الصَّوابِ يروغُ
يتجرَّعُ المشتاقُ فيك تستُّراً ... غُصَصَ الملامِ ولا يكادُ يسيغُ

وقوله: (١) [الوافر]

دموعَ العينِ موعدُك الفراقُ ... هنالكَ ما خَزَنْتِ أسىً يراقُ (٢)
أيا ركبَ الحجازِ هُديتَ رِفقاً ... بقلبٍ هائمٍ معكم يساقُ
عجبتُ له يحلُّ بذاتِ عرقٍ ... بهمَّتِهِ ومنزِلُهُ العراقُ
ويسكنُ أرضَ نعمانَ اشتياقاً ... ولم تشعر بمسراه النياقُ

وقوله: (٣) [الكامل]

من غيرِ سُنَّةِ حبِّهم خُذْ واتْرُكِ ... وسِوَى طريقِهم تَعَدَّ أو اسْلُكِ
واصبرْ على فتكاتِ صارمِ حبِّهم ... لا فَخرَ للهنديِّ إن لم يفتكِ
والبس بهم ثوبَ النُّحولِ فإنَّه ... لا يخلصُ الإبريزُ إن لم يُسبَكِ
شرفُ القلوبِ دخولُها في رِقِّه ... والعبدُ يحوي الفخرَ بالمتملِّكِ (٤)

وقوله: (٥) [البسيط]

ركبَ الحجازِ ومنكَ الخيرُ مأمولُ ... هل عندكَ اليومَ للمشتاقِ تنويلُ
هل ربَّةُ السِّتْرِ بعدَ النَّأي دانيةٌ ... أم حبلُها بعد طول القطعِ موصولُ
أم هل تحلُّ مطايانا بساحتِها ... وربعُها الرَّحبُ بالأحبابِ مأهولُ (٦)

---

١ : ديوانه ٣٣٦ .
٢ : الديوان : خزنت دماً .
٣ : ديوانه ٣٦١ .
٤ : الديوان : في رقهم .
٥ : ديوانه ٣٩٦ .
٦ : الديوان : وهل تحل .

يَلبزنَ صُمَّ الحصا لبزاً كأنْ دمُها خطٌّ عليه فمنقوطٌ ومشكولُ
تحنُّ شوقاً وأنَّى لا تحنُّ إلى حِمَى الرسولِ النجيباتُ المراسيلُ
حللتُها فَحلاً عندي الغرامُ بها ثم انصرفنَ وفي قلبي عقابيلُ

وقوله:(١)[البسيط]

أحبابَنا إن وَنَتْ عنّي رسائلكم فإنَّ أنفاسَ وجدي نحوكم رُسُلُ
(١٢٩) وإن تشاغَلَ غيري عنكُمُ بهوىً فما لقلبي سوى تذكاركم شُغُلُ

ومنهم:

٤٤- الحسامُ الحاجريُّ*

وهو أبو الفضل، عيسىَ بنُ سُنْجُرِ بنِ بهرامِ بنِ جبريلِ بنِ خمارتكين بنِ طاشتكين، الإربليُّ. ممن تسمَّى في الأفراد، ويُنْمَى في نسبه إلى الأكراد. وكان من أهل الجنديَّة وذوي الفضل.

ولابن خلكان به صحبة، وكان يكثرُ في سوم شَعره، ويؤثرُ السحر من شِعره. وقُتل بعد الثلاثين وستمائة. رزق عليه بعضُ أعدائه، وزرَّ عليه طوقاً من القتلِ سلبه من ردائه. وشِعْرُهُ سهل الخلائق، دمثُ الجانب، كأنَّه الرَّوضُ دبَّجت الشقائق. ومنه قوله:(٢)[الكامل]

لِمَ لا يشنُّ على فؤادي غارةً والخدُّ من زردِ العذار ملبَّسُ

---

١ : ديوانه ٣٩١

* التذكرة الفخرية ١٩٧، ووفيات الأعيان ٣: ٥٠١.

٢ : ديوانه ٩.

يتنفَّسُ الصُّعداءَ قلبي كلما عاينتُ صبحَ جبينه يتنفَّسُ[1]
مَلَكَ الفؤادَ بعارضٍ وبمقلةٍ حارَ البنفسجُ فيهما والنَّرجسُ
كيف السبيلُ إلى السُّلُوِّ ولي حشاً أضحى يقوم بها الغرام ويجلسُ
قد صيَّر الخدَّ البكاءُ حفائراً فإذا جرت فيه المدامعُ تيبسُ
لا تخشَ ثأراً حيثُ خدُّكَ ناطقٌ يدمَى عليكَ فلي لسانٌ أخرسُ

وقوله:[2] [الطويل]

بحقِّكمُ يا جائرينَ تعطَّفوا فقد رقَّ لي من هجركم كلُّ شامتِ[3]

وقوله:[4] [الخفيف]

جَسَدٌ ناحلٌ وقلبٌ جريحُ ودموعٌ على الخدود تسيحُ
وحبيبٌ جَمُّ التَّجنِّي ولكن كلُّ ما يفعل المليحُ مليح[5]

وقوله:[6] [الطويل]

ولم أنْسَه كالبدْرِ ليلةَ زارني يميسُ كغصنِ البان وهو رطيبُ
فَبِتْنا ولا واشٍ سوى طيبِ نشرهِ علينا ولا غيرَ النجومِ رقيبُ

وقوله:[7] [الكامل]

---

١ : ليس في الديوان .
٢ : ديوانه ٥٨ .
٣ : الديوان : من جوركم .
٤ : ديوانه ٦ .
٥ : الديوان : مرُّ التجني .
٦ : ليس في الديوان . التذكرة ٢٠٠ .
٧ : ديوانه ١٨ .

وعلى الكئيبِ ولا أُصرِّح بالهوى من لا يلمُّ بقلبه الإشفاقُ[1]

(١٣٠) ما كنتُ أعلمُ قبلَ يومِ فراقهم أنَّ الحِمامَ قطيعةٌ وفراقُ

وقوله:[2] [الطويل]

رعى اللهُ ليلاتٍ بطيبِ حديثكم نقضَّت وحيّاها الحيا وسقاها

فما قلتُ إيهاً بعدها لمسامرٍ من الناسِ إلا قال قلبي آها[3]

وقوله:[4] [الطويل]

وبي ثملٌ ما ماسَ إلا وأطرقت حياءً له السُّمْرُ الذّوابلُ والقُضْبُ[5]

يعاتبني والذَّنبُ في الحبِّ ذنبُهُ فيرجعُ مغفوراً له وليَ الذَّنبُ

وقوله:[6] [الخفيف]

قلتُ لما بدا يرنِّحُ عطفَيْـ ـهِ كغصنِ الأراكةِ الميّادِ

قد سرقت الرُّقادَ قال مجيباً ليس هذا بدعاً من الأكرادِ

وقوله:[7] [الوافر]

أسائقَها إلى العَلَمَيْنِ قصداً يُبيدُ البيدَ قُرباً مثلَ بُعْدِ

حذاراً إن وصلتَ بها المصلّى من البلوى فداءُ الحبِّ يُعدي

---

١ : الديوان: الكئيب الفرد صرَّح بالهوى .

٢ : ديوانه ٥٦ .

٣ : الديوان: إيهٍ .

٤ : ديوانه ٦٠ .

٥ : الديوان: اللدن الذوابل .

٦ : ديوانه ٣٠ .

٧ : ليس في الديوان .

وقوله:[1][الكامل]

لـلـه درٌّ لـواعـجٌ أودعـــــتَـنـي يومَ الغـــويرِ ضُـحىً وأنتَ مـودِّعي
سـأُعلِّمَنَّ النَّوْحَ كلَّ حـمـامـةٍ ثكلَى وفـرطَ الوجـدِ كلَّ مـفـجَّعِ

وقوله:[2][الوافر]

عـذارٌ في الغـرامِ أقـام عـذري شُـغـفتُ بحبِّـهِ وهتكتُ سِـتري[3]
أيا شـمسَ الملاحـةِ كلُّ صبٍّ يشـاهَدُ من جـفـونك يومَ بدرِ[4]

وقوله:[5][الوافر]

أتـظعـنُ والذي تهـوَى مـقـيـمٌ لعـمـرُكَ إنَّ ذا خطرٌ عظيـمُ
إذا مـا كـنتَ للحـدثانِ عـوناً علـيكَ وللزمـانِ فـمـن تـلومُ

وقوله:[6][الطويل]

ولمّا ابتُلي بالحبِّ رقَّ لشـقـوتي ومـا كـانَ لولا الحبُّ ممن يرقُّ لي
(١٣١) أحبَّ الذي هام الحبيبُ بحبِّهِ ألا فـاعـجـبوا من ذا الغـرامِ المسلسلِ

وقوله:[7][الطويل]

تعـشَّقَ من أهوى فـأصْبَـحْتُ ذا هوىً جـديرٌ بمن يهـوى الحـبـيبُ ويعـشق

---

١ : ليس في الديوان .
٢ : ديوانه ٣٣ .
٣ : الديوان : عذارك والقوام ... شغفت به وفيه هتكت .
٤ : الديوان : كن لصب يعاين من لحاظك حرب بدر .
٥ : ليس في الديوان .
٦ : ليس في الديوان .
٧ : ليس في الديوان .

وأعـــجـبُ من ذا أن قلبي مـــوثَّقٌ كـــذا من له قلبٌ بآخـــرَ مـــوثقُ

وقوله:(١)[السريع]

قلتُ لمحـــبـــوبي وقـــد مَـــرَّ به مـــحـــبـــوبُهُ كـــالقـــمـــرِ السَّـــاري
هذا الذي يأخـــــذُ لي طـرفُـــــهُ من طرفكَ الفـــتَّـــانِ بالثَّـــارِ

وقوله:(٢)[الكامل]

ومــهــفــهــفٍ من شَعـــرِهِ وجــبــينه تغـــدو الورى في ظلمـــةٍ وضـــيـــاءِ
لا تُنكروا الخـــالَ الذي في خـــدِّهِ كلُّ الشّـــقـــيقِ بنقطةٍ ســـوداءِ

وقوله:(٣)[السريع]

ومن غـــرامي فـــيـــه قـــال الورى مـــا جُنَّ قـــيسٌ مـــثل هذا الجنونْ
كلِّي لســـــانٌ عند تذكـــارِهِ وجُـــملتي عند التـــلاقي عـــيـــونْ

وقوله:(٤)[الكامل]

أضحَى ليوسفَ في الجمال خليفةٌ يخـــشـــاه كلُّ العـــاشـــقين إذا بدا
عـــرِّجْ مـــعي وانظرإليـــه لكي ترى فـي خـدِّهِ عَلَـمَ الخـــلافـةِ أسـودا

وقوله:(٥)[الكامل]

مـــا زال يحلفُ لي بكلِّ أليَّـــةٍ أن لا يزالَ مـدى الزمـانِ مـصـاحـبي
لما جَـــفَـــا نزل العِـــذارُ بخـــدِّهِ فـتـعـجّـبـوا لسـوادِ وجـهِ الكاذبِ

---

١ : ديوانه ٨١ .
٢ : ليس في الديوان . الوفيات ٣ : ٥٠٢ .
٣ : ليس في الديوان .
٤ : ليس في الديوان .
٥ : ليس في الديوان. الوفيات ٣ : ٥٠١ .

وقوله :[1][الوافر]

سَقَى عهدَ الصِّبا غادٍ ملثٌّ ... ولا حَيَّا بياضَ العارضَيْنِ
فمذ خطَّ المشيبُ عدمتُ صحبي ... لقد كان المشيبُ غرابَ بينِ

وقوله :[2][الخفيف]

كذب القائلون بابلُ أرضٌ ... هي اسمٌ من بعض تلك العيون

(١٣٢) وقوله :[3][السريع]

لَوْ لَمْ تكن وجنتُهُ جنَّةً ... ما أنبتت ذاك العذارَ الأنيقْ
واعجباً يفعلُ بي في الهوى ... ما تفعل الأعداءُ وهو الصديقْ

وقوله :[4][الكامل]

ومهفهفٍ عبث السَّقامُ بجفنه ... وسَرَى فَخَيَّمَ في معاقلِ خصرهِ
مزّقتُ أثواب الظلام بثغره ... ثم انثنى فَرَفَوْتهنَّ بشعرهِ

وقوله : الصَّواب أنها لابن سهر بن العباس الصولي :[5][الطويل]

دنت يا ناس عن بابي زيارة ... وشطَّ بليلي عن دنوٍّ مزارُها
وإنّ مقيماتٍ بمنعرجِ اللِّوى ... لأقربُ من ليلي وهاتيكَ دارُها

وقوله :[6][المتقارب]

---

١ : ديوانه ١٦ .

٢ : ليس في الديوان .

٣ : ديوانه ٣٥ .

٤ : ليس في الديوان .

٥ : كذا في الأصل . وعبارة : الصواب ... . كتبت بخط مغاير . وهي ليست في الديوان .

٦ : ليس في الديوان .

بُليتُ بذي جفوةٍ جائرٍ وماذا احتيالي ورقِّي لديه
أراه فأدعو له خيفةً وأخلو بنفسي فأدعو عليه

وقوله:[1][الكامل]

ووقفتُ قلبي المستهامَ على الهوى طوعاً وكلُّ متيَّمٍ مطواعُ
يا غيرَ حبِّ العامريَّةِ لا تَسِم قلبي فإن الوَقْفَ ليس يُباعُ

وقوله:[2][الكامل]

لا تعجَبَنْ يا عزَّ إن ذلَّ الفتى ذو الأصلِ واستعلَى اللئيمُ المعتدي
فكذا البُزاةُ رؤوسُهنَّ عواطِلٌ والتاجُ معقودٌ برأسِ الهدهُدِ

وقوله:[3][الكامل]

قد قلتُ لما أن رأيتُ بخدِّه ورداً وخطَّ عذارُه كالآسِ
أعِذارُهُ السّاري العجول بخدِّه ما في وقوفِكَ ساعةً من باسِ

وقوله:[4][الوافر]

تثنَّى فاستحالَ قضيبَ بانٍ يُحيِّرُ من معاطفِهِ الغصونا
وكانت بابلٌ من قبلُ أرضاً فلما أن رَنَا صارت جفونا

(١٣٣) وقوله:[5][الطويل]

---

١ : ليس في الديوان .
٢ : ليس في الديوان .
٣ : ليس في الديوان .
٤ : ليس في الديوان .
٥ : ليس في الديوان .

أمـوتُ اشـتـيـاقـاً مـبـعـداً ومـقـرّبا وأتلفُ وجـداً حين يرضَى ويغـضبُ
فكيفَ احتيالي في الشِّفاءِ ومهجتي علـى كـلِّ حـالٍ فـي هـواهُ تـعـذَّبُ

وقوله:(١)[السريع]

طبُّ ابنِ شـمـعـونٍ بلا ريبـةٍ حُكْمٌ على كلِّ الورَى مَـقـضي(٢)
يمشي وعـزرائيلُ من خلفـه مـشـمِّـرُ الأردان للقـبضِ

وقوله:(٣)[البسيط]

حذارِ من طبِّ شمعونٍ فقد حَلَفَتْ أن لا يفارقَ جسماً زاره العِللُ(٤)
مـا جَسَّ نبضَ فتىً إلا وأنشـدهُ «ودِّع هريرةَ إنّ الركبَ مـرتحلُ»(٥)

وقوله:(٦)[السريع]

ليتَ ابنَ شـمـعـونٍ درَى أنه يفـعلُ فـعلَ الأرقمِ القـاتلِ
مـبـاركُ الطَّلعـةِ في طِبِّـهِ لكن على الحـفَّـارِ والغـاسلِ

وقوله:(٧)[السريع]

من آلِ خـاقـانَ لـه لفـتـةٌ كـالظَّبي والظَّبيُ شـرودٌ نفـورْ
صحَّ حسـابُ السِّـحـرِ من طرفِـهِ إذ كـان في جـفنيـه جـمعُ الكسورْ

١ : ديوانه ٨٣ .
٢ : الديوان : يقضي .
٣ : ديوانه ٨٤ .
٤ : الديوان : تفارق .
٥ : عجز البيت، صدر بيت الأعشى المشهور، وعجزه : وهل تطيق فراقاً أيها الرجلُ .
٦ : ديوانه ٨٤ .
٧ : ليس في الديوان .

وقوله: [1] [الطويل]

على دمع عـــيني من فــراقكَ ناظرٌ ترقــرقــه إذ لـم ترقــهُ المحــاجــرُ [2]
يمثِّلُكَ الشَّـــوقُ الشَّـــديدُ لناظري فــأطرقَ إجــلالاً كــأنك حــاضــرُ
عــجـبتُ لخــالٍ يعــبـدُ النار دائمــاً بخــدِّكَ لم يحـرق بهــا وهو كــافرُ
وأعـــجـبُ من ذا أن طـرفك منـذرٌ يصـــدِّقُ في آياته وهو ســاحــرُ
ومـذ خــبَّـروني أن غـصناً قــوامـه تيــقَّـنتُ أنَّ القـلبَ مني طائـرُ
ومــا اخــضــرَّ ذاك الخــدُّ نَبْـتــاً وإنما لكثــرةِ مــا شــقَّــتْ عليــه المرائـرُ

وقوله: [3] [الطويل]

سَقَى اللهُ جيــراناً على الخيفِ طالما سَقَيتُ الثرى من بعـدهم بدمـوعي
(١٣٤) تناءَوْا فآلَ القلبُ بعد فراقهم يمنيـــاً بأنْ لا قَـــرَّ بين ضلوعي [4]

وقوله: [5] [الخفيف]

هل لطرفٍ أســـهـــرتموه هجـــودُ ولظامٍ ألهــــفــتـــمـــوه ورودُ
كــيفَ صــبــري والبينُ منّي قــريبٌ ليـس ينفـكُّ والمزارُ بعـــيـــدُ
والليـــالي القـــصـــارُ أضـحت طِوالاً كنَّ وصـــلاً واليـــومَ هنَّ صُـــدودُ

وقوله: [6] [الرمل]

١: ديوانه ٥ .
٢: الديوان: يرقرقه .
٣: ديوانه ٣٩ .
٤: الديوان: لا يلتقي بضلوعي .
٥: ليس في الديوان .
٦: ليس في الديوان .

إن هُمُ باللهِ يا حادي السُّرَى سألوك الحالَ قل: والله مُضنا

يتمنَّى ساعةً من قربكم وبعيداً أن يرى ما يتمنّى

وقوله:(١)[المتقارب]

شكوتُ إلى البانِ ما بي فمال إلى أن تباكَى عليه الحَمامْ(٢)

وقوله:(٣)[الطويل]

بَدَا فأراني الظَّبيَ والغصنَ والبدرا فتبّاً لقلبٍ لا يبيتُ به مُغرَى

نبيٌّ جمالٍ كلُّ ما فيه معجزٌ من الحُسْنِ لكن وجهُهُ الآيةُ الكبرى

أقام بلالَ الخالِ من فوقِ خدِّهِ يراقبُ من لألاء غرَّته الفجرا(٤)

أُغالطُ إخواني إذا ذكروا له حديثاً كأني لا أحبُّ له ذكرا

أعاذلُ هل أبصرتَ من قبلِ وجهِه وعارضِه ناراً حَوَتْ جنَّةً خضرا

سَرَى طيفُهُ ليلاً إليَّ مجدِّداً عهودَ الهوى يا حبّذا ليلة الإسْرا

ومنهم:

٤٥- ابنُ تميم*

وهو مجير الدين، محمدُ بنُ [يعقوب بن علي الإسعردي](٥). طاب شميماً، وطال بأُبُّوته الفرزدقَ وتميماً. وكان فتىً لا يزال من النَّوائبِ مُجيراً، ولا يرنِّحُ

---

١ : ديوانه ٦٧ .

٢ : الديوان: إلى أن رثى لي الحمام .

٣ : ديوانه ٢٨ .

٤ : الديوان: الخال في صحن خده .

* فوات الوفيات ٤ : ٥٤ . والوافي بالوفيات ٥ : ٢٢٨ .

٥ : التكملة من الفوات .

الرّكـائبَ برداً ولا هجـيـراً. يُعْـمِلُ مطيَّـهُ على وجـاها، ويَعـمـلُ لما زاده رُتْبَـةً وجاها[١]، لأدبٍ رقَّ كالخدِّ سَلْسَلُه، وخطٍّ حَسَنٍ كالصُّدغِ مسلسله، وشِعرٍ كان فـيه مطبوعـاً لا يُتَكلَّفُ، ومتبـوعـاً لا تجد عنه من يتـخلّف. وأُغـريَ بالتـورية والاسـتخـدام، وأَتَى منـهـمـا بالماءِ والمدام، فألقَى على الناسِ منه مَحَبَّـه، ومَلَكَ القلوبَ فلم يدع منـهـا حبَّـه، فـأخـمـلَ شـعـراءَ الشـامِ والعـراق، وضمَّ اللطـائـفَ (١٣٥) ضمَّ السّاعدِ للعناق. وطالما بات لياليَ لا ينقادُ لوَسَن، ولا يرتادُ إلاّ سهلَ الكلامِ لكنه الحَسَن.

وكـانَ يُعدُّ في حَمـاةَ من حُـمـاتهـا، وممن تَفلقُ بـه الدُّروعُ قلوبَ كُـمـاتِهـا. وصَحِبَ ملوكَها الطّيّبين بحاراً، وأَمسَى لهم في جانب الفرقـدينِ جارا، فبلغ به جـودُهم فوقَ همَّاته، وغـادروه الدهرَ شـاكـراً لحُـماته. وله مـعـهـم أَخبـارٌ يطول شرحُها، ويحولُ سرحُها. حُكيَ أنَّ الملكَ المنصورَ استدعاهُ في ليلةٍ غَفَلَ رقيبُها، وحـضـرَ ربيـبُـهـا، وسـحـبت من الذّوائبِ ضـفـائِرَهـا، وسـجنت من بيضِ الأيامِ ضرائِرَها، إلى مجلس من خزف، وفواكهَ لـم تُحرف. وأَمـامه جـدولٌ قـد خَرَّ ماؤه فتكسَّر، وأنَّ عليه كل بارقٍ وتحسَّر. والكؤوسُ دائره، والشّموس في أيدي البدورِ سائرة. فلما رأى الجـدولَ، وقـد أصابتـه من العينِ نَظْرَة فـتعثَّر، وسـقط عقـدُ لُؤلُؤهِ فتنثَّر، نظر إليه، وقال: [الكامل]

يا حـسنَهُ من جـدولٍ مـتـدفِّقٍ	يُلهي برونقِ حُسنِه من أبصـرا
مـا زلتُ أُنذره عـيـوناً حـولَهُ	خـوفـاً عليـه أنْ يُصـابَ فـتـعـثـرا
فـأَبَى وزاد تمادياً فـي جَـسْرِيـهِ	حـتَّى هـوى من شـاهـقٍ فـتـكسَّـرا

فَسرَّ المنصورُ بأبياتـه، وأَحبَّ اسـتطلاعَ خـبايا بناته، وأَمـره بالجلوسِ إليـه، وجعله أَرفعَ القومِ مجلساً لديه. ثم لم يستقرَّ به المكان، ولا قَعَدَ واستكان، حتى

١: وجاها: رِقَّةُ أقدامها من كثرة المشي.

تحرَّك المجلسُ لغلامٍ ورَد، كأنّما تبسّمَ عن بَرَدٍ، فقال له المنصورُ بصوتٍ يُخفيه، ما تقول فيه، فقال :[الخفيف]

بأَبي أهيفٌ تبــدّى وحـيّـا ... بابتسامٍ عدمتُ منه اصطباري
فأراني بوجهه وثنايا ... هُ نجوماً طلعنَ وَسْطَ النّهار

فقال له سِرّاً، وقد أسفرَ وجهُهُ وتسرّى: أَلا إِنّه شديدُ النّفارِ من المدام، ولو قُرِّعَ بالملام. فهل تقدر على استلابته، وتسهيلِ بأْسه واستهابته؟. فما قطع المقال، حتى التفتَ إليه ابنُ تميمٍ وقال :[الطويل]

أَتَهْجُرُهَا صِرفاً لأَجلِ خُمارِها ... وذلك شيءٌ لو جَرَى غيرُ صائرِ
(١٣٦) فلا تخشَ من داءِ الخُمارِ وعاطِها ... «هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مخامرِ»

فكاد الغلامُ يسطو عليه سَطوةَ العائث، وقال له كالعابث: وما هذه؟ فقال :[السريع]

صفراءُ لو لاحتْ لشمسِ الضُّحَى ... من قبلِ أن تطلعَ لم تطلعِ
أَحسنُ ما في وصفها أنَّها ... لم تجتمع والهمُّ في موضعِ

فقال: بل أَشربُ خيراً منها، وأَدعو(١) للنهي عنها. ثم أَتَى بركةً، فغبَّ في مائها، وأَرى وجهَهُ خيالَ قمرِه في سمائها، فقال:(٢)[الكامل]

أفدي الذي أهوَى بفيهِ شارباً ... من بركةٍ راقتْ وطابتْ مشرَعا
أبدت لعيني وجهَهُ وخيالَه ... «فأَرتنيَ القمرينِ في وقتٍ معا»

ثم لم يزل به حتى شرب، ولذَّ معه عامّة ليلته وطرب. فلما طلع ابنُ ذكاء، وأَنارَ الصُّبحُ وأَضاء، شكرَ له المنصورُ حلَّ عُقدةِ الغلام، وقال: مثلُكُ من سَحَرَ

١ : في الأصل: وأدعُ.
٢ : الفوات ٤ : ٥٧ .

بالكلام. ثم سَنَّى له الجائزة ، وغدا ابنُ تميمٍ ويدُهُ لها حائزة .

ثم استدعاه ليلة أُخرى، والحندسُ قد أَسبل جلابيبَه، والظلامُ قد صبَّ شآبيبه، والنجومُ قد آلت أَن لا تزول، وركائبُ السَّيَّارةِ على المجرَّةِ نُزول . فبيناهم في ذلك العيش السَّجسج(١)، وبُرْدُ السُّرورِ الذي مثلُه ما يُسنج، وإذا بجاريةٍ في ظلامها مسفرة، ولذمامها غير مُخفرة . قد عَنَّت كالظَّبيةِ المقبلة، تحت ذيلِ ذوائبها المسْبَلَة، فقال له: إن كنتَ من أَبناءِ قَيْلة، قل في هذه الليلة . فقال :(٢)[الكامل]

يا ليلةً قَصَّرتِ زورةَ غادةٍ ... سَفَرَتْ فأغنى وَجْهُها عن بدرها(٣)
حتى إذا خافت هجومَ صباحها ... نَشَرتْ ثلاثَ ذوائبٍ من شَعرِها

فتبسَّمت تضحكُ لشَيبِ مفرقه، وتوضَّح الشمسِ في مفرقه، فقال :[الوافر]

تقولُ وقد وصفتُ لها مشيبي ... بزهرٍ في دُجَى شَعري مُنيرِ
بودِّي لو يُغَيِّبُها غمامٌ ... ويؤمرُ بالمقامِ فلا يسيرِ

(١٣٧) فقال له الملكُ المنصور : دعْ عنك هذا، وقل في ذوائبِ هذه الجارية، فقال :[الطويل]

وهيفاءَ يَسبينا اهتزازُ قوامها ... وتَفتننا بالسِّحر أجْفانُها المرضَى
يطولُ عليها الشَّعرُ حتى إذا مشت ... أَتَى خاضعاً قدَّامَها يلثمُ الأرضا

فقال له : بالله هل أعجبتكَ هذه الجارية؟ فقال : إي والذي خلق الحُبَّ، وقيَّمَ الرُّبَّ . فضحك المنصورُ، وضحكت الجارية . ثم قال له : أَفتحبُّ أَن تكون ملكك، على أَن لا تمنعنا من عادة زيارتها؟ فقال : رضيتُ بالشِّركة . فقال له

١ : العيش السجسج : الرخيُّ الناعم .
٢ : الفوات ٤ : ٥٧ .
٣ : الفوات : يا ليلةً قَصُرت بزورة غادة .

المنصور: لو قلتَ هذا شِعراً لكان أحسن. فقال:[الطويل]

يقـولون لم نَعـهـدْكَ في الحبِّ آخـذاً شـريكاً ولا مـسـتـأنسـاً بصـديقِ
فـقلتُ طريقُ الحبِّ أصـعبُ مـخطراً مـخـوفـاً فلم يُسْلَكْ بغـيـرِ رفـيـقِ

فقضَى معه ليلةً لم يَرَ مثلَها ابن حُجْرٍ في لياليه الغُرّان، ولا ابن بحرٍ عند ابن الخيزران.

وحُكيَ أَنَّه استدعاه في صبيحةَ يوم أَبيض، ونورٍ بات ياسمينه على الأرضِ ينفض، والثلجُ قد نثر كافورَه، والجليدُ قد كسر بلّورَه، والسحائبُ قد أَضحت ذيولُها مجرورة، والبرقُ قد تلَّون طولَ ليلته حتى أخرجها من صورةٍ إلى صورة، وأَواني الزجاجِ قد شفَّتْ من وراءِ مُدامها الرّاح، والدّنانُ قد فُكَّ عنها ختامُ فدامها، ورجالُ الرّاحِ قد رادت في إِقدامها، والسّاقي بعذارٍ كأَنّما كُتِبَ بالريحان، أو سَيَّجَ بالزُّمرُّدِ بنتَ الجان، وتحت عذاره خيلان. قد خبّأَت مسكَها فزاد تضوُّعاً، وكَثُرَ طيبُهُ تنوَّعاً. قد بارَحَ نشرُها وفاح، وعلم بنقطها في خدِّه أَنه قد تَمَّ وصفُ التفاح. فلما دخل عليه في بِكْرَةِ ذلك اليوم الأَغر، ورأَى الدنيا الضاحكة تَفْتَرّ، أَنشده:[الكامل]

يا أيـهـا الملكُ الـذي بُسطَـتْ له بالجـودِ كفٌّ دهرُها لم يَقـبضِ
دنيـاكَ مـذ وعَـدَتْ بأَنَّكَ لم تزلْ في نعـمـةٍ وسـعـادةٍ لا تَنقـضي
كـان الدليلُ على وفـاها أَنّهـا أضـحت تقـابلنا بوجهٍ أَبيضِ

(١٣٨) فقال له: ما لهذا طلبتُك، ولا لأَجله خبّأْتك، لكن انظر إلى شامات هذا السّاقي تحت عذاره، وقل في أُسِّهِ وعذاره. فلم يقل إِيهاً، حتى قال بديهاً:[الكامل]

ومـهـفـهفٍ خـيـلانُهُ وعـذارُهُ قـد جـاوزا حَـدَّ الجـمـالِ فـأفـرطا

فكأنَّما كتبَ العذارُ بخطِّهِ سطراً بحبّاتِ القلوبِ ونقَّطا

فأجزل له الصِّلة، وإن لم تكن عوائده منفصلة.

وحُكيَ أنه طَلَبَهُ في أُخرياتِ عصرٍ غَرُبت شمسُه، وكاد يتساوَى يومُه وأمسُه. وبثَّ الرُّسُلَ في طلبه من كلِّ صوب، وتوقَّع أَوْبَتَهُ من كل أَوْب، إلى أن توقَّدَ في فحم الدُّجَى جمرُ الشّفق، وأهزلوا الجوزاءَ وخفق. فلم يوجد في ناحية، ولا رُئِيَ في عشيّةٍ ولا ضاحية. فلما انشقَّ جيبُ الظلام، واشتعل في المشرقِ وثيبُ الضّرام، أُلفِيَ في بستان، نائي المكان، نائي السّكان. قد خَلاَ فيه بنفسه منفردا، وبقي فيه فرداً مثلَ السيف مجرّدا. فأُخبر بحاله، وأُحضرَ إليه على حاله، فأمر أن يُسقَى مُداما، ثم أوسعه ملاما، فقال:[الكامل]

مَن كان يرغَبُ في حياة فؤاده وصفائه فلينأ عن هذا الورَى
فالماءُ يصفو ما نأى فإذا دَنَا منهم تغيَّرَ لونُهُ وتكدَّرا

وحُكيَ أنه خرج والرّبيعُ قد غشيت أنديته، وقتيلُ المَحْلِ قد أُديَتْ دِيَتُه، حتى خيَّم بروضةٍ أطال إليها الخبب والإيضاع، وأَوْدَعَت النَّسيمَ طيبها فضاع، وبها دولابٌ تَذرُ مآقيه، ويَسُرُّ مُديرَ كأسه وساقيه، قال فيها:[1][الطويل]

أيا حسنَها من روضةٍ ضاعَ نشرُها فنادت عليه في الرّياضِ طيورُ
ودولابُها كادت تُعَدُّ ضلوعُهُ لكثرةِ ما يبكي بها ويدورُ

فبينا هو على تلك الوسائد، وفي خدمه من قائم الشجر تلك الولائد. فلما أَمست مسكةُ الليل من بأرضه، وصاغ النجمُ له خاتماً من فضة، أخذته (١٣٩) إغفاءةٌ كإغفاءةِ المناصل، أو أخذَ المدامَ بأطراف المفاصل. فرأى فيما يراه النائمُ

١ : الفوات ٤ : ٥٩ .

غلاماً كان يهواه. قد طرقه طيفاً، وبات له في سواد الليل ضيفاً، فقال: [الطويل]

أَقولُ لطيفِ الحِبِّ إذ زار مضجعي وبات إلى وقت الصّباحِ معانقي
أيا عجباً من ليلةٍ قد طويتُها بوصلِ حبيبي وهو فيها مفارقي

ومرحت وامتدت أَقاطيعُ الأَشعة وسَرَحت، إيّاه الغلام بقدٍّ كالرُّدني، وطرفٍ كاليماني. قد لبس لام عارضه، وأَسكت حسنُه قولَ معارضه، فقال: [البسيط]

مَنْ لي بأهيفَ قد أَمست على خطر من قدِّه مهجتي إن ماسَ أَو خطرا
قد راحَ بالعارضِ المسكيِّ محتجباً والغيمُ عادتُهُ أن يحجب القمرا

وفيه يقول:[1] [الطويل]

وأَهيفَ مثلُ البدرِ غصنُ قوامه عليه قلوبُ العاشقين تطيرُ
تدورُ عذاراه لتقبيلِ وجنةٍ على مثلها كان الخصيبُ يدورُ

وفيه يقول: [الكامل]

يا حُسْنَ أَهيفَ حظُّهُ من حبِّنا طيبُ النَّعيمِ وحظُّنا منه الشَّقا
قدِمَ العِذارُ إلى نَقَا وجناتِهِ يا مرحباً بقدومِ جيرانِ النَّقا

وفيه يقول، وقد عيَّره بالمشيب: [الكامل]

أَضحَى يعيِّرني المشيبَ وإنَّما أبداه طولُ صدودِه وفراقِهِ
هذا الذي أَخذ الشباب فزادَهُ في ليل طُرَّته وفي أحداقِهِ

وحُكيَ أَنه حضر أَنديةَ بعضِ الكبراء، وقد غُصَّ فيه قدرٌ من بقي من

---

١ الفوات ٤ : ٥٧ .

الشعراء. وهو لا يبوح ببنت شفة، ولا يحترف معهم تمرةً ولا خَشَفَةَ، إلاّ أن تَلَبُّثَ خاطِرِه قد انفجر، وخاسئَ فضله لهم قد زجر. فلما لم يومِ إليهم بطرف، ولا نطق بحرف، همُّوا بمناجاته، فعالجهم بمفاجاته، حين أعورت عينَه قذاتُهم، وأعولت عنده أذاتُهم، وقال: لقد جهلتم غُررَ المصَاع، وكِلْتُم زُمَرَ الناس كلِّهم بصاع، (١٤٠) ولو اختبرتم القدَّ على المحكّ، لبان الشّك. فتنوَّعوا حينئذٍ في الاقتراح، وكدُّوا خاطره فاستراح. فقال أحدهم: صف فوّارة. فقال :[الطويل]

سَمَتْ فأعادت في السماء مياهها وزادت فأجرت من مجرَّتها نهرا

وقال الآخر: صف كلباً أحمرَ. فقال :[البسيط]

وثقتُ بالصَّيد لمّا أن ركبتُ له بمستطيلٍ على وحش الفَلا ضاري
بأحمرِ اللونِ خفَّت روحُهُ فَلَهُ روحٌ من الرّيحِ في جسمٍ من النَّارِ

وقال الآخر: قل في غلام طويلِ الشَّعر. فقال :[الكامل]

قال الحبيبُ وقد رآني خائفاً إذ زارني من أَعينِ النُّظَّارِ
أَرسلتُ شَعري حين جئتُكَ زائراً خلفي فَعَفَّى عنهم آثاري

وقال الآخر: صف روضاً تعبث به النسيم. فقال :[الكامل]

روضٌ تحلَّى بالنباتِ فماله ولحسنِهِ إلا السّماءُ نظيرُ
والزّهرُ مثلُ الزّهر تحسب أنها فيه إذا هبَّ النّسيمُ تسيرُ

وقال الآخر: صف حديقةً قد اهتزَّ دوحُها، وابتزَّ عَرْفُ الجنانِ روحَها، واخضلَّ فيها نبتُ النعماء، ورقَّت بنتُ الروض على ابنِ ماء السماء. وبينها نهرٌ صَفَا ضميراً، وغدا لأطفال النبات ضيرا. فقال :[مجزوء الكامل]

وحديقةٍ مالت معا طفُ دوحِها من غيرِ سُكْرِ

والنهــــرُ ســـاعٍ قـــد غـــدا بســـعـــادةِ الأغـــصـــانِ يجـري

وقال الآخر: إني كلفٌ بفتىً دقيق الخصر، لم يحوِ مثلَه القصر. فقل فيه. فقال:[السريع]

قــد أظهــرَ المحــبــوبُ أُعــجــوبةً حَــارَ بهـــا العـــاشقُ في أَمـــرِهِ
ضــاقَ عـلى خـنصـره خـــاتـــمٌ فـــردُّهُ يـقـلـــقُ فـي خـــصـــرِهِ

وحُكيَ أَنه مرَّ مرَّةً بدار كان يعهدها معاهدَ ظباء، ومواعد حباء. فرآها مقفرةَ الأبيات، من سوانحِ تلك الظبيات، فوقف بها باكياً، وطاف بأطلالها شاكياً، وهو يقول:[البسيط]

(١٤١) يا ليتَ دارَهُمُ من بعدهم رسخت تحت الثَّرى واختـفت عنّي إلى الأبدِ
فــإنَّ رؤيتــهـا من بعــدهـم ســبـبٌ إلى تضــرُّمِ نار الشَّــوقِ في كـبـدي

ثم عكف عليها طائفاً، وتذكَّرَ تليداً وطارفاً، وقال:[الكامل]

كـــانت ديـارُهُـمُ بهـم مـــأهولةً تـغـــدو بهـــا غـــزلانهـــا وتـروحُ
حـتى نأَوْا عنهــا فـصـارت بعـدهـم كـــالجـــسم لما فـــارقـــتـه الـرُّوحُ

ثـم والَى الزّفيرَ والشّهيق، حتى رَثَى له الشفيق، ورأَى الخليُّ أنه لا يُفيق.

وحُكيَ أَنَّهُ خلا بنفسه في بعض مجالسِ أُنسه، متداوياً من هوىً برَّح بقلبه في جاريةٍ، كاد ريّاها يطير بلبِّه في ليلةٍ أَفصحت العيدانُ بحروفِ معجمها، وقرِئت صحائفُ الظلماء بنقط أَنجـمـهـا، وجرّت كـمَّـتِ الكؤوس إلى وِردها، وخلطت مسكَ الليلِ بوَردها. وأقبلت الجواري والولدانُ كاللؤلؤ المنثور، وَوُصِلت الظلماءُ بذوائب الشّعر المنشور. وأَقسم السرورُ أن قفلَ الظلماءَ على الفجر لا يُفْتَح، وآلَى أن جانب السِّحرِ له لا يفسح، فقال:[البسيط]

إنّ الغناءَ الذي قد كان يُطربني بكم ويُنشي مسراتي وأفراحي
هو الذي صار يُنشي بعد بَيْنِكُمُ حُزني ويجعلُ دمعي مزجَ أقداحي

ثم أَصبح وهو ما هو عليه من الجماح، وأَصْحَرَ وقد غنّت ذوات الجناح، فجعل يبكي ويقول:[الكامل]

أَعلمتَ أنَّ الوُرقَ بعدكَ ساعدت أَهلَ الهوَى بالنَّوْحِ والأحزانِ
وبحقِّها ناحت عليكَ لأنَّها فقدت قوامَكَ في غصونِ البانِ

وحُكيَ أنه جلس مرّةً بالمسجدِ الجامع، وقد أَجابَ داعي مؤَذِّنه السَّامع. فلما فرغ من أداءِ ما وجب، وجلس إليه رجلٌ يقرأُ كتاباً ويُظهرُ العجب. فلما امتدَّ في ذلك الطَّلَق، ولم يَفُهْ لسانُهُ ولا نَطَق، فقال له: ممَّ تعجب، ولم تَتَخَفَّى السَّماءُ وتحجب؟ فقال: إنها درعياتُ أبي العلاء، ودُرِّيّاتُ ذلك اللألاء. فقال: اقرأها عليَّ، وهاكَ ما لديَّ. فقال: لا والله حتى أترحَ عليك وإلاّ (١٤٢) فاطرح وإليك، فقالَ على لِسانِ الدّرع:[الطويل]

هَنيئاً لِمَن يأوي إليَّ فإنَّه يلوذُ بحِصنٍ لا يُرامُ حَصينِ
وأُلبِسُهُ في الرَّوْعِ ثَوبَ سلامةٍ والقَى الرَّدى عن نفسهِ بعيونِ

وحُكيَ أنَّهُ دَعاهُ بعضُ الرؤساءِ إليه في ليلةٍ باردة، أصبَحَ منها بَطنُ الأرضِ مُقشَعِرّاً، وظَهْرُ الرَّوْضِ من الزَّهرِ قد تعرّى، والجليدُ قد أقلَّ حَيْلَ الجليد، والبَرْدُ قد نَهكَ الحديد، فسارَ على كُرْهٍ منه وغيظٍ لم يُثْنِه، حتى أتى مَجْلساً أمامه بَحْرَةٌ لو جاراها البَحْرُ لَجَارت، أو أُطْلِقَتْ فيها أَزِمَّةُ السُّفنِ لَسارتْ، تَرْمي فيها فَوارةَ كَإِنْسانٍ يتشَهَّدُ في الماء، أو عَمودِ فضَّةٍ يُقيمُ خَيمَةَ السّماء. فقال لَهُ ذلك الرئيس: هَلْ قُلتَ في ليلتكَ هذه شيئاً؟ فقال: نعم. فقال: ما هُوَ؟. فأنشَدَهُ:[الوافر]

وليلة قَــرَّةٍ قــد هبَّ فــيــهــا نــســيـمٌ لا تـقـــابلُهُ الصُّــدورُ
نَســيمٌ يقــشَــعِرُ الـرَّوضُ منـه إذا وافَــى ويرتَـعِــدُ الـغــديــرُ

فعبَسَ ذلكَ الرئيسُ وجْهَهُ وقَطَّب، وقال: ظَننتُ واللّه أنَّكَ تَسُرُّنا فَسُؤْتنا، فهَلاَّ تُكفِّرُ هذا بما تقولُهُ في هذه البَحْرة، فقال: [الطويل]

لقــد قــابلتنا بالعــجــائبِ بَحْــرَةٌ مُكَمَّلةُ الأوصـافِ في الطولِ والعَـرْضِ
كــأنَّ الذي يَرْنـو إليـــهــا بطرْفِــهِ يرى نفسَهُ فوق السَّما وهو في الأرضِ

فقال لَهُ: فَمَا شَأْنُ الفوارة؟ فقال: [الطويل]

وفــوارةٍ جــادتْ على الأرض فــانثَنَتْ عُـقَـيْبَ الظَّما بالرِّيِّ كـالنَّرجسِ الغَضّ
وقــد أرسَلَتْ لمّا ارتوتْ فَـضْلَ مـائِـهـا هدايا على أيدي السَّحـابِ إلى الأرضِ

فقال له: لقد والله عَظُمَ حَقُّكَ عليَّ فاحْتَكِمْ. فقال: إي والله، فقال: تَهبُني السَّاقي، وكانَ غُلاماً روميّاً ناعِسَ الطّرفِ ناعِمَ الظَّرْفِ، قد فاقَ بِسحْرِ عينيْهِ، وَفلَّ الجيوشَ بكَسْرِ جفْنَيْهِ. فقال: [الكامل]

رُوحِي الفِـــداءُ لمن أدارَ بلَحظِـهِ صــهــبــاءَ في عَــقلي لهــا تأثيــرُ
فــاعــجبْ لَهُ من أن يصــونَ بلَحظِــهِ مَــشــمــولَــةً وإناؤُهــا مكســورُ

(١٤٣) فاستطارَ مَسَرَّه، واستقلَّ الغلامَ له في المَبَرَّه.

وحُكِيَ أنّه جلس على بَحْرةٍ، أشرقت سَماؤُها، وطابَ بكفَّيهِ المجلسُ ماؤُها، والشمسُ قد توسَّطَتِ الظَّهيرة، وأَرْخَتْ ذوائبَ أشعَّتها الضَّفيرة، واللُّجَّةُ قد نُصبتْ في كُلِّ ناحيَةٍ حبَالَهْ، وتناوَمَتْ عينُها فما رأيتُ من الشيءِ إلا خيالَهْ، والماءُ قد لَبِسَ من شُعاعِ الشَّمسِ فِضِّيَّ الغَلاَلة، وغابتْ سِباعُ البِرْكَةِ، فَلعبَت الغزالة. فقال: [الطويل]

ولَمّـا احْتَـمَتْ منها الغـزالَةُ بالسَّـمـا وعـزَّ على قَنَّاصِـهـا أن يَنالَهـا
نَصبْنا شباكَ الماءِ في الأرضِ حيلةً عليهـا فَلَم نَقْدِرْ فَصدْنا خيالَها

ثُمَّ، بينما هو في إملائهما على الحُضور، ويومه قد وَسِعَ فَوق طاقتِه من السُّرور، وإذا بفتاةٍ كانَتْ تَنْتابُ محلَّهُ انتيابَ الطَّيفِ الطّارق، وتَطلعُ عَلَيه في الأَحيانِ، طلوعِ النَّيِّر الشّارق، وقد جاءتْ إليه بتهادي وزارته، ولم تُفارِق جفنَهُ سُهاداً، ثم لم تلبَث أن تجرَّدت من ثيابِها ونَزَلت الماء، وأَرَتْهُ في الأرضِ كيفَ يَحلُّ البدرُ السَّماء، فقال :[الكامل]

لو كنتَ إذ أبصرتُها عريانةً بضفيرتَينِ كَلَيْلَتَيْ مهجورِ
لتراهما أَلِفَيْنِ من مسكٍ وقد خُطَّا على لوحٍ من الكافورِ

وحضَرَ ناديَ المَلِك المنصور، وقد حُشِرَ الصَّباحُ لَهُ ونادَى، وقَدَح السَّماحُ له زنادا، واليومُ أوَّلُ ما قد ترعْرَعْ، وسريرُ الملكِ بوقاره قد تزَعْزَعْ، وكؤوسُ الرّاحِ ساعيةٌ، ونفوسُ الأفراحِ داعيةٌ، وقد جَلَس للاصطباحِ، والدهر قد انقادَ نَيبُهُ للاصطلاح. وإذا بغلامٍ قد دَخَلَ كالظَّبي، قد تَدَرَّعَ دِرْعَ الفارسِ الأشوس، وخافٍ أَسْوَدُ شَعرِ مُحَيّاهُ دراءَ الأَطلَس، فقال له : قُل في هذا ، فقال :[الطويل]

وَأهيفَ أَخْفَى شَعْرَهُ تَحتَ أطلسٍ فأَصبحَ منّا كُلُّ قلب به مُغْرَى
أرادَ بأنْ يُطْفِي عَن النّاسِ فِتنَةً بإخْفائه فاسْتَأْنَفَتْ فِتنةً أُخرى

فقال : أحسنتَ والله، فَبِحياتي قُل فيه أَيضاً، فقال :[الطويل]

(١٤٤) وبي ساحرُ الأجفانِ حيَّةُ شَعرِهِ تَبَدَّتْ لنا في أَطلسٍ راقَ أبصارا
عجبتُ لها ما فارقت منه جنَّةً فَلِمْ سَكَّنَتْ من ذلك الأطلسِ النّارا

فقال : أحسنت والله، فبِحياتي قُل فيه أيضاً، فقال :[السريع]

قلتُ لِحِبِّي إذ خَبا شَعرُهُ في أطلسٍ بالَغَ في سترِهِ

مَكِّنْ يدي مِن لمسِهِ قال لي   مَن يلمِسُ الثُّعبانَ في وَكرِهِ

فقال: أحسنتَ والله، فبِحياتي انظر إلى حُسنِ هذه المنطقة في خصرِه، ثمَّ قُل فيها شيئاً. وكان الغُلام قد شدَّ عليه منطِقَة مُجوهرة، قد عانقَتْهُ كأنّها كُلِّفت بحُبِّه، وشُغِفَت بخَصْرِهِ غَراماً، فتعلَّقت بهِ، وتلك المنطقة كأنَّما توشَّحَتْ بالمباسِم، أو توشَّعَت بأصلِ المواسِم، قَد جَعَلَت للهوى بِهِ أَقوى سَبَب، وَجُلِيَتْ صفواً كالرّاح طَفا عليها الحَبَبُ، فقال: [الكامل]

كَمْ قُلتُ إذ شدَّ الحياصَةَ شادنٌ   كلُّ القُلوبِ بأسرِها في أسْرِهِ

أَتُراهُ قد شَغَفَ النُّجومَ محبَّةً   فتَساقَطَتْ وتعلَّقَتْ في خَصْرِهِ

فقال: أحسَنْتَ والله، فبِحياتي قُل أيْضاً، فقال: [الكامل]

لَمّا رأت عيني مناطِقَكَ التي   أَضْحَتْ بِخَصْرِكَ دائماً تَتَعلَّقُ

لا تستقرُّ وقَدَ عَلَتْها صفرَةٌ   ونُحولُ جِسْمٍ بالصبابةِ ينطِقُ

أيقنتُ أنَّ الخَصْرَ ضاعَ نَحافةً   فلِذا تدور جَوىً عَليهِ وتقلقُ

فقال: أَحْسنتَ والله، فبِحياتي قُلْ أيْضاً، فقال: [المتقارب]

بروحي حبيبٌ إذا ما بَدا   رَأيتُ العيونَ بِهِ مُحدِقَهْ

أعارَ التَّثَنِّي قُدودَ الغصونِ   فأعطتْهُ مِن حِلْيِها منطقَهْ

فَسَنَى له الجائزة، ثم قال له: لكَ الاقتراح، وكان وقتَ راح، فقال: أَنْ تأْذِنَ لي أن أسافِرَ إلى مِصْرَ مدَّة، ولَكَ أن تَشْتَرِطَ في أيّام الغَيبةِ العدَّة. فأذنَ له على شرطٍ لازم، فشَمَّرَ تشميرَ عازم، ثمَّ ما بَلَّلَ طَلُّ الشَّجَرِ أطرافَ الأرديةِ، إلاّ وقد نَدَّ من الأنديةِ، وخلَّف رقعةً كتبَ فيها إليه: [السريع]

(١٤٥) إنّي وبُعدي عنكَ يا مالكي   وأنتَ بالإحسانِ لي ناظِرُ

كـالرَّوضِ إذ جـادَت عليـه السَّـمـا والبـعـدُ ما بينَهـمـا ظاهـرُ

فلمّا أتى دمشقَ وَحَلَّها، واستَطابَ دونَ البلادِ محلَّها، ورأى النَّيِّرَيْنِ وقد أشرَقَ له فيهما نَيِّرُ البين، وهبَّ إليهِ ذلك الرّيا، ووَقَف على مجرَى النهرِ في الدَّوحِ، تحت أغصان الثُّريا قال:(١)[الطويل]

سـقى الله وادي النَّيِّـرينِ فـإنّني قطعتُ بهِ يوماً لذيذاً من العُمـرِ(٢)
دَرَى أنّني قـد جـئـتُـهُ مُـتَنَزِّهاً فـمَـدَّ لأقـدامي بسـاطاً من الزَّهرِ
وأوْحى إلى الأغـصـانِ قُـربي فـأرسَلَتْ هدايا مع الأرواحِ طَيِّـبـةَ النَّشْـرِ
وأخْـدَمَني الماءَ القَراحَ فـحـيثُ مـا الـ تَفَتُّ رأيتُ الماءَ في خدمتي يجري(٣)

ثمَّ خرجَ يُريدُ مصرَ في بُكرةِ يَومٍ من أيَّام الرَّبيع، قد جاء فيه النَّسيمُ بريحِ الجنانِ مُخبراً، وتأجَّجَ الشّفق ناراً تحرقُ من الطِّيبِ عنبراً، وقد ألقى أبيضُ الغيم على مُحْمَرِّهِ ذيلَه الفضفاض، وآناءُ الصَّباحِ قد امتلأ من نَدَى الطَّلِّ وفاض، فقال:[الكامل]

لِلْغَـيمِ في شَـفَقِ الأصـائلِ منظَرٌ يُلْهِي برَونَقِ حُـسْنِه من أبْصـرا
لا غَـروَ إن طابَ النَّسـيمُ وأُفـقُنا نارٌ مـؤَجَّـجَـةٌ تحـرِّقُ عـنبـرا

ثمَّ سارَ أمامَ كُلِّ سريّة، حتى أتى الإسكندرية، وهي صنعاءُ البلاد، وذات الحُلَلِ لا البجاد، لا يتجاوزها الأمَل، ولا يُعَدُّ ما فيها من حُسنِ التَّفاصيلِ والجُمَل. فلمّا تمتَّع بتَحْبيرها وتحريرها، وتنعَّمَ في جنّتها وحريرها قال:[الكامل]

لَمّـا قـصـدتُ سِكندريَّةَ زائراً مَـلأت فـؤادي بهـجـةً وسـرورا

---

١ الفوات ٤ : ٦١، عدا الثالث حسب .

٢ الفوات: رعى الله وادي النيربين .

٣ الفوات: الماء الزلال .

مـا درتُ فـيـهـا جـانبـاً إلاّ رأت عَـينايَ فـيـهـا جنّةً وحـريـرا

وفي المركَب بمينائها يَقول :[الكامل]

انـظُـر إلـى قـطَـعِ المـراكـب إذ بَـدَتْ والماءُ يـعلـو حَـولَـهـا ويَدورُ
مِـثْلَ السَّـحـائب لا يـفـرّقُ بينهـا نَـظَرٌ وكـلٌ بـالرِّيـاحِ يسـيـرُ

وحُكِي أنَّه مـاتَ لَهُ يومَ مَطَرٍ صـديقٌ بَكاه، وأغرَى بدمـعه السَّحابَ فحَكاه (١٤٦) فقال :[الطويل]

بروحي الذي جـاءَ الغَـمـامُ يعـودُهُ فَـصـادفَـه نَحوَ المنيَّـةِ قـد سَـرَى
فـمـا زال يبـدي حـرقـةً وتنهُّـداً ويبكي إلى أن بَلَّ من دمـعـهِ الثَّرى

وحُكِيَ أنَّهُ كـان قد علق غلاماً توقّدت نارُ وجنته، وحَلَتْ مُجاجةُ شفتيه، فأتاهُ ليلةً أثر مدامٍ، دقّق غَزل مُقلتيه، وشوّش سالِفَتَيْ طُرَّتَيْه، وفي يده شَمْعَةٌ، أزهرُ منها شمعةُ خدِّه، وأرشقُ منها قامةُ قَدِّه، فلمّا رآهُ مقبِلاً وَثَبَ وقَبَّلَ قدميهِ من كَثَب، ثُمَّ قال بديهاً فيه وفيها :[الكامل]

عـجَـبـاً لَهُ أنّي يزورُ بشَـمـعَـةٍ وضـيـاؤُهُ أبقَى الظّلامَ نـهـارا
لّما رأتْـهُ ووجـهُـهُ أبـهى سناً منهـا أسـالَتْ دمـعَـهـا مـدرارا
وغـدت لِفَـرطِ الغـيظ تُعْطي كُلَ مَنْ وافَى لـيـقطَعَ رأسَـهـا دينـارا

وحُكِيَ أنَّه خرجَ يوماً بحماة يتفسَّحُ في الصَّحراء، والرّبيعُ قد طلع في حُلَّته الخضراء، حتى أَتَى النَّاعورةَ الكُبرى، والغُروبُ قد جرى على النَّهر تبرا، ونهرُ العاصي في تِلكَ العَشيَّة قد مُوِّهَتْ كُؤوسُهْ، وذهبت نجوم فواقعه شموسَهُ، فقالَ يصفُ النهر :[الطويل]

ونهـرٍ إذا مـا الشَّـمسُ حـانَ غُـروبُهـا عليـه ولاحَت في مـلابسـهـا الصُّـفـرِ
رأينا الذي أبقتْ به من شُـعـاعِـهـا كَـأنّا أَرَقْنا فـيـه كـأسـاً من الخَمْـرِ

ثم قال في الناعورة :[الطويل]

وناعــورةٍ شــبَّـهـتُــهـا حين أُلْبِــسَتْ من الشَّــمسِ ثوباً فـوق أثوابهـا الخُـضْـرِ
بطاووسِ بُســــتـــان يدورُ ويَـنجلـي ويَـنفُضُ عن أرياشِـــه بَلَـلَ القَـطْـرِ

وحُكِيَ أنه كـان قـد واعَـدَ صـديقـاً أن يخـرج مَعَـه غـازياً، ثُـمَّ قَـعَـد وانـطلق صـديقُه غـادياً، وذلكَ لأنَّه لـم يتـقدَّم لَهُ عـليه حقٌّ يُسلِّفُه، ولا ضـربَ له موعـداً لا يُخْلِفُه، ثـم كتب إليه يعتبه، وحمَّله من أثقاله ما يُتعبه، فكتب إليه :[الطويـل]

رَأَيتُـكَ إذ أَلزمـــــتـني الذَّنبَ ظـالماً وذنبُكَ بين النَّاسِ قـد شـاعَ واشْـتَـهَـرْ
كــقَلبِ الذي يهـوَى يعـذِّبُ دائـمـاً ولم يـجْنِ ذنبـاً إنّمـا الذّنْبُ للبَـصَـرْ

(١٤٧) ثُمَّ لمّا فَقَدَ ذلك الصديق، وقابل عُذرَه بوجـهِ الصَّفيق، جَعَلَ يذكُرُ مواقف غَزَاتِه، والاعتدادَ بمجازاته، فقال :[الطويل]

أَتَفـخَـرُ إذ طاعنتَ خَـيـلاً مُـغـيـرةً فـوارِسُـهـا يومَ الوغَى مـا لَهـا ذِكْـرُ
وفـاتَكَ أنِّي طُولَ عُـمْـرِيَ لـم أزلْ أُطاعِنُ خَـيـلاً من فـوارسـهـا الدّهرُ(١)

وحُكِيَ أنَّه خرجَ يوماً إلى الصحراء، وقد تجلَّت الأرضُ بالبيضاءِ والصفراء، وعيونُ النَّرجسِ محدِّقة. الفضاءُ مجالُ خيله. فألفى به غلاماً كان لَهُ. كان له أيَّ مُسْعِدٍ وافاهُ على غيرِ موعد، فأنزلَ القُبُلَ بساحةِ خَدِّه، وأطال في ذميلِ العناق إليه ووخده(٢)، وقال، وجيوبُ الشَّفَقِ مُشَقَّقةٌ، والنّسيمُ يتعثَّرُ بذيله، ويوسع في ذلك :[الكامل]

لـو لـم أعــــانِقْ مَـنْ أُحِـبُّ بـروضـــةٍ أَحــداقُ نـرجِــسِــهـــا إلينا تـنظُـرُ

١ العجز صدر بيت للمتنبي،وعجزه: وحيداً وما قولي كذا ومعي الصبر. ديوانه ٨٩ .
٢ الذّملُ والوَخْدُ: السرعة .

ما شُقَّ جَيْبُ شَقيقها حَسَداً ولا	بات النَّسيمُ بذيله يتعثَّرُ

ثمَّ لم يقدر على إطالةِ المَكْثِ معه، فتَرَكَه وَوَدَّعه، فضاق عليه فَسيحُ ذلك الفضاء، وقام يَشيحُ للمضاء، فمرَّ بدولابٍ قد فاضت عيونُه، وعبّرتْ عن شأنه شُؤُونُه، قد حنَّ حَنينَ المُفارِقِ للأخدان، وإن تعهَّدَ شبابَه وهو أغصانٌ لِدان، فقال :[الطويل]

ودولابِ روضٍ كان من قبلُ أَغْصُناً	تَميسُ فلمّا غيَّرتها يَدُ الدّهرِ
تذكَّرَ عهداً بالرّياضِ فَكُلُّهُ	عيونٌ على أيامِ الصِّبَى تجري

وحُكيَ أنّ الملك المنصور استدعاه يوماً إلى مجلسه المُطِلِّ على العاصي، المشرِفِ عَلى الدَّاني منه والقاصي، والسَّعْدُ قد خدمه، وطنب على النجوم خيمه. وقد أتاه بعضُ الخدمِ المُعدِّين للخُدَمِ، فعرضَ عليه من أعمال الجواري صَنائعَ حِسان، وبدائعَ إحسان، كأنّما أسهمها الرَّوضُ في حَبرِه، أو سهّمها النرض بإبره، فجَعَلَ يقربّها ويأخذها ويقلّبها، حتى أتى على مناديل ليست بمذالات، جُعِلَتْ لبدورِ الوجوه هالات، فأمره أن يكتب ما يُطرّز فيها، فلم يقل أيَّها (١٤٨) بل قال بديها :[الطويل]

إذا حَمَلتني راحةُ المَلِكِ الذي	أناملُهُ جوداً تفيضُ على البحرِ
فمن ذا الذي قد حازَ ما حُزْتُ من عُلاً	ومن ذا الذي قد نالَ ما نِلتُ من فَخرِ
إذا كنتُ أرقى كلَّ وقتٍ وساعةٍ	على لُجَّةِ البحرِ المحيطِ إلى البدرِ

وحُكيَ أنه واعَدَ غُلاماً كان به مُغرماً، وكان لا يرى غير وَصْله مَغْنَماً، وقَدْ ضَربَ لَهُ العِشاءَ موعِداً، وأصبَحَ لَهُ الدَّهْرُ بوَصْله مُسْعِداً. فجلس لانتظاره حتى طُويَ بساطُ السَّمر، وكفَّ الغُروبُ اشتطاطَ القَمر. فلمّا اسودّتْ أحشاءُ الظَّلماء، وطُفِيَ سراجُ السّماء، طَلَع عليه إذ غاب القمرُ طلوعَ البَدْر، وأراهُ من تلكَ الليلةِ

ليلَةَ القَدْر، فقال :[البسيط]

كم قلتُ للقمرِ العُلويّ حين بَدَا يزهَى بنورٍ على الآفاقِ مُنتشرِ
أَغْرِبْ فبدرُ الدُّجَى عندي ومَن مَلَكتْ يداه بدرَ الدُّجَى لم يَرْضَ بالقمرِ

ثُمَّ أُديرت الكؤوس ، وأذيلَت من الهموم مسرّات النُّفوس، والساقي يحُثُّها صفراءَ تسُرُّ النُّظَّار، وتُبْطِنُ فضَّةَ الأقداحِ بالنُّضار، والغُلام إذا أتاهُ الدَّورُ أطال حَملَ الكاس، وتشاغل بشَمِّ الآس، فقال :[الطويل]

حبيبي وعَدْتَ الكأسَ منكَ بقُبلَةٍ وأعقبَ ذاك الوعدِ منكَ نفارُ
فأوقَفْتَها تَحتَ الرّجاءِ وقلبُها به خَوْفُ خُلْفِ الوعدِ منكَ شِرارُ
وما كان هذا لونُها غَيرَ أنَّها علاها لطولِ الانتظارِ صَفارُ

فلمّا غربت النُّجوم، وغرّدَت الطيورُ حينَ همَّ الصّباحُ بالهُجوم، باكَرَ الغُلامُ رِفقةً كان قد اتَّعَدَ معهم السَّفر، وحَكَى الظَّبْيَ الغريرَ فَنَفَر، فقال :[البسيط]

لمّا رحلتُم بقَلْبي في حُمولِكُمُ وظَلْتُ حيرانَ بين الهمِّ والفِكَرِ
سلَّطْت دمعي على عيني وقبلَكُمُ قد كُنتُ أُشفِقُ من دمعي على بَصَري

وحُكيَ أنّه حين آب من سفرِه، وانجابَ عَنهُ من ذلك النَّبكان[١] سحابُ مغفرةٍ، دَخَلَ عليه زائراً، وقد قَلَع لامَتَهُ[٢]، وهزَّ عِوَضَ الرُّدينيِّ[٣] قامته، والكؤوس (١٤٩) تُحَثُّ والمدامُ يقول: لا يَكُن للكأسِ في يَدِكَ لَبْثُ. وهو يخالفُ أمرَهُ المُطاع، ويحبسُ الكأسَ في يَدِهِ ما استطاع، فَجُنَّ ابنُ تميمٍ جنونَه، وباسَطَهُ فلم يَقْبَلْ جنونَه، فقال :[البسيط]

---

١ : النبكان: الأرض الوعرة، فيها صعود وهبوط .
٢ : اللامَةُ: ما يلبسه الفارس من خوذة وغيرها .
٣ : الردينيُّ: الرمح .

لا تحسبوا طولَ حَمْلِ الكاسِ في يَدِ مَنْ أَحْبَبْتُهُ أنَّه ساهٍ ولا ناسي
لكن رأى وجهَهُ فيها وأعْجَبَهُ جَمَالُهُ فأطالَ الحَمْلَ للكاسِ

وحُكِيَ أنَّه كان له صديق يسر بموافقته، ويُصرُّ على مُرافقته. كانا نجيَّينِ في السُّرور، ويَضَعانِ ويَرتَشِفانِ الحبورَ ويرتَضعان، ثمّ حصلت بينَهما مقاطعةٌ وهجرةٌ، أظلمت ما بينهما، والكؤوسُ ساطِعةٌ، ومكثا على الهجرانِ، حتى آنَ أن يُلْقِيَ الشِّتاءُ الجِران(١)، فَهبَّ يوماً من منامِه، وصبَّ للاصطباحِ كؤوس مُدامِه، والجوُّ قد مَرَحَتْ فيه قِطَعُ الغيم، ولَبِسَ منه صدورَ البراءةِ وحلَّةَ الأيم. فلمّا بَرِئَتْ من الشّفقِ الجراح، وتعلَّقَ السَّحاب دون السماء تَعَلُّقَ القَطاة بالجناح، تذكَّرَ عهدَ صاحبِهِ المُفارِق، وساقَهُ إليه من شعاعِ المدامِ وميضُ البارِق، فكتب إليه: [البسيط]

إلى متى ذا التواني يا نديمُ فقُمْ وَالْقَ المُدامَ بإكرامٍ وإعزازِ(٢)
فيومُنا بابتسامِ الجَوِّ تحسبُهُ مِنْ عقلِ مَنْ بات فيه صاحياً هازي
فقد تجعَّدَ مبيضُ الغَمامِ به دونَ السّماءِ فَحاكَى جُؤْجُؤَ البازي(٣)

فلمّا قرأها قامَ إليهِ، وقطع يميناً لا يغلو بإنفاق العُمْرِ عليه.

وحُكِيَ أنّه اتخّذَ له بادهنجاً تغيَّر عليه هواه، ولم يُحسِن إرساله للنّسيم ولا هواؤه، فقال فيه: [البسيط]

قد كان لي بادهَنْجٌ أستلذُّ به في القيظِ منه النَّسيمَ الرَّطْبَ ألْتَمِسُ
لكنَّه، عِشْتُمُ، قد ماتَ من زمنٍ أما تراهُ وما يبدو به نَفَسُ

وكذلك حكيَ أنَّه رأى ورداً يُستخرجُ ماؤه، وقد فارَت في الأنابيبِ دماؤه،

١: الجران: الثقل. ألقى بجرانه: بثقله.
٢: في الأصل: والمدام.
٣: الجؤجؤ: الصدر

فقال :[البسيط]

الوردُ قـد قـال لمّا أن أتيتُكُمُ ضيفاً وفضلي عليكمْ غيرُ ملتَبَسِ
(١٥٠) جعلتُمْ فيضَ روحي نُصبَ أعينكمْ ظُلماً ولم تقنَعوا أن تأخُذوا نَفَسي

وقال :(١)[الطويل]

ولم أنْسَ قولَ الوردِ والنارُ قد سَطَتْ عليه فأمسَى دمعُهُ يتحدّرُ
تَرَفَّقْ، فما هذي دموعي التي ترى ولكنَّها نفسٌ تذوبُ فتقطُرُ

وحكيَ أنَّ رجُلاً دعاه إلى بُستانِ نازحٍ، ومكانٍ لا يسمع ضيفُهُ صوتَ نابحٍ، بعيدٌ من القُرى والقِرى، ما فيه للطارقِ إلا الحديثُ والمناحِ في الذَّرى، فَباتَ عندَهُ بسوءةِ الحالِ. فلمّا أصبَحَ شَمَّرَ للارتحالِ، فأرْكبَهُ المُضَيِّفُ له فرساً قصيراً، لا يُحسِنُ له مصيراً، فقال :[الطويل]

ومـا أنا إلا راحـلٌ فوقَ ظهرِهِ ولكنّني فيما ترى العينُ فارسُ

فقال له ذلك المُضيِّفُ، وكان جاهلاً لا يتقلَّبُ بين الناسِ والرَّجا، ولا يُفرِّقُ بين المديحِ والهجا: هبك قُلتَ هذا، ماذا يكون؟ فقال ولم يفصِل بين كلاميهما سكون :[البسيط]

لا تحتقر بقليلِ الشَّرِّ إنَّ له زيادةً كضِرامِ النَّارِ بالقَبَسِ
فحربُ وائلَ ضرعُ النَّابِ سَعَّرها وحربُ عبسٍ جَنَتْها لَطْمَةُ الفَرَسِ

وحكيَ أنَّه كان يهوى غُلاماً يهيمُ بوعدِهِ، ويَصْلَى النّارَ ببُعدِهِ. وطالما قَعَدَ ينتظرُ منهُ موعداً أخْلَفَه، وقد قدَّمَ له الوعدَ وأسلفه، فإذا عتبَ قال: نسيت. وإن كان لا يَنسَى ولا يأسَفُ عليهِ ولا يأْسى، فقال :[الطويل]

مـدحي الذي نسيانُهُ صار عادةً وأفرطَ حتى كادَ يُعْدِمُهُ الحِسّا

١ : فوات الوفيات ٤ : ٥٧ .

فَلَوْ أنَّهُ بالهَجْرِ أضْحى مُهدِّدي ... لَمَا ساءني علماً بِهِ أنّه يَنْسَى

وحكي أنَّه حضر مجلس بعض الأكابر، وقد غصَّ المجلس، وبُهتت فيه عيونُ النرجس، وقُمعت فيه أصابعُ المنثور، وأُعطيَ فيه أميرُ الحُسْنِ ذؤابةَ شَعْرِهِ المنشور، وطال إعمالُ الكؤوس، حتى غَمِضَتْ الجفون، ولم يبقَ من دور الكأس حالٌ من الجنون، وثم أمنية ابن تميم قد تركه السُّكْرُ لَقىً، وخلا (١٥١) خَدُّهُ المُضَرَّجُ مخلقاً. فنهض غيرَ مرّةٍ لتقبيله، ثمَّ خاف أعيُنَ قبيله، فقعدَ بعدَ اللِّجاج، ورجعَ رُجوعَ الصادي، والماء يُجْلاَ عليه في الزُّجاج، فقال: [الكامل]

كيفَ السَّبيلُ لأن أُقبِّل خَدَّ مَن ... أهوَى وقد نامت عُيونُ المَجلسِ

وأصابِعُ المَنثورِ تُومي نَحوَنا ... حَسَداً وتَغمِزُها عُيونُ النَّرجِسِ

وفيه يقول: [السريع]

أَبْدَى الذي أَعشَقُه شامَةً ... تزيدُ بلبالي ووُسواسي

بِصحنِ خدٍّ لم يَغِضْ ماؤُهُ ... ولم تخُضْهُ أَعيُنُ النَّاسِ

وفيه يقول، وقد أفاضَ عليه دِرعاً، ضاقَ بِهِ ذَرعاً، وقد جَعَلَ شَعْرَهُ في كيسٍ من الأطلس، منع بِها حيَّتَهُ أن تَسْعى، أو تجدّد له لَسْعاً: [الكامل]

شَهِدَ القتالَ وحاجباه وطرفُهُ ... تُغنيهِ عن حَمْلِ الصَّوارمِ والقِسِي

أَعطاهُ أرقمُ شَعره جِلبابَهُ ... دِرْعاً فعوَّضَهُ بثوبٍ أطلسِ

وأمّا ما لَمْ يَقَع لنا فيه من شِعْرِهِ خَبَر، فقوله في البنفسج والورد: [الكامل]

إن البنفسجَ مُذْ أتاه مبشِّرٌ ... بالورد عرّض وَحْشُهُ من أُنسِهِ

الوردُ يوردُهُ الحِمامُ فلِبْسُهُ ... ثوبُ الحِدادِ لِرُزْأَةٍ في نفسِهِ

وقولُهُ يهجو: [الكامل]

لمّا جَسَسْتُكَ بالمديحِ ولم أكُن … أدري بأنّكَ خاملٌ في النّاسِ
ناديتُ لمّا أن جَسَسْتُكَ بالهِجا … أكُلَيْبُ خُذْها من يَدَيْ جَسّاسِ

وقوله في النرجس: [المتقارب]

ولما أتى النَّرجسَ المجتنَى … بقُربِ الرّبيعِ وإيناسِهِ
نثرنا على رأسِهِ فِضَّةً … وتبراً فَراقَ لجُلاّسِهِ
وأصبَحَ يخطرُ ما بيننا … وذاكَ النِّثارُ على رأسِهِ

وقوله في إهداء قدح: [الكامل]

يا حسنَهُ قدحاً يضيء زجاجُهُ … ليلَ الهُمومِ إذا ادلَهَمَّ وَعسْعَسا
(١٥٢) أهْدَيْتُهُ مثلَ النَّهارِ فإن حَوَى … صرفَ المُدامِ غدا نهاراً مُشْمِسا

وقوله: [الوافر]

وزورقِ فِضَّةٍ لم تَحْظَ منه … عيونُ الشَّربِ مِنْ فَرْطِ البَريقِ
تراهُ وهو يسبَحُ في الحُمَيّا … هِلالاً لاحَ في شَفَقٍ رقيقٍ

وقوله يرثي شريفاً غرق في نهر يزيد: [البسيط]

بني عليٍّ يزيدٌ حيثُ كان لكم … حرباً، فمن حلَّ منكم فيه لم يَعِشِ
لقد تَنَوَّعَ في إتلافِ أنفسكم … فَظَلَّ يقتلكم بالرّيِّ والعَطَشِ

وقوله يصف خيال الغصون في الماء: [الكامل]

وحديقةٍ ينسابُ فيها جدولٌ … طَرْفِي برونقِ حُسنِهِ مدهوشُ
يبدو خيالُ غصونِها في نهرِها … فكأنَّما هو مِعصمٌ منقوشُ

وقولُهُ في النيلوفر:[1] [الكامل]

١ : في الأصل: اللينوفر.

لما حَكَى زَهْرَ الكواكبِ نَوْفَرٌ   وأقامَ وهو على الكَبادِ حريصُ
خاف الحريقَ وقد رَمَتْهُ بِشُهْبِهَا   فلذاك أمسَى في المياه يغوصُ

وقوله: [الطويل]

ونيلوفرٍ يحكي النجومَ وماؤُهُ   يحكي سماها لا يغادرها حرفاً
يغيبُ إذا غابتْ ويبدو إذا بدتْ   ويُشبِهُها شكلاً ويفضُلُها عَرْفا

وقوله: [الطويل]

إذا كُنْتَ ذا فضلٍ وتَشْكُرُ ناقصاً   يقابلُ إعراضَ الورَى بالقوارصِ
فلا خيرَ في الفضلِ الذي قد حويته   إذا الفضل لم يرفَعْكَ عن شُكرِ ناقِصِ

وقوله: [الكامل]

إنَّ الشَّفيعَ إلى الجوادِ شريكُهُ   في الجُود للدّاني معاً والقاصي
وإذا شكرتَ البَحرَ في إنعَامِهِ   بالدُّرِّ فاشكُرْ حيلَةَ الغوَّاصِ

وقوله: [الكامل]

ولربَّ صيّادٍ غذتني كفُّهُ   سَمَكاً يظلُّ الطرفُ منه حائراً
(١٥٣) يُلقي إلى قعرِ الخليجِ بدرعِهِ   فيعودُ ملآنَ العيونِ خناجرا

وقوله: [البسيط]

لا تعجبوا من غُلامي وهو أبْلَهُ خَلْـ   ـق الله إذ راحَ لي في حاجةٍ فَمَضَى
فالسهمُ وهو جمادٌ حين أُرْسِلُهُ   من ساعتي في مُهِمٍّ يفهمُ الغَرَضا

وقوله يذم قينة: [السريع]

غانيةٌ جاءت بلا موعدٍ   ولم تكن روحي بها راضية

قَضَى اللهُ لي بهـا مـرّةً ... ياليتـهـا كانت القاضيـة

وقال يصف زهر اللَّوز :[الوافر]

خـرجنا للتَّنَزُّهِ في بقـاعٍ ... يعـودُ الطَّرفُ عنهـا وهو راضٍ
ولاحَ الزَّهرُ من بُعـدٍ فخِلنا ... ضـبـاباً قـد تقطَّع في رياضِ

وقوله على لسان الياسمين :[الكامل]

لما ازْدَرَى بالياسمينَ ولبسه الـ ... مـبيضٌ زَهْرُ الرَّوضِ قال وأعرضا
مـا ضـرَّ إذ كـان نَشـرِي طيِّباً ... من دونكم إذ كـان ثوبي أبيـضا

وقوله في المديح :[البسيط]

لمّا تفـضّلتَ في حـقي وقـمت إلى ... نصـري وبلّغـتَني بالجُـودِ أغـراضي
كـسـوتُ عِرضَكَ درعاً بالمديحِ فإن ... أردتَهُ كـان سيـفاً في العِدا ماضي

وقوله في المشيب :[الكامل]

خطبٌ ألمَّ، وشَـيْبُ رأسي جـملةً ... فلقيتُ شرّاً منهـمـا وكـذا قُضِي
فـاعـجبْ لخطبٍ أسودٍ لم يقتنع ... بفـعـالهِ وأتى بخطـبٍ أبيضِ

ولله هذا الشاعرُ وحُسنُ تخيُّله، ولطف تَحيُّله، انظر كيف جعل الخطبَ المُلمَّ موافياً لشيبِ رأسه المدلهم، وجعل خطبَ النَّوائبِ أسودَ، وخطبَ الشيبِ أبيضَ، وأنه جمع فيهما بين المتضادين، وقد قال في البيت الأول: و« لقيت شرّاً منهما» وهو إن حُمِل على ظاهره كان بليغاً، وإن حُمِلَ على أنَّ المراد بقولِه شرّاً (١٥٤) أفعل التفضيل كان أبلغ، وهذا الذي لا يقدر عليه كلُّ شاعر، ولا يعدل به وَسْقَ[١] الأباعر.

١: الوسق: الحِمْلُ .

عُدنا إليه. وقوله يخاطب شيخه علاء الدّين النّحّاس :[الوافر]

عــلاءُ الدِّينِ أضــحَى بحـسرَ علمٍ ... يـجـــيـبُ السَّـــائلينَ بـلا قُنُوطِ
أحــاط بِكُلِّ مـــا في الأرضِ علمـاً ... فـقُل مـا شِـئتَ في البـحرِ المحـيطِ

وهذا من المقاصد الحسنةِ، إذ جَعَلَه قد أحاط بما في الأرض ، وهو البحرُ المحيط، إذ هكذا حقيقتُه.

عُدنا إليه. وقولُهُ وقد دُعي إلى مجلسينِ يفضِّلُ أحدَهما :[الوافر]

دُعـــيتُ فكان أكلي فَــخْــدَ طيـــرٍ ... ولـم أشـــربْ من الصَّــهــبــاءِ نقطةْ
ومـــــا يومي كــــأمسِ وذاك أنّي ... أكـلـتُ إوزّةً وشـــــــربـتُ بطّـةْ

وهذا والله غاية ما بعدها.

عُدنا إليه :[السريع]

مُــذ زارني المحــبــوبُ تحت الدُّجَى ... مُـــبَـــرِّداً قلبيَ من قَـــيْظِهِ
تـطَّلعَ الصُّـــــبحُ علينـا ولـم ... يشــعـــرْ بِهِ فـــانشقَّ من غــيظِهِ

وقولُهُ يحرّضُ على القتال :[الكامل]

انهض بنا نحـــو العـــدوِّ فـــإنَّهم ... في غــفلةٍ من قــبلِ أن يَتَــيــقَّظوا
فـجـيـادُنا للغـيظِ تأكُلُ لجـمَـهـا ... حَنَقـــاً عليـــهم والظُّبَى تتلمَّظُ

وقوله في مطرب :[الكامل]

يا مَن يُلازمُ مـوضــعــاً في شَـدْوِهِ ... قـسمـاً لقـد شرَّفْتَ مني مـسـمـعي
لو كـان لي سـعـدٌ وحـقِّكَ لم تزل ... أبـداً تـعـنِّـيـني بـهـــذا الموضعِ

وقوله يصف ناراً :[الكامل]

وكــأن ناراً أُضْـرِمَتْ مـا بيننا ... ولهـيـبُـهـا يخشى سَطَاهُ ويُجزعُ
سـوداءُ أُحْـرِقَ قلبُـهـا فـتكلَّمَتْ ... بسفـاهةٍ فـينا كـلامـاً يَلْذَعُ

وقوله :[الكامل]

لا ذنب للنيـران إن هي أُخْـمِـدَتْ ... زمناً فَـصُنُّ العـرقِ فيـه بنبـضِـه
كـانونُ أرْعَـدَها فـأصـبح جـسـمُـهـا ... للبـردِ يدخلُ بعـضُـهُ في بعـضِـه

(١٥٥) وقوله يصف فانوساً :[الكامل]

انظر إلى الفـانوسِ تلقَ مُـتـيَّـمـاً ... ذُرِفَتْ على فَـقْـدِ الحـبيبِ دمـوعُـهُ
يبـدو تـلـهُّبُ قلبِـهِ لنحـولِهِ ... وتُعَـدُّ من تحتِ القَـمـيصِ ضلوعُـهُ

وفيه يقول :[1][الطويل]

يقـول لهـا الفـانوسُ لما بدت له ... وفي قلبِـهِ نارٌ من الوَجْـدِ تُسْـعَـرُ
خذي بيدي ثـم اكشفي الثَّوْبَ تنظري ... ضَنَى جسـدي لكنني أَتَسَـتَّـرُ[2]

وفيه يقول :[البسيط]

أُبدي اعـتـذاراً لذا الفـانوسِ حين غـدا ... في حـالةٍ من هواه ليس يُـنكرها
رأى الهَـوى مُـضْـرماً مـا بين أضلُعِـه ... نارَ الجَـوَى فـغـدا بالثَّـوب يسـتُـرُها

وقوله يصف درعاً :[الطويل]

ودرعٍ إذا ألقـيـتـهـا وسط مَـهْـمَـهٍ ... رأيتُ القَطَا فـيـهـا يغبُّ ويكرعُ
يكـاد إذا عـاينتُ ضَـحْـضَـاحَ مـا بهـا ... يلوحُ بهـا للصَّـفْـوِ حـوتٌ وضـفـدعُ
إذا مـا أتاها الرُّمح ظَنَّ بأنّهـا ... غـديرٌ نَشَـا في مـائه فـهـو يخـضعُ

---

١ الفوات ٤ : ٥٧ .

٢ الفوات : وانظري .

ويرعـــدُ متنُ السَّـيفِ علمـــاً بأنّه ... مـــتى زارَها في شَــهـــرِهِ يتـــقطَّعُ
ولـو كـــان أنٌّ فـي ضـلوعِـــه ... من الغـمـد يلقـاها لما كـان يطلعُ
وإن جـاءها سـهـمٌ ينادبُهـا سَـرْدَها ... أرى النُّصحَ يا مـغـرورُ أنَّك ترجعُ
إذا كـان هذا في قنا اللحظ والظُّبَى ... صنيـعي فـقـل لي مـا بضـعـفِكَ أصنعُ
فـلـو لجـسـأت نـفسٌ إلـيَّ وجـاءهـا ... رسـولُ المنايا لـم تـكـن منـه تجـزعُ

وقوله:[الوافر]

ونـهـرٍ كـلّمـا هبّتْ علـيـه النّـ ... واسمُ فـي الذّهـابِ وفي الرّجـوعِ
يـؤثِّرُ فـيـه تجـعـيـداً خـفـيـفـاً ... كـوطءِ الصّـافناتِ علـى الـدّروعِ

وقوله في غلام ينظر وجهه في مرآة:[1][الكامل]

طُوبَى لمرآة الحـبـيـب فـإنهـا ... حَـمَلَتْ براحـةِ غُـصنِ بانٍ أينعـا
(١٥٦) واستقبلتْ قَمَرَ السّماءِ بوجهها ... فـأرتنيَ القـمـرينِ فـي وقتٍ مـعـا

وقوله في غلام لابس قباء أصفر:[الطويل]

ولمّا ارتدى من أصـفـرِ اللّون حُلَّةً ... كَسَا عـاشِـقـيـهِ حُلّةً من طِبـاعِـهـا
ومـا هي إلاّ شَـمسُ خَـدَّيهِ أشـرقتْ ... فـألقتْ على أثوابِـه مـن شُـعـاعِـهـا

انظر إلى رأي هـذا الشاعـرِ الأصيلِ، ولُطفِ معناه الذي خَضَعت له شَمسُ الأصيل، هل يقال أحسن منه في لابس أصفرَ، أو يجلي مثلَه الصباحُ إذا أسفر.

عُدنا إليه. وقوله يصف ناعورة:[الكامل]

وناعـورةٍ قـالت لنا بأنينهـا ... قـولاً ولـم تـدْرِ المقـالَ ولم تعي
كـم فـيَّ مـن عـيـبٍ يُرى مع أنـني ... أبداً أسـيـرُ ولا أفـارِقُ مـوضـعي

---

١ : الفوات ٤ : ٥٧ .

لا رأسَ في جســـدي وقلبي ظاهرٌ للناظرينَ وأعـــيني في أضلعي

وقوله :[الطويل]

أيا ذا الذي قد كفَّ كفَّيه عامداً عن الجُودِ خوفَ الفقرِ ما ذاك سائغُ
أتخشى، سهامُ الفقرِ ما دُمتَ مُنفقاً تُصيبُك، والنُّعمَى عليك سوابغُ

وقوله :[1][الكامل]

حاذِرْ أصابعَ من ظلمتَ فإنّه يدعو بقلبٍ في الدُّجَى مكسورِ
فالوردُ ما ألقاه في جَمْرِ الغَضَا إلاّ دعاءُ أصابعِ المنثورِ[2]

وقوله :[الكامل]

لمّا دعا المنثورُ أن الوردَ لا يأتي وإن يصلَى بنارِ سعيرِ
ودَّتْ ثغورُ الأقحوانِ لو أنّها كانت تعضُّ أصابعَ المنثورِ

وقوله :[الكامل]

أَنعم على المنثورِ منك بزورةٍ فلقد أراهُ والسَّقامُ حليفُهُ
ما اصفرَّ إلا حين غِبْتَ ولم تزَلْ تدعو بأن يأتي إليه كفوفُهُ

وقوله :[3][الكامل]

مُذْ لاحظَ المنثورُ طرفَ النَّرجسِ الـ ـمزْوَرِّ قال وقولُهُ لا يُدفَعُ
(١٥٧) فتِّحْ عيونَكَ في سوايَ فإنهُ عندي قَبَالةَ كل عينٍ أصبعُ

وقوله :[الكامل]

---

١ : الفوات ٤ : ٦١ .
٢ : الفوات : إلا الدعا بأصابع .
٣ : فوات الوفيات ٤ : ٦٢ .

مُــذ قلتُ للمنثــورِ إنَّ الوردَ قــد وافَى على الأزهارِ وهو أمــيــرُ
بَسَـمتْ ثغـورُ الأُقـحـوانِ مـسـرّةً بقــدومِـهِ وتلــوَّن المنثــورُ

ومنهم:

٤٦- الأميرُ السليمانيُّ*

رجلٌ من أبناءِ الأمراء، وبطلٌ تجلَّى بأبناءِ الأُسودِ بلا مراء، كان من أَضْرَى الضّراغم، وأعزِّ الفوارس. إذا أنِفَ شمَّ الرّغامُ أنفَ الرّاغم، ثمَّ خلع تلك الملابس، وولع بما كان له أفخرُ لابس. واجْتنبَ الأمراءَ وصحبَ الفقراء، ولبس رداءَ التصوُّف، وترك رياءَ التصرُّف، وتركَ دُوَيْرَةَ أبي القاسم الشُّميساطي بباب الجامعِ الأموي. وأصبح عن النّاسِ بمعزل، وقال ما مثلُ الدُّويرةِ منزل. وخمدت منه تلك السَّطَا الفاتكة، ولم يجنح مع دويرةَ الشّميساطي أن يقول: يا دار عاتكة.

وكان من صاغةِ الشعر، وباعة القصائد بأغلى سِعر. وممّا اختار لنفسه، ومن خطِّهِ نَقَلْتُ، ومن ظبائهِ السَّوانحِ عقلت، قوله: [البسيط]

لو عـايَنَ اللائمُ اللاّحي محـاسنَهُ لَمَا خَلاَ قلبُهُ من حبِّهِ أبدا
شمسٌ سناً، غصناً قداً نقاً كفلاً سَهْماً لحاظاً طُلاً ريقاً طَلاً جيدا
يزيد قلبي لهيباً في محبّتِه إذا ترشَّفْتُ من ذاكَ اللَّمى بَرَدا

وقوله: [الكامل]

ولقد سريتُ على أغرَّ كأنّه لَهَبُ الهشيمِ أصابَ ريحَ الشَّمألِ
وله إذا ضاق الفَضَاءُ وحُطِّمَتْ سُمْرُ القَنَى، وَعَلَتْ سماءُ القسطلِ
دورانُ زوبعةٍ وخِفَّةُ شَمألٍ وصدامُ جُلمودٍ وعطفةُ جدولِ

* فوات الوفيات ٤ : ٣٦٥ .

وقوله: [الكامل]

إن مسَّ ذاك الوجهَ من كُرهٍ أذىً ... أخفاهُ عن لحظ العيونِ فلم تَرَهْ
فَكَذا أخوهُ البدرُ عند كَمالهِ ... يعتادُهُ مسُّ الكُسوفِ من الكُرَهْ

(١٥٨) وقوله: [الكامل]

لَكَ معنيانِ إذا طرقتَ أراهما ... وإذا ذكرتُكَ في النَّسيبِ أُريهما
بيني وبينَكَ من جمالِكَ عامرٌ ... فالحسنُ والإحسانُ يظهر فيهما

وقوله: [الكامل]

أَعْلَقْتُكُم حَبْلَ الودادِ وجئتكم ... بمودَّةٍ ما زال ثابتُ أُسِّها
مثلَ السَّفينِ تجشَّمتْ صُعُدا وجا ... دَ بها على عِلاّتها من نفسها

وقوله: [الكامل]

قولوا لمن أضحَى سواءً عندهم ... ما يُوجبُ الإعراضُ والإلمامُ
بإضافةِ الأَعلامِ لا تَتَعرَّفُ النَّ ... كِراتُ بل تُتَنَكَّرُ الأعلامُ

وقوله: [الكامل]

لا غروَ إن وَصَفَ امرؤٌ وَصْفي ونا ... لَ مكانتي يوماً وليس بطائلِ
تجري الصِّفاتُ على أمرٍ ليست له ... ويقامُ مفعولٌ مقامَ الفاعلِ

وقوله: [المنسرح]

لا تَكُ ممن يقول أعرف هـ ... ـذا الأمرَ جهلاً منه وما عَرَفَهْ
سَلْ غيرَ مستكبرٍ فإن حيا ... ةَ الجهلِ بين الحياءِ والأَنَفَهْ

وقوله :[المنسرح]

في الناس من يُخطئُ الصَّوابَ فإن ... رُدَّ إليه يعودُ كالنّاسي
وإنَّما من يرى الصّوابَ ولا ... يعرفه لا يُعدُّ في النّاسِ

وقوله :[الطويل]

الخاتمُ المنقوشُ زينةُ لابسٍ ... وحرزٌ لما يحوي من العين والقدّ
فمن جاءني كالصَّخرِ عاد كما بدا ... ومن جاءني كالشَّمعِ حصَّلَ ما عندي

وقوله :[الطويل]

إليكَ أميرَ المؤمنينَ بعثتُها ... عروساً تَهادَى في صوانٍ وفي خِدْرِ
سليلةُ أعرابٍ بنجدٍ بيوتُها ... وما بَرِحَتْ من قصرِ عيسَى إلى النَّهرِ
لدَى ناهبٍ عُجْمَ الطُّغاة نفوسَهم ... وأموالُهُ نَهْبُ الفَصيحِ من الشِّعرِ
أليلةُ قدرٍ قِسمتُ أنشدُ مِدْحَةً ... لديه، وما أدراكَ ما ليلة القدرِ
(١٥٩) أُؤمِّلُ نُعْمَى ثَيِّباً أستزيدها ... على حُسْنِ ما أهديتُ من ناهدٍ بِكْرِ

وقوله :[البسيط]

إن لم يُصِبْ من عدوٍّ سهمُهُ غرضاً ... يومَ النِّضالِ فإن الرَّأيَ صائبُهُ
وإن سَرَى في بَهيمِ الخَطْبِ سائرهُ ... تُريكَ محتومَ ما يأتي تجاربُهُ

ومنها :

غيثٌ يسحُّ على الدّاني فيغرقُهُ ... جوداً وتنشر للقَاصِي ذوائبُهُ
وكلُّ ما جلَّ من مالٍ ومن نَشَبٍ ... فالعدْلُ جامِعُهُ والجودُ ناهِبُهُ

وقوله :[الطويل]

إذا ساس مُلكاً سارَ كالشَّمسِ أشرقتْ ... عليه فنجمُ الظُّلمِ في الأُفقِ آفِلُ

وإن حكّ مســـودَّ الخطوبِ برأيِه　　جَلاهُ كما تجلو الصّفاحُ الصّياقِلُ

ومنها:

إذا اعتقلوا سُمْرَ الرِّماحِ فعقلُهم　　بمولاهُمُ صيدٌ وبيضٌ عقائِلُ
وإن نُكِحَتْ بيضُ الصُّدورِ فإنَّها　　تحيضُ دماً في الرَّوْعِ وهي حوامِلُ

وقوله: [الطويل]

فلا تتّخذْ عوناً على الدَّهرِ دائباً　　سوى العَدْمسِ الوجناءِ والفرسِ النَّهْدِ (١)
فإني حَلَبتُ النّاسَ ثمَّ مخضتُهم　　فما حصلت كفّايَ منهم على زَبْدِ (٢)

وقوله: [الطويل]

عزيزٌ إذا عازَزْتَهُ في عظيمةٍ　　ألَمّتْ، فإن لايَنْتَهُ لانَ جانبُهْ
إذا اضطّر لم يَحْلِمْ ويحلِمُ قادراً　　على مُذنبٍ والغيظ يَزْوَرُّ حاجبُهُ

وقوله: [الرجز]

إن القضاءَ قاذفُ المرءَ إلى　　مقدورِه أو جاذبٌ بطوقِهِ
أُفٌّ لِمَنْ يَجْبُنُ عن أقرانِه　　إنّ الجبانَ حتفُهُ من فوقِهِ

وقوله: [الرجز]

ندعوكَ للأمرِ الذي يعزُّنا　　دفاعُهُ عنّا فليس يبرحُ
ليس لهذا الأمرِ إلاكَ فتىً　　إن الحديدَ بالحديدِ يفلَحُ

١: العَدْمس من الحيوان: القوية على السير. والنهد: الشابة، برز نهداها.

٢: في الأصل: كفي.

(١٦٠) وقوله: [الكامل]

وكأنَّ بِركةَ مائِها ماويَّةٌ تحكي النُّجومَ الزُّهرَ في جريانها
فتُريكَ لامعَ مائِها في سَقفِها وتُريكَ زُخْرُفَ سقفِها في مائها

ومنها:

وكأنَّ ألواحَ الرُّخامِ موائلاً في لونها وصقالها وصفائها
أمواهُ آنيةٍ تُخالِفُ لونَها فَتَشَبَّهت كلٌّ بلونِ إنائها

ومنها:

تَمَّتْ محاسِنُها بجمّامٍ لها تتخلَّلُ الضَّرَّاءَ في سَرَّائها
كالكِيْرِ يخلُصُ سِرُّهُ بحريقِه فَنَعيمُ داخلها بطول شَقائها
تبدو لعينكَ في القِباب بدُورها وتضيءُ في أرجائها وسوائها
وبكلِّ أُنبوبٍ سكوبٍ قَنْيةٌ فدموعُها تجري جواً والنارُ في أحشائها

ومنها:

ودمشقُ، زاد اللهُ ملكَكَ، جَنَّةٌ جدواكَ فيها مثلُ قِسمةِ مائها
عَلَّمْتَهُ يرقَى مثلَ جودِكَ في ذُرىً أوغالها ويصبُّ في بطحائِها

وقوله: [البسيط]

إنّي لَيُحزِنُني ذكرىَ مآربه وقصدُهُ الشَّرفُ المقصودُ بالدَّأَبِ
جرت أمانيه تتلوها مَنيَّتُهُ شدّاً فما وقفا إلاّ على الإرَبِ
قَضَى وفي قلبه من فَقْدِ صَبْيتهِ حُزنٌ يدومُ مع الأيامِ والحِقَبِ
كالعظمِ ليسَ بذي رُوحٍ ويؤلِمُهُ أَذَى المشارِكِ مثل العرقِ والعَصَبِ

وقوله: [البسيط]

ملكٌ له من بني العباسِ منزلةٌ علياءَ يقصُرُ عن إدراكها زُحَلُ
سمت جلالاً فلو مُدَّتْ لتلمسها كفُّ الخضيبِ عراها الضَّعفُ والشَّلَلُ

وقوله :[مجزوء الرجز]

إيّاكَ يا منتحلاً حديثَ شعري مُتَّضَحْ
(١٦١) شِعريَ كالمسكِ من يسرقُ منه يَفتضِحْ

وقوله :[الطويل]

صفاتُكَ أصفَى من سماءِ سحابة رأت من مديحي حيث مازَجَها بحرا
ولكنّها تهمي عليَّ فرائداً فسآخذها ماءً وأقذفُها دُرّا

وقوله :[الكامل]

لا تركننَّ إلى صَفاءِ مصاحبٍ إن لم تكن أحكمتَهُ تجريبا
فالماءُ يصفو للعيونِ وإنّه لَيُريك كلَّ مُمُثَّلٍ مقلوبا

وقوله :[الطويل]

نصبتُ على التمييز إنسانَ مقلتي أشاهدُ قداً منه نَصباً على الظَّرْفِ
أأخشى فراقاً بعدها أو قساوةً وقد جاؤوا والصّدغُ للجمعِ والعَطْفِ

وقوله :[الخفيف]

لم يُوفَّق من أعوزته المدارا ةُ ولا طالَ من يطولُ عنادُهْ
وإذا المرءُ صيَّر الحقْدَ طبعاً مات غُبناً ولم تَمُتْ أحقادُهْ
فاجعلِ الحِلمَ والسَّماحَ جَنا حَيْـ كَ تصيدُ ما لم تكن تصطادُهْ

واقـتـصـدْ في الأُمـورِ إن لبـيـبَ النا   سِ من أعـجـبَ اللبـيـبَ اقـتـصـادُهْ
هي مِنّي نصـيـحـةٌ لك والنُّصْ   حُ كـبـيـرٌ نفـاقُـهُ وكـسـادُهْ

وقوله :[مجزوء الرمل]

قُـل لمـن عـلَّـمَ خـطّـاً   مـرّةً لا نِـلْتَ عِـلمـاً
زدتَ عـينَ الـشّـرِّ شـرّاً   وسَـقَـيْتَ السَّـهمَ سُـمّـاً

وقوله :[الكامل]

إنّي لأعـرفُ في الرّجـالِ مخـادعـاً   يُبـدي الصَّـفـاءَ ووُدُّهُ ممذوقُ
مـثلُ الغـديرِ يُريكَ قُـربَ قـرارِهِ   لِصَـفـائِهِ والقَـعْـرُ منه عَـمـيقُ

وقوله :[الخفيف]

لم تُغـيِّـرْ يا أحـسنَ النّاسِ وُدّي   بـدوامِ الصُّـدودِ والتَّـعـذيـبِ
شـافعٌ واحـدٌ من الحُـسْنِ يَمْـحُـو   ألفَ ذنبٍ لا سيّـمـا من حـبـيبِ

(١٦٢) وقوله :[الطويل]

وقـد كـان روحُ الأرضِ حـالَ حـيـاتِهِ   وأيَّةُ روحٍ لا يفـارقـهـا الجـسمُ
لقـد عُـدمُ المعـروفُ بعـدَ وفـاتِهِ   ولو أنّـه حيٌّ لما عُـرِفَ العُـدْمُ

وقوله :[مجزوء الرجز]

يا هرمـاً كـأنَّه نَصْلٌ يراه مَنْ لَمَحْ   وصـغـيـره من شـاهدَ الوَضْعَ اتّضَحْ
فلو تهـيّا سهـمُهُ ورُكِّبَ السَّهمُ وصَحْ   رَمَى به عِفريتَ بلقيسَ على قَوْسِ قُزَحْ

وقوله :[الطويل]

أسَـاكِنَ مِـصـرٍ قَـرَّ عـيناً ولا تَخفْ   فـقـد كَـفَلَ الجَـبَّـارُ رَعْيَ مُـقَـامِـهـا

وقـد صَحَّ نقـلاً أن مِـصـرَ كنانةٌ وأهرامُـهـا منهـا يصـول سـهـامُـهـا

وقوله :[الوافر]

تـبـيّنَ أنَّ صـدرَ الأرضِ مـصـرٌ ونـهـداها من الهَـرَمَـيْنِ شـاهدْ
وَوَاعَـجَـبـا وقـد وَلَدت كـبـيـراً عـلـى هَـرَمٍ وذاك الـنَّـهـدُ نـاهـدْ

وقوله :[البسيط]

يـا ويْحَ نـاعـورةٍ بـاتـت تـؤرِّقـنـي فـواصَلَتْ حـزنَ آصـالي بأسحـاري
باتـت تَئِنُّ وتبكي في تـقلُّبـهـا لـكن عـلى غـيـر أوطانٍ وأوطارِ
فَـهَـيَّـجَتْ أنَّتي شـوقـاً إلى سكني وأرسلتْ دمـعيَ الجـاري على الجـارِ

وقوله :[مجزوء الكامل]

لا تـعـذلَـنّي فـي الـعـرو ضِ ولـو رأيت الـقَـصْـدَ حـائـرْ
دارت عـلـيَّ دوائـرٌ فـجَـهِـدتُ في فكِّ الدوائِرْ

وقوله :[الكامل]

فتَّ التَّـتـارُ على عـتـيق مـقـرّبٍ ورجـعتَ لكن فـوقَ جَـدٍّ مـقـرفِ
وإذا اصطفَى الملكُ الخؤونُ لنفسـه ولُمْلْكه فـالـذنبُ ذنبُ المصطفي
وأخـوكَ خـانَكَ قـبل ذاك فـمـا نجـا فـابكُوا مليكاً خـانَهُ الأخُ والصَّفِي
والعينُ تشبـه أخـتَـهـا في خَلقـهـا ولربّمـا اختلفـا كـعينَيْ أخيفِ

ومنها :

تتلو الجـواسقُ فـاطراً أسـفـاً وقـد كـانت بقُـرْبكَ تاليـاتِ الزُّخـرفِ

(١٦٣) وقوله :[الوافر]

أميلُ إلى سكونٍ وانقطاعٍ   مُريحٍ والزّمانُ به ضنينُ
وكيف يُرامُ من حركاتِ دهرٍ   يدورُ بأهلِه أبداً سُكونُ

وقوله: [الخفيف]

نَمَّ فوقَ الخدَّيْنِ منه عِذارُ   لا تراه العيونِ إلاّ خيالا
كإناءٍ من عسجدٍ فيه ماءٌ   نَقشت تحتَهُ الصّناعُ مثالا

وقوله: [الوافر]

تقاطَعَ صاحباي على هناةٍ   جرتْ بعد التَّصافُنِ والتَّصافي
وذا مالا يضمُّهما مكانٌ   كأنهما معاقَبَةُ الزِّحافِ

وقوله: [الطويل]

وصلتَ فلمّا أن ملكتَ حُشاشتي   هجرتَ فَجُدْ وارْحَمْ فقد مسَّني الضُّرُّ
فليتَ الذي قد كان لي منك لم يكن   وليتَكَ لا وصلٌ لديكَ ولا هَجْرُ
فلا عَبرتي ترقَى ولا فيكَ رِقَّةٌ   ولا منك إلمامٌ ولا عنك لي صَبْرُ

وقوله: [البسيط]

إن دامَ بُعدُكُمُ لا شكَّ في تلفي   أنتم دوائي وأنتم في الهوَى دائي
بقايَ بعدكم يا من كَلِفْتُ بهم   كالحوتِ في البرِّ أو كالضَّبِّ في الماءِ

وقوله: [الكامل]

أنَّى تكيَّفُ أو تَمَثَّلُ ذاتُ مَنْ   عجزت عقولُ الخَلْقِ عن أوصافِهِ
مهما تَمَثَّلَ ناظرٌ أو خاطرٌ   فاللهُ جلَّ ثناؤُهُ بخلافِهِ

وقوله: [المتقارب]

أنام إذا أنا حَدَّثْتُهُ ... لأن حديثيَ لا ينفعُ
نشاطُ المحدِّثِ في لفظِهِ ... على قدرِ فَهْمِ الذي يسمعُ

وقوله :[مجزوء الكامل]

يَغتابُني فإذا التفتُّ ... أبانَ عن محضٍ صحيحْ
وَثْباً كَوَثْبِ البُحتريِّ ... من النَّسيبِ إلى المديحْ

وقوله :[الخفيف]

مَنْ مُجيري من أسمرِ اللون كالأسـ ... ـمر قامت عليَّ فيه القيامَهْ
(١٦٤) حَسَدَ البدرُ حُسْنَهُ فلهذا ... ذابَ غيظاً حتى بدا كالقُلامَهْ
لعبتْ خلفَهُ الذُّؤابةُ فاسـ ... تكبرَ تيهاً فقبَّلتْ أقدامَهْ

وقوله :[الكامل]

والشِّعْرُ كالدّينارِ جيِّدُهُ ... ورديئُهُ كالفلسِ في الصّرفِ
ضربٌ كضربِ العُودِ تَسمعُهُ ... وقَعاقِعٌ كالطَّبلِ والدُّفِّ

ومنهم :

٤٧- الحُسامُ الأحدبُ، وهو أبو العوف، منقذُ بنُ سالمِ بنِ منقذِ بنِ رافع بن جميل بنِ منيرِ بنِ مزروع المخزومي

شاعرٌ وُلِدَ بالمعرّة، وعقدَ راحَهُ بالمسرّة، ومن ثمَّ بين نُبَلائها نجم، ومن يَمّ فضلائها انسجم. ونشأ بدمشق منذ كان في سن اليافع، واخضرَّتْ فيها فروعه، فقيل لَهُ أبو الغُصنِ لِغُصنِهِ اليانع. ولم يكن مثلُه في الحدبانِ والهلالِ الذي تقوَّس، ولا شبيهُهُ في الأغصانِ ولو تهوَّس، إلا أنه ما سُدَّت بمثله محرومةُ محروم، ولا سَدَّتْ قريشٌ على نظرِهِ نطاقَ مخزوم.

وقد ذكره الفاضلُ أبو العباس، ابن العطّار الكاتب، قال: «وكان قامته دون قعدة الرجل» خلاف قولِ سَلْمِ الخاسر: [المتقارب]

إلى مَلِكٍ من بني الخيزرا ... ن كان القيامُ لديه قعودُ

وقد أنشده من شعره قوله: [الكامل]

لولا ظماي إلى جَنَى رَشَفاتِها ... عفتُ الكؤوسَ وما شربتُ مُداما
ومُنِعِ الزَّوراتِ زَوْرَ خياله ... من أجله أنا أعشقُ الأحلاما
يهوى الزيارةَ في الظّلامِ مجالساً ... فأوَدُّ لو عاد الصَّباحُ ظلاما
من لي بمعشوقِ الشّمائلِ لم يَنَل ... بدرَ التِّمامِ إذا رآهُ تماما
رَشأٌ لقتلِ محاربٍ ومسالمٍ ... إن لم يهزَّ الرُّمحَ هزَّ قواما

وقوله: [الطويل]

سلوا وُرْقَ باناتِ الحِمَى عن تشوُّقي ... وجز بالمنحنى عن تحرّقي
ففي دينِ بُعْدِ البَينِ ما بعضُ بثّه ... يدلُّ على قلبِ المعنَّى وما لَقي
(١٦٥) وليس الذي عندي من الوَجْدِ والأسى ... بمستحدثٍ عن بُعْدِ يومِ التَّفرُّقِ
ولكنها نارٌ تُشبُّ ضرامَها ... نَوانا فما تخبو إلى حين نلتقي
وفي ذلك الحيّ التِّهاميَ كاعبٌ ... كغصنِ النَّقا عضّ النظارة موثِقي
إذا طلعت شمسُ النهارِ رأيتُها ... تحاذرُ ذاك الحيَّ منها وتتّقي

وقوله: [الكامل]

وفتورِ لحظكِ وهو آفةُ سُكرِنا ... لا ما أتَى في الكأسِ والإبريقِ
ما فاتك الحرُّ الحلالُ وإنّما ... حلوٌ حديثُكِ فيه مرٌّ عتيقِ

وقوله: [الخفيف]

لا تزدْني على شَديدِ اشتياقي فكفاني من الأَسَى ما أُلاقي
فإلى مَن وأنت خَصمي ووالي الـ حُسْنِ أشكو جنايةَ الأحداقِ
ونصوحٍ يقولُ نَمْ لترى الطَّيـ ـفَ فتحظَى منه ببعضِ التَّلاقي
يا رفيقِ المحبّ أطنبتَ في التّعـ نيفِ، ما هذه شروطُ الرِّفاقِ

وقوله: [الكامل]

ما للغواني قلَّ منها ناصري لمّا رأتْ خُذلانَ شَيبي النّاصلِ
عَطْلِي من الأحبابِ أبقاني على حالِ الأسَى فأعجبْ لحالٍ عاطلِ

وقوله: [الكامل]

زَمَنَ الصِّبَى هل ما تولّى يرجعُ هيهاتَ ذلكَ والشَّبابُ مودِّعُ
كم قد بكيتُ عليكَ لو أجْدَى البُكا وأسِفتُ لو أنّ التَّأسُّفَ ينفعُ
لا تُنكرنَّ لهم خضوعي ذِلَّةً مَنْ ذا يُحِبُّ ولا يَذِلُّ ويخضعُ
وحمائمٍ بالغورِ بتُّ مؤرَّقاً أشكو الذي تشكو وباتت تسجعُ
وأَحِبَّةٍ قطعوا حبالَ مودَّتي لم يبقَ لي في الوصلِ منهم مطمعُ
قالوا تعرَّضْ بالخيالِ وطيفِهِ والطَّيفُ كيف يزورُ من لا يهجعُ

وقوله: [الطويل]

تجمّعتِ الأحزانُ من كلِّ جانب عليَّ كشملِ الحيِّ لمّا تفرَّقا
(١٦٦) حبستُ على أطلالِه الدَّمعَ سافحاً ففي سفحِ ذاك المنحنى راح مطلقا
أطلتُ إليه بثَّ شكوىَ صبابتي [ومثلي] يطيل البثَّ من كان شَيِّقا
ولما اجتمعنا للوداعِ عَشيَّةً جزعتُ ولما يبعدِ العهدُ باللِّقا
وإن تبتُ عنكم كارهاً فأليَّةً بحبِّكُمُ لا بتُّ إلا مؤرَّقا

وقوله: [الطويل]

سَرى البرقُ من نحوِ الحِمى يتألَّقُ ... فهاجَ لمسراهُ الحمامَ المطوَّقُ
وَغَرَّدَ حتى قلتُ مثلي مُتَيَّمٌ ... وأعلنَ حتى قلتُ مثلي مُؤَرَّقُ
وبتُّ أناجي الشوقَ حتى إذا بَدَت ... عن الصبحِ أثوابُ الظلامِ تشقَّقُ
وقفتُ بربعِ الدارِ عنهم مسائلاً ... فكادتْ لما بي دمنةُ الدارِ تَنطقُ

وقوله: [الطويل]

مريرُ التَّجنِّي ثَغْرُهُ خَصَر الجنا ... بصدري به قبضٌ وعذري له بسطُ
أباحَ دمَ العشَّاقِ خَطَّى قَدُّهُ ... فهل جاءَهُ غيرُ العِذارِ به خطٌّ

وقوله: [مجزوء الكامل]

طاب الصَّبوحُ مع الغبوقِ ... فامزجْ لنا راحاً براحِ
مشمولةً قد عُتِّقت ... في دنِّها من عهدِ نُوحِ
حمراءَ صِرفاً إن بَدَتْ ... في كأسِها أزرَتْ بِبوحِ
أوَ ما ترى راووقَها ... يبكي على الزِّقِّ الذَّبيحِ
خُذْها وإلا ما النصيـ ... ـحُ فلا تُطعْ قولَ النصيحِ

وقوله: [الخفيف]

يا نسيمَ الصَّباحِ عَيَّ لساني ... قِصَرٌ والغرامُ شَرْحٌ يطولُ
أنتِ مأمونةٌ على السِّرِّ فاسْتَملي ... حديثي وحقِّقي ما أقولُ
جَدِّدي بيننا المواثيقَ فالله ... على ما نقولُ وكيلُ
في عذولٍ عن السُّلُوِّ وفي ... أُذُنيَّ وَقْرٌ عما يقولُ العذولُ
ما عليهم لو خفَّفوا من غرامي ... إن عبءَ الغرامِ عبءٌ ثقيلُ
(١٦٧) وبذاكَ الصَّريمِ ريمٌ لقتلي ... فاعلٌ وعن صدِّه مفعولُ

قـمـرٌ من جـبـينه ومن الفـر ... ع لـرأيـه بـكـرةٌ وأصـيـلُ
أشـبـهـت لـون قـده حُـوَّة ... الثـغـر فـذا عـاسل وذا مـعـسولُ
يا عنيـداً بالصـدِّ هل لِظَمَـا الصـبـ ... ب إلى رائق الوصـول وصـولُ
إن نارَ الجـفـا التي أنـت مـصـلٍ ... فـوق مـا يسـتـحقُّ منكَ الخليلُ

وقوله: [الكامل]

كـرِّر عليَّ فـإنّ أخـبـارَ النَّقـا ... أمـست أحقَّ لمسـمـعي أن تطرقـا
وأعِـدْ عليَّ حـديثَ من حلَّ الحـمى ... فلربما ناب الحـديث عن اللِّقـا

وقوله: [الطويل]

أهاجَكَ نجـدٌ أم شـجـتكَ المنازلُ ... فـأكنافُ سلعٍ فـاللوي فـالمعـاقلُ
فـيـا حُبَّ وَصْلٍ لم تشـبْـهُ قطيـعـةٌ ... ويا طيبَ حبٍّ لم تشنْهُ العـواذلُ
ولم أنسَ سُكَّانَ الحـمى وقـد اغـتـدوا ... رواحلَ قـد شُـدَّت لديهم رواحلُ
فـمـا أوْسَقُـوا يوم الترحُّلِ أو سَقَـوْا ... مطيَّـهم إلا ودمـعي مناهلُ
ولمـا نـأَوْا نـأيـاً تـولَّـيْـتُ إثـرهـم ... أسـائلُ بعـد القـوم والدمعُ سـائلُ
فلو قـصـدوا الإنصـافَ أدنوا وباعـدوا ... ولو عـدلوا في الحكم صـدوا وواصلوا
أيا فـالقـاً هامَ الدُّجَى بقلوصِـه ... توقَّ النَّقـا إن كنت نجـداً تحـاولُ
وإياك أن تأتي الأراكَ مـخـافـةً ... أراكَ وقـد أصْـمَى فـؤادك نائلُ
وقـبِّلْ إذا أقـبلتَ أحـجـارَ حـاجـر ... ومـثِّل به فـالرسم للرسم مـاثلُ
وحيٌّ بـه حـيّـاً مـتى رُمْتَ ريمةً ... يصـدُّكَ عنه الذابلُ القـدِّ ذابلُ
فكم علقـتـنا من هواه عـلائقُ ... خُـذِلنا بهـا والحبُّ للمـرء جـاذلُ
وكم قـد توسَّلنـا إليـه بمدمعٍ ... فـسـال ولم تنفع لديه الوسـائلُ
ولما رأيتُ السِّـحـرَ بدعـةَ طرفـةٍ ... تيـقـنتُ حـقّـاً أن عـيناه بابلُ

وقوله: (١٦٨)[البسيط]

وعـاذرٍ في الهوى أن دان جاهلَهُ ... فللهوى مَسْلَكٌ مستوبلٌ زَلِقُ
يُردي الكميَّ وإن جَلَّتْ بسالَتُهُ ... ويُستباحُ حِماهُ المِدْرَهُ العَسِرُ
هل أنت عاصمُ باكٍ سوف يدهمُه ... إما حريقٌ بنارِ الشوقِ أو غرقُ
لله من والهٍ ولم تَرم بسكان النقا ... ولمّا يزل ما اعتاده القَلَقُ
فلا تعجَّبُ مِنْ ذلّي وعزِّهمُ ... فطالما ذلَّ أقوامٌ إذا عَشِقوا
وإنْ حُرِمْتَ لذيذاً من وصالِهمُ ... فالمستحقُّون شيئاً قلَّ ما رُزِقوا

ومنهم:

٤٨- عبد الله بنُ عمرِ بنِ نصرِ الله الأنصاري، أبو محمد، موفّقُ

المعروف بالوَرن، الواعظ، الكحال، المتطبِّب. واعظ لا يُغَر، ولافظٌ بلفظ الدُّر، وطبيبٌ يمسحُ بيده السَّقام، وكحّالٌ لا تروِّعُ بعده العيونُ بالمنام. دَمِثُ الأخلاق، غيثُ الروضِ فخاب سَعْيُ نسيمه الخفّاق، وتنقّل في السُّكنى بمصر والشام، ثم اتخذ بعلبك من مساكنها دارا، ورضِيَ بساكنها جارا، ثمَّ لما حُمَّ حِمامُه، وقارَبتِ المماتُ أيامه، رَحَلَ إلى مِصْرَ فتوسّدَ بها فراش التراب، وحطّ بها رَحْلَهُ، ثمّ لَمْ يُبْعَثْ له ركاب، وشِعْرُهُ الذُّ من غفلةِ الرقيب، وزورةِ الحبيب، فمنه قولُهُ:[الطويل]

يسائلُ طرفي عن خيالك في الكَرَى ... فيخبرُ سُهدي أنَّ طَرْفَكَ راقدُ
ويَحْسَبُ وكراً ناظري طائر الكَرَى ... وما هو إلا للسُّهاد مصائدُ

وقوله:[الكامل]

قلبي وطرفي في ديارِهمُ ... هذا يهيمُ بها وذا يهمي

رَسَمَ الهوى لما وَقَفْتُ بِها ... للدمْعِ أن يجري على الرَّسمِ

وقوله: [السريع]

تشابَهَتْ والصُّبحُ في نورِها ... ففرّق الساقي بفرْقٍ دقيقْ
ومزّقت ثوب الضحى فانثنَى ... من بزلها يرفي بخيطٍ رقيقْ

وقوله: [الكامل]

رقَّ النسيمُ لطافةً فكأنّما ... في طيِّه للعاشقين عِتَابُ
وسرى يفوحُ معطّراً وأظنُّه ... لرسائِلِ الأشواقِ فيه جوابُ

(١٦٩) وقوله: [الكامل]

إن ضيّعوا عهدي فَعَهْدُ هواهم ... بين الجوانحِ سِرُّهُ مكنونُ
وحياتهم، أما السُّلُوُّ فإنّه ... شكٌّ وأما حُبُّهم فيقينُ

وقوله: [الكامل]

شَمِتَ الحسودُ لأني ضَنيتُ وما درى ... أنِّي بأثوابِ الضَّنا أتشرَّفُ
يا غائبينَ وما ألذَّ نَدَاهُمُ ... وحياتِكم قَسَمي وعزَّ المُصْحَفُ

وقوله: [الطويل]

رتقَ الحِمى حدِّث بأخبارِ لوعةٍ ... لها مِنْ فؤادي بالجفون تواتُرُ
ويا نسماتِ الصُّبْحِ قولي لراقدٍ ... هَناك الكرى، إنِّي لبُعْدِك ساهِرُ

وقوله: [الطويل]

خليْليَ ما للبرقَ يخفقُ غَيْرَةً ... أبَرْقُ حماها مِثْلُ قلبيَ عاشِقُ
وما للمطايا قد حداها اشتياقُها ... حتى لها مثلي تحِنُّ الأَيانِقُ

تميلُ غصونُ البانِ شوقاً لقدِّها ... فتنطِقُ إشفاقاً عليها المناطِقُ
وينْشقُّ قَلْبٌ للشقائقِ غيْرَةً ... إذا حدَّقت حيناً إليها الحدائِقُ

وقوله :[الكامل]

نَقَلَ الأراكُ بأنَّ ريقةَ ثَغْرِهِ ... من قهوةٍ مُزِجَت بماء الكوثَرِ
يا طيْبَ ما نَقَلَ الأراك لأنَّه ... يرويه نقلاً عن صحاحِ الجوهَرِ

حكى الفاضلُ أبو العبّاس بن العطّار، الكاتب، أنَّ أخت الشيخ قطب الدين موسى بن القويني كانت مزوّجة في الرّحبة، فلمّا مات زوجها توجّه أخوها قُطبُ الدين لإحضارها فأقام عندها لتَقْضِيَ مُدَّة العِدّة، ثمَّ يُحْضِرَها، فَكَتَبَ إليه الوَرن :[الكامل]

مولاي قطبَ الدينِ موسى دعوةٌ ... من نازحٍ يسلو قطيعةَ وَصْلِهِ
أتُراكَ ما آنَسْتَ نار تشوُّقي ... يا مَن قضى أجلاً وسارَ بأهْلِهِ

قال : وكان بالبقاع قاضٍ يُلقَّبُ شهابَ الدين، وله ولدٌ مليح اسمه موسى (١٧٠) فأتاه فقيهٌ مشهورٌ يحبُّ الغلمان، وكانَ قد أطلَّ شهرُ رمضان، فتلقّاه القاضي، وأنزله عند ابنه، فكتب إليه الورن :[السريع]

قُلْ لِشهاب الدينِ يا حاكماً ... في سرعةِ الحبِّ على الجار جارِ
آويت في ذا الشهر ضيفاً يرى ... أنَّ دبيبَ الليلِ مِثْلُ النهارِ
وَهْوَ فقيهٌ أشْعريُّ الحُصا ... يُعَلِّمُ الصِّبيان باب الظُّهارِ
إياك إن لاحت له غَفْلَةٌ ... لفَّ كبار البيتِ بعد الصِّغارِ

قال : وكان بالبقاع والٍ من أهل الأدب، يُعْرَفُ بابن درباس، واسمه عليٌّ، وكان ينظمُ الشِّعْر ويتوالى، والوزيرُ بدمشقَ إذ ذاك بدرُ الدين جعفر بن الآمدي، وكان يتوالى أيضاً. فاتُّفِق أنّه ولّى عنده بالبقاع كاتباً ممن سَلِمَ من التَّشمير من

ديوان المطابخ، وكان من حديث هؤلاء أنهم سرقوا قندا كبيراً، كان قد حُمِلَ من غورِ الكرك، ليُطْبَخَ بدمشق للسلطان، فبلغ ذلك الملك الظاهرَ بيبرس، فأمر بهم فسُمِّروا، وطِيْفَ بهم على الجمال، إلاّ هذا الكاتب، فإنّه شُفِعَ فيه، فأطْلِقَ بعد أن قُدِّمَ الجمل ليُسَرَّ، فلمّا استخدمه ابن الآمدي بالبقاع، ضيّقَ على ابن درباس، فأقام يُعْمِلُ قريحته فيما يكتُبُه إلى ابن الآمدي فيه، فلم يأتِ بشيء، فسَأَلَ الوَرْنَ في ذلك فكتب :[البسيط]

شَكِيّةٌ يا وزير العصر أرفقها ... ما كان بأُملي هذا من ولاك علي
لم يبق في الأرض مختار إلا فتى ... من بقايا وقعه الجَمَلِ

فضحك ابن الآمدي، وقال: قال الحق والله، ثم عزل ذلك الكاتب، ولم يستخدمْهُ بعدها.

ومنهم:

٤٩- يوسُفُ بنُ أحمدِ بنِ محمود، الأسَديُّ، أبو العِزِّ وأبو المحاسِنِ، جمالُ الدين. عُرِفَ بابن الطّحان*

وهو المسمى بالحافظ اليغموري، لنسبته إلى صحبة ابن يغمور. مُحدِّثٌ لا يُمِلُّ، ومؤرِّخٌ لا يُخِلُّ، وحافِظٌ مددُ بحره لا يَقِلُّ، وفاضِلٌ لا يعْجزُ أن يَسْتَدِلَّ، ملأ بخطِّه الوَرَقَ، ورمى بخُطَبِهِ الفِرَقَ، وكتبَ أوقار أحَمال، وأوراق تعاليق تقيّدُ خُطَا الجمال، صدوقٌ، نَقْلُهُ محقَّق، (١٧١) وقوله مُصَدَّق، وحديثُه موثّق. كم له من مجموعٍ حسن، ومسموعٍ ما أطرب به طائرٌ على فنن، وكان له طُرَفٌ تشفُّ، ولُطَفٌ تخفُّ، وأدبٌ شُكْرُهُ واجب، كأنه الغمزُ بالحواجب. وحُكِيَ أنه مَرِضَ لابن يغمور مملوكٌ كانَ يُعزُّ عليه، وكان يعوده طبيْبٌ من أخصّاءِ أصحابه،

* وفيات الأعيان ٦ : ٢٥٠، وفوات الوفيات ٤ : ٣٣٨ .

فمات المملوك، فلما خرجت جنازته، خرج الطَّبيبُ فيمن خرج معها، فلما حَضَرَ الدفنُ قَعَدَ الطبيبُ على القبر وهو يُحْفَرُ، ثم بقي يقول للحفّار احفر كذا، اعمل كذا، افعل كذا، فقال له الحافظ اليغموري: يا سيِّدنا أنت قد عَملْتَ ما يجبُ عليك وما قصّرت، لازمْتَه حتى وَصَّلتَه إلى هنا، وأمَّا من هنا ورايح، ما بقي يتعلَّقُ بك. الذي عليك أنت عَملْتَهُ، وبقي الذي على هذا، وأشار إلى الحفار، فخزيَ الرجُلُ، وضَحِكَ كلٌّ من حضر الدفن. ورأيت بخطٍّ ابن العطّار ما صورته وقد ذكره، فقال: «وكتب إليه الأديبُ شهاب الدين محمّد بن عبد المنعمِ ابن الخيمي، وكلاهما أرمَدْ:(١)[الوافر]

أبثُّكَ يا خليلي أنَّ عيني ... غدت رمداءَ تجري مثل عين
حديثاً أنتَ تعرفهُ يقيناً ... لأنَّك قد رمِدْتَ وأنت عيني(٢)

فكتب جوابه:[الوافر]

كفاك اللهُ ما تشكو وحيّا ... محاسنَ مقلتيك بكلِّ زين
فإنِّي من شفائك ذو يقينٍ ... لأني قد شفيتُ وأنت عيني(٣)

ومن شِعْرِه قوله:(٤) [الرمل]

رجع الوُدُّ على رغم الأعادي ... وأتى الوصْلُ على وفق مُرادي(٥)
ما على الأيامِ ذنْبٌ بعدها ... كفّر القربُ إساءات البِعادِ(٦)

١: الفوات ٤: ٣٣٨.

٢: الفوات: حديث.

٣: الفوات: لأنك.

٤: الفوات ٤: ٣٣٨.

٥: الفوات: المراد.

٦: الفوات: ذم بعدها.

ومنه قوله:[١] [الرمل]

أنا مـرآةٌ فـإنْ أبْصَـرتُمُ حَـسَناً أنتم بهـا ذاك الحَسَنْ
أو تَرَوا مـا لَيْسَ يرضـيكم فَقَـد صَـدئَتْ إذ لم تروها مـن زمـن[٢]

ومنهم:

٥٠- جوبان القوَّاس*

واسمه رمضان، ولقبه أمين الدين. لسانٌ (١٧٢) ينفقُ دُرّا، وبيانٌ ينفث سحرا، وسنانٌ يُصيبُ نحرا، وحسّانٌ يؤيَّدُ بروحِ القُدُسِ إذا قال شعرا، كان لا يقرأ ولا يكتب، ولا سلف له سابقٌ بأديبٍ، ولا درس، بل كان شُغْلُهُ صنعة القِسيِّ يُطلِعُ أهِلَّتها، ويصنع من سقام الأصيل حُلَّتَها. وحكى لي شيخُنا شهابُ الدين محمود الحلِّي الكاتب عنه، أنه كان يدّعي الأميَّة، وكان بخلاف ما يدّعيه، قرأ وكتب وحفظ المفصَّلَ في النحو. وحكى لي صاحبنا الشيخ جمالُ الدين، أبو زكريا يحيى بن الغويرة السُّلميُّ عنه، أنَّه كان يأخُذُ الخطوطَ المنسوبة الفائقة بخط ابن البوّاب، والوليِّ التبريزي، وأمثالها ويضعُها قدّامهُ بحيث يراها، ثمَّ يقصُّ من التّوِّ مثلها ويلصقُها أسْطُراً على الدروج، لا يفرِّقُ بين ما قصّه منها بالمقصِّ وبين ما كتبه أولئك الكتّابُ بالقلم. وحكى لي حَسَنُ بن المحدِّث الكاتب أنه كان يكون قاعداً في عمل صناعَتِه وهو ينظم القطعة من الشِّعْر، النظم الجيِّدَ المرضي، وفي شعره ما يُبلِّلُ بقطره الغمائم، ويلطِمُ بنشره اللطائم، ومنه قوله:[٣][الطويل]

١: الفوات ٤: ٣٣٩.

٢: الفوات: إن لم.

* فوات الوفيات ١: ٣٠٣.

٣: الفوات ١: ٣٠٤.

وعـهـدي بـوجه الأرض مـبـتَسِـمـاً فَلِمْ ... تَغَـرْغـرُ منه الدَّمْعُ في مُـقَلِ الغَـدْرِ (١)
إذ أرْجف الماءَ النسـيمُ لِوَقْـتِـه ... كسـاه شعـاعُ الشمسِ درعـاً من التِّبرِ

وقوله :

نصـون الحـمـيّـا بالقناني وإنّمـا ... نصـونُ القناني بالحـمـيّـا ولا ندري (٢)
ولما حـكى الـرَّاووقُ في الـعين شـكْلَـه ... وقـد عَلِقَ العنقـودُ في سـالف الدَّهر
تـذكَّـرَ عـهـداً بـالكروم فكلّه ... عيونٌ على أيام عـصر الصِّبا تجري (٣)
يناوِلُنيـهـا مـخطف الخَـصْـرِ أغْـيَـدٌ ... فلله ذاك الأغْـيَـدُ المخطف الخَـصْـرِ
يـقـولُ وفـرطُ السُّكْرِ يثني لسـانَهُ ... إلى غَيرِ ما يُرضي التُّقى وهْوَلا يدري (٤)
ومن كـان لا تحـوي ذراعـاه مـئـزري ... فـدون الذي تحـوي أناملُهُ خـصـري

وقوله :

لـك بين حُـزني والسُّـرورِ مَـقَـام ... فَلِذاك أُعْـذَرُ في الهـوى وأُلامُ
(١٧٣) ولك السُّرى بين الرُّقاد ويقظتي ... فـالوجْـدُ لا فِكْرٌ ولا أحـلامُ
يا حـيـرة العـشّـاق في سُبُلِ الهـوى ... إذ لـيْسَ يُدْرَكُ علْمُـهُ فـيُـرامُ
كـتب الغـرامُ على صـحـيـفـة خَدِّهِ ... مُتْ عـاشِـقـاً فَلْتَـتْـعَبِ اللُّوامُ

وقولُه :

أدِرْ عـلينا كـأسَ ذكْـرِ الحـبـيبْ ... فـإنّه يُسْكِرُ سُكراً عـجـيبْ
لو نُسـيـمـاتٌ بنشـرِ الحِـمَى ... تـأتي مع الصُّـبْحِ لِمات الكئـيبْ

---

١ : الفوات : فيها الدمع .
٢ : الفوات : في القناني .
٣ :الفوات : على عهد .
٤ : الفوات : وقال وفرط .

وارحـمـتـا للصَّبِّ إن عـرضـوا بـذكْـرِ من يهـواه عند الرقـيبْ
يـرومُ أن يـكـتُـمَ أحـوالَـهُ وكـيـفَ تـخـفـى لمحاتُ المريبْ

وقوله في مليح له خالٌ رقم ديباجَةَ خدِّه، وخالَ أنّه هو سبب صدِّه، وأتى بلفظة حاله هنا توريةً حسنةً على ابتذالها وكثرة استعمالها: [السريع]

وأسْـمـرَ يُخجلُ سُـمْـرَ القنا مـعـسـوله تحـمي بِعَسَّالِهْ
يتـمـنّى خـالٌ على خـدِّه وآفـة العـشـاقِ من حـالِهْ

وقوله: [الطويل]

تَحمَّلْتُ فيك السُّقْمَ حتى رَحِمْتَني فحاكيتُ حالي والتوجُّعُ مُسْقِمُ
وأحرقْتَ قلبي بالجـفـا وسَكنتَـه فـلا غَروَ إن فـاحت عليك جـهنَّمُ
ومذ غاض ما استودعْتُ في الخدِّ من دمي بَكَيْتُ به إلاّ فـمـن أين لي دمُ

وقوله: [السريع]

لولا عـيـون الرشـأِ الأكْـحَلِ مـا وصل السَّـهمُ إلى مـقلتي
رَقَّ ليَ العـاذِلُ من لوعـتي فكيف لو شـاهَدَه عُـذَّلي

وقوله: [مجزوء الخفيف]

سـارَ مَـزْمُـوْمُ رَكْـبـهم وَهْوَ عنِّي مُـجَنَّـبُ
فـأنـا اليـومَ بَعْـدَهُـمْ بالمغـانـي مـشـبَّـبُ

وقوله في القوس، وبذل فيه جهد استطاعته، وأجاد في صناعَتِهِ: [الخفيف]

أنا عـونٌ على هلاكِ عـداكـا زادك اللهُ نَصْـرَةً وحـمـاكـا
(١٧٤) فادْعُني في الوغى تجْدني صبوراً نافذَ السَّهْم في العلا فتّاكا

ربَّ في الحـــــرب نلت مطلبـك الـ أقــصى ومــا بي من قــدرةٍ لـولاكــا

وقـولـه في مليحٍ لَعِبَ بالصـوالجـة، فطارت الكرة إلى وجـهـه فـأثّرت فـيـه، وحقّقت باللَّدْمِ لـه بالبدر التَّشبيه :[البسيط]

وافى وقــد أثّرت في وجْــهــهِ كُــرَةٌ جـاءته قـاصـدةً من غـيـرُ مُقْـتـصِـدِ
لم ألقَ في حَــرَجي من فــعلهــا ألماً بقــدر مــا نالني من شــدَّة الحَــسَــدِ

وقوله :[1][مجزوء الكامل]

ربِّح وخــــذ بنســـيــــئــــةٍ واشـــــــرَبْ وامـطـلْ ودافـعْ[2]
فــــأحـــقُّ مــا أكـــل المحـا لــي مـــالَ أربـــابِ المطـامـــعْ

وقولـه، وهمـا في جـملةِ قطعـةٍ من قطعـهِ السائرة، وأبيـاته التي علقت بكُلِّ ذاكرة :[3][البسيط]

لاح الهـلالُ ابن يومَـيْـهِ فــأذْكَـرَني شُرْبَ المدامة تُجلى من يَدِ السَّاقي[4]
كـأنّه شـفق للكأسِ قــد نقـصت بالميْلِ والخَـمْـرُ شـفّـاقٌ على البـاقي

وقوله :[مجزوء الوافر]

تفــــرَّقَ عــــقْلُه فَــــرَقــــا كــذاك يُصــاب من عَـشــقــا
وأودعَ قـلبَــــه حـــــجــــراً من الوجنات فـــاحـــتـــرقــاَ

وقوله :[الكامل]

---

١ : الفوات ١ : ٣٠٧ .
٢ : الفوات : اربح .
٣ : الفوات ١ : ٣٠٦ .
٤ : الفوات : فذكرني ... من يد .

قـــابلْ مـــذلَّةَ من أتاك بعُـــذْره ... بالصـفْح إنَّ العُـذر خـيـرُ شـفـيعِ
وإذا غـفـرتَ فـلا تشـوبُ حَـلاَوةُ الـ ... غـفـران منك مـرارةُ التـقـريعِ

وقوله: [الوافر]

أغـايظُهُ ليُـعْـرِضَ بالتـجنّي ... فـيـحلو لي إذا أبدى الدلالا
وإن عـرف الفـتى مـقـدار شيءٍ ... عـزيْزٍ من بضـاعـتِـه تغـالى

وقوله: [1] [مخلع البسيط]

جـئتُ أريْدُ الحَـمَّـامَ يومـاً ... فـغـرّني النقش والحـصـيْـرُ
أنْقُلُ خـوفَ الوقـوعِ رجْلي ... فـيـهـا كـمـا يَنقُلُ الضـريْرُ
(١٧٥) جـهنّم لا يُصـابُ فـيـهـا ... وهْجٌ بل الكُلُّ زمْـهَـريْرُ
وكُـلَّمـا جـاءها زبونٌ ... قـلنـا ألـم يـأتِـكُـمْ نـذيْـرُ

وقوله: [المنسرح]

نَفْسُ الخـسيس البـخـيل كـامنةٌ ... فـيـه ولو حـاز ملك قـارونِ
يُعطي ويُقْـري وفـي مـخـايِلِـهِ ... مَنُّ شـحـيحٍ وكظْـمُ مـغـبـونِ

وقوله: [2] [الوافر]

حـمـانا التـركُ وانتـهكوا حـمـانا ... وليس يفي التـواصُلُ بالصُـدودِ [3]
حـمـونا بالصـوارمِ والعـوالي ... وجـاروا باللواحظِ والقُـدودِ

وقوله يرثي صديقاً له: [الخفيف]

١: الفوات ١: ٣٠٧.
٢: الفوات ١: ٣٠٧.
٣: الفوات: وليس يفي.

كـيف نسلو يا زَيْنُ أو نتناسى خُلُقـاً منك يُطربُ الجلاّسـا
لستُ أبكي عليه لكن على نفـ سِيَ أبكي فقد عَدِمْتُ النّاسا

وقوله: [الطويل]

ولما نزلنا دوحة الزهر نجتلي محاسنَ ما قد نظّمتْهُ يَدُ القَطْرِ
فما خِلْتُها إلاّ تماثيلَ عنبَرٍ وقد جُلِّلتْ من فوقها شبكُ الدُّرِّ

وقوله: [البسيط]

أرني المنافسَ في الدنيا ليجْمَعَها حِرْصاً وللرزقِ حُكْمٌ يُبطِلُ السَّببا
كلاعِبِ النَّردِ يُفني في تَصَرُّفِهِ جُهْداً ويَمْنَعُهُ المقدارُ ما طَلَبا

وقوله: [البسيط]

وباقةٍ أُلِّفت من نَرْجِسٍ نَضِرٍ تروقُ أبصارنا بالمنْظَرِ العَجَبِ
تُخالُ مائدةً من فِضّةٍ وضِعَتْ وبُثَّ فيها سكاريجٌ من الذَّهَبِ (١)

وقوله: [المديد]

أيُّها الحادي أقِمْ نَفْساً فلعمري فيك إحسانُ
إسْألِ الأحبابَ أن يَعِدوا عودةً فالقومُ قد لانوا
(١٧٦) رحلوا والقَلْبُ بينَهُمُ يتوارى وهو وجْلانُ
خِيفَةً مِمَّن يهيْمُ بِهِمْ كلُّ من في الركْبِ غيرانُ

وحُكيَ أنه كان يَعْهَدُ غلاماً مصوناً، ذا جمالٍ رائقٍ، وكمالٍ فائقٍ، وحُسْنٍ يُعْذَرُ به الوامقُ، والجذابٍ يطمَعُ بمِثْلِه العاشق، وكان يَعْهَدُه يجرح قلبه ولا يُكلِّمُه، ويروي نظره منه ولا يُطفأ تضرُّمُه، فمرَّ به وقد تمادى عليه زمانٌ في

١: سكاريج: جمع سُكُرُّجَة؛ وهي إناء يوضَعُ فيه الطعامُ.

حانوت معلِّمه، فمذْ رآه افترَّ له بَمَبْسمه، فأراد أن يجْلسَ إليه فأشار إليه ألاّ يفعل، فَعَلِق قَلْبُهُ برَحِم إيمائه، وقويَ طَمَعُهُ في الوصولِ إلى نجم سمائه، وكان الغلام قد خاف مُعَلِّمَه لأنّه كان به مفتوناً لا يَكُفُّ عنه نظراً، ولا يُبْصِرُ غيْرَه ولا يرىَ، وكان المعلِّم وهو الذي راضَ جامِحَ ذلك الغُلامَ، وعَلَّمَهُ أن يَرْميَ بِطَرْفِهِ تلك السِّهام، فانْصَرَفَ عنه وهو يقول :[المنسرح]

أقْصِدُ حانوتَه فيغمزُني ... أن لا تقف عندنا لتهْتكَنا
فإنَّ هذا معلِّمي رَجُلٌ ... قد لاط قسطاً من عمره وَزَنا
لا جمَّلَ اللهُ من معلِّمه ... بالسِّتْرِ عِرْقاً إن ماتَ أو دُفنا
علّمَه صنعةً يعيْش بها ... مَعْهُ، وأخرى بها أموتُ أنا

قلت، وقد سكّن (مَعْهُ) في هذا البيت وهُوَ معيب. وكان شيخُنا شهاب الدين محمود رحمه الله يقول: قلَّ أنْ نَهضَتْ قافيةٌ مقيّدةٌ، أو عُمِّرَ بيْتٌ سُكِّنتْ فيه مَعْ.

قلت: وفي قول شيخنا هذا مطلقاً نظر، و(مع) ، الساكِنَةُ مع غير ضمير أخفُّ منها ساكنةً مَعَ الضمير. ثمَّ نرجعُ إلى تتمّةِ شعره فنقول، ومنه قوله :[الطويل]

ألقت هواي في هواكم فراضني ... فَلَم يبقَ لي نَفْسٌ تخالفُ عن أمري
وقد كُنتُ ذا صبْرٍ على ما ينوبُني ... فعلّمني هجرانُكُمْ قِلَّةَ الصَّبْرِ

وقوله :[السريع]

لما بدا الشَّعْرُ على سالفيْهْ ... سعى به من كان يسعى إليهْ
(١٧٧) ما عايَنَتْ من قَبْلِه مُقلَتي ... بدْراً عَراهُ النّقْصُ من جانبيْهْ

وقوله في الحشيشة :[الوافر]

إذا فُـرَصٌ بدت لك فـانتـهـزْها ... فـأعـمـارُ السُّرور بهـا قـصـارُ
وخـذها من مـعنْبَـرَةٍ بلونٍ ... كلونِ الآس يلحـقُـهـا اصـفـرارُ
تطوفُ على الأكفِّ بغـيـرِ كـاسٍ ... لهـا، وحـبـاتُها الحبُّ الصـغـارُ
وودِّع غـيـرها إن خـفْتَ عـاراً ... فـحـسـوة غـيـرها ذلٌّ وعـارُ
فلو أنَّ الحَـشـيشَ تَزيدُ فـهـمـاً ... لنالَ بفـهـمِـه الرُّتبَ الحـمـارُ

وقوله :[السريع]

يعـبثُ عـجـبـاً بقلوب الورى ... في الشُّحِّ بالوصْلِ وبذْلِ السَّمـاحْ
يؤنِسُ بالنرجس من يجـتـنـي ... فـإن لـوى أطْعـمـه بالأقـاحْ

وقوله في الأذريون، وأهل دمشقَ تسمِّيه (الكركاش) :[الكامل]

انظر إلى الكرْكـاش وَهْوَ مُـحـدِّقٌ ... كـالتِّبْـر مـحـتـاطٌ عليـه يُدارُ
فكأنَّه فَمُ شـادنٍ مـتـبـسِّمٌ ... من فـوقِ رأسِ لسـانه دينـارُ

وقوله :[السريع]

تبّـاً لحـمّـام نَشـبْنا بهـا ... لم نَرَ فـيـهـا خَـصْلةً صالِحَـةْ
فـبـابُهـا كـالفَـحْم لكنّهـا ... كـالثّلج منهـا نُقْطَةٌ راسِـخَـةْ
والماء كـالبـولةِ لكنّـه ... سَـخِنٌ غليظٌ سَـهِكُ الرائحـةْ(١)
فـيـهـا ضـبـابٌ عـاقـدٌ تغتـدي ... أوجُـهُنا في نَقْـعِـه كـالِحَـةْ
والسِّـدْرُ كـالوحْلِ على أرضـهـا ... قـدْ لَزِمَ الشَّـعْـرَ من البـارحـةْ
ومـا الذي يذهب غـيّـابُه ... وليس فـيـه نقطةٌ شـارِحَـةْ
وفـيـمَ أتْرف من أحْـذَم ... عـلامـةُ الشَّـرِّ به لائحـةْ

١ سَهِكُ الرائحة : كريه الرائحة منتنُها .

تتلو علينا كلما جاءنا | ه نتلو سورة الفاتحة

وقوله:[1][السريع]

نفَّشَ غُصْنُ البان أذنابَهُ | واهتزَّ عند الصُّبْحِ عجْباً وفاحْ
وقال هل في الروض مثلي وقد | عَزَوا إلى غصني قدود المِلاحْ[2]
(١٧٨) فحدَّق النرجسُ يهزا به | وقال حقّاً قلته أومزاحْ؟!
قال له البانُ ألا تستحي | ما هذه إلا عيونٌ وِقاحْ[3]

وقوله:[الخفيف]

وعَدَتْ زورةً إذا الليلُ جنّا | فتجافى الكرَى جفونَ المُعَنّى
وغدا بين خوفه والدُّجَى هَلْ | لَ إليه الصباحُ أو هي أدنى

وقوله:[مجزوء الرجز]

ذو مقلةٍ صحيحةٍ | ألحاظُها مُنْكسِرَة
كأنّها من فِعْله | بصبِّها معتذرة
أوصافُه كاملَةٌ | وفي الورى مُختَصَرة
يا ربِّ خذ رقيبَهُ | فَهْوَ أشَدُّ العَشَرَةْ

وقوله:[الوافر]

لئنْ جَحَدَتْنيَ العينان ظُلْماً | وُجوبَ دمي فإنَّ الخدَّ يَشْهَدْ
بَخِلْتَ على الخليل بغيْرِ ذَنْبٍ | جناه بطيبِ مرشفِكَ المُبرَّدْ

---

١ : الفوات ١ : ٣٠٥ .

٢ : الفوات : وقال من في .

٣ : الفوات : أما تستحي .

وقوله في المائدة وهي الخونجاه :[مخلع البسيط]

وذاتِ أصْلٍ لهـا زكـيٍّ يُصْلحُ بين المغاضِبين
تسعى على الرأسِ إنْ أتتنا طوراً وطوراً على اليدين

وقوله :[السريع]

وذات وجهين وما فيهما عينٌ ولا أنفٌ ولا حاجبُ
لها فمٌ ليس له مَدْخَلٌ وَهْوَ لِما يسقونَهُ شاربُ

ومنهم :

٥١- محمدُ بنُ العفيفِ، سليمانُ بنُ علي بنِ عبد الله بن علي، التلمسانيُّ، أبو عبد الله، شمسُ الدين*

نسيمٌ سرى، ونعيمٌ جرى، وطيفٌ لا بلْ أخفُّ موقعاً في الكرى، لم يأتِ إلاّ بما خفَّ على القلوب، وبرئ من العيوب، ورقّ شعْرُه فكاد يُشرَبُ، ودقَّ فلا غرو للقَصَبِ أن يرقُصَ، وللحمام أن يطرَبَ. ولزم طريقةً دخل بها بلا استئذان، وولج القلوبَ ولم يقرع بابَ الآذان، وجاء بكلٍّ لطيف، وأجاد التورية والكلُّ معها لفيف، وبرز على (١٧٩) أقرانه ففات الرِّفقة، وملأ العينَ بما جاء به من الرِّقَّة، وكان لأهل عَصْرِه، فمن جاء على آثارِهم افتتانٌ بشِعْرِه، وافتنانٌ فيه وفي ذكره، وخاصةً أهلُ دمشقَ، فإنَّه بين عمائِم حياضِهم رُبِّي، وفي كمائم رياضهم خُبِّي، حتّى تدفّق نهرُهُ، وأينع زهرُهُ، وكان يرى أنّهم جلدته، وأبناء بلدته، وإن كان قديمه من بلدٍ سوى بلدهم، ولمولدٍ غير مولدِهم.

وقد أدركْتُ جماعةً من خلطائه لا يرون عليه تفضيل شاعرٍ، ولا يروون له

* انظر ترجمته وافية في مقدمة ديوانه بتحقيق شاكر هادي شكر .

شعراً إلاّ عَظّموه كالمشاعِر، ولا ينظرون له بيتاً إلا كالبيت، ولا يقدِّمون عليه سابقاً، لو قلت: ولا امرأ القيس لما باليتُ. ومرّت له ولهم بالحمى أوقاتٌ لم يبقَ لهم من زمانها إلاّ تذكُّرُه، ولا من إحسانِها إلاّ ما تشكُرُه. وأكثَرُ شِعْرِه -لا بَلْ كلُّه- رشيقُ الألفاظِ، سَهْلٌ على الحُفَّاظِ، لا يخلو من الأمثال العاميَّة، وما تحلو به المذاهبُ الكلاميَّةُ، فلهذا عَلِقَ بكُلِّ خاطِرٍ، وَوَلِعَ به كلُّ ذاكر، وعاجله أَجَلُه فاخْتُرِمَ، وأُحْرِمَ أحبابه لذَّةَ الحياة وحُرِمَ. ذكر شيخنا أبو حيَّان وهو آخر من ذَكَرَه في مجاني العصر، وقال: مَولدُه بالقاهِرَة في عشرِ جمادى الآخرة، سنة إحدى وستين وستمئة، ومما أنشد له قوله في طبّاخ:(١)[مجزوء الرمل]

رُبَّ طبّـاخٍ مليحٍ ... فاترِ الطَّرف غريرِ
مالكِيٍّ أصبح لكن ... شُغْلُه بالقدورِ

وقوله:(٢)[السريع]

أسيرُ أجفانٍ بخدٍّ أسيلِ ... كليمُ أحشاءٍ بطرْفٍ كليلْ(٣)
في حبٍّ من حظّي كشَعْرِه ... لكن قصيْرٌ ذا وهذا طويلْ(٤)
ليس خليلاً لي ولكنّه ... يُضَرِمُ في الأحشاء نارَ الخليلْ(٥)
يا ردفَهُ جُرْتَ على خَصْرِه ... رفقاً به ما أنت إلاّ ثقيلْ

وقوله:(٦)[الهزج]

١: ديوانه ١٤٠.

٢: ديوانه ٢٣٥.

٣: الديوان: أسير ألحاظ.

٤: الديوان: حظي من شعره.

٥: الديوان: أضرم.

٦: ديوانه ١٢٦-١٢٧.

وقـــــد ســــــوّد حظّي منـ | ـكَ يا أبهى الورى غُـــــرّةْ[1]
ســــوادُ الخــــالِ والعــــارِ | ضُ والمــقــلــةُ والطُّــرّةْ[2]
(١٨٠) قديمُ الهَجْرِ مَن لفتىً | قديمٌ في الهوى هَجَرَهْ
رأينا من جــــفــاً وجناً | ولكن زِدْتَ في كــــرّةْ[3]
فــــهـــل تسنح أو تسـ | ـمحُ بالوصلِ ولو مَـــرّةْ[4]
فــقــد أصــبــحتُ لا أمـلـ | ـكُ من صـــبــري ولا ذرّةْ
وقـــد صــيّــرني هجــرُك | في كس أختِ مـــا أكْـــرَهْ[5]
عــذيري فــيــه من قَــمـــرٍ | يسريك بخــــدِّه الزُّهْرَهْ
إذا قــــارن بالأكــــؤسِ | إذ بشـــرتُهـــا ثغْـــرَهْ[6]
أراكُ الــذَّهَــبَ المصـــريْ | يَ فوق الفـضّـةِ الفقــرةْ

ومما أنشد له الفاضلُ أبو الصفا الصَّفديُّ قوله:[7] [الخفيف]

ومليح كـــالبَـــدْرِ زار بليلٍ | فـجـلا حُسْنه الدُّجَى إذ تجلَّى[8]
ومـــا درى منزلي ولكنَّ قلبي | بلهـــيبِ الجَـــوَى هداه ودلاَّ[9]

---

١ : الديوان : سوّدت .
٢ : الديوان : والمقلة والعارض .
٣ : الديوان : جنىً وجفاً .
٤ : الديوان : فهل تمنح .
٥ : الديوان : في ... أخت .
٦ : الديوان : إذ يمزجها .
٧ : ديوانه ٢١٨-٢١٩ .
٨ : الديوان : وفقيه كالبدر ... فجلا نوره .
٩ : الديوان : ما درى موضعي ... بضرام الحشا .

وعجيبٌ منه فقيهٌ ذكيٌّ   بمَحَلِّ النزاعِ كيف استدلا

وقوله:[1] [الكامل]

ولقد أتيتُ إلى جنابكَ قاضياً   باللَّثْمِ للعتَباتِ بعضَ الواجبِ[2]
وأتيتُ أقْصِدُ زورةً أحْيَا بها   فرددتَ يا عيني هناك بحاجبِ[3]

وقوله في رسّام:[4] [مجزوء الرجز]

قُلْتُ لِرَسَّامِكُمُ   بكَ الفؤادُ مُغْرَمُ[5]
قال متى أُذيبُهُ   فقُلْتُ حين ترسُمُ[6]

وقوله:[7] [من الرجز]

يا بأبي معاطفٌ وأعيُنُ   يصولُ منها رامحٌ ونابِلُ[8]
فهذه ذوابلٌ نواضِرٌ   وهذه نواظِرٌ ذوابِلُ

وقوله:[9] [الطويل]

حَلَلْتَ بأحشاءٍ لها منك قاتِلُ   فهل أنت منها نازلٌ أم مُنازِلُ[10]

١: ديوانه ٥٤ .
٢: الديوان: ولقد وقفت ضحىً ببابك قاضياً
٣: الديوان: وأتيت أطلب زورة أحظى بها .
٤: ديوانه ٢٥٥ .
٥: الديوان: قولوا لرسامكم .
٦: الديوان: قالوا متى تذيبه   فقلت حتى يرسم .
٧: ديوانه ٢١٤-٢١٥ .
٨: الأصل: المعاطف. الديوان: يصون منها .
٩: ديوانه ٢٠٠ .
١٠: الديوان: فيها نازل .

أرى الليلَ مذ حجّبتَ ما حال لونُه ... على أنه بيني وبينك حائلُ
(١٨١) أيُسعدني يا طلعة البدر طالعٌ ... ومن شِقْوَتي حظٌّ بخدِّك نازل
ولو أنَّ قسّا واصِفٌ منك وجنةً ... لأعْجَزَه نبتٌ بها وَهْوَ باقِلُ

وقوله :[1][الطويل]

بلا غَيْبَةٍ للبْدرِ وجْهُكَ أجْمَلُ ... وما أنا فيما قُلْتُه مَتَقَوِّلُ
لحاظُكَ أسيافٌ ذكورٌ فما لها ... كما زعموا مثل الأرامِلِ تغزلُ
وما بالُ برهانِ العِذارِ مسلَّماً ... ويلزمُهُ دورٌ وفيه تَسلْسُلُ
ولا عيب عندي فيكَ إلا صبابةً ... لديك بها كلُّ امرئٍ متبدِّلُ[2]
وعهديَ أنَّ الشمس بالصّحْوِ آذنت ... وسُكري أراه من مُحيّاك يُقبِلُ[3]

وقوله :[4][السريع]

في غَزَلي من لَحْظِ ذاك الغزالْ ... أخبارُ صبٌّ قَتَلَتْهُ النِّبالْ
غُصْنٌ سَقَتْهُ أدمُعي ثمَّ ما ... أثمرَ لما مالَ إلاّ الملالْ
وهبْتُه ياقوت دمعي وَلا ... يسمَحُ لي مَبْسِمُه باللآلْ[5]
حلَّ ثلاثاً يوم حمّامه ... ذوائباً تعبقُ منها الغوال[6]
فقُلْتُ والقصْدُ ذؤاباتُه ... واسَهَري في ذي الليالي الطِّوال

---

١ : ديوانه ١٩٩-٢٠٠ .
٢ : الديوان : فيك لولا صيانة .
٣ : الديوان : ... فما بال سكري من .
٤ : ديوانه ٢٣٤ .
٥ : الأصل : دمعي ولم .
٦ : الغول، جمع غالية : ضرب من الطيب .

وقوله:[1] [الطويل]

وكَمْ يتــجــافى خــصْــرُه وَهْوَ ناحِلٌ ... وكـم يتــحــالى ثغــرُه وَهْوَ بـاردُ[2]
وكـم يدَّعي صــوناً وهُدْبُ جــفــونِه ... تفــتُّـرها للعــاشــقين مــواعِـدُ[3]

وقوله:[4] [الرجز]

مــــثلُ الغــــزالِ نظرَةً ولفــــتــــةً ... من ذا رآه مــــقــــبــــلاً ولا افــــتتن
أحْــــسَنُ خلق الله ثغــــراً وفــــمــــاً ... إن لـم يكـن أحقّ بالحُــــسْن فَــــمَنْ
وسَنَّ في شــرع الهــوى تســهُّــدي ... وحَــرَّمَ الأجــفــانَ لـذّاتِ الوَسَنْ[5]
في ثغــره وصُــدْغِــه ووجْــهِــه ... الماءُ والخـضـرةُ والوجْـهُ الحَسَنْ[6]

وقوله:[7] [الوافر]

وبين الخــدِّ والشــفــتين خــالٌ ... كــزنجيٍّ أتى روضــاً صــبــاحــاً
(١٨٢) تحيَّـرَ في الرياضِ فليس يدري ... أيجني الورد أم يجني الأقــاحــا

وقوله:[8] [السريع]

كــــأنَّ ذاك الخــــال لما غــــدا ... يـلـوحُ في سلسـلـة مـن عــــذارْ
أُسَــــيْــودٌ يـخْــدِمُ فــي جنّـةٍ ... قــــيّــــدَه مــولاه خـوف الفـرارْ

١: ديوانه ٩٢ .
٢: الأصل: كم يتجافى .
٣: الديوان: وهذي جفونه بفترتها .
٤: ديوانه ٢٨٠ .
٥: الديوان: سقط البيت .
٦: الديوان: في جسمه وصدغه وشكله .
٧: ديوانه ٨٥ .
٨: الديوان: سقط البيتان .

قلتُ والمذكور له محاسنُ كثيرةٌ سوى هذا، منها قولُه في نحوي:(١)[السريع]

يا رُبَّ نحويٍّ له مَبْسَمٌ تقبيلُهُ غايةُ مطلوبي
قد صُغِّرَ الجوهَرُ من ثغرِه لكنّه تصغيرُ تحبيبِ

وقولُه في مليح يعمل الكوافي اسمه علي:(٢)[مخلع البسيط]

اسم حبيبي وما يعاني قد أظهرا لوعتي وحُبّي(٣)
قالوا: عليّاً، فقُلْتُ: قدراً قالوا: كوافي، فقُلْتُ: قلبي(٤)

وقوله:(٥)[مجزوء الوافر]

عذارٌ فيه قد عبثُوا مُحِبُّوه وقد عَنَتُوا
يخافُ عيونَ واشِيْهِ فيمشي ثمَّ يَلْتَفِتُ

وقوله:(٦)[مجزوء الكامل]

إنِّي لأشكو في الهوى ما راحَ يفْعَلُ خدُّهْ
ما كان يَعْرِفْ ما الجفا لكِنْ تفتّح وَرْدُه

وقوله:(٧)[الكامل]

١: ديوانه ٧٠ .
٢: ديوانه ٧٠ .
٣: الديوان: قد شغلا خاطري ولبي .
٤: الديوان: عليٌّ .
٥: ديوانه ٧٥–٧٦ .
٦: ديوانه ٩٨ .
٧: ديوانه ٣١ .

بعث العِتابَ برُقْعَةٍ مُحْمَرَّةٍ ... جاءت تهدِّدُنا بفرط جفائه[1]

فسألتُها عنه فقالت إنَّه ... ذَبَحَ الوداد فكنْتُ بعضُ دمائه[2]

وقوله:[3] [الكامل]

ما أنت عندي والقضيـ ... ـبَ اللَّدْنَ في حالٍ سَوا[4]

هذاك حَرَّكَهُ الهوا ... ءُ وأنت حَرَّكْتَ الهوى

وقوله:[5] [الوافر]

جَلاَ ثغراً وأطْلَعَ لي ثنايا ... يسوقُ بها إلى قلبي المنايا[6]

(١٨٣) وأنشد ثغرُهُ يبغي افتخاراً ... أنا ابن جلا وطلاَّعُ الثنايا[7]

وقوله:[8] [الكامل]

لِيْ من هواك بعيدُهُ وقريبُهُ ... ولك الجمالُ بديعُهُ وغريبُهُ

يا من أُعيْذُ جمالَهُ بجلاله ... حَذَراً عليه من العيون تُصيبُهُ

إن لم تكُنْ عيني فإنّك نورُها ... أو لَمْ تَكُنْ قلبي فأنْتَ حبيبُهُ

هل حرمةٌ أو رحمةٌ لمتيَّمٍ ... قد قلَّ فيك نصيْرُه ونصيبُه[9]

١ : الديوان : بعث الكتاب .

٢ : الأصل : فسألتها عنها .

٣ : ديوانه ٢٨٥ .

٤ : الديوان : في حدٍ .

٥ : ديوانه ٢٨٨ .

٦ : الديوان : يسوق إلى المحبِّ بها المنايا .

٧ :عجز البيت لسحيم بن وثيل . وتمامه : متى أضع العمامة تعرفوني .

٨ : ديوانه ٤٢–٤٣ .

٩ : الأصل : هل أحمد أو حرمة ... قلَّ منك .

لم يبْقَ لي سرٌّ أقولُ تُذيْعُهُ ... كلا ولا قلباً أقولُ تُذيبُهُ[1]
والنجْمُ أقربُ من لقاك منالُهُ ... عندي وأبْعَدُ من رضاك مغيبُه
والجوُّ قد رقّت عليَّ عيونه ... وجفونُهُ وشمالُه وجنوبُهُ[2]
هي مُقْلةٌ سهمُ الفِراقِ يُصيبُها ... ويسحُّ وابِلُ دمْعها فَيَصوبُهُ[3]

وقوله:[4] [الطويل]

دعاه ورقمُ الليل بالبرقِ مُذْهَبُ ... هوىً بك لبّاه الفؤادُ المعذّبُ
بروحيَ يا طيفَ الحبيب محافظٌ ... على العهد، يدنو كيف شئتَ ويقرُبُ[5]
ومَنْ كُلّما عاتبْتُهُ رقَّ قَلْبُهُ ... وأقسَمَ لا يجفو ولا يتجنَّبُ[6]
يُعلِّمُه فرطَ القساوة أهْلُهُ ... ويعْطفُهُ الخُلْقُ الجميلُ فيغْلبُ[7]
يشقُّ جلابيبَ الدُّجُنّةِ زائري ... على رغم من يلحى ومن يترقَّبُ
فأُخْجِلُه مما أبثُّ له الهوى ... ويُخجلُني من كثْرِ ما يتأدَّبُ[8]
فلو رُمْتَ أني عنه أثني عن الهوى ... غرامِي لنادَى لُطْفُهُ أين تذهَبُ[9]

وقوله:[10] [السريع]

١ : الأصل: أقول بديعه .
٢ : الأصل: عليه شماله وجنوبه. وشمال وجنوبه .
٣ : الأصل: دمعه .
٤ : ديوانه ٣٩–٤٠ .
٥ : الديوان: محافظاً .
٦ : الديوان: لا يجني .
٧ : الديوان: فيعطفه .
٨ : الديوان: أبث عتابه ... من فرط .
٩ : الديوان: أثني أعنتي غرامي ينادي .
١٠ : ديوانه ٨٨ .

أخجلتَ بالثَّغر ثنايا الأقاحْ … يا طُرَّةَ الليل ووجْهَ الصَّباحْ
وأعجمت أعينُك السِّحْرمذ … أعربَ منهنَّ صفاحٌ فصَاحْ[1]
فيا لها سوداً مراضاً غدت … تَسُلُّ للعشاق بيضا صحاحْ[2]
يا للهوى هل مُسْعِدٌ مغرماً … رأى حمامَ الأيكِ غنّى فَناحْ[3]
(١٨٤) يا بانةً مالت بأعطافِه … عَلَّمْتِني كيفَ مَهَزُّ الرِّماحْ[4]
وأنتِ يا أسْهُم ألحاظِه … أثخَنْتِ والله فؤادي جراحْ

وقوله:[5][المنسرح]

أوّلُ عهدي بالحبِّ فيك غدا … آخِرَ عهدي بالصَّبْرِ والجَلَدِ
وأنتَ يا طَرْفَهُ السَّقيْمَ أما … ترحَمُ ما قد حكاكَ من جَسَدي
يميلُ قلبي لرَشْفِ ريقتِه … من أين للنار نسْبَةُ البَرَدِ
حسبي وحسب الهوى وحسبك ما … يفعَلُهُ الهْجْرُ بي فلا تَزِدِ

وقوله:[6][الطويل]

تعالوا نُعيدُ الوصلَ نحنُ وأنْتُمُ … فلا رأي منا عنْدَ من دام صَدُّهُ[7]
ولا تفتحوا للعُتْب بابا فربَّما … يعزُّ علينا بعد ذلك سَدُّهُ[8]

---

١ : الديوان : أعربت منهم صفاحاً .
٢ : الديوان : للعاشق .
٣ : الديوان : من مسعد .
٤ : الديوان : ها قد عرفنا منك هزَّ الرماح .
٥ : ديوانه ١٠٠-١٠١ .
٦ : ديوانه ٩٤-٩٦ .
٧ : الأصل : نعدُّ الوصل .
٨ : الديوان : يعز عليكم .

ومنتـــــــقمٍ مني وذنبَيَ عنْدَهُ ... مــقـــالِي وهذا الحُــرُّ قلبي عَــبْـدُهُ
رعى الله ليــلاً زارني فــيـه والدُّجى ... يـلثِّــــمُـــــهُ لولا تضـــوع ندُّهُ
فلمـا بدا واشي الصّـبـاح بوشْـيِـهِ ... ونيطَ علينا من ندى الجـو بَردُهُ(١)
ترَقْــــرَقَ دُرُّ الدَمْعِ في متن لحْظِهِ ... فحـقَّـقْتُ أن السيفَ فيـه فرنْدُهُ(٢)
أقـــولُ لقلبي والغـــرامُ يقـــودُهُ ... وسـيـفُ التـجنّي والتَّـمنِّي يقُـدُّهُ
سـأسـري وجُنْحُ الليلِ يسطو ظلامُـهُ ... وأسقي وقلبُ الشمس يُلْمَحُ وقْدُهُ(٣)
أرومُ بعـــزمي فـــوق مـــا دون نيْلِهِ ... لـواءِ المنـايـا خـــــافقُ الظلِّ بندُهُ
ولا ذنْبَ لي إلاّ الكمـالُ على الصِّـبـا ... فمن لي بِعَيْبٍ أو بشيـبٍ أعُدُّهُ(٤)

وقوله :(٥)[الكامل]

ولقـــد أقــولُ لصـــاحـبيَّ برملة الـ ... جـرعـــاء مـــا بين النقـــا والغـــارِ
حُــثَّـا النيـاق بنا تسـيْـرُ ونحن في ... قلب الدُّجى أخــفى من الأسـرارِ(٦)
لا تخـدعنّكمـا المعـاطفُ إنّهـا ... قـد أنحلت سـمـرَ القنا الخطّارِ
وتوقـيـا تلـك المحـاسِنَ إنّهـا ... نـارُ القـلـوبِ وجَنَّـةُ الأبصـارِ

(١٨٥) وقوله :(٧)[الوافر]

أمـــا وتمايُلِ الغـصنِ النضـيـرِ ... وحُـــسْنِ تلفُّت الظَّبي الغـريرِ
وصُـــدْغٍ قـــد حكا لما تبـــدّى ... خـيـالَ الروض في صفـو الغديْرِ

١ : الديوان : من يد الجو .

٢ : الديوان : من متن .

٣ : الديوان : يلفح وقده .

٤ : الديوان : بشيب يرده .

٥ : ديوانه ١٣٥-١٣٦ .

٦ : الديوان : حيث النياق .

٧ : ديوانه ١٣٨ .

لقد نشطت لواحظُه لقتلي بعَزْمَ وهْي توصَفُ بالفُتور
كما جَهلَتْ ذوائبُه غرامي ذهولاً وهي توصف بالشُّعورِ (١)
هلالٌ في التباعُدِ والتداني غزالٌ في التلفُّتِ والنفورِ
أعاينُ من محاسنهِ ودمْعي طلوعَ الشمسِ في اليومِ المطيرِ

وقوله: (٢) [مجزوء الرجز]

غادرني بغدره على هجير هجْرِهِ
فلم يحرِّكُ في الهوى لسانه بذكره
وطرْفه الساحِرُ إنْ شَكَكْتُمُ في أمْرِهِ (٣)
كيف يذوق عاشقٌ حلاوةً في صبْرِه
يا عاشقين حاذروا إذا وَفى من غدْرِه (٤)
يريدُ أن يخرجكم من عقلكم بِسحْرِهِ

ومنهم:

٥٢- عمرو بنُ مسعودِ بن عمرو الكتَّاني*

المحَّارُ، السرّاجُ، أبو حفص. هو السِّراجُ المنير، والمحّار محارُه، الدرُّ خاطرُه، الحَسَنُ التصوير، والكتانيُّ الذي دُوْنَ صِناعتِهُ قدْرُ الحريريِّ والحرير، الحلبيُّ الذي لو تقدّم زمانه ابنِ حمدان لما طابت لأبي الطيِّب عنده أردان، ولا كان له من الكنديِّ أو نظرائه أخدان، ولقالَ بلدي أنا أولى به وَهُوَ أولى بي، وأنا أحقُّ بذهبه

١: الديوان: ... عليه وهي تنسب للشعور.

٢: ديوانه ١٤١-١٤٢.

٣: الديوان: الساحر مذ.

٤: الديوان: يا عاشقون حاذروا من غدره ومكره.

* فوات الوفيات ٣: ١٤٦.

وهُوَ أحقُّ بذهبي، وجاري ولا واحدٌ جاء من تنوفَة، وشاعِرٌ من حلبَ ولا شاعِرٌ من أهلَ الكوفة. وهُوَ ممن اجتمعْتُ بهِ ورويتُ عنه ما تروي منه النَّهْلَةُ، ولقْطت من عُجالَتهِ ما لا تُحَصِّلُه المُهْلَةُ. وكان قد لبس زيَّ المتصوِّفة، ونَسَكَ آخرَ عُمْره نسكَ أهل المعرفَة، وكان جُلُّ أدبِه الموشَّحاتُ والزَّجَلُ، وأجادَهُما أجَلْ، وكان فيهما أجلَّ، ومن شِعْرِهِ قولُه يَصِفُ مرآةً من سَبِج :[الوافر]

ومِرآةٍ من السَّبج المُحلاّ   بدت في راحةِ الملكِ الهُمامِ
(١٨٦) تراءى وجهُه فيها فقُلْنا   أهذا البَدْرُ يُجْلَى في الظلامِ

ومنه قوله :(١)[المنسرح]

رأيتُه في المنام مُعْتَنِقي   يا ليت ما في المنام لو كانا
ثم انْثنى مُعْرِضاً فواعَجَبي   يهجُرُني نائماً ويقظانا

وقوله :(٢)[السريع]

بعثتَ نحوي المِشْطَ يا مالكي   فكدتَ أن تسلبني روحي
وكيف لا تَسْلِبُ روحي وقد   بعثْتَ منشوراً لِتَسْريحي

ومنه قوله في معالج مقيرة :(٣)[الطويل]

بروحيَ أفدي في الأنام مُعالِجاً   معاطفُهُ أزهى من الغُصُن الغضِّ
إذا ما امتطى لطْفاً مقيرةً له   وأقْعَدَها واحْمَرَّ سالِفُهُ الفِضيّ
رأيتُ مُحَيّاهُ وما في يمينه   كشمْسٍ تجلَّتْ دونها كُرَةُ الأرض

---

١ : الفوات ٣ : ١٤٦ .
٢ : الفوات ٣ : ١٤٧ .
٣ : الفوات ٣ : ١٤٨ .

ومنه قولـه يصفُ الجوسق الذي بناه، وأظْهَرَ بالذَّهَبِ المموّهِ عن الأصْلِ غِناه :[الكامل]

للهِ جوسَقُكَ الرفيعُ مَحَلُّهُ طال المجرّةَ سقْفُه المرفوعُ
يغنيك عن زهْرِ الرُبى إذهابَه فلديكَ منه مَربّعٌ وربيعُ
مختارَةٌ منه المحاسنُ كُلُّها فَصِفاتُهُ ما مِثْلُها مجموعُ

ومنه قوله يصفُ طِيْبَ حماةَ، وما يرشُفُ العاصي الجوسَقُ من لَمَاه، وينزلها لدمشقَ منزلةَ الضُّرَة، ويفضِّلُها على أكفافها المخْضّرة :[1][الكامل]

يا حبّذا وادي حَماةَ وطيبُهُ وطلاوةُ العاصي بهـا والجوسَقُ
فاتت منازلَ جِلَّق فَلِحُسْنها الـ شَّقْراءُ تكبو خلفها والأبْلَق[2]

ومنه قوله وقد ناولَه صاحِبُ حماة قرْصَ حلواء أو خشكنانكه :[مخلع البسيط]

يا مَلكاً جودُ راحتيه لم يحْوِجُ السائلَ السُّؤالا
ما زلتَ تسمو في الجودِ حتّى أهَدْيتَ لي الشمس والهلالا

(١٨٧) ومنه قوله :[السريع]

لنا مُغنٍّ حَسَنٌ صوتُهُ يطربُ من لحنه العَرَبُ
يرقُصُ من يَسْمَعُه طيبةً وهكذا المرقِصُ والمطْرِبُ

ومنه قوله في مَرْكَب :[السريع]

وأدْهَمٍ أحسن شكْلٍ يُرى قد راق حُسْناً وحلا منظرا

١ : الفوات ٣ : ١٤٧ .
٢ : الفوات : فاقت منارة

يزيدُ عن مَرِّ نسيم الصَّبا … لطفاً على الماء إذا ما سرى
أغربُ ما فيه على حُسْنِه … رجالُهُ تمشي به القهقرى
البرقُ لو جاراه قلنا انظروا … كيف يُعدّي الأَدْهَمُ الأشقرا

ومنه قوله في وصف باب رخامٍ مُشحَّمٍ عليه جامةُ ذَهَبٍ وَحَلَقٍ، من رآه قال سبحان من علّم الإنسان ما لم يَعْلَمْ وأتْقنَ ما خَلَقَ: [البسيط]

قالوا تُشبِّهُ ذا البابَ الرُّخامَ فما … تقولُ في حُسْنِ هذا الجام والحَلَقِ
فقُلْتُ شمْسٌ عليها هالةٌ طَلَعَتْ … تُمزِّقُ الغيم عنها حُمْرَةُ الشَّفقِ

ومنه قوله: [الكامل]

قالوا هوى بابن الأميْرِ جوادُهُ … فقلوبنا كادت عليه تَفَطَّرُ
فأجبتُهم لا تعجبوا لوقوعه … إنَّ السَّحابَ إذا سرى يتقطَّرُ

ومنه قوله: [السريع]

لو جادَ لي باللثم تحت اللِّثامْ … غَنيْتُ عن شُرْبِ كؤوسِ المُدامْ
عِذارُه أوضحَ عذري به … لامٌ، لمن عَنَّفَ فيه ولامْ
إذا رنا يخجَلُ رِيْمُ الفلا … وإن بدا يفضحُ بدر التِّمامْ
أو انثنى قالت غصونُ النَّقا … لله ما أعْدَلَ هذا القوامْ

وقوله: [المنسرح]

إنَّ بني مُزهِرٍ وإن صَغُرَتْ … أقدارُهُم من أكابرِ الفَجَرَةْ
لا يُعْرَفُ الخيرُ عندهم فلذا … معرفةُ الخير عندهم نَكَرَةْ
(١٨٨) إذا تأمَّلْتهم وَجَدْتَ على … وجوههمْ من مهانة قَتَرَةْ

١: الفوات ٣: ١٤٨.

ترهَقُـهـا ذلةُ اليـهـود وإشـ ـراكُ النَّصارى وخِسَّةُ السَّحَرَةْ
أبوهم مُزهِرٌ فمذ نَشَأتْ فروعُهُ ما رأوا لها ثمرةْ
ودوحةٌ لا تَظِلُّ صاحِبَها فلا سقى الله تِلكُمُ الشجرةْ

ومنه قوله: [الكامل]

أحببتُه ساجي اللواحظِ أهْيَفاً مُرَّ الجفا عَذْبَ اللَّمَى حُلْوَ الجنى
قالوا تهيْمُ بحُسْنِهِ فأجَبْتُهُمْ ماذا عليَّ إذا عَشِقتُ الأحْسَنا

ومنه قوله في قنديل:[1] [البسيط]

يا حُسْنَ بهجة قنديلٍ خلوتُ به والليلُ قد أسبلت منْهُ ستائِرُه
أضاء كالكوكبِ الدرِّيِّ متَّقِداً فراقَ باطِنُه نوراً وظاهِرُه
تزيدُهُ ظُلْمَةُ الليل البهيمِ سناً كأنما الليلُ طرفٌ وهو باصِرُهُ

ومنه قوله في حمام بعض مقاصيده بطّالة: [السريع]

سقياً لحمَّام الأمير التي رقّت بها من بعدها الحالُ
حلَّ بها الفالجُ من بَرْدِها فجنبُها الواحدُ بطّالُ

ومنه قوله في مليح اسمه شعبان: [السريع]

أُحبُّ شعبان وأرجو بأن أرزقَ في حُبِّي له صبرا
ما اتّفق الناسُ على نِصْفِهِ إلاّ وفيه الآيةُ الكُبرى

ومنه قولُهُ في فوَّارة ماء تبيض جؤجواً، وترقص لؤلؤاً: [الوافر]

ومائسةِ القوامِ إذا تثنّت يروقُكَ شكلُها الحَسَنُ البديْعُ
تُريْكَ من العيون لها قواماً فتثنيه وسائِرُه دموعُ

---

١ : الفوات ٣ : ١٤٧ .

ومنه قولُه في مليحٍ محموم، لازمتُ بَدَنَهْ ثمَّ قَبَّلْتُ فَمَهْ: [السريع]

لا أحْسُدُ الناسَ على نِعمَةٍ لكنني أحْسُدُ حمّاكا
أما كفاها أنَّها عانقت قدّكَ حتّى قبّلت فاكا

(١٨٩) ومنه قوله في قريبٍ منه: [الكامل]

قالوا حبيبك قد غدا ذا هزّةٍ أتقولُ تلك عقوبةُ الهجرانِ
فأجبتُهم: حاشاه لكن الهوى أبداً يهزُّ معاطف الأغصان

ومنه قوله في إبريق فخّار: [البسيط]

يا حبّذا شكلُ إبريق تميلُ له منا القلوب وتصبو نحوه الحُدَقُ
يروق لي حين أجلوه وتعجبني[1] منه محاسِنُ ذاك الجِسْمُ والعُنُقُ
كم قد شربت به ماء الحياة ولن ينالني منه لا غصٌّ ولا شَرَقُ
حتى غدا خجِلاً مما أقبِّلُهُ فظلَّ يرشحُ من أعطافِه العَرَقُ

ومنه قوله في شخصٍ من نحاس يجري منه الماء: [البسيط]

وصامتٍ صامت موضوعُهُ عَجَبُ فأمْرُه مُبْهَمُ المعنى وموضوحُ
له عيونٌ بأعضاءٍ يفجِّرُها ماء الحياةِ، وما في جِسْمِهِ رُوْحُ

ومنه قوله في مليح اسْمُه محمود: [السريع]

يقولُ لي مُنْكِر حالي به من لك في ذا الحيِّ مقصودُ
فقلْتُ لا تسألْ عن مَقْصِدي فيه فقصدي فيه محمودُ

ومنه قولُهُ يشفعُ في مسجونٍ اسمُهُ كمال: [الوافر]

فقالَ أيُرْتجى منّي تمامٌ أسَرُّ به وفي السِّجنِ كمالُ

---

١ : الفوات: يعجبني .

ومنه قوله يذكرُ الشّتاء الكالح وثلجه المكْفَهِرَّ وثغرَه الفاتح :[البسيط]

يا شهر كانون أمرضت الغصون ومُذْ أَمَتَّها لَبِسَتْ أنوارَها حَزَنا
والمُزْنُ غسّلَها من ماء أدْمُعِه والثَّلْجُ حاك لها من نَسْجِه كَفَنا

ومنه قولُه :[المنسرح]

انظُرْ إلى النهرِ في تَسَلْسُلِه وصفْوِه، قد وشا على السَّمَكِ
توهَّمَ الرّيْحُ صَيْدَها فغدا ينْسُجُ متن الغديْرِ كالشَّبَكِ

ومنه قوله في الياسمين وقد لاحت نجومُهُ المُشْرِقةُ، وبدت وكأنّه (١٩٠) على صدر الغواني في الأُزُرِ الخضر، صلبه المعلقة :[الوافر]

كأن الغصونَ من الياسميـ ـن وأزهاره حين يعلوه طيبْ
نساءٌ من الروم هيفُ الخصو ر على صدرِ كلِّ فتاةٍ صليبْ

ومنه قوله في زهر الخوخ، وهو الدراقن :[الوافر]

ولِلزهريِّ زهرٌ راق لوناً تجلَّى في بياضٍ واحمرارِ
كأن عيونه ترنو إلينا عيونٌ حشوها أثر الخمارِ

وقوله، وقد دخل الملك المنصور من فامية إلى حماة، وتركه في مخيمه بها، وكانوا بها في حمى نرجس :[الطويل]

رحلتَ فأصبحت روضة النّرجس الـ ذي عهدت بها الأزهار وهي بواسمُ
مقرّحة الأجفان خفّاقة الحشا تود اشتياقاً لو بكتها الحمائمُ

ومنه قوله في مليح يعلوه صفرة ذهَّبت أديمه الفضّيِّ، ووشعت أُصُلها نسيمه الروضي :[الكامل]

قالوا: حبيبك أصفرٌ فأجبتهم ما ذاك منقصة لفرطِ بهائه

ولذاكَ إنَّ الحسنَ رقَّ بخدِّه فأراكَ لونَ محبه في مائِه

ومنه قوله في معذَّرٍ رآه في قباءٍ أزرق كالبدر في الصحو أشرق، أو الشمس في غيم ذلك الاستبرق، إلا أن عارضه قد لوي ونام لما شرب من ماء خده وروي :[الهزج]

ولما لاح في الأزرق من مزروه المزري
بخدٍّ مشرقِ اللونِ عليه عارضٌ ملوي
أرانا الشمسَ في الغيمِ وبدر التمِّ في الصحوِ

ومنه قوله :[الطويل]

أرى لابن سعدٍ لحيةً قد تكاثفت على وجهه واستقبلت غيرَ مقبلِ
ودارت على أنفٍ عظيمٍ كأنه «كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مزمَّلِ» (١)

ومنه قوله في زامرة سوداء قبيحة :[الكامل]

(١٩١) ولربَّ زامرةٍ تهيجُ بزمرها ريحَ البطونِ فليتها لم تزمرِ
شبَّهتُ أنملَها على مزمارها وسوادها الداجي القبيحَ المنظرِ
بخنافسٍ قصدت كثيفاً فاعتدت تدنو إليه على خيار الشنبرِ

ومنه قوله في أحدب يُدْعَى الحسام :[المنسرح]

وأحدبَ أنكروا عليه وقد سمّى حساماً وغير منكورِ
ما لقبوه الحسام عن سَفَه لو لم يروا قدَّه القلا جوري

ومنه قوله في نجار مليح رآه بالمعرة :[الكامل]

قالوا المعرةُ قد غدت من فضلها يُسعَى إلى أبوابها وتُزارُ

---

١ : عجز البيت، عجز بيت امرئ القيس من معلّقته، وصدره : كأنَّ ثبيراً في عرانين وبلهِ .

وجبت زيارتها علينا عندما شغف القلوب حبيبها النجارُ

ومنه قوله يخاطبُ رجلاً أهدى له زيتاً :[الوافر]

أنورَ الدين يا مردي الأعادي بصارمه إذا اشتدَّ الهياجُ
أتاني الزيتُ منك فزدت نوراً ولولا النورُ ما عرفَ السراجُ

ومنه قوله من أبيات طارت في كل سماع، وعلقت بكل الأسماع، صنعت في موضع من الغناء، ما سمع منه أطيب، ولا هزّ المعاطف منه أطرب. طالما كانت لأغصان القدود مميلات، وقضيت بها ليالٍ، وإنما العمرُ هاتيك الليلات :[البسيط]

ما بثَّ شكواه لولا مَسَّهُ الألمُ ولا تأوَّه لولا شَفَّه السقمُ
ولا توهم أنَّ الدَّمعَ مهجتُهُ أذابها الوجدُ حتى سال وهم دمُ
صبٌّ له مَدْمَعٌ صبٌّ يكفكفه فتستهل غواديه وتنسجمُ
أراد إخفاءَ ما يلقاه من ألمٍ حتى لقد كان بالسلوان يتهمُ

ومنهم :

٥٣- علي بن المظفر الكندي الوداعي*

شاعر له لسان لا ينبو له ضرب، ولا تخبو له نار حرب. أولعُ من النار بتخليد الفساد، ومن النار بتخليف الرماد. أفنى أعراق الأعراض قرضاً وأنهك عظام العظام رضاً. وتتبع المساوئ ودوّنها، والمخازي وسطّر أدونها. وخلّد القبائح وكتب، وأظهر الفضائح (١٩٢) وكذب. وولع بالكبراء ولع الخمر بالعقول، وعبث بالأمراء وكان لا يبقي فيما يقول. وكان ممن غالب صباه على تأديب

* فوات الوفيات ٣ : ٩٨ والدرر الكامنة ٣ : ٢٠٤ .

نفسه فتأدب، ثم ما تأدب، وصفا منهله ثم تطحلب، لأنه أشغله بإفشاء المعايب، وإنشاء المثالب. وكتب أول حاله للصاحب عز الدين بن وداعة، ثم كان ينقل في الوظائف التي بها ينتفع، إلا أنه لا يرتفع. ثم استكتب بالبيرة، ثم بديوان الإنشاء بدمشق. بعد عطلة ضاق بها عطنا، وضاع فيها فهمه فحار لا يهتدي، ولا يأنس فطنا، فما صدر عنه ما يثبت، ولا ظهر ما يكتب له إلا ما يكبت. فما عدم من عزاء القديم امتهاناً، ولا خلَّد له بالديوان إلا أنه خلد فيه مهاناً.

وكان ممن لا يؤخر في رجال الحديث، والقراءة علو رواية، وعلوم دراية، وتعاليق فيها بخطه، وكان غاية. وقرأت عليه بعض كتب الأدب، أول ما عُقَّت عني التمائم، ولبثت على رأسي العمائم. وكان سريع الإفهام سُرى القدح في زناد الأفهام. وله تذكرة جمعُها عدةُ أجزاء، وديوان شعر، أول ما بدأه بأعراض أصحابه الأعزاء، معما فيهما من محاسن أُخَر، ومعادن درر. ووقفهما ببعض الجهات، وملأهما حراماً وحلالاً، وبينهما شبهات. فانتدب قاضي القضاة نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن صصري التغلبي، فكشط ما ضمهما من القبائح وتطهيرهما، وقد غمس فيهما يده في دماء تلك الذبائح، وها ديوانه الآن منقّى من ذلك الغلث، مبقى ما سوى ذلك العبث. أجل، إلا ما غمض على بديهة المعارف، وخفي بهرجه على بصيرة الصيارف. وكنت قد استعرت نسخة منه، فلما انقضت إفادتها، وطلب مني إعادتها، كتبت معها :[الطويل]

بعثتُ بديوان الوداعيِّ مسرعاً ... إليكَ وفي أثنائه الذمُّ والمدحُ
حَكَى شجرَ الدفلاءِ شكلاً ومخبراً ... فباطنه سمٌّ وظاهرهُ سَمْحُ

وها أنا ذاكر من شعر المبتدع، الوداعي إلا أنه الدر الثمين لا الودع. فمنه

قوله :[المجتث]

يا من يلوم كريماً يهشُّ للتعظيم ما يقبل النفخَ إلا ظرفٌ صحيحُ الأَديمِ

(١٩٣) ومنه قوله :[مجزوء الكامل]

يا سائلي من أين تأكلُ هاك حالي عن يقينْ
إن الذي خلقَ الرَّحَى يأتي إليها بالطحينْ

ومنه قوله في نصراني مليح رآه سائحاً، وكالظبي في جنبات الوادي سارحاً :[المجتث]

وسَائح وهواه في كل قلب مقيمْ
مذ أشبه الظبيَ أضحَى في كل وادٍ يهيمْ

ومنه قوله :[السريع]

أشكو إلى الرحمن بوابكم وما أرى من طول تعميرِهِ
ملازمُ البابِ مقيمٌ به كأنه بعضُ مساميرِهِ

ومنه قوله وقد مرّ بالنَّيرب فرأى تمايل غصونه ما أطرب :(١)[الطويل]

ويومٍ لنا بالنّير بينِ رقيقةٌ حواشيه خالٍ من رقيبٍ يشينُهُ
وقفتُ فسلمنا على الدَّوح غدوةً فردَّت علينا بالرؤوس غصونُهُ(٢)

ومنه قوله :[السريع]

أما ترَى الجامعَ في ليلةِ النصـ ـف التي تُزهى بأنوارها
قد وقَّدوه فحكَى روضةً ذهبيّة أوراق أشجارها

---

١ : الفوات ٣ : ١٠٢ .

٢ : الفوات : وقفنا على الوادي نحييه بكرة .

قلت: وقد ذكرت بهذين البيتين بيتين كنت قلتهما في هذا المعنى، ليلة نصف شعبان سنة تسع عشرة وسبعمائة بدمشق، ونحن بالجامع الأموي، وقد علقت مصابيح الوقود، كأنها خدود، وأقبل شاب ما طرّ شاربه، هو البدر التمام في تلك الليلة أو يقاربه، ثم طفق في الجامع يتمشى، ويأخذ بمجامع القلوب ولا يخشى، فقلت: [الطويل]

ولاحت مصابيحُ الوقودِ كأنها عيونٌ رأت معنى الحبيبِ فحدَّقتْ
وولّت تريد العودَ من خوف خدّه وقد سرقت منه الشعاعَ فعلّقتْ

عدنا إليه. ومنه قوله، وقد وكل السلطان ابن المقدسي، وهو ناصر الدين (١٩٤) محمد بن عبد الرحمن بن نوح، وكان من علمت فعلاته وعرفت عليه ولم يسرق عملاته: [مجزوء الكامل]

قل للمليك أمدَّه ربُّ العُلى منه بروحْ
إن الذي وكّلته لا بالنصيح ولا الفصيحْ
وهو ابن نوحٍ فاسأل القرآن عن عمل ابن نوحْ

ومنه قوله، وقد طلبت منهم بغال، ورميت عليهم جواري من سبي بيروت: [مجزوء الرمل]

أيها الكتّابُ قد زال زمانُ الافتقارَ
وغنينا واحتشمنا ببغالٍ وجواريَ

ومنه قوله، وقد رفعت الديادبُ النارَ منذرين بالعدو، ثم أصبح الخبرُ ساكناً، والبلدُ آمناً، وقد خمدت جمرة ذلك الليل وأصبحت رماداً، وسطع بياض النهار وما رأوا في مساء تلك الليلة إلا سواداً: [مجزوء الرمل]

لا تخافوا رفعَ نارٍ عندما لاحَ السواد
إنها جمرةُ ليلٍ أصبحتْ وهي رماد

ومنه قوله، وقد اهتم المتحدث بالشام في توسعة الميدان، عند قدوم الملك الأشرف :[الكامل]

عَلِمَ الأميرُ بأن سلطانَ الورى يأتي دمشقَ ويطلقُ الأموالا
فلأجلِ ذلك زاد في ميدانها ليكونَ أوسعَ للجوادِ مجالا

ومنه قوله، وقد أُهديَ قطراً :[المجتث]

أرسلت قطراً وسُؤلي له قبولٌ وعذرُ
ثم الأباليج يأتي وأول الغيثُ قطرُ

ومنه قوله، قد سبق الأعسرُ الأمراءَ في عمل ما خصَّهُ من الميدان :[الكامل]

لقد جادَ شمسُ الدين بالمالِ والقرى فليس له في حلبةِ الفضلِ لاحقُ
وأعجزَ في هذا البناءِ بسبقه وكلُّ جوادٍ في الميادين سابقُ

ومنه قوله في الصاحب محي الدين، محمد بن النحاس، أحد أئمة الحنفية، وكان له ولد اسمه يوسف أجاد :[الطويل]

(١٩٥) مَنْ مثلُ محي الدين دامت حياتُهُ إلى مذهب الدين الحنيفي يرشدُ
لقد أشبه النُّعمانَ وهو حقيقةٌ أبو يوسفٍ في علمِهِ ومحمدُ

ومنه قوله :[الطويل]

كَفَى أسفاً أننا جميعاً ببلدةٍ لا نلتقي يوماً ولا نتزاورُ
وما ذاك من بُغضٍ ولكن عيوننا على بعضنا من بعضنا تتغايرُ

ومنه قوله: [مجزوء الكامل]

يفـدي عـدوّك سـبـعـةً ممن يحـبُّكَ في البـرايا
وكـذلـك البـقـرُ التي في العيد تنحرُ للضحـايا

ومنه قوله، وقد اجتاز في طريقه بجفان كرم: [الكامل]

للـهِ كـرمٌ أصله وَفُـروعُـهُ طابت وطالت فـهـو غـيـرُ مُـذَمَّمِ
نصبت بمدرجةِ الطريق جـفـانُهُ وكـذاك عـاداتُ الكريمِ المطعمِ

ومنه قوله، وقد غنى الفصيح، ومال الشمعُ وطرب في جملة الجمع: [مجزوء الرمل]

وفـصـيحٍ مـا سـمـعنا لأغـانيـه مـثـالا
أطـرب الحـيَّ إلـى أن طرب الشـمعُ فـمـالا

ومنه قوله: [مجزوء الكامل]

يـومٌ يـقـول بـشـكـلـه قـومـوا اعـبـدوا اللهَ الأحـدْ
قـزحٌ كـمـحـرابٍ بدا والبـرقُ قنديلٌ وَقَـدْ
والرّعـدُ فـيـه مـسـبِّحٌ حـبّـاتُ سـبـحـتِـهِ البـردْ

ومنه قوله: [مجزوء الرمل]

أيـهـا الـزائـرُ ربـعـي بعـد هجـرٍ ونـفـورِ
لـيس فـي الـدنيـا مـكـانٌ يسعُ اليـومَ سـروري

ومنه قوله: [مجزوء الوافر]

رمـتـني سـودُ عـينيـهِ فـأصـمـتني ولم تبطي
(١٩٦) ومـا في ذاكَ من بدعٍ سـهـامُ الليل مـا تـخطي

منه قوله، وأحسن كلَّ الإحسان :[الوافر]

أيا أقضَى القضاةِ ومن نداهُ لـه نَشْرٌ يعطِّرُ كلَّ نادِ
لقد جُنَّت دواتي من بياضٍ فعوِّذها بحرزٍ من مدادِ

ومنه قوله :[السريع]

يا حسنَه من حمدارٍ لقد حارت عقولُ الناسِ في وَصْفِهِ
كأنه من عظم أردافه قد حملَ الكاره من خلفِهِ

منه قوله، وتطارف :[1][الطويل]

لنا صاحبٌ قد هذّب الطبعُ شِعره فأصبح عاصيه على فيه طيّعا
إذا خمَّسَ الناسُ القصيدَ لحسنِه فحقٌّ لشِعرٍ قاله أن يسبّعا

ومنه قوله :[2][الطويل]

أتيتُ إلى البلقاءِ أبغي لقاكُمُ فلم أرَكُمْ فازداد شوقي وأشجاني
فقال لي الأقوامُ: مَنْ أنتَ راصدٌ لرؤياه، قلت: الشمسُ. قالوا: بحسبانِ

ومنه قوله :[الخفيف]

إن هذا الفَتَى فتىً سباني حسنُ نقش العذار في وجنتيهِ
يا نديمي في المدامةِ إني أشتهي أن أدقَّ يوماً عليهِ

ومنه قوله، قد طُلب بخيل الحجر :[مجزوء الرمل]

حِرْتُ في أمري فدلُّو ني وقولوا: أين أذهبْ
ومتى ينجو ضعيفٌ وهو بالخيل يطلبْ

---

١ : الفوات ٣ : ١٠٠ .

٢ : الفوات ٣ : ١٠٠ .

ومنه قوله، وقد مَرَّ بباب عمّي الصاحب شرف الدين، رحمه الله،في الشتاء، فوجد كرمةً هناك، لم تَرْمِ ورقَها، ولا جرد الأجيرد رونقها :[البسيط]

قد أسقط البدرُ أوراقَ الغصونِ وفي ... أبواب دارك غصن يانعُ الورقِ
هذا يحققُ عند الناسِ كلهم ... بأن ربعَكَ من ريب المنونِ يقي

(١٩٧) ومنه قوله في مليح هرب فنطق على جناح الحمام الرسائلي برده :[الرجز]

وذي دلالٍ أهيفٍ كم ... سرّحوا من الحمام نوبةً في ردِّهِ
لأنها تعرفه من طول ما غنت ... على مائس غصن قدِّهِ

ومنه قوله، وقد سمع قائلاً يقول عنه: هذا رافضيٌّ، والقائل يعيش أبوه وجدُّه، وهما شيخان :[1][مجزوء الكامل]

قل للذي بالرّفض أتـ ... همني أضَلَّ اللهُ قصدَهْ
أنا رافضيٌّ ألعن الشيـ ... خين أباه وجدَّهْ

ومنه قوله :[الخفيف]

أنا كأسٌ من المدامة فانٍ ... كنتُ تفاحةً من البستانِ
كنتُ ذوباً مثلَ العقيق ولكن ... جمدتني مخافةُ السلطان

ومنه قوله في كاتب مليح :[السريع]

اسمعْ حديثي ثم من بعده ... كن عائبي إن شئتَ أو عاتبي
أصبح جسمي قلماً من ضنىً ... وما براه غيرُ ذا الكاتبِ

---

١ : الفوات ٣ : ١٠٠ .

ومنه قوله:[1] [البسيط]

قالوا: حبيبكَ قد دامت ملاحتُهُ ... وما أتاه عذارٌ إن ذا عجبُ

فقلت: خدّاه تبرٌ والعذارُ صدا ... وقد زعمتم بأن لا يصدأَ الذهبُ

ومنه قوله:[2] [الخفيف]

لا أرَى لفظَ عارضيه قبيحاً ... يا عذولاً عن حبه ظلَّ ينهَى

وجهه روضةٌ وليس عجيباً ... أنه يلقطُ البنفسج منها[3]

ومنه قوله: [الكامل]

أحببتُهُ رشأً عليه شقرةٌ ... من أجلها ذهبُ العذار مفضضُ

قل للعواذل فيه هل أنكرتُم ... أن البنفسجَ منه زهرٌ أبيضُ

ومنه قوله في أعمى يرى بابنه: [الخفيف]

(١٩٨) موسويُّ الغرام يهوى بسمعيـ ... ـه ويشكو من رؤيةِ العين ضرّا

يتوكّا على قضيبٍ رطيبٍ ... وله عنده مآربُ أخرى

ومنه قوله: [الوافر]

ركبدارٌ وجندارٌ غواني ... ورئيسُ قريةٍ وأمينُ خانِ

لئامٌ أمهاتهم زوانٍ ... وإلا أين أولادُ الزواني

ومنهم:

١: الفوات ٣: ١٠٠ .

٢: الفوات ٣: ١٠٠ .

٣: الفوات ٣: ١٠٠ .

٥٤- أحمد بن أبي المحاسن، يعقوب بن إبراهيم بن أبي نصر

الطيبي، الأسدي، أبو علي، شمس الدين، ردنه ينفح طيباً، وفنه بل فتنه يهتز رطيباً. جاء من بلاد الطيب مملوء الحقائب، موفور الركائب. يساجل بطيبه الأطايب، ويضمخ لمم المفارق عنبره الذائب، ويغلِّف مسك نقشه رأس الطرس الشائب. يعرف نفسه الطيبي، ويغرق في مسكيٍّ شعاره الخطيبي، بدائع طيبيٍّ أخملت ذكرَ أبي الطيِّب، وأذوت غرس ابن نباتة بتوالي غيثها الصَّيِّب، وجعلت ورد الأبيوردي لا يضر بجعلي، وزهر زهير المتقدم والمتأخر هذا جفَّ وهذا بلي، بكلِّ عقيلة طائرهِ تمسي الغوالي نسال رياشها، وطائلة تضحي فتيت المسك فوق فراشها. نتيجةُ فكر تخرج اللآلي إذا جرت بحارُها، ونبتُ قريحة تشيب نواصي المسك إذا وقدت بالمندل الرطب نارها. بديهة إذا وعتها المسامع انتشت، وإذا جازت بأودية الخواطر تضوع طيباً بطن نعمان إذ مشت، إلا أنها ذات أرج كقهوة الديرانيّ تعرف بشميمها، وزجاجة أبي الهندي ينمُّ شذاها على نديمها، وروضة الصنوبري يفاوح مغضوض الحقائب مسكها، ومليحة الكندي قلتها وهي مسك هتكها، وكأس أبي نواس والنجم قد تصوّب، ومحبوبة امرئ القيس كلما جاء طارقاً وَجَدَ بها طيباً وإن لم تطيّب. لو حلَّت فيما سلف في المطيَّبين من آل عبد مناف، لما استطاعت أن تتعاقد عليهم الأحلاف، ولا ذعنت اللعقة للتحكيم، وغمست أيديها في الطيب من جفنة أم حكيم.

ورد الطيبيُّ هذا دمشق، ونزل بها على ابن عمّنا القاضي جمال الدين (١٩٩) أبي محمد، يوسف بن رزق الله العمري، واتصل به اتصال الطيِّب باللمم، واتصف بصنائعه اتصاف الروض الأريج بالديم، وأوصله إلى والدي -رحمه الله- فاستكتبه في بعض الثغور، ولم ينتظر له الشغور، وأطلع كواكبه إلا أنها التي لا تغور. ثم نقله إلى طرابلس، فدام في كتاب الدرج بها حتى مات،

وغابت شمسه فجاءت الظلمات، وكلٌ كلمهِ طيبُ الأرج، إلا أن نظمه أعبق، ونوافحه في المسام أعلق، وشذاه من بلد الطيب حيث تشام أعرق .

وكان لا يزال مائلاً بنشوة، ومائلاً مع نسوة، وقائلاً في ظل كرم أو قهوة، ومنجدباً بين مهبٍّ صَباً أو صبوة. لم يتعظ بنذير المشيب، ولم يُنقّ بياضَهُ من دَنَس المعيب. مدمناً في الكؤوس، يحثُّ أدوارها، ويحلُّ من الدنان المشدودة المعاقد إزارَها، ويصرف فيها دراهمه بالذهب، ويتلقاها له بالمبزل ساقٍ توشَّحَ بالمنديل حين وثب وبرهن لديها روحه، فيعجز عن فكاكها، ويدخل إليها فتصيده فواقعُ الحببِ في شباكها، وكان على ما يصل إليه من غمرة هذه السكرة، ويقع عليه في مظنه ما يكره. لا يغيب له ذهن خاطر، ولا يغيم له أفق ماطر. وما عرف في عمره يوم صحو، ولا فرق له بين إثبات ومحو، حتى لقد حكى لي من كان يحضر عنده على تلك الحال، التي يعشَى دونها طرف الأعشى، ويقلع الوليد ولا يخشى، وينكل ابن هرمة خوفاً من أمير المدينة لا يغشى. لا يزيد ذهنه إلا حضوراً، وفهمه إلا أن يقدح من ذات الشعاع نوراً. وأدبه الطيبي إلا أن يدير كأساً كان مزاجها كافوراً، وكلمه الطيب إلا أن يفتح لمصعدها سماء السماع ومدامته العاطرة الأرج، إلا أن يتقسمها شعاع الشعاع وشجرته الفارسية إلا أن يتفتح وردها.

ونسبتُهُ الأسد إلا أن يهاجم وردها، وأنديته المنسوبة إلى الطيب، إلا أن يشبَّ ندها ويشيب بأهواله ندها.

ومن بديعه الذي طار في كل جمع، وطاف بكأسه على كلٍّ سمع، كلمته نوبة مرج الصفر، حين نُصِرَ سلطاننا الملك الناصر على جيوش السلطان محمود غازان، وهي القصيدة التي أغنته أن يغزو ، وتركته وما (٢٠٠) شهد القتال بالأبطال يهزو. وهي الفائيةُ الفائتةُ شأْوَ كلِّ قريحة، البائتةُ لا تني عن السُّرَى

وركائب النجوم طليحة، المنقولةُ إلى أقصى البلاد، المحمولةُ على الرواة ورقاب الحسَّاد. التي خلَّت الدُّرَّ أصدافاً، وحَلَتْ فاؤها فما تركت نطقَ كلٍّ شاعرهمَّ بأن ينطق بمعارضتها إلا فأفأ.

وكان سبب نظمه لها، أنه قيل له وهو على مجلس الشراب، وقد أخذ منه: لقد أكثر الشعراء في وصف هذا اليوم، فلو عملت فيه. فأخذ دواة وقرطاساً وكتب لوقته هذه القصيدة عن آخرها. هذا ونجوم الكؤوس حوله سائرة، وأدوار الترك عليه دائرة، والخمر قد ضربت على رؤوس الشرب سرادقها، والعقول قد أنكرت في أفهام القوم حقائقها. ثم لم يزل يكتب والساقي بكأسه يصافحه ويحسابه على نوبته ولا يسامحه، وهو على طلقه كأنه يقتدح الفهم من قدحه، ويلتقط الدرَّ من حباب كؤوسه لمدحه، وهو يغالب النوم. فلما أكملها، سقط لجنبه ونام، والسُّكرُ قد عجّلَ قضاء نحبه. فلما بشَّرَ طائر الديك بالصباح، وهزَّ لارتياحته به خافق الجناح، نهض به جلساؤه إلى الحمام، لغسل ظاهر دنس ذلك الإثام. فلما قضوا منه أربهم، وقاربوا منقلبهم، أذكروه بما كان منه، فأنكر أن يكون أجال في هذا فكرا، أو افترع خاطره عُوناً ولا بكراً. ثم لما رأى كلمة إجماعهم، وراب كذب شكِّه نزاعهم، قال: دعوني أُبادر هذه العورة البادية لأسترها، وهذه السَّوءة الفاضحة لأقبرها. فكيف يكون عبثُ المخمور، وكلام من ضرب السكر بينه وبين عقله بِسُور. ثم أخذ في تعجيل الحميم، ومواثبة الخروج لتصحيح نتيجة فهمه السقيم، فخرج وخرجوا معه، لينظروا ما صنعه، فلما أتوا موضع منامه، ومصرع مدامه، أخرجوا تلك الورقة التي ضُمِّنت تلك الشذور قراطيسها، وقدحت من شرارة شعاع تلك البراح مقاييسها، فأوموا لها سجوداً، ونكسوا رؤوساً، ومدوا إليها أيديهم ليتناولوها مما ادّخروه كؤوساً، ثم علموا أنها (٢٠١) آيةٌ أحمدية، جاءت ببقية ما جاءت به السَّحَرَةُ لموسى، وهي :[البسيط]

بَرَقَ الصَّوارمُ والأبصارُ تُختطفُ ... والنَّقعُ يحكي سحاباً بالدِّما يكفُ
أحلَى وأغلا وأعلى قيمةً وسناً ... من برقِ ثغرِ الغواني حين تُرتَشفُ
وفي قدود القنا معنىً شغفتُ به ... لا بالقدودِ التي قد زانها الهيفُ
ومن غدا بالخدودِ الحُمرِ ذا كَلَفٍ ... فإنني بخدود البيض لي كلفُ
ولامةُ الحرب في عينيَّ أحسنُ من ... لام العذارِ الذي في الخد ينعطفُ
كلاهما زردٌ، هذا يقيكَ وذا ... يُردي، فشأنُهما في الفعل يختلف
والخيلُ في طلبِ الأوتارِ صاهلةٌ ... ألذُّ لحناً من الأوتار تأتلفُ
ما مجلسُ الشُّربِ والأرطالُ دائرةٌ ... كموقف الحربِ والأبطالُ تزدلفُ
هل دارعٌ برداءِ الفخرِ مؤتزرٌ ... كحاسرٍ بشعار العار يلتحفُ؟
أو رامحٌ سمقت في المجد همّتهُ ... كأعزلٍ بدنايا الهمّ يتّصفُ
لا تغبطنَّ مضاماً عيشه رغدٌ ... واغبط أبيّاً وإن أودَى به الظلفُ
فالرزقُ من تحت ظل الرمح مقترنٌ ... بالعزِّ، والذلُّ يأباه الفتى الصلفُ
لا عيشَ إلا لفتيانٍ إذا انتدبوا ... ثاروا، وإن نهضوا في غُمَّةٍ كشفوا
مستلئمين فلا جمٌّ ولا عزلٌ ... يوم القراع ولا ميلٌ ولا كُشُفُ
مقحّمين يخوضون الغمار إذا ... ما استُرغبوا بأذى آذيِّها اعتسفوا
ما استأكلوا الخبزَ بالجبنِ المذلِّ ولا اسـ ... ـتسقوا ندى غير عين العجز بل صدقوا
يقي بهم ملَّةَ الإسلامِ ناصرُها ... كما يقي الدُّرَّةَ المكنونةَ الصَّدَفُ
قاموا لقوة دين الله ما وهنوا ... لما أصابهم فيه ولا ضعفوا
هم كسَّروا الشِّركَ بالتوحيدِ إذ جبروا ... كسراً فلاحوا شموساً بعدما كشفوا
وجاهَدوا في سبيل الله وانتصروا ... من بعدِ ظلمٍ ومما شانهم أنفوا
وهاجروا وبحقٍّ جاهروا ونكوا ... في باطلٍ دفعوه عندما قذفوا
لما أتتهم حشودُ الكفرِ يقدمهم ... رأسُ الضلالِ الذي في عقله جنفُ

(٢٠٢) وأضمروا النقضَ للميثاقَ إذجنحوا ... للسلم وانقلبوا للغدرِ وانحرفوا
جاءوا فكلٌّ مقامٍ ظلَّ مضطرباً ... منهم، وكلُّ مقيمٍ بات يرتجفُ
أبدَوا، وقد أوردوا الخيلَ الفرات، لنا ... أن الذي يمموه الماءُ والعلفُ
ثم استجاشوا لنكث العهدِ فارتبعوا ... مرعىً وخيماً أراهم غبَّ ما اعتلفوا
زاد التتارُ تباراً أن طغوا وبغوا ... فهم لكيدهم في قيدهم رسفوا
شاموا من الشام برقاً من طماعيةٍ ... فطشّهم بغمام الغمِّ إذ أزفوا
ظنوا السَّرابَ شراباً فاستَزَلَّهُمُ ... غولُ الغوائل سقاهم غبَّ ما اغترفوا
وجال مكرهُمُ فيهم وحاق بهم ... وانهارَ من تحت ما قد أسَّسوا الجرفُ
جاسوا خلالَ حمى الله المنيعِ وهل ... ترضَى بلبسِ الحمير الروضةُ الأُنفُ
داسوا بأنجاسهم أرضاً مقدَّسةً ... فنفضتهم وهم في الرجس ما نظفوا
ويوم كومٍ بأرضِ العرضِ عارضهم ... من الرَّدى عارضٌ شؤبوبُهُ التلفُ
لما أغاروا وغاروا راجعين وقد ... راعوا الرِّعاءَ كذبت السَّرحِ واختطفوا
سُدَّتْ مسالكهم بالسيفِ فافترقوا ... مجدّلين سدىً من سوءِ ما اقترفوا
وكان فيه لهم وعظٌ ومزدجرٌ ... لو أنهم عقلوا الأنباءَ أو عرفوا
وغرَّهم نيلهم من حمصَ وهو لهم ... كالحبِّ يصطاد منه الطائرُ الوجِفُ
غابوا عن الرُّشدِ إذ عاثوا وسرَّهم ... ومن وراء السُّرورِ الهمُّ والأسفُ
لجّوا وعاموا من الطغيان في لججٍ ... إلى البحيرةِ فانصاعوا وما اغترفوا
وساقهم طمعٌ في طيِّه جزعٌ ... وعاقهم شَمَسٌ في ضمنه عجفُ
حتّى بدت راية الإسلام عاليةً ... والخيل جائلةٌ من حولها تجفُ
يسعَى بها ملكٌ بالنصر مقترفٌ ... بالناسِ مدّرعٌ بالجودِ متّصفُ
ظلُّ الإلهِ وسلطانُ الأنام فتىً ... برٌّ عطوفٌ رحيمٌ بالورى رؤفُ
محمدٌ ناصرُ الدين الذي طفقت ... له السلاطينُ بالتقديمِ تعترفُ
سلالةُ المَلِكِ المنصورِ يخلفه ... بالعدلِ في ملكه يا حبذا الخلفُ

(٢٠٣) قاد الجنودَ من الفسطاط حين طغَى ... الطاغي وكاد عمودُ الملك ينحرفُ
بهِمَّةٍ كالدراري وهي طالعةٌ ... وعزمةٍ كالمواضي وهي ترتهفُ
لقد غزا غزوةً تحكي بطلعته ... غزاة بدرٍ بلا ريبٍ كما وصفوا
وافَى طباقَ موافاة العدوِّ ولو ... تواعدوا للقاءِ الخيلِ لاختلفوا
في فيلقٍ تلبسُ الأرضُ الحديدَ به ... وتحجبُ الجوَّ من آثاره السُّجفُ
خيلٌ لها طرفٌ بالنيلِ متصلٌ ... وبالفرات إذا امتدت لها طرفُ
وغلمةٍ من كُماةِ الحربِ تحسبهم ... تحت الدُّروعِ شموساً فوقها سدفُ
من كلِّ أهيفَ بالخطِّيِّ معتقل ... فالرمحُ والقدُّ منه اللامُ والألفُ
يحمي بصارمه ثغريه ذاك له ... ثغرُ الجهادِ وهذا الثغرُ يرتشفُ
ففي اللقاءِ تراه باسلاً خشناً ... وفي التلاقي على أعطافه ترفُ
رمَى كتائبَ غازانٍ بعسكره الـ ... غازين إذ دلفوا بالبغي وازدلفوا
حَمَى حِمَى حوزة الإسلامِ ثم محا ... آثار ما شوَّهوا فيها وما خسفوا
أتوا كراديسَ ترجُّ الجبالُ بهم ... كأنهم قطعُ الظلماءِ والكسفُ
ما زال خذلانهم في سيرهم خبباً ... إلى مصارعهم يجري فلا يقفُ
حتى رأوا من جنودِ اللهِ دونهم ... سدٌّ الحديد وبحر الموت فانصدفوا
وشاهدوا عَلَمَ الإسلامِ مرتفعاً ... بالعدلِ فاستيقنوا أن ليس ينصرفُ
لقّاهم الفيلقُ الجرّارُ فانكسروا ... خوفَ العواملِ بالتأنيث وانصرفوا
يا مرجَ صفرٍ بيَّضتَ الوجوهَ كما ... فعلت من قبلُ والإسلامُ مؤتنفُ
للمؤمنينَ من الرحمنِ فيكَ بدا ... فتحٌ فأنتَ بنورِ النصرِ ملتحفُ
أَزَهْرُ روضِك أزهَى في تفتُّحه ... أم يانعاتُ رؤوسٍ فيك تقتطفُ
غدرانُ أرضكَ قد أضحت لواردها ... ممزوجةً بدماءِ المغلِ تغترفُ
زلّت على كنفِ المصري أرجلهم ... فليس يدرون أنَّى تؤكلُ الكتفُ

رامــوا ســهــامــاً ولـكن بـالتــراكـش والقِسيِّ خيـفـةَ راميـهم فـهم هدفُ
(٢٠٤) أوَوْا إلى جبلٍ لو كان يعصمهم من مــوج فــوج المنايا حينَ تخـتـطفُ
دارت علـيــهـم من الشــجــعــان دائرةٌ فـمـا نجـا سـالمٌ منهم وقـد زحـفـوا
ونكّسـوا منهم الأعـلامَ فـانهـزمـوا ونكّصـوهم على الأعـقـاب فـانقصـفـوا
فـرّوا من السيـفِ ملعـونينَ حيث سـروا وقـتّلوا في البـراري أينمـا ثقـفـوا
فـفي جـمـاجـمـهم بيضُ الظُّبى زُبُرٌ وفي كـلا كلـهم سـمـرُ القنا قُـصُفُ
ومـا اسـتـقـام لهم في أعـوجٍ نـهجٌ ولا أجـارهـم من مـانعٍ كـنفُ
وأحـرقـوا بعـد مـا قـد أغـرقـوا ورمـوا من القِـلالِ إلى الأوحـالِ فـانخسفـوا
وملّتِ الأرض قـتـلاهم بما قـذفـت منهم وقـد ضـاقَ منها المهـمـهُ القـذفُ
والطيـرُ والوحشُ قـد عـافت لحـومـهم فــفي مــراج الصـواري منهم قــرفُ
ردوا فـكـلُّ طريقٍ نحـو أرضـهـم تـدلُّ جـاهلـهـا الأشـلاءُ والجـيـفُ
وأدبروا فـتـولّى قطعَ دابرهم والحـمـدُ لله قـومٌ للوغَى ألفـوا
سـاقـوهم فـسـقـوا شطَّ الفـرات دمـاً وطمّـهـم بعـبـابِ اليمِّ فـانحـرفـوا
وأصـبـحـوا بعـدُ، لا عينٌ ولا أثرٌ غـيـر القـلاع عليـهـا منهم السّـعفُ
يا برقُ بلّغ إلى غـازانَ قـصـتـهم وصف فـغصّتـهم من فـوق مـا تصفُ
فـقـلبـه وجلٌ من أجلهم قـلقٌ حـتى يعـود حـزيناً دمـعُـهُ ذرفُ
بشّـر بهلكهم ملك العـراق لكي يعطيك حلوانهـا حلوان والنجفُ
وإن يَسَلْ عنهم قل قـد تركـتـهم بالنخل صـرعَى فـلا تمرٌ ولا سـعفُ
مـا أنت كفءُ عـروس الشام تخطبـهـا جـهـلاً وأنت إليـهـا هائمٌ دنفُ
قـد مـات قـبلك آباءٌ بحـسـرتـهـا وكلهم مـغـرمٌ مـغـرىً بهـا كلفُ
إنّ الذي في جـحـيم النارِ مـسكنه لا تـسـتـبـاحُ له الجنات والغـرفُ

وإن تعـودوا بعـد أسـيـافنا لكم ضـرباً إذا قـابلتـهـا رضَت الحـجفُ
ذوقـوا وبالَ تعـدّيكم وبغـيكم في أمـركم ولكأسِ الخزي فارتشفوا
كـذاك والجُ غـاب الليثِ يحسبـه قـد غـاب عنه بناب الليث يُجتـرفُ
(٢٠٥) فالحمدُ لله معطي النصرَ ناصرَه وكـاشفُ الضُّرِّ حيث الحال ينكشفُ
قـد أنجـز الوعـدَ في تصـديق سيـدنا محـمـدٍ مَن به أضحى لنا الشـرفُ
نبيٌّ سـيفٍ أتتنا الأنبـيـاءُ به وبشّـرتنا بـه التـوراة والصـحفُ
عليـه من صلواتِ اللـه أكـملها ومن هـدايا تحـيـات الورى التـحفُ

وكتبت هذه القصيدة بتمامها لإعجازها، ولأن حقيقة كلٍّ بديع في مجازها. وأما باقي شعره الطيبي، الذي نفح وانتشر طيبه، لأنه روضٌ بات يجوده الغمام بما سفح، فقف قليلاً تزود منه نفساً، وتشهد قبساً، ويجحد بعده في الكنوز ملتمساً، ومنه قوله: [البسيط]

ترنَّمَ العـودُ مسـروراً ومن عـجبٍ سـرورُهُ وهو في ضـربٍ وتقـيـيـدِ
من أين للعـودِ هذا الصـوتُ تطربنا ألفـاظُهُ بأظاريفِ الأناشـيـدِ
أظنُّ حين نشـا في الدَّوحِ علَّمه سجعُ الحـمـائمِ ترجيـعَ الأغـاريدِ

ومنه قوله، وقد لبست الذمّة العمائم المصبغة: النصارى أزرق، واليهود أصفر، والسامرة أحمر: [البسيط]

تعـجّبـوا للنصارى واليـهودِ مـعاً والسّـامـريّين لما عُـمّـمـوا الخرقـا
كـأنما بات بالأصـبـاغ منسـهـلاً نسرُ السـماء فأضحى فوقـهم درقا

ومنه قوله: [السريع]

النهـرُ وافَى شـاهراً سـيـفـه ولمعُـهُ يخـتـلس الأعـينا
فـمـاجت البـركـةُ من خـوفـه وارتعـدت وادرعت جـوشنا

ومنه قوله: [البسيط]

قامت تنبهني وسَنى الجفونِ وقد رقَّ النسيمُ ونامت أعينُ الرقبا
والليلُ قد مدَّ ستراً من ذوائبها والصبحُ من خدّها قد لاح ملتهبا
واستغربت راحتاها الرّاحَ حين رأت بنانها بشعاع الكأسِ مختضبا
ضنَّ الزمانُ بما قد جاد به وعادة منه لي استرجاعُ ما وهبا

(٢٠٦) ومنه قوله: [البسيط]

بناظري قمرٌ اتبعته نظري مذ حلّ في خاطري قد زاد في خطري
تحت النقاب له بدرٌ يقابله قد صار منزله في القلب كالقمرِ

ومنه قوله: [المتقارب]

أيا ناظري أنت سقت البَلاَ لقلبي وذقت الهوى أوّلا
ويا قلبِ أبليتني بالغرام ومن ناظري كان أصلُ البلا

ومنه قوله: [الخفيف]

برزت في الكؤوس كالإبريزِ فأعادت مسرّتي بالبروزِ
قهوةٌ فارسيةٌ من خبايا أردشيرٍ لبخله برويزِ
بنتُ كرمٍ من عصر نعمانَ زُفَّتْ لابن ماءِ السماء غير نشوزِ
وجلاها زجاجها فأرانا جامدُ الماء ذائبَ الإبريزِ
وهي في حُلَّة السرور كُميتٌ تكتسي بالحبابِ حليةَ بوزِ
ارْقَني إنني أصبتُ بعينٍ بالحميّا لا بالرُّقى والحروزِ
أنا لا أرتوي بكأسٍ وطاسٍ فاسقنيها بالزّقِّ والقطرميزِ
اسقنيها حتى أموتَ بسكري وادعُ جمعَ القيانِ في تجهيزي
اسقنيها فالأرضُ تحكي عروساً تتجلّى في ملونات الخزوزِ

اسـقنيـهـا مع الصـبـايـا فـإنـي أنا شـيخُ الغـرامِ وهـي عـجـوزي

ومنهم:

٥٥- محمد بن محمد بن محمود أبو عبد الله، شهاب الدين*

عرف بـابن دمرداش. عدل مات على الشهادة، وعاش مدرّعاً بالزهادة، وكان في أول أمره على ما كان عليه آباؤه من معاناة الجندية، ومعاياة البروق بمخاصمة سيوفـه (٢٠٧) الهندية. خدم الملك المنصور صاحب حماة، واتخذه من ندامائه، وأمطره بواكف نعمـاه، وأسرى إليه صباه ونعاماه. ثم كره حماة بعد صاحبها المنصـور، وعـاف موردها، واستنزر إثـمدها، ولم ير بعـده من يرى أن يكون له خديما، أو يعد له نديما. وطفق يقلب يديه، وصدره طافح، وقلبه لهمه مكافح، وحاله لا يُلمُّ شعثُه، كأنه لِمَّةُ المحرم، وحظه لا يضيء، كأنه صحيفة المجرم، فخلع عن منكبه ذلك الرداء، وانتهى في معالجة نفسه إلى أن كوى ذلك الداء. وعاد إلى دمشق، وعانى بيع الكتب ومشتراها، وحصل منها الفرائد كما تراها. ثم فقد ما بيده، إلا ما حصله من ذلك الربح الظاهر، وحصنه حفظاً في خزانة الخاطر. ثم استرزق بالعدالة بما يقسم له بين الشهود، ويقدر له من المتيسّر الموجود، غير منافس مثلهم في الجعالة، ولا لابساً خلق تلك الحالة، قانعاً بما سمحت له به النفوس، وسنحت له ديم الكرم بغير عبوس.

وكان حقيقة تمنح جوهرا، وحقيبة تنفح عنبرا. ومن شعره المطرب نغمه،

---

* فوات الوفيات ٣: ٢٧٦، وجاء فيه (ابن تمرداش). والوافي بالوفيات ١: ٢٣٢، بصورتين: دمرتاش، ودمرداش. والدرر الكامنة ٥: ٣. والنجوم الزاهرة ٩: ٢٥٩ .

المطيب تفتيت المسك لمه، قوله مما أنشدنيه :[البسيط]

أحسن إلى الناس مهما دمتَ مقتدراً على الجميلِ ففعلُ الخير ينتهزُ
ولا تكن كأناسٍ أخّروه إلى غدٍ فلما أتاهم في غدٍ عجزوا

وقوله مما أنشدنيه :[1][الكامل]

ومهفهف الأعطافِ معسولِ اللَّمَى كالغصنِ يعطفه النسيمُ إذا سَرَى
قال اسقني فأتيتهُ بزجاجةٍ مُلِئَتْ قراحاً وهو لاهٍ لا يرى
وتأرّجت برضا به وأمدها من نار وجنته شعاعاً أحمرا
ثم انثنى ثملاً وقد أسكرته برضا به وبوجنتيه وما درى

وقوله مما أنشدنيه :[2][الخفيف]

قال لي ساجي اللواحظ صفْ لي هَيَفي : قلت : يا رشيقَ القوامِ[3]
(٢٠٨) لك قدٌّ لولا جوارحُ عَيْنَيْـ ـكَ تغنَّت عليهِ وُرْقُ الحمامِ[4]

وقوله مما أنشدنيه :[5][السريع]

بالله إن جزت وادي الأراكْ وقبَّلتْ أغصانُهُ الخضرُ فاكْ[6]
اهد إلى عبدكَ من بعضها فإنني والله مالي سواكْ

وقوله مما أنشدنيه :[7][الطويل]

١ : الفوات ٣ : ٢٧٧ .

٢ : الفوات ٣ : ٢٧٧ .

٣ : الفوات : ساحر اللواحظ .

٤ : الفوات : جوارح جفنيك .

٥ : الفوات ٣ : ٢٨٠ .

٦ : الفوات : يا قمري إن جزت .

٧ : الفوات ٣ : ٢٧٧ .

أقـولُ لمسـواكِ الحـبـيب لك الهنا | برشفِ فمٍ مـا ناله ثغـرُ عـاشقِ
فـقـال وفي أحـشـائه لاعجُ الجَـوَى | مـقـالةَ صبٍّ للدِّيارِ مـفـارقِ[1]
تذكـرتُ أوطاني فـقَلبي كـمـا ترى | أعلِّلُهُ بيـن الـعُـذيـبِ وبـارقِ

وقوله، وهو مما أنشدنيه:[2] [الطويل]

جـيـادُك يا مَن طبَّق الأرضَ عـدلُهُ | وحـاز بأعلى الجـدِّ أعلى المناصب
إذا سـابقـتـهـا في المهـامـهِ غـرَّةً | رياحُ الصَّبـا عادت لها كالجنائبِ[3]
ولو لم يكن في ظهرها كـعـبـةُ المنى | لما شـبـهـت آثارها بالمحـاربِ

وقوله:[4] [الطويل]

ولما التـقـينا بعـد بينٍ وفي الحـشـا | لواعجُ شـوقٍ في الفـؤاد تُخـيِّمُ[5]
أراد اختـبـاري بالحـديثِ فـمـا رأى | سـوى نظرٍ فـيـه الجـوى يتكلمُ

وقوله:[6] [الكامل]

حـتّـامَ لا تصل المدامُ فـقـد أتت | لك في النسيم من الحبيبِ وعودُ[7]
والنهـرُ من طربٍ يصـفِّقُ فـرحـةً | والغـصـنُ يرقصُ والرياضُ تميـدُ

وقوله:[8] [الكامل]

---

١ : الفوات : حرقة الجوى .
٢ : الفوات ٣ : ٢٨١ .
٣ : الفوات : في المغبة .
٤ : الفوات ٣ : ٢٧٧ .
٥ : الفوات : بعد بُعد .
٦ : الفوات ٣ : ٢٧٨ .
٧ : الفوات : وقد .
٨ : الفوات ٣ : ٢٧٨ .

قــــد صُنْتُ سِـــرَّ هواكُمُ ضنّاً به إنَّ المتــــيَّمَ بالـهــــوى لضنينُ
فَـــوَشَتْ به عـــيني ولم أكُ عـــالماً من قـــبلها أنَّ الوشـــاة عـــيونُ

وقوله:[1][الطويل]

روَى دمعُ عــيني عن غـرامي فـأشكلا ولكنه ورَّى الحـــديثَ فـــأشكلا
(٢٠٩) وأسنده عن واقـديٍّ أضـالعي فـأضحى صحـيحـاً بالغـرامِ معلّلا

وقوله:[2][الكامل]

وافَى النســيمُ وقــد تحـمَّلَ منكُمُ لطفـاً يقـصِّـرُ فـهـمُـهُ عن علمِـهِ
وشكا السَّقامَ وما درى ما قد حوَى وأنا أحق من الرســولِ بقــســمِـهِ

وقوله:[3][الكامل]

إن طال ليلي بعـــدكم فلطوله عــــذرٌ وذاك لما أُقــــاسي منكمُ
لم تسـرِ فــيـه نجــومُـهُ لكنهـا وقـفت لتـسـمع مـا أحـدِّثُ عنكمُ

وقوله:[4][الكامل]

عـجـبـاً لمشـغـوفٍ يفـوهُ بمدحكم مـاذا يقـول ومـا عسـاه يمدحُ[5]
والكونُ إمّـا صـامتٌ فـمـعظِّمٌ حـرمـاتِكم أو ناطقٌ فـمـسبِّحُ

وقوله:[6][المنسرح]

---

١ : الفوات ٣ : ٢٨٠ .
٢ : الفوات ٣ : ٢٨٠ .
٣ : الفوات ٣ : ٢٨١ .
٤ : الفوات ٣ : ٢٨١ .
٥ : الفوات : لمشغوف يحدث عنكم .
٦ : الفوات ٣ : ٢٨١ .

من لأسيرٍ أمست قرينتُهُ في الدَّوحِ عن حاله تسائلُهُ[١]
فهو يغنِّي مبدا الحزين لها وهي بأوراقها تراسلُهُ

وقوله :[٢][البسيط]

حتى إذا رقَّ جلبابُ الدُّجى وسرت من تحت أذياله مسكيَّةُ النفسِ
تبسَّمَ الصُّبحُ إعجاباً بخلوتنا ووصلِنا الطاهرِ الخالي من الدَّنسِ

وقوله :[السريع]

بالرُّوح أفدي منطقيّاً علا برتبةِ النحوِ على نشوهِ
منطقُهُ العذبُ الشهيُّ الذي قد جذبَ القلبَ إلى نحوهِ

وقوله :[٣][الكامل]

يا سيدي أوحشتَ قوماً ما لهم عن حُسنِ منظرك الجميلِ بديلُ
وتعلَّلتْ شمسُ النهارِ فما لها من بعدِ بعدك بكرةٌ وأصيلُ
وبكا السَّحابُ مساعداً لتفجُّعي من طولِ هجركَ والنسيمُ عليلُ

(٢١٠) وقوله :[٤][الكامل]

انظر إلى الأزهار تلقَ رؤوسَها شابت وطفلُ ثمارها ما أدركا
وعبيرُها قد ضاع من أكمامها وغدا بأذيالِ الصَّبا متمسكا

وقوله :[٥][الطويل]

١ : الفوات : أمست أنيسته .
٢ : الفوات ٣ : ٢٨١ .
٣ : الفوات ٣ : ٢٨١ .
٤ : الفوات ٣ : ٢٨٢ .
٥ : الفوات ٣ : ٢٨٢ .

ولما أشـــــارت بالبنان وودَّعت — وقد أظهرت للكاشحين تشهُّدا
طفــقنا نبـــوسُ الأرضَ نُوهِمُ أننا — نصلّي الضحى خوفاً عليها من العدى

وقوله:(١)[الكامل]

مـا أبطأت أخبـار من أحبـبتُـهُ — عن مسمعي بقدومه ورجوعه
إلاّ جـرى قلمي إليـه حـافيـاً — وشكا إليه تشوقي بدموعه(٢)

وقوله:(٣)[الطويل]

يقـولون شـبَّهت الغـزالَ بأهيفٍ — وهذا دليلٌ في المحبـةِ واضحُ
ولو لم يكن لحظُ الغـزالِ كلحظه احـ — ـوراراً لما تاقت إليـه الجـوارحُ

وقوله:(٤)[الطويل]

يقول لي الدولابُ راضٍ حبيبُكَ الـ — ـملولُ بما تهوى من الخيرِ والنفعِ
فإني من عـودٍ خُلقتُ وها أنا — إذا مال عنّي الغصن أسقيه من دمعي

ومنهم:

٥٦- محفوظ العراقي، رشيد الدين*

فحلٌ لا يقرع له أنف، ولا يطمع أن يقاد بالعنف. قادر على الشعر ينظمه في الوقت الحاضر، ويرقمه كالروض الناضر، يدل على قوة لجتين، كأنما يهدر

١: الفوات ٣: ٢٨٢.
٢: الفوات: إليه خافقاً.
٣: الفوات ٣: ٢٨٢.
٤: الفوات ٣: ٢٨٢.
* الدرر الكامنة ٣: ٢٧٧.

فيهما رعد، أو يشهر سيفَ وعيدٍ لا وعد. بعارضة يلين لها الجماد.

ورد دمشق، ومدح والدي، رحمه الله، بقصيدة أحرقت قلب حاسده، وأشجت فؤاد معانده، وبات لها عدوه على شوك القتاد، وضده قد سلم إليه القياد، خلا رجل كانت منه نادرةُ غلط حملته على تفضيل رجل عليه، كلمةً قالها بغير علم، وعثرة ما استقى لها عندي حلم، فمزّقت عرضَه هجاء، وفرّقت أرضه أرجاء، فسلط (٢١١) عليه ذلك الرجل بعضَ أقاربه، وقصدَ رفْوَ عرضه الممزق بإبر عقاربه، فالتقفهم صلُّه الأرقم، والتقمهم عقابه القشعم، وجاهرهم بالسوء من القول، وجاهدهم جهاد الفحل على الشوك.

وكان قد اجتمع رأي فضلاء العصر، كالإمامين: صدر الدين أبي عبد الله محمد بن الوكيل، وكمال الدين أبي المعالي محمد بن الزملكاني، والفاضل رئيس الكتاب كمال الدين أبي العباس أحمد بن العطار، على تفضيله وتقديمه في الشعر على أهل جيله.

ومن شعره في هجاء من هيّجِ حفيظته ، وأوهج توقيد نار الغضب مغيظته، مما قاله ارتجالاً في خصمه، وواجهه بنفث سمه، قوله:[١][الخفيف]

ركَّب اللهُ في فناء بني فَـعْـ ـلان معنى النيران والحيّات[٢]
أوجُهُ القوم بالمكاره تحفَى وفروج النساء بالشهوات[٣]

حدثني ابن عمنا القاضي جمال الدين، أبو محمد، يوسف بن رزق الله العمري، وكان هذا الرشيد محفوظ خاصّاً به، وخالصاً لصاحبه، نزل عليه حال

١ : الدرر الكامنة ٣ : ٢٧٧ .
٢ : الدرر: ركب الله في فاءة بني فـ لان معنى النيران والجنات .
٣ : الدرر: بالمكارم حفت .

مقدمه، واصفاً خالص خدمه، قال: حدثني الرشيد، ما سأذكر أنا معناه، وهو أنه لما مرّ بحماة، في مقدمه إلى دمشق، مدح طائفة من كبرائها المتَّصلين بخدمة صاحبها الملك المظفر، منهم: ابن قرناص، كاتب سره، وصاحب أمره بأسرِه، وأراد منه أن يوصله إلى صاحبه لينشده مديحاً عمله فيه، قاطع عليه الكَرَى، وأشبه به النجومَ إلا في السُّرى، حتى جاء به روضاً ما سقته إلا سحبُ القرائح التي تشب لهباً، وتصب ذهباً، فعلَّق أمله بالوعد ومنعه، فلم يصل إليه إلا فيما بعد. فلما رأى أن وعده لا يثمر، وأن قصده لا يظهر منه إلا خلافَ ما يضمر، عدل إلى كستغدي أستاذ الدار[1] وكان ممن لا يخيِّب المرجو، ولا يقطع رحم الأدب المرجو، لأخذه بحظٍّ من الفضائل لا تُنقص، ولا يُعرفُ الذهب ما لم يُخلص، فلما أُنزل به مقصدَه، أنشده:[2][الكامل]

ولقد ركبتُ هجينَ عزمٍ ساقه ... مني الرجاءُ إلى الأعزّ الأبلجِ[3]
(٢١٢) ملك توعَّره جنودٌ حوله ... كالروضِ بات مُسَيَّجاً بالعوسجِ

فلما دخل على الملك المظفر، أوصل إليه جليَّةَ خبره، وأنشده البيتين بما فيهما من وخز إبره، وابن قرناص حاضر يسمع، ناظر يتوقع ما يصنع، فأمر بإحضاره، فأُحضر في الحال، واستنشده البيتين، فقال: ولقد ركبتُ هجين عزمٍ ساقه (البيت) ثم اهتدم البيت الثاني فقال:[الكامل]

ملك تزان به جنودٌ حوله ... كالروض بات مسيجاً ببنفسجِ[4]

١: كذا في الأصل، ولعلها تدل على اسم علم أراده.

٢: الدرر ٣: ٢٧٧.

٣: الدرر: مني الوحاء.

٤: الدرر: يزين.

فقال له: ما هكذا قلت. فقال: قد كان ذاك قبل أن أحضر لديك، فأما بعد أن حضرت، فهو كما أنشدت بين يديك. فأسنَى عطاءه من الذهب الخلاص، وأوسع ملامته ابن قرناص.

وحدثني أيضاً عنه: أنه أتى حصن الأكراد مادحاً نائبها، ومستقياً من أياديه سحائبها، فأخذ ابن الذهبي كاتب درجه القصيدة ليوصلها إليه، ثم عاد إليه، فأخبره أنها ضاعت من وسط يديه، فقال: [المنسرح]

لا الذهبيُّ أسرَى المديحَ ولا ... أعذبه منهلاً وعذّبهُ
أهديتُ مدحيَ تبراً إليه فما ... ذهّبَهُ بل عليَّ أذهبهُ

وقوله، وقد رأى مشجر الفسيفساء بجامع دمشق: [الطويل]

ألم تَرَ أشجاراً بجامع جلّقٍ ... حكت مثلها لو أنّ صانعها باقِ
نضارتها أن لا تداني فروعها ... بشمسٍ ولا يسقي مغارسها ساقِ

وقوله: (١) [الخفيف]

فرّقت بيننا الحوادثُ لكن ... لي نفس إليكم أُدنيها
فكأني في الودِّ فارةُ مسكٍ ... أفرغوها ونفحةُ الطيبِ فيها (٢)

وقوله: [الخفيف]

هيَّجَ البرقُ لوعة المشتاقِ ... بوميضٍ لقلبه الخفّاقِ
هذه مزنةٌ إليَّ حدتها ... نسمةُ الصُّبحِ من نواحي العراقِ
يا قساة القلوب رِقّوا فإني ... لا غرامي فانٍ ولا أنا باقِ
(٢١٣) هل لبؤسٍ لاقيته من فراقٍ ... ونعيمٍ فارقتُهُ من تلاقِ

١ : الدرر ٣ : ٢٧٧ .

٢ : الدرر: وفائح المسك فيها .

ومنهم:

٥٧- محمد بن سبط الحافظ، شمس الدين

ذكي الفطنة، زكي الفطرة، وقّاد القريحة، نقّاد المعاني الصحيحة، لطيف المحاضرة، خفيف المجالسة. يقع على نادر المعنى، لكنه ربما أتى بمساكن بلا مغنى، إذ كان مستوشل المواد، مستوحش الجواد، لا دربة له بممارسة، ولا رغبة تقدمت له في مدارسة، اعتماداً على ضياء حسه، وصفاء جوهر نفسه. مركب أعاريض الشعر، ولا يلحج في بحاره، ولا يدلج ليله قبل تبلج أسحاره. وخدم في الدواوين زماناً، ثم في الجيش بصفد خدمةً أخذ بها الرامح من قلبه أماناً، وكان يُجيد حلّ المترجم ويبيِّنُ ما أسَرَّهُ قلم كاتبه وجمجم، بفهمٍ إلى قراءته، يسارعه كأنه واضعُهُ متى نَظَرَهُ قرأهُ لا يتوقف، كأنه هو الذي كتبه وسطره. ومن شعره: [الطويل]

وذي شنبٍ مالت إلى فيه شمعةٌ وعادت إلى رجليه عن شفتيهِ
وقالت: بدا من فيهِ شهدٌ فهزَّني بذكرٍ لأوطاني فملتُ إليهِ
فحالت يدُ الأيام بيني وبينهُ فعفَّرتُ أجفاني على قدميهِ

ومنهم:

٥٨- محمد بن سباع الصائغ، الدمشقي، أبو يوسف، شمس الدين*

صائغٌ لا غشّ في ذهبه، ولا غلَّ في أدبه، ولا غب لزيارة سحبه. قطف غضَّ البلاغة، وجاء بالكلام كمال يقال: صاغه صياغة. وما كان ابن سباع إلا وهو شبل قسورة، ولا نُعتَ بالشمس إلا لأن الليالي كانت به مقمرة.

* فوات الوفيات ٣: ٣٢٦، والوافي بالوفيات ٢: ٢٦١، والدرر الكامنة ٤: ٤٠.

وهو ممن أخذتُ عنه العروض، وكان فيه إماماً، وقطّعت بحوره لا أردُ الماء إلا حماماً. وتعلمتُ منه علم القوافي، وطرت في دقيقه وجليله بالقوادم والخوافي. وكانت حانوته بقيسارية الصاغة بدمشق سوقَ ذهبٍ وأدب، كلاهما إبريز، وهما ما هما وله فيهما التبريز. وله أوفر قسم من النحو والعربية والمقامات (٢١٤) الحريرية، وسائر المواد الأدبية. ومن أشعاره المولدة العربية الذهبية، قوله :[الكامل]

وتخيَّروا تلك الحزونَ منازلاً ... بالحزم للأمرِ الأشدِّ الأصعب
ملأت خيامُهم الجهاتِ فلم يكد ... للقرب يفرق مضربٌ من مضرب

ومنه قوله يذكر حريق بلد أخذ منه الكفر :[الكامل]

طهّرتها من أهلها بدمائهم ... وجعلت باسمك ربعها مأنوسا
أمهرتها عزماً ملأت به الدُّنَى ... ولقد ملكتَ كما بذلتَ نفيسا
ورميتَ فيها النارَ تطهيراً لها ... مثنىً فمنها الشِّركُ عاد يؤوسا
فكأنَّها والنَّارُ في جنباتها ... نبتٌ به الشَّيطانُ غرٌ مجوسا
وسلبتها مما حوتْه ذخائراً ... وجواهراً ونفائساً ونفوسا
وتركتهم براً وبحراً جيفةً ... من بالقصور يظنها ناووسا

ومنه قوله في فتح عكا وصور :[الكامل]

قلقلت أرضَ الشام عند دخولها ... ركضاً بجيشٍ كالسحابِ عرمرمِ
قد كان وجهُ الشمسِ غيرَ مبرقعٍ ... لولاهم والبدر غير ملثَّم
فأريت عكا ما بعمورية ... رأت الفوارسُ في الزمان الأقدمِ
فتحٌ محيّا الدهر موسومٌ به ... وزمانه في دورة كالموسمِ
ما الرأيُ إلا عند قلبٍ ثابتٍ ... والسيفُ إلا في يمين مصمم
قد حزتَ صوراً في تقضّي فتحها ... فبشكرك الإسلام رطب المبسمِ

مـا كـان بينهـمـا سـوى يـوم فـذا سـعـدٌ إليـه كـلُّ سـعـدٍ ينتـمي
والجـمعُ للأخـتين غـيـرُ مـحلّـلٍ لكن بهـذا الحـال غـيـرُ مـحـرّمِ

ومنه قوله يصف قصيدة مطولة :[الكامل]

عـجـبـاً رأينا من تزيُّدِ حـسنهـا مع أنهـا زادت على التـسـعينِ
شـغلت ذوي الأسـمـاع في إنشـادها مما حـوته عن ابنـة العـشـريـن

(٢١٥) ومنه قوله، وهو مما ادّعاه سواه، وكان شيخنا أبو الثناء لا يبثّهما إلا لابن القماح :[الرجز]

لو تعلـمُ الوُرْقُ حنيني نحـوكم لمزّقت من طربٍ أطواقـهـا
ولو يذوق عـاذلـي صـبـابتـي صَـبَـا مـعي، لكنـه ما ذاقـهـا

ومنهم :

٥٩- عبد المجير، أحمد بن الحسين الخياط، مجير الدين

شاعر لا يقدر على مبالغه، ولا يعصَى الحصا على ماضغه. قريحته مقتدرة، وفكرته مبتدرة، وخاطره السمح لا يقابله بالمعذرة. ولم يكن في سوق الشعر متكسباً، ولا بما يتسنّى من جوائزه متسبباً، بل كان يكتفي بصناعة يده، وبضاعة شمم يكفى بها منه مسترفده، مع قليل مال يصلحه فينمي، ويستسفحه فيهمي، إلا أنه رزقُ خياط يجنيه من حرث إبرته، وتأييدٌ بمقدار ما يبيعه من نظر مقلته، مع أنه بدا بناظره فخاطه بالإعجاب، وخاطه بكبرياء بلغت به العجب العجاب. ومن شعره السهل الذي لو دُعي أجاب، قوله :[الكامل]

يُغنيـهِ عن بعث الكتـائبِ كـتـبُـهُ وكـأنما في كـلِّ سطـرٍ فـيـلقُ

والمرء يفتنُ بابنهِ وبشعرِه وكلاهما شيءٌ لعمرك يعشقُ

ورأيت بخط المجير المذكور فصلاً أتبعه بشعرٍ لخصتهما وهو: ولقد ورد على رجل من مصر يتعاطى أنه شاعر، ولم يكن خبيراً بما يحتاج إليه، بل كان نظّاماً لحّاناً، يخطئ الأوزان، ويخالف اللغة في غير مكان، فأصلحتُ من هذيانه على ما أفضى إليه حال لفظه، ونسقت له أساليب من كلامي، زيّنت بها قبحَ ما جاء به من بشاعة نظمه، وبرد سرده، ولم يُخلِ من قصيده وضيعاً ولا رفيعاً، ولا عبداً ولا حرّاً. وكل هذا وأنا أنظم له القصائد، وهو بحبالي الصائد، ثم ثلبني، فنُقِلَ إليَّ، فقلت: [الوافر]

عتبتُ وقلتُ إني قيلَ عني مقالٌ ما سمعنا منه أكذبْ
وإني قانعٌ بقليل شكر فقل لي ما لكثر الذمّ أوجبْ
(٢١٦) ولا تعجب لقلب الخير سرّاً فذمّك لي بظهر الغيب أعجبْ
وإن تَرَ أنّ في عتبي صواباً فتركُ العتب منك عليَّ أصوبْ
وقد قلتُ الذي عندي وهذا نهايةُ حالنا فاجنب أو اركبْ
ولم أسلفك إلا كلَّ خيرٍ وإن تعتب فإنّي غيرُ معتبْ

ومن شعره قوله: [المجتث]

صبحُ العوافي تنفّسْ في ليل سقمي وعسعسْ
وعاد نطقُ حياتي وكان بالموتِ أخرسْ
ونافس البُرْءُ سقمي فكان بالنفس أنفسْ
والموت لم ينج منه سمٌّ العرانين أخنسْ
وكل عالٍ ونكسٍ في هوَّةِ الهلك ينكسْ

ومنه قوله: [المنسرح]

يـدافـع المـوتَ فـي تـقـلّـبـه مـوج المنـايـا وسـيـلهـا دفعُ
ولـيـس مـن تحـت سـبـعٍ أرقـعـةٍ يـبـقـى ذبابٌ كـلاّ ولا سـبـعُ

ومنه قوله: [المنسرح]

سـدَّ علـيَّ الـنهـيـج والأرقُ وسـاقـني في لجـامـه العـرقُ
واتّسـعـت فيَّ للـردى سُـبْـلٌ فـيـهـا تضـيـق الأنفـاس لي طرقُ
وفـي عـروقـي وأعـظـمـي ودمـي جـرت خـيـولُ الحـمـام تسـتـبقُ
أظـلُّ لا أُطـعـمُ الطـعـامَ فـإن طُعـمـتُ منه أكـاد أخـتـنق
وفـي سـحـابِ الحـيـاة بارقـةٌ في جـوِّ جـوفي بالموت تأتلقُ
ولـي بتـقـديرِ خـالـقـي علـقٌ من حـيـثُ لا نـطفـةٌ ولا علـقُ

ومنه قوله في وزن درعية المعري التي أولها: هم الفوارس بات في إدراعها،(١) قصيدة منها: [الكامل]

مـاذيـةٌ لو أُرسلت من خـالقٍ في سـيله فـاتتـهُ في إسـراعِـهـا
(٢١٧) لو أن أرجلَ نملةٍ دبَّت على سـربـالـهـا مـا غَـاصَ طرف ذراعـهـا
عـاديَّةٌ تـنـبـو الصـوارمُ في الوغى عنـهـا لرقَّـتـهـا وغلظ طبـاعـهـا
لو أُلقـيـت في قـفـرةٍ دويَّةٍ حـامَ القطا طمـعـاً بحـومـةِ قـاعـهـا
خـصـراءُ محكمـةُ القـتـيرِ لسـردها حسـبكٌ يضـيـعُ الفكرُ في أوضـاعـهـا
زغـفٌ دلاصٌ سـتـرُ كلّ مـقـنعٍ إن آذنـت حـربٌ بكشفِ قنـاعـهـا
كـم قُطِّعت بيضُ الظّبـا بوصـالهـا وتدافـعـت سـمـرُ القنا بدفـاعـهـا
وثوابتُ الخـرصـانِ لو قـارَعْنهـا لتـقـصَّـفت وتقـصّـدت بقـراعـهـا

١: سقط الزند ٢٣٩، ومطلعها كاملاً هو:

هم الفوارس بات في إدراعها لغداة نجدتها ويوم قراعها.

لطفت على فرط الكثافة حلّةً قد طُرِّزت بالبرق من تلماعها
سمحَ الزمانُ بحين عصرِ ولادها ومسامعُ الدنيا ثديٌ رضاعها

ومنه قوله يصف مقتل أفعى :[الكامل]

نفرَ الحُبابُ فخلتُ سيلَ الجدولِ متدفقاً نحو الأباطحِ من علِ
أو أسمراً متأطّراً يوم الوغى في كفٍّ مشبوح الذراعِ شمردلِ
يرنو بأخزر شبهَ جذوةِ قابسٍ متوقداً في جنحِ ليلٍ أليلِ
فهو الشجاعُ مدرّباً بإهابه فمسربلٌ درعاً وغير مسربلِ
وكأنما حدقُ الجرادِ لباسُهُ أو رقشُ وشيٍ فوق ردٍّ أسحلِ
بادرتُهُ بمهندٍ ضمّ الصفا بفرنده يغري بضربةِ فيصلِ
وكأنه ليل سطا بسواده عند الصدام بياضُ صبحٍ منجلي
متململاً من فوق مفرش تربه يعلو أعالي رأسه بالأسفلِ
وكأنّما هو بالدماء مضمّخٌ ليل كقنو النخلة المتعثكلِ
تملو لهازمُهُ لفرقة نفسه بتكشُّرٍ عن كلّ نابٍ أعصلِ
فسقتلتُ منه أفعواناً قاتلاً كم قد أصابَ ضريبةً في المقتلِ

ومنه قوله :[مجزوء الرمل]

أين مَن أعطافُهم كانت تهزُّ الأريحيّةْ
(٢١٨) وعلى الشعرِ يجازو ن الجوائز السنيّةْ
ذهبوا لم يبق في الدنيا منهم بقيّةْ
غبروا لذكرٍ منهم عطّرَ أفواهَ البريّةْ

ومنه قوله :[المجتث]

لا ترفعنَّ دنيّاً فرفعه لك خفضُ

وَدُسْـــــــهُ حـــــيث تـراه بتــــــركــــه فــــهـــــو أرضُ

ومنه قوله :[الكامل]

لا شـيءَ فـــــوق الموتِ تـألمـه إلا إذا أضـــيـــافُــــهُ ارتحلوا
لو أن كـــعـــبَ الجـــودِ عـــاصره بـســمـــاحـــهِ لم يُضـــربُ المثـــلُ

ومنه قوله في حائك صار خطيباً :[السريع]

وحـــائكٍ صـــار خطيـبــاً ومـــذ صـــار خطيـبـاً قــد بدا منصــرمــا
ظنّ وقـــد صـــار على منـبـــرٍ بأنه قــد صـــار فـــوق السـمــا
وهـو الـذي مـن نـفـقٍ فـي الـثـرى إلى الثـــريّـا قـــد رقـــي سُلّمـــا

ومنه قوله، وقد ولي شمس الدين محمد بن الرزيز خطابة الجامع الكريمي بقبيبات دمشق، وقام شخص اسمه ابن العديسة واعظاً :[المجتث]

في الدهـر شيءٌ عـــجـــيـبٌ مــــرآهُ يـقــــذي اللـواحـظْ
ابـــنُ الــرزيـــز خـطـيـــبٌ وابـــنُ العــــديـســةِ واعـــظْ

ومما أملانا من نثره قوله مع قصيدة كتب بها إلى بعض الرؤساء، وهو: فأرسلتها كالمهدي قطرةً إلى البحر المحيط، أو النافخ بغيه ليزيد بنفسه في الهواء البسيط .

ومنهم :

٦٠- أحمد بن محمد بن سلمان بن حمائل، شهاب الدين، أبو جعفر*

* فوات الوفيات ١ : ١٢٧، والوافي بالوفيات ١٨ : ١٩، والدرر الكامنة ١ : ٢٦٥ .

عرف بابن غانم. أي لا يصبر على ضيم، ولا يتغافل لمساورة أيم، بل أي بلد نبتْ به أرضُها، ونَبَتَ له مُمضُّها، طلَّقها طلاق البتات، وقوَّض عنها (٢١٩) خيامه قبل البيات. جوَّالُ آفاق، وجوّابُ مهامهَ بلا رفاق. طار بغير جناح، واخترق حيث تهب الرياح.

وقد تقدم ذكرُ أخيه في الكُتّاب في هذا الكتاب. وكان أبوهما ممن أحبَّ له داعي الفلاح، وأُجيل قلمه في سهام القداح، ثم غضب ابنه هذا عليه غضبةً حملته على الاغتراب، وحلّقت به حيث لا يحلق الغراب. هذا وبدرُهُ ما اكتمل، وجلباب الورق على غصنه ما اشتمل. فأتى العراق في رفقةٍ، سلكوا به السماوة، لا يصحبه إلا أبيضٌ مسلول، ولا يؤنسه إلا أرقطٌ زهلول، ولا يظلله إلا سمرة في يهماء، ولا بُردٌ إلا أداوة يترشف منها الماء. ونزل بها على خفاجة مخفياً لنفسه، مظهراً له أدب درسه، فلما تسمّى لهم واكتنَى، وكتم من أمره معلنا –وكان العهدُ إذ ذاك قريباً بأخذ بغداد، وشتات شذاذ الخلافة في أقطار البلاد– ظنوه ابناً للمستعصم، كان قد فُقدَ على الجسر، بعد اقتحام التتار شوارعها الفساح، والتهام أفواه قسيهم الفاغرة مضغ الأرواح، وأبناء الخلائق لديهم نهبٌ صِيحَ في حجراته، وهضبٌ ذيدَ عن سمراته.

ولقد حكى لي أن هذا صار فيه عقد دينهم، وعقل يقينهم، فقدموه عليهم إماماً، وسلموه لهم زماماً، وإنه لم يفسدهم بكشف باطنه، وإخراج خبيئة من مواطنه. وأتى الملك الظاهر هذا البناء، فخاف منه فتقاً لا يرقعه، وخرقاً لا يجمعه، فكتب إلى ملك العرب عيسى بن مهنا يطلب منه إحضاره، ويوكل به انتظاره، فاستدرجه إليه، ثم بعث به حتى أقدمه عليه، فلما حضر بين يديه، تعرّف إليه بأبيه، وشهد له بعض من حضر، فسلَّمَ وقد أهوى إليه الحجر، وأمر باستدعاء أبيه من دمشق، فلما وصل سلَّم إليه، وسُلَّ من قنصة الموت وألقى

لديه، وقيل له: لا بورك لك، ثم ردّ ضائعه عليه.

ثم إنه كتب الإنشاء في الممالك، وتنقل بمصر ودمشق، ثم أبَى حمل المشق. كان قد أفرد للكتابة في مجلس الوزارة بدمشق، والمتحدث إذ ذاك، الصاحب شمس الدين عبد الله المعروف بغبرال، فأمره يوماً بكتابة كتاب، فضمنه شيئاً (٢٢٠) من الصناعة التي لا عهدَ بها لمن كتبت عنه، وقرأ ما فيها فلم يستبينه، فأنكر ما لم يحط به علمه، ولا تصوره فهمه، فسأله عن موضعٍ منها كالمستفسر، فظنه كالمستنفر، فركب القفار يضربها أذرعاً في أذرع، ويودع منها أربعاً في أربع، وظنّ أنه قد تفلّت من يده تفلّت المملق من يد الغريم المقلق، وتقحّم مهالك بحار الرياح في قطعها، ومهاوي لا تكتحل جفن الغزالة، ينقعها بتلاعب يد الإقتار، ويقذف به في الفجاج البعيدة الأقطار، إلى أن نزل بالملك المؤيد صاحب اليمن، في بحبوحة مجد، وأرجوحة جد، وسعادة أراشت جناحه المحصوص، وأطارت طائره المقصوص.

ثم ضاقت به تلك الرحاب، ونغصت إليه تلك المحاب، لأمراض تناوبت بنيه، وأعراض هدّت مبانيه، فسيرهم من طريق لاقاهم إليه، إلى مكان لم يخلف لهم فيه موعداً، ولا تجاوزه مبعداً، إلى أن حلّ حضرة صنعاء متذمماً بإمامها، وطالباً منه صنيعةً يتمسك بذمامها، فوجد لديه إكراماً، وحواليه لاقى كراماً.

ثم وجه على طريق السراة ميمماً مكة المعظمة، فوافاها والموسم قد أقمرت لياليه، ورقمت خدود الأيام غواليه، فحضر الموسم وشهد أيامه المعلومات، ولياليه الرافلة حلله المرقومات. وقد التقى كلّ ذي دَين وماطله، وهدت به سنابك اليُمن وأياطله، ثم قصد الباب الشريف النّاصري، فلقي برّاً بحسن الخَلَف، وحِلماً لا يؤاخذ بما سلف، وأمر باستخدامه، ثم تنقل في مصره وشامه،

وتنقل ببِّرهِ وإنعامه.

ولما فوّض إلينا الأمر بالشام في أخريات شعبان، سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، أبى إلا أن يحفظ عهدنا، وأن لا يقيم بمصر بعدنا، فجاء على آثارنا مستصحباً لحال المودة، مقضياً معنا عمره إلى آخر مدة. ثم منعه مانع الهرم أن يعود معنا إلى مصر، في جمادى الأولى من السنة القابلة، حين قلدنا بها ثانياً، وقعد عجزاً لا توانياً، لفتور عزم قيد خطاه، وفند رأيه لحلول الأجل فما تخطاه. وبلغنا على الأثر أنه غلب عليه سوءُ مزاج، لم يفد فيه حسنُ (٢٢١) علاج، إمضاء لإرادة الله في خلقه، وإفضاء به إلى نهاية أجله ورزقه.

وكان فاضل بيته، ومستدرك فوته، ناقلة لغة، وعاقلة أدب، مع إلمام بطرف كل فضيلة، وطرف ودٍّ أوى به إلى ضوء كل قبيلة.

فأما الشعر، فكان نبعته التي قرع بها القرناء، وصنعته التي ما خلا بعده لمن عاناها إلا العناء.

وله طرائف وظرائف. حكى عنه قريبنا القاضي جمال الدين، أبو محمد، يوسف بن رزق الله العمري، قال: اجتمعت به يوماً في سماع، فرقص الناس ثم جلسوا، فأقامهم شخص استمع هو ورجال مثله، عليهم سيماء البادية، وطال الحال في الوقوف، وشهاب الدين ساكت لا يتكلم، وساكن لا يتحرك، فقال له رجل على سبيل الهزء به: مالي أراك ساكناً كأنه يُرجَى إليك؟ فقال: ﴿قل أوحي إليَّ أنه استمع نفرٌ من الجن﴾[1]

١ : سورة الجن ٧٢ ، الآية ١ .

٢ : الخربشت: المراد بها المرحاض هنا. (فارسية) .

وحكَى عنه بعض أقاربه، أن الملك المنصور صاحب حماة، خرج إلى باب الشجريات بالمعرة، وشهاب الدين في صحبته، فاحتاج شهاب الدين إلى الخلاء، ولم يكن من رأيه دخول الخربشت،[٢] وكان الفضاء مسدوداً بالوطاق الظاهري، وهو إذ ذاك مخيم به، فصعد شهاب الدين إلى شجرة تين ليتخلاّ، والملك المنصور يراه، ولم يعلم ما يصنع، فجهز شخصاً لينظر ما يفعل، فقال: خذ! وسلح عليه، حتى ملأ وجهه وعينيه. فقال: ويلك، ما هذا؟ فقال: أطعمتك من التينة. فأتى الملك المنصور الخبر، وفهم الصورة، فانقلب يضحك حتى أُغشي عليه.

وحُكي أنه اجتمع يوماً هو ونور الدين ابن هلال الدولة مقدم يمن بكفر عامر، في مجلس لهوٍ فيه شيء من آلات الطرب، فأخذ شهاب الدين آلة منها ليضرب بها على سبيل العبث، وكان لا يعرف هذا، وابن هلال الدولة متهم بالرفض، فقال له ابن هلال الدولة: أحسنت، بالله سمِّعْنا غليظ ما نكره، فقال: رضي الله
(٢٢٢) عن أبي بكرٍ وحُكيَ عنه، ثم حكى هو لنا عن نفسه، أنه كان عند واحد الدهر القاضي كريم الدين عبد الكريم الناصري في خيمة جمع القرّاء بها بالقرافة، وأنه أوى إلى القاضي علاء الدين، علي بن الظاهر، وجلس إليه يحدثه، فبعث إليه بآخر هناك يعرف بالطواشي معاوية، يقول له: بقيت نوبتي، يعني قم تعال إليَّ، وألحّ عليه. فقال له: ويلك! من يخلِّي عليّاً ويروح إلى معاوية؟ فيما أوردناه مقنع، وفي بعضه ممتع.

ومما أنشدَنا من شعره تلفظاً أو إجازة قوله:[١] [السريع]

واللهِ ما أدعو على هاجري   إلا بأن يُمحنَ بالعشقِ

---

١ : الفوات ١ : ١٢٩ .

٢ : الفوات ١ : ١٢٩ .

حتى يرى مقدارَ ما قد جَرَى منه وما قد تمَّ في حقي

وقوله:[٢] [المجتث]

يا حسنَها من رياضٍ مثل النّضارِ نضارَهْ
كالزهرِ زهراً وعنها ريحُ العبير عبارَه[١]

وقوله:[٢] [مخلع البسيط]

طرفك هذا به فتور أضحى لقلبي به فنونُ
قد كنت لولاه في أمانٍ لله ما تفعل العيونُ

وقوله: [الكامل]

يا نازحاً عني بغير بعادِ لولاك ما علقَ الهوى بفؤادي
أنت الذي أفردتني مني فلي بك شاغلٌ عن مقصدي ومرادي
سهرتْ بحبك مقلتي فحلالها فيك السّهادُ فلا وجدت رقادي
ورضيت ما ترضَى فلو أقصيتني أيام عمري ما نقضت ودادي
أنت العزيزُ عليّ إن أشكو لك الـ وجد الذي أهديته لفؤادي

وقوله:[٣] [الخفيف]

أيُّها اللائمي لأكلي كروشاً أتقنوها في غاية الإتقان
لا تلمني على الكروش فحبي وطني من علائم الإيمانِ[٤]

---

١ : الفوات: حسن العبير .
٢ : الفوات ١ : ١٢٩ .
٣ : الفوات ١ : ١٢٩ .
٤ :الفوات: من دلائل .

وهو من قول النصير الحمامي، وقول النصير أحسن، وهو :[السريع]

(٢٢٣) رأيت شخصاً آكلاً كرشةً وهو أخو ذوقٍ وفيه فطَنْ
وقال: ما زلتَ محبّاً لها قلت: من الإيمان حبُّ الوطنْ

وكذلك قوله، أعني أبا جعفر بن غانم :(١)[الخفيف]

ما اعتكافُ الفقيه أخذاً بأجرٍ بل لحكم قَضَى به رمضانُ
هو شهرٌ تُغَلُّ فيه الشياطيـ ـنُ ولا شكَّ أنه شيطانُ

وقوله :[البسيط]

تعجّبَ الناسُ للبطيخ حين أتى لحين حينٍ وإذ وافى بطاعونِ
وكيف لا يقطعُ الأعمار مقدمه وليس يؤكلُ إلا بالسكاكينِ

وقوله في مولود سمّيَ مباركاً :[مجزوء الرجز]

تهنَّ يا مباركاً بالولد المباركِ
بمن سمّوه أنساً لكونه ابنَ مالكِ

وقوله، مما كتب به إلى قاضي القضاة، جمال الدين ابن واصل، وقد أقعده عاقداً بحماة في مكتب فيه السيف علي بن المغيزل :(٢)[مخلع البسيط]

مولاي قاضي القضاةِ يا مَن له على العبدِ ألفُ منّهْ
إليك أشكو قرينَ سوءٍ بُليتُ منه بألفِ محنهْ
شَهَرتَهُ بيننا اعتداءً أغمده فالسيف سيف فتنهْ

وقوله في زركشي :[مجزوء الكامل]

١ : الفوات ١ : ١٢٩ .

٢ : الفوات ١ : ١٣٠ .

بأبي أفـــدي زركـــشـــيـــاً ... قـــد سَـــبَى كلَّ الورى
عـــشـــق الشـــريـــطُ جـــمـــالَـهُ ... فـــغـــدا نحـــيـــلاً أصـــفـــرا

وقوله مناقضةً للبيتين المشهورين، والذي قاله: [المتقارب]

تأمّل دمـــشق وجـــاور بهـــا ... فـــقـــد زانهـــا الجـــامعُ الجـــامعُ
فَـــســـرُّ الســـرورِ بـــه مـــودعٌ ... وســـعـــدُ الســـعـــود به طـــالـــعُ

وأما البيتان المنقوضان فيهما، فهما: [المتقارب]

(٢٢٤) تجنّبْ دمـــشق ولا تأتـهـــا ... وإن شـــاقك الجـــامعُ الجـــامعُ
فـــســـوقُ الفـــســـوقِ به قـــائمٌ ... وفـــجـــرُ الفـــجـــورِ بـــه طـــالـــعُ

عدنا إلى تتمة ما نذكره له، فمنه قوله في مقصوص الشعر:[1] [البسيط]

صـدغان كـان فـؤادي هائمـاً بهـمـا ... فكيف أسلو وكلُّ الشعرِ أصداغُ[2]
قـالوا: ذؤابتُـهُ مقصوصـةٌ حسـداً ... فـقلت: قـاطعـهـا للحسن صوّاغُ

ومنه قوله، نقلته مما كتبه لي من شعره القاضي نجم الدين أحمد ابن أخيه، واستثبته في قوله، فقال: إنه سمع هذا من فيه، وهو: [الطويل]

أُعـــاهد قلبي في اجـــتـناب هواكـم ... ويغلبني شـــوقي إليكم فـــأنكـثُ
وأحلفُ لا واصلتكم مـــا بقـــيـــتم ... وأعلم أن الوصلَ خـــيـــر فـــأحنثُ

ومنه قوله:[3] [الخفيف]

بأبـي صـــائغٌ مليحُ التـــثـــني ... بقـــوامٍ أزرى لغـــصـن البـــانِ

١: الفوات ١: ١٣٢.

٢: الفوات: تأخر البيت عن الذي يليه.

٣: الفوات ١: ١٢٩.

أمسك الكلبتين يا صاحِ فاعجب   من غزالٍ في كفّه كلبتانِ

وحُكيَ أنه كان قد دعاه صاحب له ليضيفه، فلما جاءه قال له. اقلع قماشك واقعد عندنا اليوم. فلما قلع قماشه واطمأن، سرق جُبّته وخبّأها على سبيل اللعب. ثم جاءه بصحن كبير مغطى، فلما كشفه لم يجد فيه إلا سبع حبات من القطائف في غاية الصغر. فقال: ويحك! ما هذه؟ فقال له: كُلْ، فإن استطبتها زدناك. فلما أكلها لم يأته بشيء آخر، ثم أمره بالانصراف. فلما قامَ لينصرف، لم يجد جُبّته، فسأل عنها. فقال له: أخذناها ثمن القطائف التي أكلتها. فقال:(1)[مجزوء الرجز]

قل للذي ضيّفني   في بيته سبعَ لُقَمْ(2)
ورامَ أخذَ جُبّتي   هذا على الرطلِ بكَمْ

قلت: وعلى طول مدته في ديوان الدرج، واسترزاقه بقلم الإنشاء، وما يتلاطم في حفظه من أمواج المراد، ما تعاظَمَ إلا لديه من وافر الفضل (٢٢٥) لا يذلّه في تنميق النثر، ولا في تحقيق طريق الكتابة، بل هو مُخَلّىً فيها، ونَفَسُهُ يركد ولا يهب، ويقعد ولا يقوم، حتى في كتب السفيل، لا يرضى منها له كتاب، ولا تُحلَّى بشيء مما عنده من الأدب، بل هي في معزلٍ، والكتابة في مغزل، وقد سدّ بينهما بابٌ، وضيّعَ خازنُه المفتاح، حتى لا يفتح ذلك الباب. انتهى كلامنا فيه.

وهذا آخر ما ذكرت من شعراء الجانب الشرقي، ممن ضمت حنايا القبور أسرارهم، وأخفت مغارب اللحود أقمارهم، ووسدهم التراب حشاياه، وكدّر

١: الفوات ١: ١٣٠.
٢: الفوات: أطعمني.

لهم الدهر عشاياه، وصادَ وُرْقَهم الساجعة، بازيُّ الحمام المطل، وشبرق ثوب الشفق بدمهم سبع منونهم المطل، وها هم الآن كما رأيتهم أرواحاً، يتصوّر بالتمثيل عيانهم، وتُفضُّ من مدارج الصحف أكفانهم.

وها أنا الآن أذكر من بقي من شعراء الجانب الشرقي ممن هو حي موجود، هم على آثار سبقهم مجدون، ولسلف موتاهم ممدون، وما نحن إلا مثلهم، غير أننا أنخنا قليلاً بعدهم وتقدموا. فنسأل الله أن يكشف غطاء قلوبنا، ويرشدنا لما فيه صلاح أمورنا، إنه هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

فأمَّا مَن وعدت بذكرهم من الأحياء الموجودين، فأقول وبالله التوفيق:

ومنهم:

٦١- عبدُ العزيز بنُ سرايا الحلِّي، أبو الفضل، صفيُّ الدين*

التاجر، ملءُ فكيه لسان، وحشوُ لحييه إحسان، وبين جنبيه بحرٌ إلا أنه إنسان، ولابسُ بُرديه شاعرٌ ولكنه حسَّان. وُزن به بلديُّه الحلي فخفَّ راجح، وقُرنَ به سَلْمٌ فَسَلَّمَ أن الخاسرَ غيرُ رابح. لو نازعَ الحكميَّ لحكم له عليه من أجمعَ، أو السُّلميَّ لعلم مَن منهما أشجع. وله شرفُ نفس يرى الجوزاءَ دون مرامه، والبدرَ أقلَّ من تمامه. أخذ ثأرَ خاله وقد قُتِلَ قهراً بيده، وابتزَّ دَمَهُ من مخالب الأسود قسراً بمهنده، ولم يُنفق سوقَهُ على السوق، ولا لبس عقائله إلا الحرير وحاشاه من السوق. ولم يتخذ من الشِّعر سبباً، ولا علق لأطماعه (٢٢٦) بأوتاد طيناً، ولا رضي لفواصله من فواصله مكسب، إلا ما جاء من عفو إنعام الملوك هنيئاً بلا

* انظر سيرته وشعره في كتابنا: صفي الدين الحلي -حياته وآثاره وشعره. وكذا ديوانه بتحقيقنا.

تعب، وهنيّاً لم يستصعب. أو ما سامح به من حقوق متجره، ويصالح به على مالا يقوِّمُ من جوهره. ووفد على سلطاننا متشرِّفاً بمدحه، تشوّفاً إلى منحه، فأقبل عليه بفضله ووصله، ملءَ حقيبة رحله. ثم عاد إلى ماردين، مصاحباً لملوكها الكرام، مواظباً لهم دون سائر الندماء. وتردد إلى حماة، أيام الملك المؤيد عماد الدين، أبي الفداء إسماعيل، ثم أيام ابنه الأفضل. وما منهما إلا مَن كان يعدُّ لوفوده الليالي، ويعدُّ لوروده الذهب ثمناً للآلي. وهو اليوم باقٍ يمتاح، وحيٌّ إليه كلُّ قلبٍ حيٍّ يرتاح. ومن شعره الغرد، وسلسله المطَّرد قوله:(١) [الكامل]

لولاكَ ما نافقتُ أهلَ مَودَّتي ... وظَلَلتُ فيكَ نَفيسَ عمري أُنفقُ

وصَحِبتُ قَوماً لَستُ من نظرائِهمْ ... فكأنّني في الطِّرس سَطرٌ مُلحَقُ

وقوله:(٢)[الكامل]

وأغَرّ أدهَمَ ذي حُجولٍ أربَعٍ ... مُبيَضُّها يَزهو على مُسوَدِّهِ(٣)

خلَعَ الصّباحُ عليهِ سائلَ غُرّةٍ ... منهُ، وقَمّصَهُ الظّلامُ بجِلدِهِ

قَلِقُ المِراحِ، فإن تَلاطَمَ خَطوُهُ ... ظَنّ المُطارِدُ أنّهُ في مَهدِهِ

أرمي الحصَى من حافِرَيه بمثلِهِ ... وأروعُ ضَوءَ الصّبحِ منه بضِدّهِ

وقوله:(٤)[الكامل]

١: ديوانه ٤٩٨.

٢: ديوانه ٢٤٤.

٣: الديوان: بأغرَّ.

٤: ديوانه ١٧٢-١٧٣.

٥: الديوان: فأذابني.

٦: الديوان: لا بدع.

عاتَبتُهُ، فتَضرّجَتْ وجَناتُهُ ... وازورَّ ألحاظاً وقَطّبَ حاجِبَا

فأرابَني الخدُّ الكَليمُ وطَرفُهُ ... ذو النّون إذْ ذهبَ الغَداةَ مُغاضباً [5]

لا غَرو إن وَهبَ النّواظرَ حُظوَةً ... مِن نُورِه ودَعاهُ قلبي ناهِبَا [6]

فمَواهبُ السّلطانِ قد كَست الوَرَى ... نعَماً وتَدعوهُ القَساوِرُ سالِبَا

ملكٌ يرَى تعَبَ المَكارمِ راحَةً ... ويَعُدُّ راحاتِ القِراعِ متَاعِبَا

لم تَخلُ أرضٌ من ثَناهُ وإن خلَتْ ... من ذِكرِه مُلئَتْ قَناً وقَواضِبَا

(٢٢٧) تُرجَى مَواهبُهُ ويُرهَبُ بَطشُه ... مثلَ الزّمانِ مُسالماً ومُحارِبَا

كالسّيلِ يُحمَدُ منهُ عَذباً واصلاً ... ويَعدُّهُ قومٌ عَذاباً واصِبَا [1]

فإذا نَظَرتَ ندَى يَديهِ ورأيَهُ ... لمْ تُلفِ إلاّ صائِباً أو صائِبَا [2]

وقوله: [3] [الرمل]

شامَ برقَ الشّامِ صُبحاً، فصبَا ... وتراهُ عِشاءً فعَشَا

لاحَ والليلُ بهِ مكتَهِلٌ ... وجَنينُ الصّبحِ حملٌ في الحَشَا

وهلالُ الأفقِ يحكي قوسُهُ ... جانبَ المرآةِ يَبدو من غِشَا

وحكَى المِرّيخُ في صِبغَتِهِ ... خدَّ محبوبٍ بلَحظٍ خُدِشَا

وسُهَيلٌ مثلُ قلبٍ خافِقٍ ... مُكّنَ الرّعبُ به فارتَعَشَا

والثُّرَيّا سَبعَةٌ قد أشبَهتْ ... شكلَ لَحيانٍ بتَختٍ نُقِشَا

ووميضٌ غادَرَتْ غُرّتُهُ ... أدهَمَ اللّيلِ صَباحاً أبرَشَا

١ : واصبا : ممرضا .

٢ : صائباً الأولى : وصف للمطر . والثانية : من الإصابة .

٣ : ديوانه ٤٩٤ – ٤٩٥ .

٤ : ديوانه ٢٤٨ – ٢٥٥ .

٥ : الديوان : أمواجه .

وقوله:(٤) [البسيط]

والرّيحُ تَجري رُخاءً فوقَ بَحرتِها ... ومــاؤها مُطلَقٌ في زيّ مأسُورِ
قد جُمّعتْ جمعَ تصحيحٍ جوانبُها ... والماءُ يُجمَعُ فيها جمعَ تكسيرِ
والرّيحُ تَرقُمُ في أمواجِها شَبَكاً ... والغَيمُ يَرسُمُ أنواعَ التّصاويرِ (٥)
والماءُ ما بينَ مَصروفٍ ومُمتَنِعٍ ... والظّلُّ ما بينَ مَمدودٍ ومَقصُورِ
والرّيحُ قد أطلَقتْ فضلَ العِنانِ به ... والغصنُ ما بينَ تَقديمٍ وتأخيرِ
والنّرجِسُ الغَضُّ لم تُغضِضْ نواظرُه ... فزهرُهُ بينَ مُنفضٍ ومَزرورِ
كأنّهُ ذَهَبٌ من فوقِ أعمِدَةٍ ... من الزّمُرّدِ في أوراقِ كافُورِ
والأُقحُوانُ زَها بينَ البَهارِ بها ... شِبهَ الدّراهمِ ما بَينَ الدّنانيرِ
وزامِرُ القومِ يَطوينا ويَنشُرُنا ... بالنّفخِ في النّايِ لا بالنّفخِ في الصّورِ
وقد تَرَنّمَ شادٍ صوتُه غَرِدٌ ... كأنّهُ ناطِقٌ من حَلقِ شُحرورِ
بشامخِ الأنفِ قَوّامٍ على قَدَمٍ ... يَشكو الصّبابةَ عن أنفاسِ مَهجورِ
(٢٢٨) شكَتْ إلى الصّحبِ أحشاهُ وأضْلُعُهُ ... قَرضَ المَقاريضِ أو نَشرَ المَناشيرِ (١)
والرّاقِصاتُ وقد مالَتْ ذوائبُها ... على خُصورٍ كأوساطِ الزّنانيرِ
كأنّ في الشّيزِ يُمناها إذا ضَربَتْ ... صبحاً تَقَلقَلَ فيه قلبُ دَيجُورِ (٢)
تَرعَى الضّروبَ بكَفّيْها وأرجُلِها ... وتَحفَظُ الأصلَ من نَقصٍ وتَغييرِ
وتُعرِبُ الرّقصَ من لحنٍ فتُلحِقُهُ ... ما يَلحَقُ النّحوَ من حذفٍ وتَقديرِ
وحاملُ الكأسِ ساجي الطّرفِ ذو هَيَفٍ ... صاحي اللّواحظِ يثني عطفَ مَخمورِ
يُديرُ راحاً يَشُبُّ المَزجُ جُذوَتَها ... فلا يَزيدُ لَظاها غيرَ تَسعيرِ
ناراً بَدَتْ لكلَيمِ الوَجدِ آنَسَها ... من جانبِ الكأسِ لا من جانبِ الطّورِ
وللأبارِقِ عندَ المَزجِ لَجلَجَةٌ ... كنُطقِ مُرتَبِكِ الألفاظِ مَذعورِ

١ : الديوان: أعضاه والسنه .

٢ : الديوان: صبح .

كأنّها وهيَ في الأكوابِ ساكبةٌ ... طيرٌ تَزُقُّ فراخاً بالمناقيرِ

أقولُ والرّاحُ قد أبدتْ فواقعَها ... والكأسُ يَنفُثُ فيها نَفثَ مَصدورِ

أسأتَ يا مازجَ الكاساتِ حليَتَها ... وهَلْ يُتَوَّجُ ياقوتٌ ببَلّورِ

وقائلٍ إذ رأى الجنّاتِ عاليةً ... والحُورَ مَقصورَةً بينَ المَقاصيرِ

لمن تَرى المُلكَ بعدَ اللّه؟ قلتُ لهُ ... مَقالَ مُنبَسِطِ الآمالِ مَسرورِ

لصاحبِ التّاجِ والقَصرِ المَشيدِ ومَن ... أتَى بعَدلٍ برَحبِ الأرضِ مَنشورِ

فقال: تَعني به كسرى؟ فقلتُ له: ... كسرى بنُ أُرتُقَ لا كسرى بنُ سابورِ

لا تَفخَرُ الشّمسُ إلاّ أنّها لَقَبٌ ... لهُ، وشِبهٌ لهُ في العِزّ والنّورِ

رأتْ بنُو أُرتُقٍ نَهجَ الرّشادِ بهِ ... وليسَ كلُّ زِنادٍ في الدّجى يُوري

كم عُصبَةٍ مُذبَذا سُوءُ الخِلافِ بها ... بادَتْ بصارمِ عَزمٍ منهُ مَشهورِ

مشَوا كمشي القَطا، حتى إذا حمَلوا ... ثقلَ القُيودِ مَشوا مشيَ العَصافيرِ

إن كانَ بالجَوسقِ النّعمانُ ساد، فكم ... من جَوسَقٍ لكَ بالشِّعبينِ مَعمورِ (١)

في كلّ مُستَصعَبِ الأرجاءِ مُمتَنعٍ ... تُبنى القَناطرُ فيهِ بالقَناطيرِ

لا أدّعي العُذرَ عن تأخيرِ قَصدِكُمُ ... ليسَ المحبُّ على بُعدٍ بمَعذورِ

(٢٢٩) بل إن غدا طولُ بُعدي عن جَنابكمُ ... ذَنبي العَظيمَ فهذا المدحُ تكفيري

فاستَجلِ بكرَ قَريضٍ لا صَداقَ لها ... سوى القَبولِ ووُدٍّ غيرِ مكفورِ

على (أبي الطيّب) الكُوفيّ مَفخَرُها ... إذ لم أُضِعْ مسكَها في مثلِ (كافورِ)

رَقّتْ لتُعرِبَ عن رِقّي لمَجدِكُمُ ... حبّاً وطالتْ لتَمحو ذنبَ تَقصيري

وقوله: (٢) [الكامل]

١ :الديوان: أو كان ... تاه فكم .

٢ : ديوانه ٢١٩ .

٣ : ديوانه ٢٠٥-٢٠٦ .

يا مَن يُعيرُ الغُصنَ لينَ قوامه ويغيرُ بدرَ التِّمِّ عند كماله
ما حلّت الواشونَ ما عَقَدَ الهوى تَفْنى الليالي والغرامُ بحاله

وقوله: (٣)[الكامل]

زوّجتَ أبكارَ الظُّبا بنفوسهم وجعلت أطرافَ الرماحِ شهودا
كفروا فآمنت الرؤوسُ لأنها خَرَّت لسيفك رُكَّعاً وَسجودا
وجرت على الخيلِ الدماءُ مذالةً فكأنما كُسيت بهنَّ جلودا
بقساورٍ قلّت عديداً في الوغى ومن الشجاعة أن تقلَّ عديدا (١)
رفضوا الدروعَ عن الجسومِ وأسبغوا فوق الجسوم من القلوب حديدا

وقوله: (٢)[الوافر]

ومَجلسُنا الأنيقُ تُضيءُ فيه أواني الرّاحِ من ورَقٍ وعَين
فأطلَقنا فَمَ الإبريقِ فيه وباتَ الزّقُّ مَغلولَ اليَدين
وشَمعَتُنا شَبيهُ سِنانِ تبرٍ تركّبَ في قَناةٍ من لُجَين
ونحنُ نزُفُّ أعيادَ النّصارى بشَطّ مُحَوّلٍ والرّقمَتَين (٣)
نُوَحّدُ راحنَا من شِركِ ماءٍ، ونُولَعُ في الهَوى بالمَذهَبَين
ووَردٍ كالمداهنِ من عَقيقٍ وقدّاحٍ كأزرارِ اللُّجَين (٤)

وقوله: (٥)[الطويل]

---

١ : الديوان: في اللقا .

٢ : ديوانه ٦٨٤ .

٣ : الديوان: والرقمتين .

٤ : الديوان: بورد كالمداهن في ... وأقداح .

٥ : ديوانه ٢٥٧ .

٦ : به: سقطت من الأصل .

وبكرِ فَــــلاةٍ لَـمْ تَـخفْ وَطْءَ طامثٍ ... ولا افـتَـضّـهـا من قـبلِ مُـهـريَ نـاكحُ
كشَفتُ خِمارَ الصَّونِ عن حُرّ وَجهِها ... ضُحًى، ولِثامُ الصّبحِ في الشرقِ طائحُ
(٢٣٠) وأنكَحتُها يَقظانَ من نَسلِ لاحقٍ ... فـأمـسَتْ به مع عُـقـمِـهـا وهيَ لاقحُ
من الشُّـهبِ في إدراكِـه الشُّـهبَ طامعٌ ... فـنـاظـرُهُ نـحـــــوَ الـكَواكـبِ طامـحُ
أخــوضُ بـه بحـــرَ الـدّجى وهوَ راكِـدٌ ... وأُورِدُهُ حَوضَ الضّحى وهوَ طافحُ[٦]

وقوله:[١] [الكامل]

أهلاً بهـا كـالقُـضبِ في كُـثـبـانِهـا ... جَـعَلتْ شُـواظَ النّارِ من تيـجـانِهـا
بـاحَتْ أسِـرّةُ وجـهِـهـا بسَـرائرٍ ... ضـاقتْ صُـدورُ النّاسِ عن كِـتـمـانِهـا

وقوله:[٢] [السريع]

أهلاً بشُـــهبٍ عندَ إشـراقِـــهـا ... يحكي الدُّجى من نورِها الواضحِ[٣]
ينضبُ بحـــرُ اللّيلِ إذ تَغـــتَـــدي ... نـاهِـلَـةً مـن لُـجّـــــــهِ الـطّـافـحِ
كـــأنّمـــا أيماضُــهـــا عَـــزمَـــةٌ ... من عــــزَمـــاتِ المَلِكِ الصّـــالحِ

وقوله:[٤] [الخفيف]

يا ضَـعيفَ الجُـفونِ أضـعَفتَ قَلبـاً ... كـــانَ قَـــبلَ الهَـــوَى قَـــويّاً مَليّـــا
لا تُـحـــارِبْ بنـاظِرَيْكَ فُـــؤادي ... فَــضَــعـــيــفـــانِ يَغلِبــانِ قَـــويّا

١ : ديوانه ٢٩٩ .
٢ : ديوانه ٣٠٤ .
٣ : الديوان : يُجلَى .
٤ : ديوانه ٦٩٨ .
٥ : ديوانه ٧٧١ .
٦ : ديوانه ٨٦٧ .

وقوله :(٥)[السريع]

مـــا زالَ كُـــحلُ النّومِ في ناظري   مـن قَـــبـلِ إعـــراضِـكَ والبَـينِ
حـتـى سـرَقتَ الغُـمضَ من مُـقلَتي   يـا سـارِقَ الـكُحـلِ مـن الـعَينِ

وقوله :(٦)[الوافر]

تَنَبّـأ فـيكَ قَلبي فـاسـترابَتْ   بـهِ قـومٌ وعَـمَّـهُـمُ الضّـلالُ
وصَـدّهـمُ الـهـوى أن يؤمنوا بي   وقـالوا: إن مُـعـجِـزَهُ مُـحـالُ
فـمُـذْ سلَّمتَ سلَّمَتِ البَـرايا   إليّ، وقـيلَ: كـلّمـهُ الغَـزالُ

وقوله :[السريع]

ورُبّ لَـيـلٍ خُـضتُ تَيّـارَهُ   بـأدهَـمٍ يَسـبُـقُ جَـريَ الـرّياحْ
مُـحَـجَّـلِ الأربعِ ذي غُـرّةٍ   مَـيـمـونَة الطّلعَـةِ ذات اتّضـاحْ
كـأنّهُ قـد شَقّ بحـرَ الدّجَى   وبـعـدَهُ خـاضَ غَـديرَ الصّـبـاحْ
(٢٣١) لـم تَعلَمِ الأبصارُ في جَريِـهِ   قـادِمَـةً خَـفَـقَتْ بـهِ أمْ جَنـاحْ

وقوله :(١)[الوافر]

لَحى اللهُ الطّبـيبَ لقَـد تَعَـدّى   وجـاءَ لقَلعِ ضِـرسِكَ بالمُحـالِ
أعـاقَ الظّبيَ في كِـلتـا يَدَيـهِ   وسَلّطَ كَـلبَـتـينِ عـلى غَـزالِ

وقوله :(٢)[السريع]

---

١ : ديوانه ٨٦٦ .
٢ : ديوانه ٧٠٩ .
٣ : الديوان : أدّوا .
٤ : ديوانه ٧٤٠ .
٥ :الديوان : طرفي .

قلوبنا مُودَعَةٌ عندكمْ أمانَةً يُعجزُ عن حَملِها
إنْ لَمْ تَصَونوها بإحسانِكمْ ردّوا الأماناتِ إلى أهلِها (٣)

وقوله: (٤) [الوافر]

لعَمرُك ما تجافَى الطّيفُ جفني لفَقدِ الغُمضِ إذ شَطّ المَزارُ (٥)
ولكنْ زارَني من غيرِ وَعدٍ على عَجَلٍ فلَم يرَ ما يُزارُ

وقوله: (١) [مجزوء الكامل]

عاتَبتُ من أهواهُ في هَجري وأكثرتُ المَلامَه
فأجابَني: أقلَلتَ حب بكَ لي فأبدَيتَ الجَهامَه
فأجَبتُ: إنَّ كَرامَتي فرضٌ عليكَ إلى القِيامَه
فأجابَني: مَن لا لَهُ حُبٌّ فليسَ له كَرامَه (٢)

وقوله: (٣) [الوافر]

وساقٍ من بني الأتراكِ طِفلٍ أتيهُ بهِ على جَمعِ الرِّفاقِ
أُمَلِّكُهُ قِيادي وهوَ رِقّي وأفديهِ بعَيني وهوَ ساقي

وقوله: (٤) [الوافر]

---

١ : ديوانه ٧٦٥ .
٢ : لديوان: من ماله .
٣ : ديوانه ٨٨٠ .
٤ : ديوانه ١١٥٠ .
٥ : ديوانه ٩٢٤ .
٦ : ديوانه ١٣٨٨ .

خَفيُّ الكَيدِ تَعرِفُهُ المَنايا ... إذا ما أنكَرَ السَّيفُ النِّجادَا
تَرَى الأسيافَ قد مَطَرَتْ نَجيعاً ... إذا أوداجُهُ قطَرَتْ مِداداً

وقوله :(٥)[المتقارب]

ولا تطلبوا ما بأيدي الأنام ... تصيروا بذلك أعداءهم
(٢٣٢) لذلك قد قال رب العباد ... ولا تسألوا الناس أشياءهم

وقوله :(٦)[الكامل]

قالَ العَذولُ: لمَ اعتزلتَ عن الوَرى ... وأقَمتَ نَفسَكَ في المَقامِ الأوهنِ (١)
ناديتُ طالبُ راحةٍ، فأجابَني ... أتعَبتَها بطِلابِ ما لم يُمكنِ

وقوله :(٢)[الكامل]

اسمَعْ مُخاطَبَةَ الجَليسِ ولا تكن ... عَجِلاً بنُطقكَ قَبلَما تَتَفَهّمُ
لم تُعطَ مع أُذُنَيكَ نُطقاً واحِداً ... إلاّ لتَسمَعَ ضِعفَ ما تتَكَلّمُ

وقوله :(٣)[السريع]

أنا الذي خالفتُ كلَّ الوَرى ... في خبرٍ أثبتَهُ الوقتُ
لما أتاني عمرٌ زائراً ... أمتُّهُ ثمَّ تنبَّهتُ

وقوله :(٤)[الخفيف]

١ : في الأصل : لما اعتزلت . والوجه (لم) كما في الديوان .
٢ : ديوانه ١٣٤٨ .
٣ : أُسقطا من الديوان .
٤ : ديوانه ١٢٩٥ .
٥ : ديوانه ١٠٧١ .
٦ : ديوانه ١٠٧٦ .

ومليحٍ له رقيبٌ قبيحٌ يتَعنَّى وغيره يتهنَّى
وليس فيه معنى يُقالُ ولكن هو عند النحاةِ جاء لمعنَى

وقوله:(٥)[الوافر]

عَرَضنا أنفُساً عَزّتْ لدَينا عليكم فاستَخَفّ بها الهَوانُ
ولو أنّا دَفَعناها لعَزّتْ ولكنْ كلُّ مَجلُوبٍ مُهانُ

وقوله:(٦)[الوافر]

ويَظهَرُ منكَ زُورٌ وازورارٌ فلي في عَودِ صُحبَتِهِ الخيارُ
أتَهجُرُني وما أسلَفتُ ذَنباً إذا اختَلَّ الخَليلُ لغَيرِ ذنبٍ

قلت: انظر إلى هذا الشعر ما أظرفه، وما أرقّ مزاج كأسه وألطفه. ولقد أحسنَ إذ قال: فلي في عود صحبته الخيار. إذ كان لا يعرف ما يلجأ إليه وقت الاضطرار، فإن المرء قد يهون عليه قدر البلوى قبل وقوعها، ثم لا يجدها من نفسه إذا وقعت. ولقد تطارف في قوله:(١)[الوافر]

(٢٣٣) إذا صدَّ الحبيبُ لغيرِ ذنبٍ وقاطعني وأعرضَ عن وصالي
أُمَثِّلُهُ وأنكحُ عند صَلحي بأيرِ الفكرِ في ثقب الخيالِ

وقوله:(٢)[الطويل]

تزوَّج شيخٌ في جواري صبيَّةً فلم يستطع غشيانها حينَ جاءها
ولو أنني بادرتها لتركتها يُرى قائم من دونها ما وراءها

١: أُسقطا من الديوان.
٢: أُسقطا من الديوان.
٣: أُسقطا من الديوان.
٤: أُسقطا من الديوان.

وقوله في رجل اسمه أحمد، كان يُرمَى بابنة، وهو يدَّعي حبَّ غلامٍ اسمه عمر:(٣)[المتقارب]

تـوالت عـلى أحـمـدٍ ابنةٌ ... فـأقـبـل يشكو إليَّ الألمْ
فـقلتُ لـه: إنـهـا فـتـنةٌ ... فـنبِّـه لـه فـتـنة ثـم نمْ

وقوله في غلام اسمه لؤلؤ:(٤)[الكامل]

وَصَـفُـوكَ عندي بالجـوادِ فلم أزل ... مـتـعـجِّـبـاً حـتّى رأيتك تـركبُ
وعـجـبتُ إذ سـمَّـتكَ أُمّكَ لؤلـؤاً ... فكأنهـا علمـت بأنك تثـقـبُ

وقوله:(١)[الكامل]

وبهِ الجَـواري المُنشـآتُ كـأنّهـا ... أعـلامُ بيـدٍ أو فُـروعُ قنانِ
نهَـضتْ بأجنحـةِ القلوعِ كـأنّهـا ... عندَ المسـيـرِ تَهمُّ بالطّيَـرانِ
والماءُ يُسـرِعُ في التّـدفّقِ كلّمـا ... عَـجلَتْ عليَـهِ يدُ النّسـيمِ الواني
طَوراً كـأسِنمَـةِ القِـلاصِ وتارةً ... مُـتَـفَـتِّلٌ كـأكـارِعِ الغِـزلانِ

ومنه قوله:[الكامل]

نَسَجَ الغُـبـارُ على الجيـادِ مَدارِعـاً ... مَـوصـولَةً بمَدارِعِ الفُـرسـانِ
ودَمـاً بـأذيالِ الـدروعِ كـأنّهُ ... حَـولَ الغَـديرِ شَـقـائقُ النّعـمـانِ(٢)
وفللتَ حَـدَّ جـمـوعـهم بصـوارمٍ ... ككراكَ نافـرة عن الأجـفـانِ

---

١ : ديوانه ١٧٩ .

٢ : الديوان : ودمٌ .

٣ : ديوانه ٧٤٧ .

٤ : الديوان : العقيق قد يبطل السحر بتختيمه .

٥ : أسقطا من الديوان .

وقوله:[3] [الخفيف]

قيلَ إنّ العَقيقَ يبطِل السِّحْـ ... ـرَ تَختيمه لسِرٍ حقيقي[4]

فأرى مُقلَتَيكَ تَنفُثُ سِحراً ... وعلى فيكَ خاتمٌ من عَقيقِ

(٢٣٤) وقوله:[5] [مخلع البسيط]

ورنَّحَ الرّقص منه عطفاً ... حفَّ به اللطفُ والدخولُ

فعطفُهُ داخلٌ خفيفٌ ... وردفُهُ خارجٌ ثقيلُ

وقوله:[1] [الخفيف]

حَرّضُوني على السلوّ وعابُوا ... لكَ وَجهاً به يُعابُ البدرُ

حاشَ لله ما لعُذرِيَ وَجهٌ ... في التّسَلّي ولا لوَجهِك عُذرُ

وقوله:[2] [البسيط]

وقهوةٍ كومَيضِ البَرق صافيَةٍ ... كأنّها من أديمِ الشّمسِ قد رَشحَتْ

رَقيقَة الجِرمِ يَستَخفي الزُّجاجُ بها ... كأنّها دونَ جِرمِ الكأسِ قد سفحَتْ

باكَرتُها وعيونُ الشُّهبِ قد غَمضَتْ ... خوفَ الصّباحِ وعينُ الشمس قد فُتحَتْ

وبَشّرَتْ بوَفاةِ اللّيلِ ساجعَةٌ ... كأنّها في غَديرِ الصّبحِ قد سبَحَتْ

مَخضوبةُ الكَفّ لا تَنفَكُّ نائحةً ... كأنّ أفراخَها في كَفّها ذُبحَتْ

ومنها قوله:

تَلوي يَداهُ صِفاحَ الهِندِ عن غَضَبٍ ... حتى إذا ظفِرَتْ عن قُدرَةٍ صَفحَتْ

---

١ : ديوانه ٦٩٩ .

٢ : ديوانه ٢٦١–٢٦٢ .

٣ : الديوان : أثنى عليه .

مـــا إن تَزالُ مَـــقــاليــتــاً خَـــزائِنُهُ لأنّهـــا بوَليـــدِ المالِ مـــا فَـــرِحَتْ
أثنت عليــــهِ بنُو الآمـــالِ حينَ غَـــدا يُعطي القَرائحَ منهم فوقَ ما اقترَحَتْ[٣]
قـــالوا: وردنا نَداه، قلتُ: عـــادتُه قـالوا: وجـادتْ يداه، قلتُ: مـا برِحتْ

وله في طلب ثأر خاله صفي الدين محاسن بن محاسن أشعارٌ تُحرِّكُ بها القرائح، وتحرض على جمع ذلك الدم الطائح. وسآتي على بعضٍ ينبئ عن الكل، ويظهرُ الكثرُ منه بالقل، وإن لم يكن كلُّ ما أورد منها نادراً من شرط الاختيار، لتعلق بعض الساقط بالمختار، على أنه ليس في شعره ساقط، ولا في نجومه هابط. فمنها قوله يخاطب أحد أعمامه عقيب واقعة جرت لهم بالعراق، وأجرت كلَّ دمٍ مهراق، وهو:[١][البسيط]

(٢٣٥) ما دامَ وَعدُ الأماني غيرَ مُنتَجزِ فطُولُ مَكثِكَ مَنسُـوبٌ إلى العَـجَـزِ
هذي المَغـانمُ فـامـدُدْ كفّ مُنتـهِبٍ وفُـرصـةُ الدّهرِ فـاسبُقْ سَبقَ مُنتـهـزِ
واغـزُ العـدى قبلَ تَغـزونا جيـوشُـهمُ إنّ الشّـــجـــاعَ إذا مَلَّ الغُـــزاةَ غُـــزي
والقَ العَـدوّ بجـأشٍ غَـيـرِ مُـحـتـرِسٍ منَ المَنايا وجـيشٍ غـيـرِ مُـحـتـرزِ
مـا عُــذرُنا وبَنو الأعــمـامِ لَيسَ بهم[٢] نَقصٌ ولا في صِفاحِ الهند من عَوَزِ
وكـلُّ ذي صَـــمَمٍ في كَفّ ذي هِمَمٍ وكـلُّ ذي مَـــيَسٍ في كَفّ ذي مَـــيَـــزِ
فـاقـمَعْ بنا الضّـدّ مـا دامَتْ أوامـرُنا مُطاعَـــةً، ومَـــعـــالينا على نَشَـــزِ
إنَّ الولايَةَ ثَوبٌ قـد خُـصِـصتَ بـه جـاءَتْ كَـفـافـاً فلَم تَفضَلْ ولم تَعُـزِ

ومنهـا مـا كـتـبه إلى بعض الأصحاب يعتبه لتأخره عن المساعدة، وهو قوله:[٣][السريع]

١: ديوانه ١١٥ .
٢: الديوان: ليس بها .
٣: ديوانه ٦٨ .

وَعَدتَ جَميلاً وأخلَفتَهُ وذلكَ بالحُرّ لا يَجمُلُ
وقُلتَ بأنّكَ لي ناصِرٌ إذا قابلَ الجَحفَلَ الجَحفَلُ
وكم قد نَصرتُكَ في مَعرَكٍ تَحطِمُ فيه القَنا الذُّبلُ
بذا يتَفاوَتُ قَدرُ الرّجا لِ فتَعلَمُ أيُّهُمُ الأكملُ
كَما قالَهُ الصّقرُ في عِزّةٍ به حينَ فاخرَهُ البُلبُلُ
وقالَ: أراكَ جَليسَ المُلو كِ ومنْ فَوقِ أيديهِمُ تُحمَلُ
وأنتَ كَما عَلِموا أخرَسٌ وعن بَعضِ ما قلتَهُ تَنكُلُ
وأُحبَسُ مَع أنّني ناطِقٌ وحالي عندَهم مُهمَلُ[1]
فقالَ: صَدَقتَ ولكنّهم بذاكَ دَرَوْا أنّني الأفضَلُ
لأنّي فَعَلتُ وما قُلتُ قَطُّ وأنتَ تَقولُ، ولا تَفعَلُ

ومنها قوله، وقد أخذ بثأره، وتقاضاه ببتّاره، وبرد غليله بأخذ دمه، وَتخليق صدر السيف بعندمه، وانطفأ لاعج أواره، وسكن قلق جهدٍ ولم يواره، وهو:[2] [البسيط]

(٢٣٦) سَلِ الرِّماحَ العَوالي عن مَعالينا واستشهد البيضَ هل خابَ الرّجا فينا
وسائلِ العُربَ والأتراكَ ما فعَلَتْ في أرضِ قَبرِ عُبَيدِ الله أيدينا
لَمّا سَعَينا فَما رَقّتْ عَزائمُنا عَمّا نَرومُ ولا خابَتْ مَساعينا
يا يومَ وَقعَةِ زوراءِ العِراق وقَد دِنّا الأعادي كَما كانوا يَدينُونا
بِضُمّرٍ ما رَبَطناها مُسَوَّمَةً إلاّ لنَغزُو بها مَن باتَ يَغزُونا
وفتيَةٍ إنْ نَقُلْ أصغوا مَسامعَهمْ لقَولِنا أو دَعَوناهمْ أجابُونا

١ : الديوان: وقدري عندهم .
٢ : ديوانه ٥١–٥٢ .
٣ : البيادق والرخاخ والفرازين: أسماء لقطع الشطرنج. والفرازين، واحدها فرزان: الملك بينها .

قَومٌ إذا استُخصموا كانوا فَراعنَةً   يوماً وإن حُكِّموا كانوا مَوازينا
إنَ الزّرازيرَ لَمّا قامَ قائمُها   تَوَهّمَتْ أنّها صارَتْ شَواهينا
بيادقٌ ظَفِرَتْ أيدي الرِّخاخِ بها   ولو تَرَكناهُمُ صاروا فَرازينا[٣]
ذَلّوا بأسيافِنا طولَ الزّمانِ فمُذْ   تَحكّموا أظهَروا أحقادَهم فينا
لم يُغنِهِمْ مالُنا عن نَهبِ أنفسِنا   كأنّهمْ في أمانٍ من تَقاضينا
أخلوا المَساجدَ من أشياخنا وبَغوا   حتى حَمَلنا فأخلَينا الدّواوينا
ثمّ انثَنينا وقد ظَلّتْ صَوارِمُنا   تَميسُ عُجباً وتَهتَزُّ القَنا لينا
وللدّماءِ على أثوابِنا عَلَقٌ   بنَشرِهِ عن عَبيرِ المِسكِ يُغنينا
إنّا لقَومٌ أبَتْ أخلاقُنا شَرَفاً   أن نَبتَدي بالأذى مَن ليس يُؤذينا
بيضٌ صَنائعُنا سودٌ وقائعُنا   خُضرٌ مَرابعنا حُمرٌ مَواضينا
لا يَظهَرُ العَجزُ منّا عن بلوغ مُنىً   ولو رأينا المَنايا في أمانينا[١]
ما أعوَزَتنا فَرامينٌ نَصُولُ بها   إلاّ جَعَلنا مَواضينا فَرامينا[٢]
نَغشَى الخُطوبَ بأيدينا فنَدفَعُها   وإنْ دَهَتنا دَفَعناها بآدينا[٣]

ومن غرر محاسنه، ودرر قلائده، أرجوزته المزدوجة ذات التخميس، التي ضمنها رمي البندق، وذكر فيها طير الواجب، وهي:[٤] [الرجز]

دارَتْ على الدَّوحِ سُلافُ القَطرِ   فرَنّحَتْ أعطافَهُ بالسُّكرِ
ونَبّهَ الوُرْقَ نَسيمُ الفَجرِ   فغَرّدتْ فوقَ الغُصونِ الخُضرِ

١ : الديوان: منا دون نيل منى .

٢ : الفرامين، مفردها فرمان: عهد السلطان للولاة (فارسية) .

٣ : بآدينا: بقوتنا .

٤ :ديوانه ١٩٥–٢٠٢ .

٥ : الديوان: عفت ربى .

(٢٣٧) تُغني عن العُودِ وصوتِ الزَّمرِ

تَبَسَّمتْ مَباسِمُ الأزهارِ وأشرقَ النّوّارُ بالأنوارِ
وظلَّ عِقدُ الطّلِّ في نِثارِ وباكَرتها دِيَمُ الأمطارِ
فكَلّلَتْ تيجانَها بالدُّرِّ

قد أقبلَتْ طَلائعُ الغُيومِ إذْ أذنَ الشّتاءُ بالقُدومِ
فمُذْ حَداها سائقُ النّسيمِ جَفّتْ رُبَى العَقيقِ والغَميمِ[٥]
وباكَرتْ أرضَ دِيارِ بَكرِ

أما تَرى الغَيمَ الجديدَ قدْ أتَى مُبَشِّراً بالقُربِ من فَصلِ الشّتَا
فاعقُرْ هُمومي بالعُقارِ يا فتى فتَركُ أيّامِ الهَنا إلى مَتَى؟
وإنّها محسوبَةٌ من عُمري

فانهَضْ لنَهبِ فُرصةِ الزمانِ فلَستَ من فجواهُ في أمانَ
واشرَبْ على النّاياتِ والمَثاني[١] إنّ الخَريفَ لرَبيعٌ ثانٍ
كأنّه بالصّرعِ عيدُ النّحرِ

هَذي الكَراكي نحوَنا قد قَدِمتْ فاقِدةً لإلفِها قد عَدِمَتْ
لو عَلِمَتْ بما تُلاقي نَدِمَتْ فانظُرْ إلى أخياطِها[٢] قد نُظِمَتْ
شبهَ حروفٍ نُظِمتْ في سَطرِ

تَذكّرَتْ مَربَعها فَشاقَها فأقبَلَتْ حامِلةً أشواقَها[٣]

---

١ : النايات والمثاني : من آلات الغناء وألحانه .

٢ : أخياطها : جماعاتها .

٣ : الديوان : مرتعها .

تُجيلُ في مَطارِها أحداقَها تَمُدُّ مِن حَنينِها أعناقَها

لم تَدرِ أنّ مَدّها للجَزْرِ

يا سَعدُ كُنْ في حُبّها مُساعدي فإنّها مُذْ عِشتُ من عَوائدي

ولا تَلُمْ مَن باتَ فيها حاسِدي فلَوْ ترَى طَيرَ عِذارِ خالِدِ

أقَمتَ في حُبّ العِذارِ عُذرِي

طَيرٌ بقَدرِ أنْجُمِ السّماءِ مُختَلفُ الأشكالِ والأسماءِ

إذا جَلا الصّبحُ دُجى الظّلماءِ يَلوحُ مِنْ فَوقِ طَفيحِ الماءِ (١)

شبهَ نُقوشٍ خُيّلَتْ في سِترِ

في لُجّةِ الأطيارِ كالعساكِرِ فهنّ بَينَ واردٍ وصادِرِ (٢)

جَليلُها ناءٍ عن الأصاغِرِ مَحدودَةٌ منذُ عُهودِ النّاصرِ

مَعدودَةٌ في أربَعٍ وعَشْرِ

(٢٣٨) شُبَيطَرٌ ومِرزمٌ وكُركي وصِنفُ تَمّ وإوَزٌ تُركي (٣)

ولَغلَغٌ يُشبِهُ لونَ المِسكِ والكيُّ والعَنّازُ يا ذا الشّكّ

ثمّ العُقابُ مقرنٌ بالنّسرِ(٤)

ويَتبَعُ الغرنوقَ صِنفٌ مُبدعُ أنيسَةٌ إنسيّةٌ إذْ تُصرَعُ

١ : في الأصل : إذا دجى الصبح، والوجه ما في الديوان . وكذا : صفيح الماء .

٢ : في الأصل : مثلك بين . والوجه ما في الديوان .

٣ : الديوان : مع إوز .

٤ : الديوان : ملحق .

والصّوغُ والحبرجُ فهيَ أجمَعُ خَمسٌ وخمسٌ كملَتْ وأربَعُ

كأنّها أيّامُ عُمرِ البَدرِ

فابكُرْ إلى دجلَةَ والأقطاعِ فإنّها من أحمَدِ المَساعي

واعجَبْ لِما فيها من الأنواعِ من سائرِ الجَليلِ والمَراعي

وضَجّةِ الشّيق وصوتِ الخُضرِ

ما بينَ تَمٍّ ناهضٍ وواضِعِ وبَينَ نَسرٍ طائرٍ وواقعِ

وبينَ كَيٍّ خارجٍ وراجِعِ ونَهضَةِ الطّيرِ مِن المَرابعِ(١)

كأنّها أمثالُ غَيمٍ تَسرِي(٢)

أما ترَى الرّماةَ قد تَرَسّمُوا ولارتقابِ الطّيرِ قد تَقَسّمُوا

بالجِفتِ قد تَدرّعوا وعُمّمُوا لَما على سَفْكِ دِماها صَمّمُوا

جاؤوا إليها في ثِيابٍ حُمرِ

قد فزِعوا عن كلّ عُربٍ وعَجَمْ وأصبَحوا بينَ الفيافي والأكم(٣)

من كلِّ نَجمٍ بالسّعودِ قد نَجَمْ وكلِّ بَدرٍ بشِهابٍ قد رَجَمْ

عن كلِّ مَحنيٍّ شَديدِ الظّهرِ

مَحنيّةٌ في رَفعِها قد أُدمِجَتْ أدرَكَها التّثقيفُ لمّا عُوّجَتْ

قد كُبِسَتْ بيوتُها وسُرّجَتْ كأنّها أهِلّةٌ قد أُخرِجَتْ

١ : الديوان : من المراتع .

٢ : الديوان : كأنها أقطاع .

٣ : الديوان : بين الطراف والأجم .

٤ : الديوان : مطبوعة .

بَنادِقـاً مثلَ النّجـومِ الزُّهـرِ

قَـد جَـوَّدَتْ أربابُـهـا مَـتـاعَـهـا وأتعَـبَتْ في حـزمِـهـا صُنّاعَـهـا
وهَذّبَتْ رُمـاتُـهـا طِبـاعَـهـا إذا لَمستَ خـابـراً أقطاعَـهـا

حَسِبتَها ملمومةً من صَخرِ(٤)

إذا سَـمِـعتَ صَـرخَـةَ الجَـوارِحِ تَصبـو إلى أصـواتِها جَـوارِحي
وإنْ رأيـتُ أجَـمَ الـبَـطـائِـحِ ولـم أكـنْ مـا بَـيـنَهـا بِطـائِـحِ

يضيقُ عن حملِ الهمومِ صَدري

مَن لـي بأنّي لا أراكَ سـائحـاً (٢٣٩) بينَ المرامي غـادياً ورائحـاً(١)
لو كـانَ لي دَهري بـذاكَ سـامِحـاً فـالقُـربُ عندي أن أبيتَ نازِحـاً

أقطَعُ في البَيـداءِ كـلَّ قَفـرِ

نَـذَرْتُ لـلـنّـفـسِ إذا تمّ الـهَـنـا وزُمّـتِ العـيـسُ لإدراكِ المُنَى
أنْ أقـرِنَ العِـزّ لَديهـا بالغِنَى فـمـذ رأتْ أنّ الرّحـيـلَ قـد دَنَـا(٢)

فطالَبَتنـي بوَفـاءِ نـذري

تَقـولُ لي لمّا جَـفـاني غُـمـضي وأنكَـرَتْ طولَ مَـقـامي أرضي
وعـاقني صـرفُ الرّدى عن نَهـضي مـا للّيـالي أُولِعَـتْ بخَـفـضي

كأنّها بَعضُ حُرُوفِ الجَرّ

---

١ : الديوان : لا أزالُ .
٢ : الديوان : حتى رأت .
٣ : الديوان : فانض .

فامضِ ركابَ العَزم في البَيداءِ ... وازوَر بالعِيسِ عن الزّوراءِ [٣]
ولا تُقِمْ بالموصلِ الحَدباءِ ... إنّ شِهابَ القَلعَةِ الشّهباءِ

يحرُقُ شيطانَ صُروفِ الدّهرِ

نَجمٌ بهِ الأنامُ تَستَدلُّ ... مَن عَزّ في حِماهُ لا يَذلُّ
في القَرّ شَمسٌ والمَصيفِ ظِلُّ ... وَبْلٌ على العُفاةِ مُستَهِلُّ

أغنى الأنامَ عن هُتونِ القَطرِ

وقال في الفهد :[١][الرجز]

ويومِ دَجنٍ مُعلَمِ البُردَينِ ... سَماؤُهُ بالغَيمِ في لَونَينِ
كأنّها وقد بَدَتْ للعَينِ ... فَيروزجٌ يَلمَعُ باللُّجَينِ
قَضَيتُ فيهِ بالسّرورِ دَيني ... وسِرْتُ أفلي مَفرِقَ الشّعبَينِ
بأدهَمٍ مُحجَّلِ الرِّجلَينِ ... سَبطِ الأديمِ مطلقُ اليَدَينِ
خَصبِ الغَطاةِ ماحِلِ الرُّسغَينِ ... وسِربِ وحشٍ مُذْ بَدا لِعَيني
عارضتُهُ في مُنتَهى السّفحَينِ ... بأرقَطٍ مُخطَّطِ الأُذْنَينِ
ناتي الجَبينِ أهرَتِ الشّدقَينِ ... أفطسَ سَبطِ الشّعرِ صافي العَينِ
يَنظُرُ في اللّيلِ بجَمرتَينِ ... ذي كَحَلٍ سالَ من العَينَينِ
فخَطّ لامَينِ على الخَدّينِ ... مُحَدَّدِ النّابَينِ والظُّفرينِ
كأنّما يكشِرُ عن نَصلَينِ ... ليسَ لها عَهدٌ بضَربِ قَينِ
(٢٤٠) رَقيقِ لحمِ الزّندِ والسّاقَينِ ... ذي ذَنَبٍ أملَسَ غَيرِ شَينِ
فخاتَلَ السِّربَ بخُطوتَينِ ... وأردَفَ الخَطوَ بوَثبَتَينِ

١ : ديوانه ٤٢٧ .

٢ : ديوانه ٤٢٩–٤٣٠ .

فكانَ فيها كغُرابِ البَينِ ... فَرّقَها قَبْلَ بلوغِ الحَينِ
ونالَ منها أعفرَ المُتنَينِ ... أجيَدَ مَصقولِ الإهابِ زَينِ
جَدّلهُ في مُلتَقى الصّفّينِ ... ولم يَحُل ما بَينَهُ وبَيني
نلتُ بمُهري وبه كِفلَينِ ... يالهما للصّيدِ عُدّتَينِ

لا يَحسُنُ اللّهوُ بغَيرِ ذَينِ

وقال في ذلك :(٢)[الرجز]

ولَيلَةٍ في طُولِ يومِ العَرضِ ... سَماؤها من دُكنِه كالأرضِ
مخضتُ فيها العيشَ أيَّ مخضِ ... وفُزتُ فيها بالنّعيمِ المَحْضِ
وغضّ جفنُ الدّهرِ أيَّ غَضّ ... فبِتُّ من صروفِه أستَقضي
أرفَعُ قَدرَ عيشَتي بالخَفضِ ... لا أكحُلُ الجَفنَ بها بغَمضِ
مع كلّ ساقٍ كالقَضيبِ الغَضّ ... يديرُ راحاً بالسّرورِ يَقضي
ساطعَةً كالبرقِ عندَ الوَمضِ ... حتى إذا آنَ قضاءُ الفَرضِ (١)
وشُقَّ جَيبُ الفلقِ المبيَضّ ... عرضتُ خَيلي فأجدتُ عَرضي
واخترتُ منها سابقاً ليَ يُرضي ... يَفوتُ لمحَ الطّرفِ حينَ يَمضي
كأنّما الأرضُ به في قَبضي ... لا فَرْقَ بينَ طُولِه والعَرضِ
جعلتُهُ وقايَةً لعِرضي ... ثمّ غَدوتُ لمَرامي أقضي
من كلّ سِرْبٍ شاردٍ منقَضّ ... بأرقَطِ الظّهرِ صَقيلٍ بَضِ

---

١ : الديوان : آن أداء .

٢ :السَّبج : الخرز الأسود .

٣ : الديوان : محدد الناب .

٤ : خاتل : خادع . والوفض : العجلة .

كـــسَـــبَجٍ فـي ذَهبٍ مُـــرفَضِّ أهرتَ رحبِ الصّـدرِ نائي الغَـمضِ (٢)
مـستَـثـقَلَ الشِّلوِ خـفـيف النُّهضِ عــريضَ بَسطِ الكَفِّ عنـدَ القَــبضِ
مــــدرَّب النّابِ لغَــــيــــرِ عَضِّ منتَــصـبَ الأُذنَين عنـدَ الرّكضِ (٣)
فــخــاتـلَ السِّـــربَ بغــيــرِ وَفضِ مُنخَـفِـضـاً للخَـتـلِ أيَّ خَـفضِ (٤)
(٢٤١) مصافحاً بالبَطنِ ظَهرَ الأرضِ يَـجُــسُّـــهــا بالكَفِّ جَسَّ النّبضِ
حــتى إذا أمكَنَ قــربُ البَــعضِ عــاجَلَهــا كــالكَوكبِ المُنقَضِّ
فــعــانَقَ الأكـــبــرَ عندَ النّهضِ عــنــاقَ ذي حــبٍّ لــربِّ بُـغـضِ
فـــهـــاضَ منهُ العَظمَ عندَ الهَضِّ ورضَّ منهُ الصّـــدرَ أيَّ رَضِّ (١)
فـقـمتُ أسعَى خـيفَـةً أن يَقـضِي خــضَّــبْت كــفِّي بالدمِ المرفضِّ
أرضــيــتــه من نحــره ببــرضِ وعُـدتُ مــسروراً بعـيشٍ مُـرْضِ (٢)
راضٍ من الـدَّهـرِ بمـا لـي يـرضــي أغـضُّ عَـنْ زلاّتــه وأُغــــضــي

وقال فيه :(٣)[الرجز]

وأهرتَ الشّــدقَين مــحــبــوكِ المَطا مـحــدَّدِ الأنيـابِ مـرهوبِ السّطا (٤)
أفـطَسَ تـبـــــريٍّ الإهـابِ أرقَـطا كَـلَـونِ تـبـــــــرٍ بمِـدادٍ نُـقّـطَـا
ألبَـسَــهُ الخـالقُ حُـسناً مُـفـرِطا وخَـطّ في الخَــــدَّيـنِ منهُ خُـطَطا
مُـستَـثـقلِ الجِسمِ خَـفـيفٍ إن خطا مــجــرَّبِ الإقــدامِ مــأمــونِ الخُطى

---

١ :الهض: الكسر. والرضّ: مثله .

٢ : البرض : القليل .

٣ : ديوانه ٤٣١ .

٤ : المطا : الظهر .

٥ : فرسٌ مرطى : أي سريعة . والمرطى : العدو السهلُ .

٦ : ديوانه ٤٣٢ .

٧ : الديوان : أخطل .

يَسبُقُ في إرسالِهِ كُدرَ القَطا أضحَى على قنيصِهِ مُسَلَّطا
حتى إذا من العِقالِ نشَطا وَفَى لنا فِعلاً بما قد شرَطا
قلتُ وقد بتُّ به مُغتَبِطا والشِّلوُ من قَنيصِهِ مُعتَبَطا
بذاكَ أم بالخيلِ تَعدو المَرَطى(٥)

وقال يصف الكلب :(٦)[الرجز]

وأخطلٍ من الكلاب أعصلِ يخال مرحوضاً وإن لم يُغسلِ(٧)
أعصمَ مثل الفرسِ المُحَجَّلِ مختصر الشِّلو ثقيل المحملِ
منفسح الهامةِ ناتي المقلِ آذانه كالسَّوسَنِ المهدَّلِ
منسرحِ الزَّورِ فسيح الكلكلِ منهضم الخصرِ عريضِ الكفلِ
ذي أيطلٍ خالٍ ومتنٍ ممتلي خصيب أعلى العضد محلِ الأسفلِ
قصير عظمِ السَّاعدِ المفتَّلِ مقتصرِ الأيدي طويل الأرجلِ
(٢٤٢) مزدحم الأظفارِ ثبت العضلِ ذي ذنبٍ سبطٍ قصيرٍ أفتلِ
أملسَ في دقَّتهِ كالمغزلِ يبيتُ غضبانَ إذا لم يرسلِ
قيدَ الأراوَى وعقالَ الأيِّلِ رُعْتُ به سربَ الظباء الجُفَّلِ
فاعتصمت منه بأعلى الجبلِ حتى إذا انقضَّ انقضاضَ الأجدلِ
فما ارتضَى منها بدون الأوَّلِ غادره مجندلاً في الجندلِ
فظلَّ صحبي في نعيمٍ مقبلِ لهم غريضُ لحمه والشكرُ لي

وقال في صيد النعام :(١)[الرجز]

---

١ : ديوانه ٤٣٤-٤٣٥ .

٢ : الحوامي : فرق الحوافر .

٣ : الجام : الطلب ، سواء كان خيراً أم شراً .

ورُبّ يومٍ أدكنِ القتامِ مُمتزجِ الضّياءِ بالظّلامِ
سِرنا به لقنصِ الآرامِ والصبّحُ قد طوّحَ باللّثامِ
كراقدٍ هبَّ من المَنامِ بضُمّرٍ طاميةِ الحَوامي (٢)
معتادةٍ بالكَرّ والإقدامِ تُحجمُ في الحربِ عن الإحجامِ
حتى إذا آنَ ظهورُ الجسامِ والبسرُّ بالآلِ كبَحرٍ طامِ (٣)
عَنّ لنا سربٌ من النّعامِ مشرفةَ الأعناقِ كالأعلامِ
فاغرةَ الأفواه للهُيامِ كأينُقٍ فَرّتْ من الزّمامِ (١)
وحشٌ على مثنىً من الأقدامِ ملْ طيرِ تُدعى وهيَ كالأنعامِ (٢)
تَطيرُ بالأرجُلِ في الموامي كأنّما أعناقُها السّوامي (٣)
أراقمٌ قد قُمنَ للخصامِ فحينَ همّ السّربُ بانهزامِ
أُلجِمَت القسيُّ بالسّهامِ وأُرسِلَ النّبلُ كوبلٍ هامِ
فعنّ رألٌ عارضٌ أمامي كأنّما دُرّعَ بالظّلامِ
نيطَتْ جَناحاهُ بعنقٍ سامِ كأنّها في حُسنِ الالتئامِ
هاءُ شَقيقٍ وُصِلَتْ بلامِ عارضتُهُ تحتَ العَجاجِ السّامي
بسابقٍ يَنقضُّ كالقَطامي خِلوِ العنانِ مفعَمِ الحِزامِ (٤)
يكادُ يلوي حلَقَ اللّجامِ ذي كَفَلٍ رابٍ وشدقٍ دامِ
(٢٤٣) وصفحةٍ ريّا ورسغٍ ظامِ فحينَ وافى عارضاً قُدامي
أثبتُّ في كَلكَلِه سهامي فمَرَقتْ في اللّحمِ والعظامِ

---

١ : فاغرة الأفواه : فاتحة لها . والهيام : أشد العطش .

٢ : مل طير : على لغة بني الحارث بن كعب ، بمعنى : من طير .

٣ : الموامي : مفردها الموماة : المفازة لا ماء فيها .

٤ : القطامي : الصقر .

٥ : ديوانه ٤٣٦ .

فخَرَّ مَصروعاً على الرُّغامِ ... قد ساقَهُ الخَوفُ إلى الحِمامِ
فأعجَبَ الصَّحبَ بِهِ اهتمامي ... حتى اغتَدى كلٌّ من الأقوامِ

يقولُ: لا شُلّتْ يمينُ الرّامي

وقال يصف فرساً أدهمَ محجلاً:[٥][البسيط]

وأدهَمٍ يَقَقِ التّحجيلِ ذي مَرَحٍ ... يَميسُ من عُجبه كالشّاربَ الثّملِ
مُطَهَّم مُشرفِ الأذْنَينِ تَحسَبُهُ ... موكَّلاً بارتقاب السّمعِ عن زُحَلِ[١]
ركبت منهُ مَطاليل تَسيرُ به ... كواكبٌ تُلحقُ المحمولَ بالحَمَلِ
إذا رَمَيتُ سِهامي فوقَ صَهوتِهِ ... مَرّتْ بهاديهِ وانحطّتْ على الكَفَلِ

قلت: وهذا معنى ظنَّهُ أبا عُذرته، وهو لابن السراج. ولقد اجتمعنا ليلة نحن، وهو عند شيخنا شهاب الدين محمود، ودار بيننا في هذا ما ليس هذا موضعه، إلاّ أنه لم يسعه الجحود. عدنا إلى ذكره فنقول، وله:[٢][الكامل]

شَكرتكَ عني شارداتُ قصائدٍ ... بصنائعٍ فاهت بشكرِ صنائعِ
تنفي الحداةُ بها عن الجفنِ الكرى ... وتخيطُ من طربٍ جفونَ السامعِ

وله:[٣][الوافر]

غَدا رَجَبٌ يؤمِّنُ حينَ أدعُو ... لَمجدِكَ أن يَزيدَ به ارتقاءَ
أَصَمٌّ ظَلّ مُستَمِعاً دُعائي ... فَها أنا أُسمِعُ الصُّمَّ الدّعاءَ

١: الديوان: موكلاً باستراق .

٢: ديوانه ٣٢٧ .

٣: ديوانه ٣٣٤ .

٤: ديوانه ٣٣٤ .

٥: ديوانه ٥٩ .

وله :(٤)[الطويل]

قــدمتَ، وقـد لاحَ الـهـلالُ مـبَـشّــراً بعَــودِكَ، إنّ السّــعـدَ فــيــه قــرينُه
ويُخــبــرُ أنّ النّصــرَ فــيــه مُـقَــدَّرٌ ألـم تَـرَهُ قـــد لاحَ في الـغَـــربِ نُونُه

وله :(٥)[الكامل]

قـــومٌ يُعـــزّونَ النّزيلَ، فطالَـمـــا بَخِلَ الحَيـا، وأكُـفُّـهـمْ لم تَبـخَلِ(١)
(٢٤٤) يَفنى الزّمانُ وفيه رونَقُ ذِكرِهم كبلَى القَـميصِ، وفيهِ عَرفُ المَندَلِ(٢)

قلت : هذا هو العذب المنسجم الذي لا كلفة عليه، ولا تقعر فيه. قوي التركيب، حسن الأساليب، لا كما رغب فيه أهل العصر من حبِّ اللين الذي لا يتماسك رغبة في التورية، التي لا تسع أفهامهم سواها من البديع، ولا تعرف غيره من الحسن .

عدنا إلى تتمة مختاره. ومنه على مذهب المديح، قوله :(٣)[البسيط]

يُقَــبِّلُ الأرضَ عَــبــدٌ تحتَ ظِلّكُمُ عَليكُمُ بَعـدَ فَـضلِ اللهِ يَعـتَـمِـدُ
مــا دارُ مَــيّـــةَ من أسنَى مَطالِبِـــه يومــاً، وأنتُمْ لهُ العَليــاءُ والسّنَدُ

وله :(٤)[الخفيف]

---

١ : الديوان : وطالما .
٢ : الديوان : يبلى القميصُ .
٣ : ديوانه ٥٢٢ .
٤ : ديوانه ٦٩٩.
٥ : ديوانه ٩١٢ .
٦ : الديوان : وأبرزتها .

حَــرّضُــوني على السلّو وعــابُوا لكَ وَجــهــاً بهِ يُعــابُ البــدرُ
حــاشَ للهِ مــا لعُــذريَ وَجــهٌ في التّــسلّي ولا لوَجــهِك عُــذرُ

وله :(٥)[الطويل]

وخلٍّ دَعـاني للصَّبُـوحِ أجَـبتُـه وقلتُ له : أهلاً وسَهـلاً ومَـرحَـبـاً
وأبرزَها صَـفـراءَ تَحسبُ كـأسَـهـا غِـشـاءً من البَلّورِ يَحمِلُ كَـهـرَبَا(٦)

وله :(١)[الطويل]

وراحٍ لهـا طبع كـعكس حـروفـهـا تصيِّرُ ضيقَ الصدر من حَرِّها رحبا(٢)
إذا لمعت في الليل غـرَّةُ وجـهـهـا تصيِّرُ دُهمَ الليل من نورها شهبا(٣)

وله :(٤)[الخفيف]

قــد أتانا الربيعُ والزهرُ يُبــدي لهـبـاً خلتـه مـشـاعلَ جـمـرِ
وبدا النرجسُ المحــدِّقُ يحكي شـائبـاً فـوقَ رأسـه طاسُ تبـرِ

وله :(٥)[المديد]

وشــدت في الدّوحِ صـادحـةٌ بضـروبِ السـجعِ والمُلَحِ
كـلمـا ناحـت علـى شـجنٍ خلتـهـا غنَّت على قـدحِ

---

١ : ديوانه ٩١٦ .
٢ : الديوان : براح . . . يصير . . . حره .
٣ : الديوان : فلو لمعت . . . لشاهدت دهم .
٤ : ديوانه ٨٨٢.
٥ : ديوانه ٩٤٢ .
٦ : ديوانه ٩٧٣ .
٧ : ديوانه ٩٩٠ .

وله :(٦)[الوافر]

وراحٌ في لُجَينِ الكأسِ تحكي بصُفرَةِ لونِها ذَوبَ النُّضارِ
(٢٤٥) وقد عَقَدَ الحَبابُ لها نِطاقاً لمعصَمِ كأسِها شِبهَ السِّوارِ

وله :(٧)[البسيط]

قد مَرَّ لي لَيلَةٌ بالدّيرِ صالحَةٌ مع كلّ ذي طَلعَةٍ بالبَدرِ مُشتَبِهِ
وقد عَزَمتُ بأن أغشاهُ ثانيَةً فهَل تُعينُ على غَيٍّ همَمتُ بهِ

وله :(١)[الوافر]

ولما شاقنا نظمٌ بديعٌ وقد أرخَى المدامُ لنا نقابا
جعلنا الماء شاعرنا فلما جرت في فكرِهِ نظم الحبابا

وله :(٢)[الخفيف]

إن أكنْ قد جَنَيتُ في السّكرِ ذنباً فاعفُ عنّي يا راحَةَ الأرواحِ
أيّ عَقلٍ يَبقَى هناكَ لمِثلي بينَ سُكرِ الهوى وسُكرِ الرّاحِ

قلت : وهذا وإن كان متداولاً، قد ابتذلته الألسنة، فإنه عذب سائغ شرابه، لذيذ يطرب سماعه، يهز الأعطاف، ويحرك الجماد، وهكذا شأن كل كلمه، وجميع قوله، حتى تجربة قلمه. ومن بقية ما له قوله :(٣)[المنسرح]

قد أضحكَ الرّوضَ مدمعُ السُّحبِ وتوّجَ الزّهرُ عاطلَ القُضُبِ

---

١ : ديوانه ١٠٠٠ .
٢ : ديوانه ١٠٠٢ .
٣ : ديوانه ١٠١٦ .
٤ : الديوان : فغدت .
٥ : ديوانه ١٠٢١ .

وقَهقَهَ الوَردُ للصّبَا فغَدا تَملأُ فاهُ قُراضَةُ الذّهَبِ [4]
وأقبَلَتْ بالرّبيعِ مُحدِقَةً كَتائبٌ لا تُخِلّ بالأدَبِ
فغُصنُها قائمٌ على قَدَمٍ والكَرمُ جاثٍ لهُ على الرُّكَبِ

وقوله: [5] [المتقارب]

وللنّرجسِ الغَضّ ما بَينَنا وُجُوهٌ بحَضرَتِنا ناضِرَهْ
كأن تَحَدُّقَ أزهارِها عُيُونٌ إلى رَبّها ناظِرَهْ

وقوله: [1] [مخلع البسيط]

جُدتَ بخَطٍّ بغَيرِ وَجهٍ ذاكَ حَالٌ عليّ يُبطي
وليسَ ذا مَذهَبي، ولكن أُريدُ وَجهاً بغَيرِ خَطّ [2]

(٢٤٦) وقوله: [3] [الطويل]

عذَرتُكَ إذ حالَتْ خلائقُكَ التي أطَلتَ بها باعي وقَصّرتَ آمالي
لأنّكَ دُنيايَ التي هيَ فِتنَتي، فلا عَجَبٌ ألاّ تَدومَ على حالِ

وقوله: [4] [السريع]

يا مالِكاً أصبَحَ لي صارِماً أُعِدُّهُ يومَ الوَغَى للضّرابْ
حاشاكَ أن تَرضَى بقولِ العِدَى سَيفُكَ هذا لا يَفُكّ القِرابْ

---

١ : ديوانه ١٠٣٨ .

٢ : الديوان : أحب وجهاً .

٣ : ديوانه ١٠٤٠ .

٤ : ديوانه ١٠٤٨ .

٥ : ديوانه ١٠٦١ .

٦ : ديوانه ١٠٦٧ .

وقوله:[5] [الخفيف]

يا مُهيني عندَ المَغيبِ ومُبدٍ مع حضُوري خضوعَ عبدٍ لمولى
لا تَقُمْ لي معَ التّقاعُدِ عَنّي فقِيامُ النّفوسِ بالودّ أولى

وقوله:[6] [الكامل]

حالي وحالُكَ كالهِلالِ وشَمسِه مُذ أكسَبَتْهُ النّورَ في إشراقِهِ
فإذا نأى عَنهسا حَظي بكَمالِه وإذا دَنا منها رُمي بمَحاقِهِ

وقوله:[1] [الكامل]

لمّا استَعرتُ من المُهذّبِ جُوخَةً ولّى وأولاني جَفاً وصُدودَا
حاوَلتُها عاريّةً مَردودَةً فرَجَعتُ منها عارياً مَردودَا

وقوله:[2] [الكامل]

إنّ البَخيريّ مُذ فارَقتُموهُ غَدَا يَسفي الرّمادَ على كانُونه الحَربِ
لو شِئتُمُ أنّهُ يُمْسي أبا لَهَبٍ جاءتْ بغالُكُمُ حَمّالَةَ الحَطبِ

وقوله:[3] [السريع]

سألتُكمُ رَدّ جَوابي فكم يدٍ لكم من قَبلِها عندي
فقَلّدونا مِنّةً واعجَبوا مِن سائلٍ يَقنَعُ بالرّدّ

---

1 : ديوانه ١٠٨٥ .

2 : ديوانه ١٠٩٨ .

3 : ديوانه ١١١٤ .

4 : ديوانه ١١١٥ .

5 : ديوانه ١١٢١ .

وقوله :[٤][المتقارب]

تركتَ إجابَةَ كُتبي إليكَ … لَحَقٌّ تَشَبّهَ بالباطِلِ

(٢٤٧) لأنّي سألتُكَ رَدّ الجَوابِ … ولا تعرِفُ الرّدّ للسّائلِ

وقوله :[٥][الخفيف]

كنتُ أخشَى عَذلَ العَواذِلِ حتى … صِرتَ مُستَثقِلاً لرَدّ جَوابي

فتركتُ التّثقيلَ في بَعثِ كُتبي … واستراحَتْ عَواذِلي من عِتابي

وقوله في ذم ماطل للوعود :[١][البسيط]

لمّا تَطاوَلَ بي إفراطُ مَطلِكَ لي … وضاعَ وَقتيَ بَينَ العُذْرِ والعَذَلِ

أيقَنتُ أن لستَ إنساناً لبطئِكَ ذا … لقَولِهِ خُلِقَ الإنسانُ من عَجَلِ

وقوله في طبيب يدعَى إسحاق :[٢][الطويل]

مَباضعُ إسحاقَ الطّبيبِ كأنّها … لها بفَناءِ العالمينَ كَفيلُ

مُعَوَّدَةٌ ألاّ تُسَلّ نِصالُها … فتُغمَدَ حتى يُستَباحَ قَتيلُ

وقوله :[٣][الكامل]

إني مدحتك كي أُجيدَ قريحتي … وعلمتُ أن المدحَ فيك يضيعُ

لكن رأيتُ المسكَ عند فساده … يُدنوه[٤] من بيتِ الخلا فيضوع

وقوله :[٥][الكامل]

١ : ديوانه ١٣٠٧ .

٢ : ديوانه ١٣٠٩ .

٣ : ديوانه ١٣١٨ .

٤ : يدنوه (كذا) للضرورة، والأصل: يدنونه.

٥ : ديوانه ١٣٣٨ .

صدقوا بأنَّ النَّجمَ مُحْتَشِمٌ بالمالِ لا بالفَضْلِ والخطرِ
لكنَّه مع فرطِ حشمَتِهِ كقميصِ يوسفَ قُدَّ من دُبُرِ

قلت: هكذا فليكن التعريض الذي أسهلُ منه بَرْيُ المُدى، وقَرْضُ المقاريض على طول المَدى. لقد أكل عرضه، وشرب ماء حياته، إذ عرّضه لهذا البلاء، ومزّقه كلّ ممزّق. وبمثلِ هذا تطيّر السَّمع، ويضحك الأعداء.

عُدْنا إلى قوله ومنهُ:(١)[الخفيف]

طفلةٌ غضَّةُ الحياءِ من الدَّلْـ ـلِ ولكن خدودها جمريَّهْ
هي مع حسنها حريريَّةُ الـ جسمِ ولكن أشفارها صوفيّهْ

وهذا نظم مهزول، ومعنىً مبذول، وللناس فيه شتى المحاسن.

عدنا (٢٤٨) وقوله:(٢)[الطويل]

وذات حرٍ جادت به فصددتها وقلتُ لها مقصودي العجزُ لا الفرجُ
فدارت ودارت سوء خُلقي بالرضَى ولم يعلُ من فرط الحياء لها رهجُ
إذا ما دفعتُ الأير فيها تجشأتِ وذاك ضراط لم يتم له نضجُ

وقوله:(٣)[الكامل]

ولقد تعاطيتُ اللواطَ فلم أجد علقاً لأقسام الصناعةِ يكملُ
بل ضاع بينهما الصوابُ فواسعٌ يخرَى عليَّ وضيِّقٌ لا يدخلُ

١ : أُسقطا من الديوان.
٢ : أُسقطت من الديوان .
٣ : أُسقطا من الديوان .
٤ : أُسقطا من الديوان .
٥ : في البيتين تضمين من معلقة امرئ القيس .

وقوله:[4][الطويل]

ولم أنسَ إذ أولجتُ في النجمِ فيشةً كجلمود صخرٍ حطّهُ السيلُ من علِ[5]
فقلتُ لها مهلاً إذا رمتُ عودةً وإن كنتِ قد أزمعتِ صرمي فأجملي

فمثل هذا التضمين وإلا فلا، ومثل هذه التورية وإلا فدع.

عدنا، وقوله في عمر:[1][السريع]

أنا الذي خالفتُ قول الورى في خبرٍ أثبته الوقتُ
لما أتاني عمرٌ زائراً أمتّه ثم تنبَّهتُ

وقوله:[2][الكامل]

ولم أر كالمحبوب ليلةَ وصله وقد راضَهُ لومي له وعتابيا
إذا كان غضباناً لقيني بوجهه وبالظهر يلقاني إذا كان راضيا

وقوله:[3][الطويل]

تعَلّمتُ فعلَ الخَيْرِ من غيْرِ أهلِه، وهذّبَ نفسي فعلُهُم باختلافهِ
أرى ما يَسوءُ النّفسَ من فعلِ جاهلٍ، فآخُذُ في تأديبها بخلافهِ

قلت: وهذا مبتذل، إلاّ أنه كما ابتذلت الشمس وهي محبوبة، ورزق النطاف وهي مشروبة، وخلاف النفس مشروع والحظ فيه، وللعلماء في النفس أقوال ليس هذا موضعها، ولا نرى في أفق الأدب (٢٤٩) مطلعها.

١: أُسقطا من الديوان.

٢: أُسقطا من الديوان.

٣: ديوانه ١٣٤٣.

٤: ديوانه ٣٧٥.

٥: ديوانه ١٤١٣.

عدنا إلى قوله، ومنه:[4] [المنسرح]

مَن لم تَضُمّ الضّيوفَ ساحتُهُ ... فستْرُهُ أن تَضُمّهُ الحُفرَه
ومَن غدا عرضُهُ المهلّبَ في النّا ... سِ غدا وَجهُهُ أبَا صُفرَه

وقوله:[5] [الكامل]

عَجَباً لفَوْدي بعدَ فَقدِ شبيبَتي ... وكأنّ ضوءَ الشّيبِ فيه ظلامُ[1]
لمّا نَضَتْ عَنْهُ اللّيالي صِبغَها ... خلَعتْ علَيهِ ضياءها الأيّامُ[2]

وقوله:[3] [السريع]

لا غَرْوَ إن قَصّ جَناحي الرّدى ... فَعُذْرُهُ في فِعلِهِ واضِحُ
يَضرِبُ عن ذي النّقصِ صَفحاً ولا ... يُقَصُّ إلاّ الدّرهَمُ الرّاجِحُ

قلت: والأشبه بهذا أن يكون قول ملك متظلم أعيا لحاقه القرناء، وعنّى بعده الأمثال، فوقفوا وجرت سلاهبه، وتَصَنَّعوا وأتت طبعاً مواهبه، تلتهب ذكاؤه والخلقُ تغشاه، وينهب نائله والأسدُ تخشاه. رأى نفسه فوق الجوزاء، وخدين الشهب الأغراء. قد جعل للآمال مآلفاً، وللآمال ملتفاً. يسدي الرِّفد إلى أربابه، ويحسب المجد من آرابه، فبلي بداهية الدهر، وشنعاء الحادث النكر، وقدم عليه من لا يدرك أدنَى شوطه إذ يسعى على مهل، ولا تقمص بخلق جلبابه إلا إذا فضل. فلم يجد إلا أن تنفَّس الصعداء، ويتحمل الداء. لا يقعده إذا بدر إلا سابق القدر، وإلا فهو أوثبُ من أرقم، وأمرُّ إذا غضب من علقم. لو قد قام لاقتادَ

١: الديوان: وكأن نور ... قتام.

٢: الديوان: عليه شبابها.

٣: ديوانه ٩٩.

٤: ديوانه ٤٢٣.

٥: الديوان: ذيل الظلام الأشيب.

دُهمَ الليلِ في رسنه، واخضرَّ الشجرُ مخبلاً بوسَنِه، ولكنه فردد لا يغالب، وسُؤدد هدرٍ ما ثمَّ من به يطالب.

عدنا إليه. قال أيضاً في البازي: (٤)[الكامل]

قد ارتدى ذَيلَ الصباحِ الأكهبِ ... والصّبحُ مثلُ الماءِ تحتَ الطُّحلُبِ (٥)
مثقَّلِ الكَفّ ببازٍ أشهَبِ ... مُنتَصِبِ القامةِ سامي المنكبِ
ذي عُنُقٍ خَصبٍ ورأسٍ مجدبِ ... عيونُهُ مثلُ الجُمانِ المُذهَبِ
(٢٥٠) قد بُدّلَتْ من سَبَجٍ بكَهرَبِ ... محدَّدِ المنسَرِ شينِ المخلَبِ
حَتفِ الحُبارى وعقالِ الأرنَبِ ... مُهَذَّبِ الخُلقِ قليلِ الغَضَبِ
يرتاحُ للعُودِ وإن لم يُطلَبِ ... كفاضلٍ حاوَلَ حفظَ المَنصِبِ

وقال: (١)[الطويل]

سَوابقُنا والنّقعُ والسُّمرُ والظُّبى ... وأحسابُنا والحِلمُ والبأسُ والبِشرُ
هبوبُ الصَّبا واللّيلُ والبرقُ والقَضا ... وشمسُ الضّحى والطّودُ والنارُ والبحرُ

وقوله، وفيه استخدامان: (٢)[الطويل]

لَئِنْ لم أبَرْقِعْ بالحَيا وَجْهَ عِفّتي ... فلا أشبَهَتهُ راحَتي في التّكَرّمِ (٣)
ولا كنت مِمّن يكسرُ الجَفنَ في الوَغى ... إذا أنا لم أغضُضْهُ عن رأيِ مَحرَمِ (٤)

---

١ : ديوانه ٩٢ .

٢ :ديوانه ٩٣ .

٣ : أراد بالحيا: الحياء. وبالضمير في أشبهته: المطر .

٤ : أراد بالجفن: غمد السيف. وبالضمير في أغضضه: جفن العين .

٥ :ديوانه ٩٧ .

٦ : ديوانه ١٦٥ .

وقال:(٥)[الكامل]

ولقد أسيرُ على الضّلالِ ولم أقُلْ ... أينَ الطّريقُ وإن كَرِهتُ ضَلالي
وأعافُ تَسآلَ الدّليلِ تَرَفُّعاً ... عَن أنْ يَفوهَ فَمي بلفظِ سُؤالِ

وقال:(٦)[الطويل]

وَلائي لآلِ المُصطَفى عِقدُ مَذهَبي ... وقَلبي مِنْ حبّ الصّحابةِ مُفعَمُ
وما أنا ممَّنْ يَستَجيزُ بحُبِّهِمْ ... مَسَبَّةَ أقوامٍ عليهمْ تقَدّمُوا
ولكنّني أُعطي الفَريقَين حَقَّهم ... وربّي بحالِ الأفضليّةِ أعلَمُ
فَمَنْ شاءَ تَعويجي فإنّي مُعَوَّجٌ ... ومَن شاءَ تَقويمي فإنّي مُقَوَّمُ

وقال:(١)[الكامل]

لما رأت عليـاك أَني كالذي ... أبدو فينقصني السقام الزائدُ
وافيتني ووفيت لي بمكارمٍ ... فنداك لي صلةٌ وأنتَ العائدُ

وقال:(٢)[مجزوء الكامل]

ولقد ذكرتُ القربَ منكَ ... وطيبَ أيّامي الخَوالي
فطفِقتُ أصفُقُ راحتيَّ ... وعندَ صَفقتِها مَقالي:
(٢٥١) كيفَ السّبيلُ إلى سُعا ... دَ ودونَها قللُ الجبالِ

١: ديوانه ٣٩٧ .

٢: ديوانه ٤٠٠ .

٣: ديوانه ٤٤٤ .

٤: الديوان: فكأنه .

٥: ديوانه ٤٤٤ .

وقال:(٣)[الطويل]

وعُـــودٍ به عـــادَ السّـــرورُ لأنّهُ حـوَى اللّهـوَ قـدمـاً وهوَ ريّانُ ناعمُ
يُغَـــرِّبُ في تَغــريدِه وكـــأنّهُ يُعيدُ لَنا ما لَقّنَتهُ الحَمـائمُ(٤)

وقال:(٥)[السريع]

عُـودٌ حَـوَى في الروض أعـوادُهُ كلَّ المَعـاني وهوَ رَطْبٌ قَـويم(١)
فَحـازَ شَـدوَ الوُرقِ في سَجعـه ورقّـةَ الماءِ ولُطفَ النّسـيم

وقال في جملة وصف رسالة:(٢)[المتقارب]

فكَم بِكرِ معنًى حوَى طِرسُـهـا وإن كـان في حُسْنِ لَفظٍ عَوان
إذا مـا شَقَـقتَ صدورَ البيوتِ وجَـدتَ بهنّ قلوبَ المَعـاني

وقال من أبيات:(٣)[الكامل]

وشـدت فـأيقظت الرقـودَ بشـدوها وأعـارت الأيقـاظ طيبَ رقـودها
خـودٌ شـدت بلسـانهـا وبنانهـا حـتى تشـابه ضـربها بنشـيدها
وكـأنّ نغمـة عـودها في صـوتهـا وكـأن رقّـةَ صـوتهـا في عـودها
إنّي لأحسـد عـودها إن عـانقت عطفـيه أو ضمـته بين نهـودها
وأغـارُ من لثم الكؤوسِ لثـغـرها وأذوبُ من لمسِ الحليِّ لجـيـدهـا

وقال:(٤)[الوافر]

---

١ : الديوان : حوت .

٢ : ديوانه ٤٤٥ .

٣ : ديوانه ٤٤٦ .

٤ : ديوانه ٤٤٨ .

ومجلسِ لذّةٍ أمسَى دُجاهُ ... يُضيءُ كأنّهُ صُبحٌ مُنيرُ
تجمّعَ فيه مَشمومٌ وراحٌ ... وأوتارٌ وولدانٌ وحُورُ
تَلَذّذت الحواسُ الخَمسُ فيه ... بخَمسٍ يَستَتمُّ بها السّرورُ
فكانَ الضّمّ قسمَ اللّمسِ فيه ... وقسمُ الذّوقِ كاساتٍ تَدورُ
وللسّمعِ الأغاني والغَواني ... لأعيُننا وللشّمّ البَخُورُ

وقال في إبريق:[1] [الوافر]

(٢٥٢) وإبريقٍ لهُ بطنٌ عَجيبٌ ... إذا ما أُرسلَتْ منهُ السّلافُ[2]
كتمتامٍ تلَجلَجَ في حَديثٍ ... يرَدّدُ لَفظَهُ والتاءُ قافُ[3]

وقال في رواقص:[4] [البسيط]

بحرٌ من الحُسنِ لا يَنجو الغريقُ به ... إذا تَلاطَمَ أعطافٌ بأعطافِ
ما حركَتهُ نسيمُ الرّقصِ من مَرحٍ ... إلاّ وماجتْ به أمواجُ أردافِ

وقال:[5] [الوافر]

ليَهنِكَ أنّ لي وَلَداً وعَبداً ... سَواءٌ في المَقالِ وفي المَقامِ
فهَذا سابقٌ من غيرِ سينٍ ... وهذا عاقِلٌ من غَيرِ لامِ

---

١ : ديوانه ٤٥٤ .
٢ : الديوان : له نطقٌ.
٣ : الديوان : كفأفاء... والفاء .
٤ : ديوانه ٤٥٥ .
٥ : ديوانه ١٢٩٦ .
٦ : ديوانه ٤٥٩ .
٧ : ديوانه ٤٦٧ .

وقال في باب:[6] [المتقارب]

وبـاب إذا أمَّـــــهُ قـــــاصِـــــدٌ رآهُ مـن الـغَـيـث أدنَى وأنـدَى
لـهُ الفَـتحُ دأبٌ ومـن شـأنـه يُـرَدّ وقـاصِـدُهُ لـن يُـردّا

وقال في النيل:[7] [الطويل]

وفى النّيل إذ وَفّى البسيطةَ حقَّها وزادَ على مـا جـاءَهُ من صَنائعِ
فـمـا إن توفّى النّاسُ من منُعم يُشارُ إلى إنعامِه بالأصابعِ

وقال:[1] [البسيط]

وكيف أنسى مليكاً فضلُ أنعمه فرضي ونفليَ في سِرِّي وإعلاني
جعلت نفسي كشطر اسمي لخدمته وكيف لا وهو عندي شطره الثَّاني

وقال:[2] [الطويل]

أحِنّ إليكم كلّما ذَرّ شـارِقٌ ويَشتاقُ قَلبي كلّما مَرّ خاطِفُ
وأهتَزّ من خَفقِ النّسيمِ إذا سرَى ولولاكمُ ما حرّكَتني العَواصِفُ

وقال:[3] [الطويل]

رعىَ اللهُ مَن فارَقتُ يومَ فِراقِهم حُشاشةَ نَفسٍ ودّعَتْ يومَ ودّعُوا
ومَن ظَعنتْ روحي وقد سارَ ظَعنُهم فلَم أدرِ أيّ الظّاعنينَ أُشَيّعُ

(٢٥٣) وقال:[4] [الخفيف]

---

١ : ديوانه ٤٨٣ .
٢ : ديوانه ٥٣٤ .
٣ : ديوانه ٥٣٥ .
٤ : ديوانه ٥٣٩ .
٥ : ديوانه ٥٥٣ .

يا قـــريرَ العــــيـــــونِ رقَّ لعينٍ فــجَّــرتهــا دمــوعــهــا تفــجــيــرا
لـم تـطلَّق من بعـــدك الغــمضَ إلاّ لـتـــــرى منـكَ نظـرةً وســـــرورا

وقال:(٥)[الكامل]

لي في ضـمـيـرك شـاهدٌ فـيـه غنىً لك عـن قـراءة مـا حـوى قـرطاسي
ولئن وقـفت عليـه مـعـتـبـراً له مـا في وقـوفك سـاعـةً من بـاس

وقال:(١)[الكامل]

ولقَـد ذكَـرتُكِ والعَـجـاجُ كـأنَّهُ ظِلُّ الغَنيّ وسـوءُ عـيشِ المُعـسِـرِ
والشّـوسُ بَينَ مُـجَـدَّلٍ في جَندَلٍ منّا وبَينَ مُـعَـفَّـرٍ في مـعـفَـرِ
فظَنَنتُ أنّي في صَـبـاحٍ مُـشـرِقٍ بضـيـاءِ وجـهِكِ أو مَسـاءٍ مُـقـمِـرِ
وتَعَطّرَتْ أرضُ الكِفـاحِ كـأنّمـا فُـتِـقَتْ لَنا ريحُ الجِـلادِ بعَنبَـرِ

وقال:(٢)[الكامل]

ولـقَـد ذكَـرتُكِ والجَـمـاجمُ وُقَّعٌ تحتَ السّنابكِ والأكفّ تَطيـرُ
والهـامُ في أُفقِ العَـجـاجَـةِ حُـوَّمٌ فكأنَّهـا فـوقَ النّسـورِ نُسـورُ
فـاعـتـادَني من طيبِ ذكـرِكِ نَشـوَةٌ وبَدَتْ عليّ بَشـاشَـةٌ وسُـرورُ
فظنَنتُ أنّي في مَـجـالسِ لَذّتي والـرّاحُ تُجـلَـى والـكـؤوسُ تَـدورُ

وقال:(٣)[الكامل]

١ : ديوانه ٧١٣ .
٢ : ديوانه ٧١٤ .
٣ : ديوانه ٧١٥ .
٤ : ديوانه ٧١٧ .

ولقد ذكرتُكِ حينَ أنكرَتِ الظُّبَى أغمادَها وتَعارَفَتْ في الهَامِ
والنَّبلُ من خلَلِ العَجاجِ كأنّهُ وَبْلٌ تَتابَعَ من فُروجِ غَمامِ
فاستَصغَرَتْ عَيناني أفواجَ العِدى وتَتابُعَ الأقدامِ في الإقدامِ
ووَجّدتُ بَردَ الأمنِ في حرّ الوَغَى والموت خَلفي تارةً وأمامي

وقال:[4] [السريع]

غارَتْ وقد قُلتُ لِمِسواكِها: أراكَ تَجني ريقَها يا أراك
قالَتْ: تَمنّيتَ جَنَى ريقَتي وفازَ بالتَّرشافِ منها سِواك

(٢٥٤) وقال:[1] [الكامل]

يا مَن حمَتْ عنّا مَذاقَةَ ريقِها رفقاً بقَلبٍ ليسَ فيهِ سِواكِ
فلكَمْ سألتُ الثّغرَ وَصفَ رُضابِه فأبَى وصرّح لي سَفيهُ سِواكِ

وقال:[2] [الخفيف]

قد شَهِدْنا فعلَ البِلى بمَغانيـ ـكِ ودمعُ الغيومِ فيها سِجامُ
واقترَضنا منها الدّموعَ فقالَتْ: كلُّ قَرضٍ يَجرّ نَفعاً حَرامُ

قلت: لقد أتى من الفقه بهذه اللطيفة. فإن قيل: فما الذي جرّه البكاء من النفع؟ قلنا: أشياء، نحو سقيا المعاهد، وإطفاء حر الفؤاد الواقد، وتخفيف ثقل البكاء عن العيون التي كثر بكاؤها. وقد قال الأول: وأثقل محمول على العين

---

١ : ديوانه ٧١٨ .

٢ : ديوانه ٧٢٣ .

٣ : (كذا)

٤ : ديوانه ٧٥٠ .

ماؤها. وقد ذكرت بالدمع بيتين كنت قلتهما، وإن لم يكن معناهما من هذا في:[الخفيف]

عما جرى لي من دموع كأنهنَّ اللآلي(٣)

خففت وطأة الغرام ولكن غرقت في الجفون طيف الخيالِ

عدنا إليه. قال:(٤)[من الهزج]

ألا يا مالكَ الرّقّ مَنْ مَلَّكَكَ الرّقا
إذا لم تَقضِ أن أسْعَدَ لا تَقضِ بأنْ أشقَى
تَصَدّقْ بالذي يَفنَى وخُذْ أجرَ الذي يَبقَى
وذَكّرْ عِطفَكَ المَيّالَ والرّدفَ بما ألقَى

وقال:(١)[المجتث]

وَجهُهُ مِن البَدرِ أحلَى ومنهُ بالمدحِ أحرَى
طَرفي بهِ يتَحَلّى وخاطري يتَحَرّى(٢)
بمَنظَرٍ يَتَجلّى وناظرٍ يَتَجَرّى(٣)
خَدٌّ يُقِرّ بقَتلي ورِدفُهُ يَتَبَرّى

وقال:(٤)[الطويل]

ولم أنسَ إذ زارَ الحَبيبُ بروضةٍ وقد غَفَلَتْ عنّا وُشاةٌ ولُوّامُ

١: ديوانه ٧٦٣ .
٢: الديوان: يتجلّى وناظري يتحرى .
٣: الديوان: يتحلّى .
٤: ديوانه ١٠٣٠ .

وقـد فـرَشَ الوردُ الخُـدودَ ونُشّـرَتْ لمَقـدَمِـهِ للسّـوسنِ الغَضّ أعـلامُ

(٢٥٥) أقولُ وطرفُ النّرجس الغضّ شاخصٌ إلّينا ولـلـنمَّـامِ حـولـي إلمامُ

أيا ربّ! حـتى في الحَـدائقِ أعـيُـنٌ علينا وحـتى في الرّياحـينِ نَمّـامُ

قلت: وهكذا التورية، وبمثل هذا تضيء القريحةُ المورّية. تأمل كيف بدأه: أن الحبيب زاره بروضةٍ، ثم ذكر مع كل من الزهر ما يناسبه ويدنو منه ويقاربه، حتى إذا انقضى من هذا أربه، عاد إلى مناسبة تتمة البيت الأول، وقد قال فيه: وقد غفلت عنا وشاة ولوّام، ليستوفي معنى البيت الذي بنى عليه، فتظلّم من الحدائق، إذ لها أعينٌ، وفيها نمّامٌ، يعني النرجس والنمَّام، وهذا في غاية التمام.

وقال:[١] [المتقارب]

رَعَـى اللـهُ لَـيلَـتَـنا بـالحِـمَـى وأمـواهُ أعـيُنهِ الزّاخـرَه

وقـد زينَ حُـسنُ سـماءِ الغـصـونِ بـأنجُـمِ أزهـارِهِ الـزّاهـرَه[٢]

ولـلـنّرجِسِ الغَـضّ مـا بَـينَـنـا وُجُـوهٌ بحَـضـرَتِنا ناضـرَه

كـأنَّ تَـحَـدُّقَ أزهـارها عـيُـونٌ إلى ربّهـا نـاظرَه

وقال:[٣] [مخلع البسيط]

قـالَ الحَـيَـا للنّسـيم لَمّـا ظَلَّ بهِ الزّهرُ في اشـتـغـالِ

وضـاعَ نَشـرُ الرّياضِ حـتى تَعَطّرَتْ بُردَةُ الشّـمـالِ

أمـا ترَى الأرضَ كـيفَ تُثني علـيّ منهـا لِسـانُ حـالي

١: ديوانه ١٠٢١ .

٢: الديوان: بأزهارها .

٣: ديوانه ١٠٢٢ .

٤: ديوانه ١٠٢٦ .

٥: ديوانه ١٠٨٣ .

فاعجَبْ لإقرارِها بفَضلي وسكرِها بي وشكرِها لي

وقال :(٤)[الخفيف]

خليـاني أجُرّ فَضلَ بُرودي راتعاً في رِياضِ عَينِ البُرودِ
كم بها من بَديعِ زَهرٍ أنيقٍ كفُصولٍ مَنظُومةٍ وعُقُودِ
زَنبَقٌ بَينَ قُضبِ آسٍ وبانٍ وأقاحٍ ونَرجسٍ ووُرُودِ
كجَبينٍ وعارضٍ وقَوامٍ وثُغُورٍ وأعينٍ وخُدودِ

وقال يعاتب من اعتذر بالثلج :(٥)[المنسرح]

(٢٥٦) عذرُك بالثلج عن زيارتنا مبدولةٌ باؤهُ من الكافِ
والغير لما أراد زورتنا سعى إلينا من نشره حافي
وعندك المالُ والرجالُ وما في تاسعِ النحل وافر وافِ
بل أُبدلت ذلك الولاية يا أحمدُ لما وليت بالقافِ

قوله : تاسع النحل وافر واف : أراد بذلك قوله تعالى « والخيل والبغال والحمير لتركبوها »(١)

وكتب مع طبق حلاوة أهداه مع غلام :(٢)[الرجز]

عبدُك قد أرسَلَ أدنَى خدمَةٍ إلَيكَ يا مَن بالجميلِ قد سَبَقْ
فانظرْ بعينِ الجبرِ أو عينِ الرّضَا نحوَ غُلامٍ وكتابٍ وطَبَقْ(٣)

---

١ : النحل ٩ .

٢ : ديوانه ١١٢٥ .

٣ : الديوان : بلحظ الجبر .

٤ : ديوانه ١٢١٢ .

وقال ملغزا في القوس:[٤][الطويل]

وما اسمٌ تراه في البروجِ وإنما يحلُّ به المرِّيخ دون الكواكبِ
إذا قدَّر الباري عليه مصيبةً عدته وحلَّت في صدور الكتائبِ
ولا جسمَ إلا فيه يدرك قلبه ويدركُهُ في قلبه كلُّ طالبِ

قلت: وقوله: وإنما يحل به المريخ دون الكواكب، أراد به نصل السهم أو السهم، إذ كان من شأنهما القتل، وهو من طبيعة المريخ كما يزعم أهل النجابة. أو ليلطخه بالدماء، فإذا نظر، كان المريخ بحمرته واشتعاله. وهو إذا صحَّ على هذا ، لا يصحَّ على ظاهره، إذ كانت القوسُ محلاً لكلٍّ من السبعةِ السَّيّارة، وهو بيت المشتري، فلا وجه لتخصيص المريخ به. وفي جملة على المعنيين اللذين أرادهما نظر.

وقال في السهم:[١][الطويل]

وأهيفَ منسوبٍ إلى التُّركِ أصلُهُ رشيقٍ براه ربُّهُ وهو راشقُ
يقرِّبُ من أفواههم وهو فاجرٌ ويرسل في أعراضهم وهو مارقُ
يبيتُ عديمَ النفعِ وهو مواصلٌ ويرضيك في الأفعالِ وهو مفارقُ
إذا اعتبروا أفعاله فهو طائرٌ وإن نسبوه فهو بالنَّبتِ لاحقُ

وقال فيه:[٢][الطويل]

---

١ : ديوانه ١٢١٣ .
٢ : ديوانه ١٢١٤ .
٣ : نضنض لسانه: حرّكه. والأفعوان: ذكر الحيات .
٤ : ديوانه ١٢١٥ .
٥ : الديوان: وهو ساكتٌ .

وأهيفَ مـاضٍ في الأمـور مـسـدّدٍ إذا رامَ قـصـداً لا يميلُ عن القـصـدِ
(٢٥٧) ينضنضُ مثلَ الأفعوان لسانَهُ لشـدَّةِ مـا لاقى من الحـرِّ والبـردِ (٣)
تـقـرِّبـهُ الأمـلاك وهـو ممانعٌ ويجـهـد في تقـريبـه غـايةَ الجـهـدِ
إذا صـحَّـفـوه مـرةً كـان بينهـم وإن تركـوه كـان منهم علـى بعـدِ

وقال في قلم: (٤) [الطويل]

وأخـرسَ بادي النطقِ حلوٌ فـؤادُهُ حليف ضنىً يبكي ومـا هو عـاشقُ
يُشَقُّ مـراراً رأسُـهُ وهو طيِّعٌ ويُقطَعُ أحـيـاناً ومـا هو سـارقُ
إذا أرسلَ البـيضَ الصِّـفـاحَ لعـادةٍ يتـابعُ طوراً أمـرُه ويفـارقُ
يحـاجَى به مـا ناطقٌ وهو صـامتٌ يُرى ساكتاً والسيفُ عن فيه ناطقُ (٥)

وقال في الدواة والقلم: (١) [الطويل]

ومـا اسـمـانِ كلٌّ صـالحٌ لقـرينهِ إذا اتَّفـقَا يستـصغَرُ الصَّارِمُ العَضْبُ
وقـد وُجـدا في الذِّكـرِ أوَّل سـورةٍ ولولاهمـا لـم يوجـدِ الذكـرُ والكتبُ
فـهـذا لـه قلبٌ ومـا حَلَّ جـسـمَـهُ وهـذا لـه جـسـمٌ ولـيس لـه قلـبُ

وقال في الخطِّ: (٢) [مجزوء الكامل]

ومـعـلَّقٍ في قُنَّـبٍ طـوراً وطـوراً فـي حـريـرْ
ولقـد تـراه مـسلسـلاً بيـد الإمـارة والصـدورْ
ولقـد يكون على الجبـاه وفي البطون وفي الظهـورْ
ويُرَى بأعـضـادِ الرجـال وفـوق أجنحـةِ الطيـورْ

١: ديوانه ١٢١٦.
٢: ديوانه ١٢١٧.

قلت: وهذا شعرٌ بديع، ونظمٌ صنيع، ونمط عالٍ رفيع، لا يقدر عليه كل قائل، ولا يحظى معه معارضٌ بطائل. ألا ترى كيف وصف الخط وافتتحه بقوله: ومعلق! وانظر هذه التورية ما أتمَّها وأحسنها وأقواها وأمكنها. ثمَّ أتَى في البيت كله باستخدام معنوي إذ قال: في قنَّبٍ طوراً وطوراً في حرير! وظاهره على مجرى اللغز، يوهم أنَّ شيئاً له جسمٌ، علق بخيط حرير، أو حبل قنب، وباطنه يريد الورق. وهو يصنع من هذين (٢٥٨) حيث يعهد الشاعر. وهو إذا حمل على كل من المعنيين صح، وكان تماماً موفياً بالمراد. وكذلك قوله في البيت الثاني: ولقد تراه مسلسلاً. يجري مجرى قوله: ومعلق. فأما البيت الثالث، فمعناه أكثر من لفظه، وتفهمه أكبر من حفظه. فأما كونه جعله يكون معلقاً على الجباه، فهو ما يكتب من التمائم والعوذ، وما هو من هذا النوع. وأما قوله: وفي البطون وفي الظهور، فكذا يكتب: تارةً في بطون الأوراق، وتارة في ظهورها. وهو مع كونه أتى فيه بالحقيقة، لم يعدم فيه رونق المجاز. والبيت الرابع نوع منه آخر. وقوله: وفوق أجنحة الطيور، هو ما يكتب في صغار البطائق على هوادي الحمام الرسائلي. فانظر إلى محاسن ما أتى به، واعجب لإيجازه.

عدنا إليه. قال في دود القز:(١)[الطويل]

وما حيوانٌ عكسه مثلُ طردهِ ... له جسدٌ سبطٌ وليس له قلبُ
ضعيفٌ وكم أغنت مجاجةُ ريقه ... فقيراً به أمسى ومربعه خصبُ
يرى من خشاش الأرضِ طوراً وتارةً ... من الطير لكن دونه تسبلُ الحجبُ
شقيٌّ لنفعِ الغير يسجن نفسه ... وليس له في السجن أكلٌ ولا شربُ

١: ديوانه ١٢٢٣.

٢: ديوانه ١٢٢٤.

وقال في العود :(٢)[السريع]

وأعـــجـــمـيٍّ أخـــرسَ نـاطقٍ ... له لسـانٌ مـسـتطابُ الكلام
مناجـيـاً في الحـجـرِ أربابـه ... طوراً وفي البـيتِ العتيق الحرام

قلت : ولله مذهبه في هذين البيتين، لو وصف هذا الألمعي العود بأطيب من نغمهِ وأرجه . وقوله : أعجمي ، وصفاً له ، قول صدق ، إذ العود الشجر أعجم لا ينطق ، والعود عود الطرب من وضع الأعاجم . ولسان العود هو الذي يحرك به الوتر . وقوله مستطاب الكلام وهو طربه . وقد أتبعه بقوله : ساجياً في الحجر ربّاً له ، لأنه كان كأنَّه يناجي ربه ، وهو الضارب به . وقوله : وفي البيت العتيق الحرام ، هو العود الهندي . يقال : إن عهد البيت الحرام زاده الله شرفاً منه . فاعرف لهذا الرجل حقه ، واعلم حذقه .

عدنا (٢٥٩) إلى بقية مختاره . قال في الحشيشة يحسّن قبيحها ، ويدَّعي تفريحها :(١)[الوافر]

تَغـانَى بالحَـشـيشِ عن الرّحـيقِ ... وبالوَرَقِ الجَديدِ عن العَتيقِ
وبالخَضـراءِ عن حـمـراء صِـرفٍ ... وكم بَينَ الزّمـرّدِ والعَقـيقِ

وقال أيضاً فيها :(٢)[البسيط]

في الكيسِ لي عِوَضٌ عمّا حوَى الكاسُ ... وفي القَراطيسِ عـمّا ضَمّتِ الطّاسُ
وبالجَـديدِ غَـرامي لا مُـعَـتَّـقَـة ... وَسـواسُـهـا في صُـدورِ النّاسِ خنّاسُ
مُـدامَـةٌ مـا لهـا في الرّأسِ وَشـوَشَـةٌ ... تُطغي النّفوسَ ولا في الصّدرِ وَسواسُ

١ : ديوانه ١٢٨١ .
٢ : ديوانه ١٢٨٠ .
٣ : ديوانه ١٢٧٨ .
٤ :أُسقطت من الديوان .

ولا تُكَلِّفُ نَفساً غَيرَ طاقَتِها ... ولا يُخافُ بها ضُرٌّ وإفلاسُ
كم بَينَ خَمرٍ يَخافُ الحدَّ شارِبُها ... وخَمرَةٍ ما على شُرّابِها باسُ
ولا نَبيتُ إذا شِئنا نُعاقِرُها ... لَنا على البابِ حُفّاظٌ وحُرّاسُ
حوضُ الدّواةِ لها جانٍ ومِزوَدُها ... دَنٌّ وكاساتُها ظِفرٌ وقِرطاسُ

وقال أيضاً:(٣)[السريع]

في الكيسِ لا في الكأسِ لي قَهوَةٌ ... من ذَوقِها أسكَرُ أو شَمِّها
لم يَنهَ نَصّ الذّكرِ عنها ولا ... أُجمِعَ في الشّرعِ على ذَمِّها
ظاهِرَةُ النّفعِ لها نَشوَةٌ ... تَستَنقِذُ الأنفُسَ من هَمِّها
فَشكرُها أكثرُ من سُكرِها ... ونَفعُها أكثرُ من إثمِها

وقال:(٤)[السريع]

جاءت بوجهٍ بين قرطين ... شبيهَ بدرٍ بين نجمينِ
فامتدت الأعينُ منا إلى ... عينين منها تحت نونينِ
قالت لكي تعبثَ بي لا تكن ... للنَّفس نوناً بعد ميمينِ
فقلتُ إن عارضتِني بعدها ... قطعت سيناً بين كافينِ

وقال:(١)[المنسرح]

عنَّفتها إذ فست على ذكري ... وهو لعمري في غاية الكبرِ
(٢٦٠) قالت دع اللومَ والعتابَ فلو ... دفعت هذا في است البعير خري
لو أن ضعفيه جاء من قُبُلٍ ... ما كان عندي لذاكَ من أثرِ

---

١ : أُسقطت من الديوان .

٢ : أُسقطت من الديوان .

٣ : أُسقطت من الديوان .

لكنه مع جفاء جثته — صالٍ فقدَّ القميصَ من دُبُرِ
قلت: فشيخي قد قالَ مبتدئاً — وذاك في العلم صادقُ النظرِ
الأيرُ للجحرِ حربةٌ خلقت — لو كان للكس كان كالطَّبرِ

وقال:(٢)[الطويل]

وذاتِ حرٍ جادت به فصددتُها — وقلت لها مقصودي العجز لا الفرجُ
فدارت ودارت سوءَ خُلقي بالرضَى — وفي قلبها مما تكابده رهجُ
وظلَّت تقاسي من فعاليَ شَدَّةً — ولم يعل من فرط الحياءِ لها رهجُ
إذا ما دفعتُ الأير فيه تجشَّأت — وذاك ضراطٌ لم يتمَّ له نُضجُ

وقال:(٣)[المنسرح]

ولي غلامٌ كالنجم طلعتُهُ — أخدمه وهو بعضُ خُدَّامي
تراه خلفي طول النَّهار فإن — دجا لنا الليل صار قدَّامي
جعلته في الحضورِ مع سفري — كفروة الحارثِ بنِ همَّامِ

وقال:(١)[الوافر]

وليلةٍ عانقت كفَّايَ بدراً — كأنَّ ضياءَ مبسمه نجومُ
لثمت الثغرَ منه فقام أيري — فعنَّفني وأقبل لي يلومُ
وأسكتني الحياءُ فقال أيري — أقم عذري فإنَّ اللومَ لومُ
أيقدر من له عقلٌ ولبٌّ — ومعرفةٌ يراكَ ولا يقومُ

١: أُسقطت من الديوان.
٢: ديوانه ١٤٦١.
٣: ديوانه ١٦٧.

وقال :[٢][السريع]

قالوا اخضبِ الشّيبَ فقلتُ اقصرُوا ... فإنَّ قصدَ الصّدقِ من شيمَتي

فكَيفَ أرضَى بَعدَ ذا أنّني ... أوّلُ ما أكذبُ في لحيَتي

وقال يعتب ابن المعتز عن قوله :[٣][المتقارب]

(٢٦١) ونحن ورثنا ثياب النبيـ ... ـي فكم تجذبون بأذيالها

لكم رحم يا بني بنته ... ولكن بنو العم أولى بها

ومنها :

قتلنا أمية في دارها ... ونحن أحقُّ بأسلابها

إذا ما دنوتم تلقيتم ... زبوناً أقرت بجلاّبها

وقوله :[المتقارب]

وقلتَ ورِثنا ثيابَ النّبيـ ... ـي فكَمْ تَجذِبونَ بأهدابِها

وعندَكَ لا يُورثُ الأنبياءُ ... فكَيفَ حَظيتُمْ بأثوابِها

أجَدُّكَ يَرضَى بما قُلتَهُ ... وما كانَ يَوماً بمرتابِها

وإذ جُعِلَ الأمرُ شُورَى لها ... فهل كانَ من بَعضِ أربابِها [١]

وقَولُكَ أنتُمْ بَنو بنتِهِ، ... ولكن بَنو العَمّ أولى بِها

بَنو البنتِ أيضاً بَنو عَمّه ... وذلكَ أدنَى لأنسابِها

وقلتَ بأنّكُمُ القاتلو ... نَ أُسودَ أُمَيّةَ في غابِها

ولولا سيوفُ أبي مُسلمٍ ... لَعَزَّتْ على جُهدِ طُلاّبِها

---

١ : الديوان : شورى لهم .

٢ : ديوانه ٤١٥-٤٢٠ .

وقال :(٢)[الرجز]

انهضْ فهذا النَّجمُ في الغربِ سقَطْ — والشَّيبُ في فَودِ الظَّلام قد وخطْ
والصّبحُ قد مَدَّ إلى نحرِ الدّجَى — يداً بها دُرُّ النّجوم تَلتَقطْ
وألهَبَ الإصباحُ أذيالَ الدّجى — بشَمعَةٍ من الشّعاعِ لم تُقَطّ
وضَجّتِ الأطيارُ في أوراقِها — لمّا رأتْ سَيفَ الصّباحِ مُخترَطْ
وقامَ من فوقِ الجِدارِ هاتِفٌ — مُتَوَّجُ الهامَةِ ذو فَرعٍ قطَطْ
يُخَبِّرُ الرّاقِدَ أنّ نَومَهُ — عندَ انتباهِ جَدِّه من الغلَطْ
والبَدرُ قد صارَ هلالاً ناحِلاً — في آخرِ الشّهرِ وبالصّبحِ اختلَطْ
كأنَّهُ قَوسُ لُجَينٍ مُوتَر — واللّيلُ زنجيٌّ عليهِ قد ضَبَطْ
(٢٦٢) وفي يديهِ للثّريّا نَدَبٌ — يَزيدُ فَرداً واحِداً عن النّمَطْ
فأيُّ عُذرٍ للرّماةِ والدّجَى — قد عُدّ في سلكِ الرّماةِ وانخرَطْ
أما تَرَى الغَيمَ الجَديدَ مُقبِلاً — قد مَدّ في الأُفقِ رِداهُ فانبَسَطْ
يلمَعُ ضَوءُ البرقِ في حافاتِه — كأنّ في الجوّ صِفاحاً تُختَرَطْ
وأظهَرَ الخَريفُ من أزهارِهِ — أضعافَ ما أخفَى الرّبيعُ إذ شحَطْ
ولانَ عِطفُ الرّيحِ في هُبوبِها — والظّلُّ من بعدِ الهَجيرِ قد سَقَطْ
والشّمسُ في الميزانِ مَوزونٌ بها — قِسطُ النّهارِ بعدَما كان قَسَطْ
وأرسلَتْ جِبالُ دَرْبَندَ لنا — رُسلاً صَبَا القَلبُ إليها وانبَسَطْ
من الكَراكي الخُزَريّاتِ التي — تَقَدَّمُ والبعضُ ببعضٍ مُرتَبطْ

---

١ : الديوان : إذا قفاها .

٢ : الديوان : البلاغ .

٣ : الديوان : صالح .

كــأنّهــا إذ تـابَعَتْ صــفــوفَــهــا ... ركــائبٌ عَنهــا الرّحــالُ لـم تُحَطْ
إذا وعــاها سَــمعُ ذي صَـبـابَـةٍ ... مِثْلي، تَقاضاهُ الغَرامُ ونَشَطْ(١)
فــقمْ بنا نَرفُلُ في ثوبِ الصِّبَى ... إنّ الرّضَى بتركه عينُ السَّخَطْ
والتَقِطِ اللّذةَ حيثُ أمكَنَتْ ... فإنّما اللّذّاتُ في الدّهرِ لُقَطْ
إنّ الشّبابَ زائرٌ مُوَدِّعٌ ... لا يُستَطاعُ ردُّه إذا فرَطْ
أما ترَى الكَركيّ في الجوّ وقد ... نَغّمَ في أُفقِ السّماءِ ولَغَطْ
أنساهُ حبُّ دجلةٍ وطيبُها ... مَواطناً قد زُقّ فيها ولَقَطْ
فجاءَ يُهدي نَفسَه وما درى ... أنّ الرّدى قَرينُهُ حيثُ سقَطْ
فابرزْ قِسيّاً من كَمَنداناتها ... إنّ الجيادَ للحروبِ تُرتَبطْ
من كلّ سَبطٍ من هَدايا واسطٍ ... جَعدِ التّلاعِ منه في الكعبِ نُقَطْ(٢)
أصلَحَهُ الصالحُ باجتهادِه ... فكلُّ ذي لبٍّ لهُ فيه غبَطْ(٣)
وما أضاعَ الحَزمَ عندَ حَزمِها ... بل جاوَزَ القَيظَ وللفَصلِ ضَبَطْ(١)
حتى إذا حَرُّ حَزيرانَ خَبَا ... وتَمّ تَمّوزٌ وآبٌ وشَحَطْ
وجاءَ أيلُولُ بَحرٍّ فاترٍ ... في نُضجِ تَعديلِ الثّمارِ ما فَرَطْ
(٢٦٣) أبرزَ ما أحرزَ من آلاتِه ... وحَلّ من ذاكَ المَتاعِ ما ربَطْ
ومَدّ للصَنعَةِ كفٌّ أوحَدٍ ... مُنزَّهٍ عن الفَسادِ والغَلَطْ
وظَلّ يَستَقري بَلاغَ عُودِها ... فسَبّرَ الأطرافَ واختارَ الوَسَطْ(٢)
وجَوّدَ التّدقيقَ في لحامِها ... فأسقَطَ الكرشاتِ منه والسَّقَطْ(٣)
ولم يَزَلْ يُنقلها مَراتباً ... تَلزَمُ في صَنعَتِه وتُشْتَرطْ

---

١ :الديوان : عند عزمها .

٢ : الديوان : فبتّر .

٣ : الديوان : منها .

فعندما أفضَتْ إلى تَطهيرِها ... صحّحَ دارات البُيوتِ والنّقَطْ
حتى إذا قَمّصَها بدُهنِها ... جاءتْ من الصّحّةِ في أحلى نَمَطْ
كأنّها النّوناتُ في تَعريقِها ... يعرُجُ منها بُندُقٌ مثلُ النّقَطْ
مثلَ السّوارِ في يَدِ الرّامي فلو ... شاءَ طَواها وحَواها في سَفَطْ
لو يَقذِفُ اليَمَّ بها مالكُها ... ما انتقضَ العودُ ولا الزّورُ انكشطْ
كأنّما بندُقُها نَيازكٌ ... أو من يدِ الرّامي إلى الطّيرِ خطَطْ
من كلّ مَحني البُيوتِ مُدمَجٍ ... ما أخطأ الباري به ولا فَرَطْ
كأنّهُ لامٌ عليها ألفٌ ... وقالَ قومٌ: إنّها اللاّمُ فقَطْ
فاجِل قَذَى عُيوننا ببَرزَةٍ ... تَنفي عن القلبِ الهمومَ والقَنَطْ
فما رأتْ من بعدِ هُورِ بابلٍ ... وماءِ التّيّارِ عيشاً يُغتَبَطْ
ونحنُ في مُروجِهِ في نَشوَةٍ ... عند التّحرّي في الوُقوفِ للخطَطْ
من كلّ مَقبولِ المَقالِ صادقٍ ... قد قَبَضَ القَوسَ وللنّفسِ بسَطْ
يقدُمنا فيها قديمٌ حاذقٌ ... لا كَسَلٌ يَشينُهُ ولا شطَطْ[1]
يحكُمُ فينا حُكمَ داودَ فلا ... يَنظُرُ منّا خارجاً عمّا شرَطْ
لا يَشبكُ الأسباقَ من جَفَتِهِ ... ولم يكُن مثلِ القَرلّى في النّمَطْ[2]
إذا رأى الشّرّ تعَلّى وإذا ... لاحَ لهُ الخَيرُ تدلّى وهبَطْ[3]
ما نَغَمَ المِزهَرُ والدُّفُّ إذا ... فصّلَ أدوارَ الضُّروبِ وضَبَطْ
أطيَبُ من تَدَفّدُفِ التّمّ إذا ... دقّ على القَبضِ الجَناحَ وخَبَطْ

---

١ : الديوان : ولا قنط .
٢ : الديوان : لا يشتكي .
٣ : الديوان : وانخبط .
٤ : ديوانه ١٦٦ .

(٢٦٤) والطَّيرُ شتّى في نَواحيهِ فذا قد اكتسَى الرِّيشَ وهذا قد شَمَطْ
وذاكَ يَرعَى في شَواطيهِ وذا على الرّوابي قد تحَصَّى ولَقَطْ
فمن جَليلٍ واجبٍ تَعدادُهُ ومن مَراعٍ عَدُّها لا يُشتَرَطْ
يعرُجُ منّا نحوَها بَنادقٌ لم يَنجُ منها مَن تَعَلّى واختَبَطْ
فمن كَسيرٍ في العُبابِ عائمٍ ومن ذَبيحٍ بالدّماءِ يُعْتَبَطْ

وقال، وورّى وكأن قصده كان طلب الدّرياقين:[٤][الخفيف]

قيلَ لي تَعشَقُ الصّحابةَ طُرّاً أمْ تَفَرّدْتَ منهُمُ بفَريقِ
فوَصفتُ الجَميعَ وَصفاً إذا ضُوّ عَ أزرى بكُلّ مِسكٍ سَحيقِ
قيلَ هذي الصّفاتُ والكُلُّ كالدِّرْ ياقِ يَشفي من كلّ داءٍ وَثيقِ
فإلى مَن تَميلُ؟ قلتُ إلى الأرْ بَعِ لا سيّما إلى الفاروقِ

وقال في السلطان وقد لعب بالكرة:[١][الكامل]

مَلِكٌ يُرَوِّضُ فوقَ طِرْفٍ قارِعٍ كُرَةً بجَوكانٍ حكاهُ ضَبابَا
وكأنّ بَدراً في سَماءٍ راكِباً بَرقاً يُزَحزِحُ بالهِلالِ شِهابَا[٢]

وقال في أدهم ذي حجول:[٣][الكامل]

ولقدأرُوحُ إلى القَنيصِ وأغتَدي في مَتنِ أدهمَ كالظّلامِ مُحَجَّلِ

---

١ : ديوانه ١٨٤ .

٢ : الديوان: فكأن .

٣ : ديوانه ٤٣٧ .

٤ : ديوانه ٥٣٣ .

٥ : ديوانه ١١١٨ .

٦ : ديوانه ١١٥٥ .

رامَ الصّـباحُ من الدّجى استنقاذَهُ ... حسَداً فلم يَظفَرْ بغيرِ الأرجُلِ
فكأنّهُ صِبغُ الشبيبةِ هابَهُ ... وخَطُ المَشيبِ فجاءَهُ من أسفلِ

وقوله:[4] [الكامل]

لا غَروَ أن يَصلى الفُؤادُ لبعدِكم ... ناراً تُؤجِّجُها يَدُ التّذكارِ
قَلبي إذا غِبتم يُصَوّرُ شخصَكُم ... فيهِ وكلُّ مُصَوّرٍ في النّارِ

وقوله:[5] [الكامل]

ولما سطرتُ الطرس شوَّهتُ لفظَهُ ... وجئتُ بما شاهدتَ من لحنه عمدا
عساك ترى عيباً به فتردّ لي ... جواباً لأنَّ العيبَ قد يوجبُ الرّدّا

(٢٦٥) وقوله:[6] [الطويل]

لَئن سَلّ الزّمانُ لَنا مَناصِلْ ... فصُنعُ الودّ عندي غيرُ ناصِلْ
فإن يكُ قد تأخّر عنك سعيي ... فإنّي بالدعاءِ لكم مُواصِلْ
ولم تثنِ النَّوى أوتادَ ودِّي ... بأسبابِ القَطيعةِ والفواصِلْ
وإنِّي إن وصفتُ لكم ودادي ... كأنّي طالبٌ تحصيلَ حاصِلْ

وقوله يصف غلاماً تركياً على فرسٍ يرمي الظباء بالسِّهام:[1] [الطويل]

وظبيٍ بقفرٍ فوق طِرفٍ مفوَّقٍ ... بقوسٍ رمَى في النَّقعِ وحشاً بأسهمِ
كبدرٍ بأُفقٍ فوق برقٍ بكفِّهِ ... هلالٌ رمَى الليلَ جنّاً بأنجمِ

---

١ : ديوانه ٨٦١ .

٢ : ديوانه ٤٤٠ .

٣ : ديوانه ٤٤٨ .

٤ : الديوان : على لظىً .

وقال في فرس:(٢)[الوافر]

وعـادِيَةٍ إلى الغـارات ضَـبـحـاً تُريكَ لقـدَحِ حـافِرها التـهـابَا
كـأنّ الصّـبحَ ألبَسَـهـا حُـجـولاً وجنحَ اللّيلِ قـمّـصَـهـا إهابا
جَـوادٌ في الجِـبـالِ تُخـالُ وعـلاً وفي الفَلَواتِ تحـسـبُـهـا عُـقـابا
إذا مـا سـابقـتَـهـا الرّيحُ فـرّتْ وأبـقَـتْ فـي يـدِ الرّيحِ التـرابا

وقال:(٣)[الطويل]

وإنّـي لألهـو بـالمُدامِ وإنّـهـا لَمـوردُ حَـزمٍ إن فَـعلْتُ ومَصـدَرُ
ويُطرِبُني في مـجلسِ الأنسِ بَينَنا أنابيبُ في أجـوافِـهـا الرّيحُ تَصـفِـرُ
ودُهمٍ بأيدي الغـانيـات تَقَـعـقَـعَتْ مـفـاصِلُهـا من هَولِ مـا هي تَنظُرُ
وصـفـرِ جـفـونٍ مـا بكَتْ بمدامعٍ ولـكـنّهـا رُوحٌ تَـذوبُ وتَـقـطُرُ
وأشـمَطَ مَـحنيِّ الضّلوعِ على الضّنَى به الضّـرُّ إلاّ أنّه يتَـسَـتّـرُ(٤)
إذا الجـابَ سـتـرُ اللّيلِ ظلّتْ ضُلوعُه مـجـرَّدَةً تَضـحَى لديكَ وتُخـصَـرُ

وقال:(١)[السريع]

قـد نَشَـرَ الزّنبَقُ أعـلامَـهُ وقـالَ: كلّ الزّهرِ في خِـدْمَـتي
لو لـم أكُن في الحُـسنِ سُلطانَه مـا رُفِـعَتْ من دونه رايَـتي
(٢٦٦) فـقَـهـقَـهَ الوَردُ به هازئاً وقـالَ: مـا تحـذَرُ من سَطوَتي

١ : ديوانه ١٠١٧ .

٢ : الديوان : يا عصبتي .

وقـــالَ للسّـــوسَنِ: مـــاذا الذي يَقُـــولُهُ الأشـيَبُ في حَـضـرَتي

فـــامـــتَـــعَضَ الزّنبَقُ من قَـــولِهِ وقـــالَ للأزهارِ: يا صُـحْـبَـتي (٢)

يـكونُ هـذا الحُـسْنُ بـي مُـحـدِقـاً ويَضـحَكُ الوَردُ على شَـيـبَـتي

قلت: وهذا قول يقطر ظرافة ويحسن، وإن كان حديث خرافة.

وهذا آخر ما اخترت من جميع ديوانه، وبديع ما ضمنه من الفريد في صوانه. وقد وقفت عليه، وكله ناطق بصنيعه، مذهبٌ بشعاع توشيعه. ولم اقتصر على هذا لأن بمثله يُكتفى، وإنما أقللتُ للقناعة، وأتيتُ من عينه بمقدار ما تُعرفُ به بقية البضاعة. وقد وقفتُ له على نثرٍ لا يقاسُ بنظمه، وإن كان الكلُّ درٌّ، ولا يقاربه، وكلٌّ منهما يسر، وإنما هو في طبقة هذا الشعر حيث ترى، وأين الثريّا من الثّرى. وقد كان كتب إليَّ كتاباً وددتُ لو حضرني لآتي به، وإن كنت جدّ ضنين وأسمح به، وإن كان لا يسمح بالثمين .

ومنهم:

٦٢- محمد بن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمن الحنفي

الفقيه العَدْلُ، الأديبُ، الشاعرُ. أبو عبد الله شمس الدين الخياط الدمشقي. قادرٌ أتى بما لم تَستَطِعْهُ الأوائلِ، ولم تُطِعْهُ إلاّ قسراً أندادُ الفضائلِ، لا يجيءُ البَحرُ له إلى كَعْبٍ، ولا يحاوِلُ إلاّ النجوم، لا يعجزه مرامها الصَّعْب. وكان خَصْمَ نَفْسِهِ في الأدَبِ، يَدْرُسُ فنونه النافعَة، ويغرسُ أفنانه اليانعة. فاحتذى مفارقَ الرؤوس وانتَعَلَ، وعُرِفت الرِّجالُ بغيرِهم وعُرِفَ بما فَعلَ، سدَّ الفجاجَ على المعائِبِ، وعدَّ صَفْوَ المزن رنْقاً بالشوائب. وله قصائدُ أدرك منها ما رامه ابن الروميِّ في مطوّلاتِه، وتمَّ لأبي تمامٍ في تطوُّلاتِه، وفات حوليّات زهير بن أبي سلمى، وخولِيّات ابن العبد، وطرْفُ طرَفَةَ أعمى، وما منها إلاّ أُلْحِقَ بالسّبْع

الطِّوال، وحاربت في جوٍّ النُّسور العوال، فكأنها كانت لتلك القصائد كامنة، لتلك (٢٦٧) السبعِ المعلّقات ثامنة، بل ما أتت بعد تلك السبع الشِّداد، إلاّ كالعام الذي فيه يغاثُ الناسُ وفيه يعْصُرون، ومنه يجنون ويهصُرون. وله قِطَعٌ تقطعُ كُلَّ أجْدَع، وتقرِّعُ كلَّ حميٍّ أنْفُه لا يُجدَع. فيومُه يومان، وطعْمُه طعمان، بكلِّ كَلِمةٍ هي إِبَرُ النَّحْلِ أو مَشارُهُ، وفخرُ الدهر أو عارُه، تلعُّباً بالكلام كيف شاء صَرَّفَهُ، ومن شاء وضَعَهُ به أو شرّفَه، فطالما أوقدَ حائن وهَدَفٌ عَرَّضَهُ لِرَمْيِهِ فدَفَعَ بيديه حدّ المدى، ووضع إِصْبَعيه في فم الرّدى، على أنّه خيْرُ أخ في الشدائد، وأعظمُ مقاوِمٍ لِسُمِّ الليالي الأساوِد، وكَلِمُهُ لا يغشى بوارقَها بالسُّحُب، ولا ثلاث رودها إلاّ بالرِّماح منصلةً بالشُّهُب. ومن شِعْرِه المحرِّك للأطراب، المبيِّضِ لقادمةِ الليلِ والفجرِ في آخِرِه كما شاب جناحُ الغُراب، قولُه: [السريع]

كم نِلْتُ في الأسفارِ من شدّةٍ ... لم تُحْصَ في عدٍّ ولم تُحْصَرِ
فهذه عينٌ وذا محْجَرٌ ... والموت بين العين والمِحْجَرِ

ومنه قوله: [السريع]

ديارُ مِصْرٍ جنّةٌ فُتِّحَتْ ... أبوابها في الحُسْنِ للمُبصِرِ
وغيرُ بدْعٍ أنّها جنّةٌ ... ونيلُها جارٍ من الكوثر

ومنه قوله: [الطويل]

شَكَتْ زوجةُ القاضي من الطّلْق شدّةً ... فنالَ الإمامَ الهمُّ وهْوَ همامُ
فقُلْتُ له صبراً جميلاً فَرُبَّما ... يكونُ مع الطَّلْقِ الشديدِ غلامُ

ومنه قوله: [الوافر]

وما طلبي الشهادةَ خوفَ نقْصٍ ... على مالي ولا طَمَعُ الزِّيادَة
ولكنّي لإسلامي وديني ... وتوحيدي حَرَصْتُ على الشّهادة

ومنه قوله :[الطويل]

تهنَّ فلان الدينِ شهراً مباركاً فَصبْ لكَ فيه بالعلاء المكارمُ
(٢٦٨) وإن تك قد باشرْتَ في يوم موسمٍ فسائرُ أيام الكرام مواسمُ

ومنه قوله :[السريع]

الحبْسُ حَبْسُ النَّفْسِ عن قَصْدِها وإنّما نقْمَتُهُ نعْمَة
لا سيَّما إن كان أعجوبةً كثرةُ ناموسٍ بلا حُرْمَة

ومنه قوله :[السريع]

مولاي سيفُ الدين يا من له أصْلٌ زكيٌّ في انتساب الملوكِ
أسْمَعْتَني وَعْدَ دُيوكٍ وقد أكَلْتُ كفِّي قبل أكْلِ الديوكِ

ومنه قوله وقد ردّد مقْصود المعنى وزاده :[السريع]

كم ليلةٍ بالبْردِ فضَّيتُها في شِدّةٍ والعينُ لم تَهْجَعِ
وليس لي أكْلٌ سوى راحتي وليس لي شرْبٌ سوى أدْمُعي

ومنه قوله :[السريع]

حفيتُ من طولِ طوافي على بشر لأحظى بالنَّدى الوافي
فاعجب لعكْسِ الحالِ ما بيننا هَذاكَ بشرٌ وأنا الحافي

ومه قوله :[الطويل]

إلى كمْ أُمَنّي النّفْسَ في طَلَبِ الغنى أقول عسى ينزاحُ فقري وربّما
وما العارُ إلاّ أن أرى عارياً وما عَليَّ كما قالوا سوى مَطَرِ السَّما

ومنه قوله :[الوافر]

عَجِبْتُ من الزمان ومن بنيْهِ ورفْضِهِمُ الأهاجِيَ والمدائِحْ
أروحُ على منازِلِهمْ وأغدو وليس أشمُّ للجدوى روائِحْ

ومنه قوله: [الكامل]

يا سيِّدي قد طال مُكْثُ قصيدتي وأعيذُ سيِّدَنا من النِّسيانِ
إن كان في يوم المعاد إجازَةٌ أمَّلْتُها من كفَّةِ الميزانِ

ومنه قوله [الكامل]

(٢٦٩) رَقَبَ الهلالَ الناس واجتهدوا فَلَمْ تَره العيونُ وكفُّها عنه العمى
لا غَرْوَ إن خَفِيَ الهلالُ عن الورى ورآه في الأرْضِ ابن ناطورِ السَّما

ومنه قوله: [الطويل]

يقولون في سَمِّ الخِياطِ قناعةٌ فلا ترْم شُكْرَ العيش في القنع بالدمّْ
فقُلْتُ لهم إنِّي أخافُ من الرَّدى ولا آملُ البُقْيا ورزْقيَ من سَمّْ

ومنه قوله: [مخلع البسيط]

يا سيِّداً لم يزل بحمدي بين بني جِنْسِهِ مُحَلاّ
أسلفتني موعداً جميلاً فاسمح بإنجازِه وإلاّ

ومنه قوله: [البسيط]

قالوا تردّدْ فبيتُ المالِ فيه غنىً لكلِّ مُشْتملٍ بالفقْر محرومِ
فحين وافيتُه لم ألقَ فيه سوى مسوّدات لتأخيرٍ وتقديمِ
فيه صناديقُ أوراقٍ بلا ورَق قد أوسقوها بتحديد المراسيمِ
قبْضٌ وصَرْفٌ ومردودٌ وفذلكةٌ بلا حسابٍ وتخريجٌ لمعلومِ
فاحذر إذا جُزْتَ بيتَ المال فهو بلا لامٍ وفيه مخاريمٌ بلا ميمِ

ومنه قوله :[السريع]

وقـيِّمٍ مُـغـرًى بِسـفْكِ الدِّمـا ... كـلُّ سَليـمٍ بيـديه سـليـم
صُـعِـقْتُ خـوفـاً مِنْهُ لَمّا غـدا ... في كـفِّـه مـوسى ورأسي الكليم

ومنه قوله :[السريع]

إن تهـجُـروا الخيـاط عَـمْـداً فـمـا ... له إلى غـيـركم هجْـرَة
يقـصُّ أخـبـاركم نـاقـلاً ... حـديثَكُم بـالخـيطِ والإبْرَة

ومنه قوله :[الوافر]

أرى المحـبـوب يفْـعَلُ كُلَّ ذنْبٍ ... ويغْـضَبُ والهـوى أمْـرٌ عـجـيبُ
وأسْـألُه الرِّضى والـذنْبُ مِنْهُ ... كـأنِّي من إسـاءَتِه أتـوبُ

(٢٧٠) ومنه قوله :[السريع]

لم أنْسَ والمحـبـوب في مـجلسي ... كـالبـدرِ يسـقـيني كـؤوس الرحـيق
يجـمَعُ لي ضـدّين من عـارضٍ ... له جـديـد ومـدام عـتـيق

ومنه قوله :[مخلع البسيط]

عـذارُ حِـبِّي دقـيقُ مـعنىً ... تجلُّ من حُـسْنه الصـفـاتُ
حـلا لـرائيـه وهْو نـبتٌ ... هـذا هـو الـسُّكَّـرُ النـبـات

ومنه قوله :[السريع]

خلَّفت بالشـام حـبـيـبي وقـد ... يمّمتُ مـصـراً لِغنىً طارقِ
والأرض قـد طالت فـلا تبـعـدي ... بالله يا مِـصْـرُ على عـاشِقِ

ومنه قوله :[الوافر]

صَبْرتُ على صروف الدهر حتّى رماني من هويتُ بسهم صدٍّ
وأسقمني بهجرانٍ طويلٍ وقال دواؤه بالوصل عندي

ومنه قوله: [البسيط]

سار الحبيبُ بقلبي يوم ودّعني ولم يدع ليَ صبراً ساعة البينِ
وقال إن كنت مشتاقاً إلى نظري أجْرِ المدامع حُمْراً قلتُ: من عيني

ومنه قوله: [البسيط]

قلبي شكا حبَّ خياطٍ يمزّقه فكيف من قلقٍ لي فيه تشبيتُ
قد كفَّ عن غيري طرفه ونمنم لي خداً كأنَّ عذاراً فيه تنبيتُ

ومنه قوله: [الطويل]

لِرَبْوَتِنا وادٍ حوى كلَّ بهجةٍ فعيش الورى يحلو لديه ويعْذُبُ
يروق لنا الأنهارُ تحت حنكه فلا عَجَبٌ أنَّا نخوض ونلعبُ

ومنه قوله: [مجزوء الخفيف]

رُبَّ عِلْقٍ عيوبُه عدد الرَّمْلِ والحصا
(٢٧١) يأخذ الأير ضاحكاً ثمَّ يبكي على الخُصا

ومنه قوله: [السريع]

يا من على عينيه شِعْريّةٌ قد أَضرمت في القَلْبِ نار الغرام
يُشْبِهُ بدراً طالعاً نصفُهُ ونصفُه الآخر تحتُ الغمام

ومنه قوله: [السريع]

لا تحسبوا شطباً على خدِّه قد لاحَ من فِعْلِ سيوف الجنون

وإنّــمـــا مـــن رِقَّــةِ خــدِّه قــد أثّرت فــيــه لحــاظُ العــيــون

ومنه قوله: [السريع]

قــدْ طال فكري في القــريض الذي من نَفْــعِــهِ لستُ على طائلِ
أقــرّني زُوْراً فــصِــرْتُ امــرأً صــاحِبَ ديوانٍ بلا حــاصِلِ

ومنه قوله: [الخفيف]

لي بأرض الشــام شــرُّ مــقــامِ لا مــكــانــي يُرجّى ولا إمــكــانــي
أســهــر الليل في مكابدة الشِّــعْــرِ وأبكي النَّهــار للحــرمــانِ

ومنه قوله: [الخفيف]

قل لمن حــضّني على الدينِ أقْــصِــرْ عن مــلامي فليس لي تقــصــيْــرُ
لا تسلني عن الصّــلاة فــبــيــتــي مَــسْــجِــدٌ غــيــر أنّه مــهــجــورُ

ومنهم:

٦٣- حسن بن علي العزِّي

ابن نفْسِه، وصاحِبُ يومه لا أمْسِه، يُعْرَفُ بالزعاري، نسبةً إلى غورِ زَعَرَ، لا إلى الكلاب، وإن كان قد فغر فمه فأشبهها، وغرَّ بأنّه بشرٌ إلاّ أنه سوّدَ صورته وشوّهها. أعقلُ منه سكان المارستان، وآمن عاقبةً منه حنشُ البستان، وأقلُّ غيبةً منه وجوه أهْلِ البهتان، وأملك منه لشهوته الحمارُ، شَمَّ بولةَ الأتان. لا دين يرجعُ إليه، ولا عقل يَردُ عليه، ولا مُحْتسبٌ يقيم عليه (٢٧٢) الحدَّ، ويُمْسكُ يديْه، بعقيدةٍ لا يغْسِلُ السيفُ عارها، ولا يواري الليلُ عُوارَها، أثقَلُ من مَنٍّ، وأشحَذُ من مَسَنٍّ، وأبْغَضُ من مساءِ رقيبٍ، وأشأمُ من صباح ذِيْب، وأقدرُ من قمْلٍ، وأحْرَصُ من نَمْلٍ، وأسقطُ من الذّباب، وأسمجُ من الذِّئاب. بِعِرْضٍ أسْرَعُ

تفطُّراً من الزُّجاج، وآكَلُ للقدرِ من الدّجاج. لا له زاجرٌ يَرْدَعُهُ، ولا أمْرٌ من العفافِ يَسَعُه، يطيْرُ مع كلِّ ناعق، ويعوي لكلِّ ناهِق، إذا شَعَر نَبَحَ، وإذا أنْشَدَ كَبَحَ. يتهادى إلى كلِّ مجلسٍ كأنّه زلزلة، ويتباذى وما حَرِجَ من الخطوة الحاضرة قَدْرَ أُنْمُلَه. على أنّه حامٍ تتحامى صَرْحَهُ الذّئاب، ويُعْرَفُ فضلُه على كثير ممّن لَبِسَ الثياب. يرعى العظام ولا يَلِجُ بيتَ جارِه إلاّ أنّه يسعى حول الخيام، ذو حَمِيَّةٍ ما شَهِدَ شبهَهَا يوم الكُلاب، وحفيظة ما عُرِفَ مثلُها لبني كِلاب، ببَصَرٍ حديد، وساعِدٍ شديد، وفطنةٍ لو تقيَّدَ بها عِلْمُ الطِّبِّ أو تنحَّلَ عَلِمَ أبُقراط فصار الأكحْلُ لا يخاف الغارة الشعرى ولا يهاب في السماء العوا. لا يزالُ في الحيِّ منه طائفٌ يسعى، ومِقدام الأسَد إذا أقعى، تتوقّى الأعداء من كَلَبِه، وتتطاولُ الرؤوس ولا تَصِلُ إلى ذَنَبِه. فاتك أخلا رامة من ظباتها السوانحِ، وسبق بَطشُهُ الجوارح. إذا رأتْه كلابُ الحيِّ بَصْبَصَتْ أذنابَها، وأكرَمَتْ مقدمه كأنّها تعْرِفُ أنْسابَها. إذا نُبذت له الحصاة ينزو لوقْعِها، وينبو لسُمْعَتِها. وله خطٌّ يروقُ وشيَ قَلَمِهِ، ويطولُ بِعصيٍّ يراعِهِ كأنّما يهُش بها على غَنَمِهِ. هذا مع رجوعه إلى أكرومته وعفافِه، وقَنَعه بقليل الذَّمِّ بَلَغَهُ، واللحْمُ موفَّرٌ لأضيافِه، وعَدَم تهافُتِهِ على آمالٍ تتنافَسُ طُلابُها، ودنيا تَزاحَمُ منها على جيفةٍ وتهارَشُ كلابُها.

وحكى لي من لا أتّهِمُه، ممن كان يَصْحَبُه ويَلْزَمُه، (٢٧٣) ويبيْتُ عنْدَه ولا يُضْجِرُهُ ولا يُبْرِمُهُ، أنّه كان ينامُ عنده الليلة الطويلة بتمامها، ويُصبحُ النَّهار ويتضحَّى وهو نائم، فإذا حَضَرَ الغداء، أنبهه فقعد فأكَلَ، لا يغْسِلُ وجْهاً ولا يدا، ولا يَقِفُ مع أمْرٍ كأنّه خُلِقَ سُدى، ما استيقظ وتوضّا، ولا صلى سنةً ولا فرضا، هذا مَعَ إصرارٍ لا يَهُمُّه منه لُبْسُ القبائح، ولا يخيفُه تشيعُ الفضائح، ولا يضُرُّه أن يبيتَ جسْمُه سماطَ السِّياط، وعرضُه قِرى القوابح. وعلى هذا فهو شاعِرٌ يملأ السمع عجباً، ويهزُّ الجماد طَرَباً، لا يفوته صيْدُ معنىً شارد، ولا ليلٌ

يَسْهَرُه لراقدٍ. بديهةٌ في التحصيل اعتادَها، وقدرةٌ على صَيْدِ شواردِ المعاني لا يُنكَرُ له إذا صادَها. عجباً له وهو في هذا النَّسَبِ العَريق، والمشابهة في التخلُّقِ والتخليق، كيف خالف عادة مثْلِه في الوفاء، وكيفَ حُمِدَ من نوعِه كلُّ مُضمَرٍ، ووُصِفَ وهو بالجفاء، إلاّ أنَّ محاسنَ شعْرِه نطقت، ويَدُ المعرفةِ به سبقت، وله حقُّ الصُّحبَةِ التي كانت إنفاقاً، فلَيْتَها لا كانت ولا أنفقت. ومن بدائعِه قوله فيما كتب به إليَّ: [الكامل]

أبداً يُجدِّدُ ليْ الحمامُ إذا شدا ... ذكراك في الليل البهيم إذا هَدَى
يا غُصْنَ بانٍ طارَ قلبي نَحْوَه ... شوقاً فبلَّ جناحَهُ قطرُ النَّدى
أترى دمي في وجنتيك فإنَّني ... عاينتُ خدَّكَ لا يزالُ مورّدا
أم نار حُسْنِك أوقدت في صَحنه ... فوضَعْتَ قلبي منه خالاً أسْودا
عَقَدَ الجفونُ بكُلِّ نجمٍ طالعٍ ... طَرْفٌ يُطالعُني على بُعْدِ المدى
شَرِقَتْ به عَيْنٌ وغصَّ بشَخْصِه ... صدري وضمَّ عليَّ وارده يدا
ثمَّ انتَضَتْهُ يدُ الفراقَ بيقْظةٍ ... من مُقْلَتَيَّ وكان فيها مُغمدا

منها:

نجل الخليفة من قريشٍ والذي ... حاز المفاخرَ طارفاً أو مُتْلَدا
سلك الطريق إلى عَديٍّ جَدُّه ... في المجْدِ والحَسَبِ الصريحِ فما عدا
(٢٧٤) وَجَلتْ مخايلُهُ الرئاسةَ إذ نَضا ... عنه الغمامةَ ثمَّ لاثَ السؤددا
أورَى زنادَ الدين بعد خموده ... حيناً ونار الجاهليّةِ أخمدا
وعصى دعاء اللات بعد بلوغه ... وأطاع في الله النبيَّ محمّدا
بُنيت معاليْه على قَصْدِ القنا الـ ... خطِّيِّ إذ سَلَكَ الطريق الأقْصَدا
وأقام أعمِدَةَ المآثرِ وارتقى ... دَرَج المعالي في السِّيادة مُصْعِدا
وأحلَّ أسرار الممالكِ صَدْرَه ... فحنَتْ أضالِعُهُ عليه تودُّدا

فلو استطاع الماردونَ لِوَحْيِه ... سمعاً عَلَوا صَرْحاً إليه مُمَرّدا

لكنَّهم مُنِعوا بِرَجْمِ شهابِه ... أن يقعُدوا للسّمْع منه مقْعَدا

وقوله من أخرى كتب بها إليَّ:[الطويل]

عفا بَعْدَهم بطْنُ العقيقِ فَلَعْلَعُ ... فوادي الغضا فالمنحنى فطويْلعُ

منازلُ عفّاها البلى فتأبّدتْ ... معالِمُها بعد النَّوى فَهْيَ بَلْقَعُ

هي الدارُ يصبيني صَباها ولم يَزَلْ ... تجرّعن فيها الأمرين أجْرَعُ

وَزِعْني بها الصبْرُ الجميل عن الأسى ... دموعٌ على ليلِ الصُّدودِ توزَعُ

سقى اللهُ أيامي بها وإن انقَضَتْ ... مراجعتي فيها لمن ليس يَرْجعُ

وحيٍّ لياليَّ التي زالت المُنى ... وقد زِلْنَ والأيّام تُعطي وتَمنَعُ

ومنها:

فساروا بمثل الشَّمس حطّت لثامَها ... وكم دون تلك الشَّمسِ بَدْرٌ مقنّعُ

لَوَتْ جيدها فيما ترى العَيْنُ دُمْيَةً ... تُحاطُ بألحاظ الكماةِ وتُمْنَعُ

يراقِبُنا فيها غيورٌ كأنّما ... ترى الشَّمس منها بين قرنيه تطْلُعُ

إذا زلَّ عنها سجنها أحدقت به ... لواحظُ قد غطّت عليهنَّ أدْمُعُ

يشُقُّ إليها الدَّمْعَ وهْيَ سريعَةٌ ... يشُقُّ عليها والقنا وَهْيَ شُرَّعُ

ومنها:

شهابٌ يضيء الخطب رأياً مهذّباً ... عليه الحسامُ الهندوانيُّ يُطبَعُ

(٢٧٥) سليْلُ أبي حَفْصٍ إلى مثل هَدْيِه ... وآثاره في صالحِ الذِّكْر ينزِعُ

فتىً عَدَوِيٌّ يجبُنُ السَّيْلُ دونَه ... إذا همَّ ناجاه فؤادٌ مُشَيَّعُ

١: النِّقْسُ: المدادُ يُكْتَبُ به.

إذا ناب خطبٌ ناب فيه عن القنا ... يراعٌ له أنْفُ الكريهة يُجدَعُ
وألفاظِ حُرٍّ حُرَّةٌ لا يُديرها ... خداعٌ إذا مرّت وذو الحَرب يخدَعُ
يصبْحُ على الأعداء في كلِّ بُقعَةٍ ... غرابٌ لها بالطِّرس والنِّقْسِ أبْقَعُ(١)

وقوله من أخرى كتب بها إليَّ: [الوافر]

سقى عهدَ الحمى صوبُ العِهادِ ... بكلِّ أجشَّ مُنْفَتِقِ المزادِ
كأن حبيكَ رَيِّقِه إذا ما ... تراكَمَ قطْرُه رِجلا جرادِ
يفُضُّ عراه لمعُ البَرقِ فيه ... كما هتك الدُّجى شررُ الزِّنادِ
فَيَسْرِقُ منه أجفانُ الخزامى ... ندًى كالدَّمْعِ في الأجفانِ بادي
فلو أنَّ الجمادَ يُطيقُ شُكراً ... له لَنطَقْنَ ألسنَةُ الجمادِ
حَيَاً يحيى مَواتُ التُّربِ منْهُ ... بنفثِ الرَّوْحِ أفواه الغوادي
ثرى دارٍ وجدتُ بها شجوني ... ولكنِّي عَدِمْتُ بها فؤادي
منازِلُ باعَدَتْ ما بين قلبي ... وسلواني وجفني والرُّقادِ
يعارِضُ ذكرها ريقي فتشجَى ... لهاتي منه بالعَذْبِ البَرادِ
ويَبْرأُ من نسيمِ المسكِ أنفي ... إذا هبّت صبا تلك البلادِ

منها:

إذا الحلماءُ والفصحاءُ جاؤوا ... وجيءَ بهم لإسداء الأيادي
فَمَن قيسُ بن عاصِمَ وابن قيس ... ومن قِسُّ بن ساعِدَةَ الإيادي
ذكرتُك يا ابن فضل الله ذكرى ... علاً هي والكواكبُ في عدادِ
وقد نوّهْت باسمي فهو فردٌ ... أجوز به النّجومَ على انفرادي
وألبَسْتَني احتفالُكَ بي رداءً ... خُلِعْنَ عليه أفئدَةُ العبادِ
وقد أوطَأْتَ آثاري أناساً ... على آثارِهمْ وطءُ الجيادِ

(٢٧٦) فكنتُ لهم عليـاناً ودوني إذا مـا حـاولوا خَـرْطَ القـتـادِ

وقوله من أخرى كتب بها إليَّ: [الكامل]

أطُروق طيفٍ من خـيـالك عـائد يُعنى بوسنانِ اللواحظِ هاجـدِ

قطع السمـاوة بعْدَ هَدْءٍ قـائمـاً بالودِّ في حفظ العهـود لقـاعِـدِ

ومن العجـائبِ أن تُحسَّ دنوَّهُ بعد الجفـاء لنازحٍ متبـاعِـدِ

أصبـو إليـه ودون مَنْهَلِ ثغـرِهِ مـا دون مـوردِ كلِّ عَـذْبٍ بارِدِ

خفقـانُ ألوية ولَمْعُ أسنَّةٍ زُرْقٍ تـفـارَطُ في أنامـلِ ذائـدِ

للمـاء تحت طلا لُهىً وضـاءة الـ خـدِّ المورَّدِ تَحتَ فَـرْعٍ وارِدِ

منها:

برّاقُ ثغـرِ الجود يُشْعِـرُ نشـرُهُ بالرِّيِّ أشعـارَ الغمـامِ الرّاعِـدِ

وترى السكينة في خِفـافَيْ عطفـه كـالصَّفْـوِ في مـاء الغـديرِ الرّاكـدِ

يسطو فـيبـرأ تاجُ كلِّ مُـمَلَّكٍ لسطا يديْه من بنان العـاقِـدِ

وإذا اجـتنى للجـود ناط يمينه بالنيِّـرات إلى يمينِ القـاصِـدِ

وتظلُّ تحسُـدُه الملوك فـإنّني لأرى الملوكَ على نداه حـواسِـدي

أطنابُ عِـزِّيه على هام السُّهى مـوصـولةٌ من عـزمِـه بقـواعِـدِ

يتـعـثَّـرُ الخطْبُ المفـاجئُ بينهـا ويقـيلُ عـثـرة كلِّ حـدٍّ صـاعِـدِ

وقوله مضمِّناً: [الكامل]

أفـديه أغْـيَـدَ شَـعْـرُه وجـبـينُهُ نُـورٌ تـلألأ فـي ظـلام داجـي

والفـرقُ بين الشَّـعْـرِ فـوق جـبـينِه عـريانُ يمشي في الدُّجى بسـراج

وقوله: [الرجز]

قـد بعثتـهم قَلْبي يوم بينهمْ … بضمّة التوديعَ وهْوَ محترِقْ
ولم أجِدْ من بعدها لِرَدّه … وجهاً، وكان الرّدُّ لو لم نفترِقْ

وقوله :[المتقارب]

(٢٧٧) أتى ابن نباتَةَ ديوانَهُ … يوقِّعُ والجَهْلُ قد أوقَعَهْ
فلمّا تصدّرَ لم يَدْرِ ما … يصُدِّرُ في الكُتُبِ المُصْفَعَةْ
فقالوا حمارٌ وهذا الجمودُ … يَدُلُّ على أنَّه بَرْذَعَه

وقوله :[المتقارب]

أرى ابن نباتَةَ لما غدا … يُعَرِّض في كُتْبِهِ بي غوى
فإنْ كُنْتَ كَلْباً فقد حمَّلوا … على عِرْسِهِ كلَّ كَلْبٍ عوى

وقوله :[المنسرح]

كأنّما الوردُ حمرةٌ وندى خدٌّ مليحٍ أبكاه توبيخُ
فانْظُرْ إليه في أفْقِ مجلِسِنا كواكِباً كُلُّهُنَّ مَرِّيخُ

وقوله :[البسيط]

يا سيِّدي أهْلُ دار الطّعْمِ قد كَذَبوا … حتى عليَّ بوعْدٍ غيرِ مُنْضَبِطِ
فاعْلَمْ على كلِّ حالٍ أنّهم سقَطٌ … لا يُفلِحونَ فلا تَغترَّ بالسَّقَطِ

وقوله في يومِ ثلج :[الطويل]

كأنَّ مغاني جِلّقٍ حين أشرفت … وقد عمَّ منها الثلجُ بكلِّ طريقِ
كواعِبٌ قامت في انتظارٍ لزائرٍ … يبسطنَ لممشاه ثيابَ دبيقي

وقوله :[الوافر]

بدا والليلُ مضمومُ الجناح بريقٌ مثلَ مُنْبَلِجِ الصباحِ
سريْعُ الومضِ في وطفاءَ تشكُو تثاقُلَ خَطوها هيمُ البطاحِ
أصاخ لها الثرى وقد ارجحنَّتْ وشافَهَ وقْعَها ثغْرُ الأقاحي
فأوْلَدَ بَطْنُ ذاك السَّفْحِ زهْراً كواعِبُه التقينَ على سفاحِ
فمنْ قانٍ يُخالُ دماً وزاه أغرّ كأنّه بيض الأداحي
كأنَّ المُزنَ والأغصانَ خيْلٌ عَطَفْنَ على الرُّبى بكؤوسِ راحِ
فوالهَفيَّ من جفنٍ وثغرٍ رقيقِ الخَصْرِ مجدولِ الوشاحِ
(٢٧٨) أَغَنُّ إذا نَضَا بُرْدَيْه لاحَتْ معاذيْرُ المتَيَّمِ للَّواحي
شكا خَدّاهُ منْ طَرْفي جراحاً وَقَلْبي منْهُما دامي الجراحِ
فَلَمْ أرَ مِثْلَ ناظرِهِ وَقَلْبي وُكُلٌّ منْهما شاكي السِّلاحِ

ومن قصيدة: [الطويل]

سَرى ونِقابُ اللَّيْلِ بالفَجْرِ قد حَطَّا وخطَّت يَدُ الإصباح في فَوْدِهِ وَخْطَا
وقد شَغَلتَ أيدي الضّحى بنجومه أناملَها يَلقُطْنَ جَوْهَرَها لَقْطا
وَأَلْقتْ خواتيمْ الثُّريّا اليدُ الَّتي لَها فَكَّتِ الجوزاءُ من أُذْنِها القُرْطا
وَشَقَّتْ على اللَّيْلِ البَهِيمْ ابتسامةٌ مِنَ الصُّبْحِ شَقَّتْ عَنْ تَرائِبِهِ مِرْطا
وخادَعَ مطرودُ الكَرَى كلَّ ناظرٍ وسَدَّ عن الرّملِ أبْرُدِه الأرطَى (١)
خيالٌ إذا أدْنَتْهُ مِن كَبدي المنَى شَفاهاً فقد يدنو المرادُ وإن شَطَّا
خليليَّ ما أَوْلاكُما بتحيَّة تَرُدُّ إلى من شَطَّ إن جئْتُما الشَّطَّا
يُذادُ لها ماءُ الفُراتِ إذا انْتَهَت إلى كَبدٍ تشتاقُ مِنْ عاته السَّقْطا (٢)

---

١ : في الأصل: ووسد. ولا يستقيم الوزن والمعنى إلا بحذف واو.

٢ : من عاته: كذا في الأصل. ولم أهتدِ لتوجيهها.

ومِنْ قصيدةٍ :[الكامل]

لله مُطَّلعـــون من قُلَلِ الحِـــمَى تُدنيـهمُ الذِّكـرى وإن لم يُسْعِفـوا
بين البـروق ثُغـورهم تَجلو الدُّجَى ومع الشّموسِ وجوهُهُم تُسْتَشْرَفُ
أنكرتُ منزلَهم بعـينَي والحَشَـا يَدريه للشَّعفِ القـديمِ ويعـرفُ

ومن قصيدةٍ :[الكامل]

غـادي الدّيارَ فناجِ فيـهـا فِعْلَنا وشكا الذي نشكو الحمائم موهنا
صَبٌّ بكى إثْرَ الخَليْطِ وعـاقَـهُ أنْ يَسْتَـقِلَّ وراءَهُم فَـرْطُ الضَّنَى
زالَتْ حَمُولُهُمُ وَفيـهـا أَنْفُسٌ قـدْ أَبْدلوها بالضُّلوعُ المنْحُنَى
للهِ ما سَتَرتْ غمائِمُ خُمْرِهِم من أقْمُرٍ تَبْدو فَيَحْجُبها السَّنا
هي والبدورُ على قوالبَ أفرغتْ لكن أرى الآدَى إلينا الأَحْسَنا
بانوا وأتبعـهم فؤادي حسـرةً يستصْحِبُ الأكبادُ فيها الأعينا
(٢٧٩) يتلفّتون إلى قتيلِ نواهُمُ وهم الظُّبـاءُ وأيُّ ظبيٍ ما دنا
ويُليهم مَـرُّ النَّسـيْمِ لَطافـةً وَهُمُ الغُصُونُ وأيُّ غُصْنٍ ما انْثَنى
واهاً لَهـاَ ولِكُلِّ غُصْنٍ لَيِّنٍ لو ضَمَّ مِنْه الصَّدْرُ قَلْبَاً لَيِّنا

وقوله :[الخفيف]

وَمَليحٍ مـا زالَ طايرُ عَقْلي واقِـفاً في الهَوى عَلَى غُصْنِ قَدِّهْ
ضَمَّ نَبْتَ الشَّقِيْقِ زَهْراً وَكـانَتْ عِلَّةُ الضَّمِّ أنَّه جِنْسُ خَدِّهْ

وقوله :[الكامل]

أَعْطى أزِمَّتَـه الصَّبـا والشَّمْأَلا وانقـادَ أدْهَمَ بالبُروقِ مُحَجَّلاً
غَيْثٌ قَفا إثْرَ الكواكِبِ ذَيْلُهُ فَعَفا وَأَرْسَلَها سَحائِبَ جُفَّلاً
ما قَبَّلَتْ مِنْهُ الكَمائِمُ هَيْدَباً إلاَّ وَقَدْ حَسِبَتْهُ كُمّاً مُسْبَلا

لَبِسَتْ لَهُ الغُدْرُ الدُّروعَ وَقَدْ رَأَتْ ... بَرْقاً يَهِزُّ على الأُبَيْرِقِ مُنْصلا

وقوله: [الوافر]

جرت كبدي مع الدمع المندّي ... حواشيَ وحشتي غِبَّ العِقابِ
فكانا لؤلؤاً رطباً أضيفت ... فرائدُهُ إلى ذَهَبٍ مُذابِ
فيالك حليةً لوفزتُ منها ... بشيءٍ لافتديتُ به شبابي

وقوله: [الوافر]

حبست الدمع ثمَّ جعلتُ جفني ... سياجاً ما له عنه انفراجُ
فمازلتم بجودكمُ إلى أن ... تجرّى الدَّمْعُ وانْخَرَقَ السِّياجُ

وقوله: [المتقارب]

وأغْيَدَ ألْثَغَ خاطبتُه ... وقد أبْدَلَ السِّيْنَ في اللفظ ثا
فقلت له زُرْ فقال الرقيـ ... ـب أراه مع الصُّبْحِ قد غَلَثا
فقُلْتُ أرى جبلاً لا يرقْ ... فؤادك لي قال لي قد رثا

وقوله: [السريع]

كأنَّما طابَعُهُ المشتَهى ... من تحت تلكَ الشَّفَةِ الزاهرةْ
(٢٨٠) مركز بيكارِ الجمالِ الذي ... صحّحَ وضْعَ الطلعةِ الباهرةْ
فاعجب لأيدي الحسن إذ قَرَّرتْ ... مركَزَهُ في طَرَفِ الدائرةْ

وقوله: [الرمل]

---

١ جاء في الأصل: خرفي فوق خرقي. وأملكه فوق أهلكه. والوجهان سليمان في قراءتيهما.

أعـجبُ مـا فـي مـجلسِ اللهـو جَـرْيٌ من أدمعِ الرّاوُوقِ لَمّـــا انسكَبَتْ
لـم تزل البطَّـةُ في قَــهْــقَــهَـــةٍ مِـمْـ مَـا بيننا تضـــحكُ حـتى انْقَلَبَتْ

وقوله :[السريع]

أنـا القليل العـــقل في خَـــرْقي الذي أهَلَـكَه فـي كَلَفِ المشــــارب[1]
مـا نلت من تضـيـيع مـوجـودي سـوى تصــفــيـــة الكاسـات فـي شــواربي

وقوله :[مخلع البسيط]

قـــالت وقـــد أنكرتْ ســقـــامي لـم أرَ ذا الـسُّـــــــقْـمَ يـوم بـيـنـكْ
لكـن أصـــــابتكَ عَينُ غـــيــــري فـــقلت لا عين غـــيــــرُ عـــينكْ

وقوله :[الطويل]

جَرَتْ من بُعَيْدِ الدارِ ليْ نفحةُ الصَّبا فقـد أقبلتْ حَسْرَى من السَّيْرِ ظالِعَةْ
ومن عَــرَقٍ مــبلولةَ الجــيبِ بالنَّدى ومن تَعَب أنفـاسُـهـا مـتَـتَـابِعَـةْ

وقوله :[الكامل]

لي عنـد مُـشْـتَـجَـرِ الرّياحِ إذا التـقى الْـ جَـمْـعـانِ واستنَّ الجـيـادُ الضُمَّـرُ
وتـراكـمت سُـحُبُ المنايا واعـــتلى في الجـوِّ من وقعِ السَّنابكِ عِـثْـيَـرُ
وانـهلَّ من زرق الأسِنّةِ فـــوق مـــغـ بَـرِّ التُّـــرابِ دمٌ عـــبـيطٌ أَحْـــمَــرُ
وعلى الثـــرى من كلِّ شـــهمٍ أروعٍ ثوبٌ بتـــفـضـيلِ المنونِ مـشـهَّـرُ
من أبيضٍ في مَـــفــرقَـيْـه أبيضٌ أو أسْـــمـر في جـانبَـيْـه أسْـمَـرُ
قلبٌ تُخَـــيِّلكَ الظنونُ له فـــمـــا تُـصْـبِـيـه حـادثةٌ ولا تـتـغـيَّـرُ

وقوله :[المتقارب]

فُـــتِنْتُ بأسْـــمـــرٍ حلو اللَّمى لـسلوانـه الصَّـبُّ لـم يـســـتطِعْ

(٢٨١) يُقطّعُ قلبي ومــــارقّ لي ودمـــــعي يرقُّ ومـــــا ينقطعْ

وقوله :[الطويل]

لقــد نَبَتَتْ في الصّالحـيَّة دوحــةٌ من العِــزِّ يحلو لي جناها ويَعْــذُبُ
فطابَ لدى قاضي القضاةِ محلُّها وكلُّ مكانٍ يُنبتُ العِـــزُّ طيِّبُ

وقوله :[الكامل]

ركب البَريدَ سوايَ نَحْوَ قُمامَةٍ للرُّزْق كـــابْنِ نُبـــاتَةَ النَّجَّـــامِ
وأَتَوا وأَجْــــرِبَةُ البَـــريْدِ وراءَهم وأتيتُ لا خَلْفي ولا قُـــــدّامي

وقوله :[الوافر]

توهَّمَ إذ رأى حُــبّــاً يُحــاكي على شـفـتـيـه دُرّاً في عـقـيقِ
فـــقُلْتُ له وحــــقِّكَ ليس هذا ســوى حَبَبٍ على كـأسِ الرّحيقِ

وقوله :[مجزوء الرمل]

يا فمَ المعـــشـــوق سـبـحـــا نَ الـــذي زانـــكَ زَيْـــنـــا
قـــــــد تحلَّـيْـتَ بُـدرٌ فـــتـــحَـــيَّـــيْتَ إلَيْنا

وقوله :[الطويل]

أتى سَرَطانُ الشّام مِصْرَ مُهاجِراً ليلْجأ في النِّيْلِ السَّعيْد إلى جُرفِ
فــإن مَنَعــوهُ النّيلَ خــوفَ نجاسةٍ فــقل نهــرُ قلّوطٍ عليــه إلى الأنْفِ

ومنهم :

* فوات الوفيات ١ : ٢٠٥ .

٦٤- ألطنبغا العَلَمي الجاولي، أبو جعفر، علاءُ الدين*

هو اليوم واحدٌ في جِنْسه، لا أعرف له ثانياً، ولا لفضْله مدانيا. يتبارى سيفُهُ وَذِهْنُه، ويتجارى جواده وخاطِرُه، وكلاهما يُحْرِزُ له رِهْنَه. لو اجتمع هو والفارابيُّ في مجلس ابن حمدان، لأراه بمعانيه كيف الطَّرَبُ. أو جاوره الجوهريُّ لقيل له لقد حَكَيْتَ ولكن فاتكَ النَّسَبُ. أو جالسه أَيدْمَرَ السّنائي لاسْتَمدَّ من موادّه الغزيرة. أو وقف على ديوانه ابن العديم، لأقرَّ بأنَّه فخر التُّركِ لا مولى وزير الجزيرة.

لقد أسمع من كَلمِهِ ما رَقَّ كأسُه حتى شُرِبَ، ونفح من شذاه ما سُلِّم به إلى أنَّ جياد المسك (٢٨٢) ما كان من بلاد الترك قَدْ جُلِبَ. فيا له فارِسُ جوادٍ وإجادة، أصبح فيهما بلا نظير، وبلغ منهما غاية كُلِّ مضمار وغاية كلِّ ضمير. وأتى بالدُّرِّ كأنّه مَبْسَمُهُ، أو من فلول سيفه لما اخْتَرَطَهُ.

هذا وقد طُبِعَ على سجايا لو تَمَثَّلتْ كالزُّجاج لشفّت. ومرايا لو قلقل طوارِقَ الليلِ لكنَّت شيمةً ممازجة، وسجيّةً كريمةً. تحلّى بملابسها، وأحْسَنُ ما فيها أنَّها تركيّةٌ ساذجة.

ومن شعره الفائق قوله:(١)[البسيط]

سَبِّحْ فقد لاح برق الثَّغْرِ بالبَرَدِ واستَسْقِ كفَّ الطُّلا من كفِّ ذي مَيَدِ
ستعْرِبُ اللّفظَ للأتراكِ نِسْبَتُهُ له على كلِّ صبٍّ صولةُ الأَسَدِ

١: الفوات ١ : ٢٠٦ .

٢: الفوات ١ : ٢٠٦ .

٣: الفوات ١ : ٢٠٦ .

٤: الفوات ١ : ٢٠٦ .

يا عاذلي خَلِّني فالحُسْنُ قلّدَهُ … عقداً من الدُّرِّ لا حَبلاً من المَسَدِ
ويلٌ لمن لامَني فيهِ ومُقْلَتُهُ … نفّاثةُ النَّبْلِ لا نفّاثةُ العُقَدِ

وقوله:(٢)[الكامل]

خودٌ زَهَا فوقَ المراشفِ خالُها … ولَئن فُتِنْتُ به فَلَسْتُ أُلامُ
فكأنَّ مَبْسَمَها وأسْوَدَ خالِها … مِسْكٌ على كأسِ الرَّحيقِ خِتامُ

وقوله:(٣)[المجتث]

وبارِدِ الثغرِ حُلْوٍ … بِمَرْشَفٍ فيهِ حُوّة
وخَصْرُه في انتحالٍ … يُبدي من الضّعْفِ قُوّة

وقوله:(٤)[الخفيف]

ردفُهُ زادَ في الثّقالةِ حتّى … أقْعَدَ الخَصْرَ والقَوامَ السُّويّا
نَهَضَ الخَصْرُ والقَوامُ وقاما … وضعيفانِ يغلبانِ قويّا

وقوله:(١)[الطويل]

تخاطبني خُودٌ فأبدي تَصَامُماً … فَتُكْثِرُ تكرارَ الخطابِ وتَجْهَرُ
فَأُصْغِي لها أذْناً وأُظْهِرُ عُجمةً … لكيما أرى دُرّاً من الدُّرِّ يُنْثَرُ

وقوله:[البسيط]

قال النُّحاةُ بأنَّ الاسْمَ عِنْدَهُمُ … غَيرُ المسمَّى وهذا القولُ مردودُ
الاسْمُ عينُ المُسَمَّى والدّليْلُ على … ما قُلْتُ أنَّ شهابَ الدينِ محمودُ

١: الفوات ١: ٢٠٦.
٢: الفوات ١: ٢٠٧.

وقوله:(٢)[الوافر]

(٢٨٣) وصالُكَ والثُّريّا في قِرانٍ	وهجرُكَ والجفا فَرَسا رِهانِ
فَديتكَ ما حَفِظت لشُؤْمِ بختي	من القُرآنِ إلاّ لن تراني

وقوله:[الكامل]

وكأنَّ عارضَهُ تَسَلْسُلُ دورَةٍ	وحُلا مراشِفِ ثغرِهِ من شَهْدِهِ
نَمْلٌ سعى يبغي ضريبَ رُضابِهِ	لكن توقَّفَ من تَصَرُّمِ خدِّهِ

وقوله:[الكامل]

بِالرُّعْبِ أَخْضَرَ الخُدود وشارُبه	فليُهْنَ بالرِّيْقِ المعَسَّلِ شارِبُهْ
سلطانُ عِشقٍ كُلّما كلَمْتُهُ	يَزْوَرُّ ناظِرُهُ ويقْسو حاجِبُهْ

وقوله:[الطويل]

وقالوا عِذارُ الخدِّ فيه صَبَابَةٌ	وإنّ به كلُّ الجمالِ يتمُّ

وقوله:[المتقارب]

عذارُكَ والخدُّ قد أظْهَرا	جميع الذي فيهما يَرْمِزُ
وأنّى يُصانُ الهَوَى فيهما	وهذا يَنِمُّ وذا يَغْمِزُ

وقوله:[الخفيف]

شُغِفَ الطَّرْفُ والعِذارُ بخَدٍّ	فيه ماءٌ وجَمْرُ نار يَشُبُّ
كُلَّما احْمَرَّ خَجْلَةً وَحَياءً	يَنْعَسُ الطَّرفُ والعِذارُ يَذُبُّ

وقوله:[الكامل]

نَقَلوا الهوى عنّي وقد شاعَ الخَبَرْ	حتى دَرَى بِصبابتي كلُّ البَشَرْ

إنَّ العيونَ الضيِّقاتِ فَتَنَّني ... لا الأعينُ النُّجْلُ التي فيها الحَوَرْ
يا من يُعَرِّضُ للهلالِ فؤادَهُ ... من سَطْوَةِ الأتراكِ أَلْحَذَرَ الحَذَرْ
قومٌ إذا رقُّوا يروقوا في الوَفا ... فإذا قَسَوْا قاسَا مُحِبُّهُمُ الخَطَرْ
لا يَعْرِفون سوى السّهامِ ورشْقِها ... إمّا بأيديْهِم وإمّا بالنّظَرْ
عند الجِلادِ ضراغِمٌ لكنَّهُمْ ... في مجلسِ اللذّاتِ زُهْرٌ أو زَهَرْ
من كلِّ ريّانِ القَوام مُهَفْهَفٍ ... يختالُ في حُلَلِ الملاحَةِ والخَفَرْ
(٢٨٤) من آلِ خاقانٍ كَلِفْتُ بحُبِّه ... زِنْجِيُّ لحظٍ والحواجِبِ والشَّعَرْ
لمَّا بدا للناسِ قالوا إنَّ ذا ... مَلَكٌ أتى بالحُسْنِ ما هذا بَشَرْ

وقوله :[المديد]

مُتْ شهيداً في غزالٍ ألوفِ ... لَيِّنِ الأعطافِ غيرِ عطوفِ
خدُّه دون ظُبَا مُقْلَتَيه ... جَنَّةٌ تحت ظِلالِ السُّيوفِ

وقوله :[الكامل]

وإذا بُلِيْتَ من الهموم بِلَسْعَةٍ ... فاجْعَلْ سُلافَكَ عاجلاً درياقُها
لم يظلموا راووقَها في صلبه ... فلقد أباحَ دماءها وأراقَها

وقوله :[الطويل]

بكتْ عندما عانقتُها يوم ودَّعتْ ... فقالت: لقد زاد البعادُ وأفرطا
فوالله لا أدري ألؤلؤُ دمْعِها ... أم العِقْدُ من ذاكَ العناقِ تفرّطا

وقوله :[الكامل]

سَفرتْ عن الوجه المنير نقابَها ... واستقبلتْ قَمرَ الدُّجَى فتشابَها
حتى إذا حاشَى الرّقيب تبرقَعتْ ... شمْسٌ غدا ذاك النقابُ حجابَها

لم أنْسَــهــا يومَ الوَداعِ وقــد دعت   دمــعــاً يكلِّلُ خــدّها فــأجــابَهــا
فكأنَّهُ دُرٌّ عــلى ديبـــاجــةٍ   أو روضــةٌ طَلُّ السّــمــاءِ أصــابَهــا
خــافت غَــداةَ البينَ من رُقــبــائهــا   لَمّا رأت بلَّ الدمــوعِ نقــابَهــا
زَجَــرَتْ دمــوعــاً مِــثْلَ لؤلؤِ ثغــرِها   حــتى حَــسِــبنا كَلَّلَتْ أهدابَهــا

وقوله :[المتقارب]

خــذوا حِــذْرَكُــمْ من ســيــوفِ المُقَلْ   فــليس لكم بِسَطاها قِــبَــلْ
وَقُــوا أنفســاً إن رَمَتْ أسـهــمــاً   فــمــا هي إلاّ ســهــامُ الأجَلْ
وإن نَفَــثَتْ ســحْــرَها أورَثَتْ   فليس تُفــيْــدُ الرُّقي والحِــيَلْ
فَــهَلْ لِدَمي آخــذٌ من رَشَــاً   يصــولُ ولا يخْــتَــشي إن قَــتَلْ

(٢٨٥) وقوله :[الكامل]

وسَرَتْ سيوفُكَ في الكُماةِ كما سَرَتْ   سِنَةُ الكَرَى في مــقــلــةِ النُّوّامِ
لا يشْــعُــرونَ إذا قَطَعْتَ رِقــابَهُمْ   لولا التــحــاقُ الهــامِ بالأقــدامِ

وقوله :[الخفيف]

وكــأنَّ الكُمــاةَ صَــرْعَى مُــدام   رَقَــدوا مِنْ ظبــاكَ لا إغــفــاءَ
إذ سَقَــتْهُــم سيــوفُكَ البيضُ كأسـاً   فــتــراهم صــرعى تفــانوا دمــاءَ

ومنهم :

٦٥- سليمانُ بنُ داودِ بنِ سليمانِ بنِ مُحَمّدِ بنِ عبدِ الحقِّ، الحنفيُّ،

١ : الأرْيُ: العَسَلُ .
٢ : طبٌّ: يقالُ رجُلٌ طبٌّ، أي حاذقٌ ماهر .

أبو الربيع، صدرُ الدين

من بيت فِقْهٍ وقضاء، وعِلْم كأحْسَنِ وجوه الكواكب الوضاء. تفقّه على مذهب الإمام أبي حنيفة، ويغْلِبُ على ظنّي أنّه لم يَعْلَقْ في المدارس بوظيفة. وجاس خلالَ البلاد، وجاز على ملوكُ المغل ثمَّ عاد. ووصل مع رُسُلٍ جاءت منهم مشاركاً في الرِّسالة، مشاراً إليه بينهم بالجلالة. ما الأرْيُ [١] المُشارُ إلاّ مذاقُهُ، ولا النَّهارُ المنيرُ إلاّ إشراقُهُ، ولا سُلافُ العقارِ إلاّ ما أسْمَعَ، ولا البدورُ الكواملُ إلاّ ما أطْلَعَ، ولا العِرابُ الأتراب إلاّ ما أبدى من بنيّاتِ فِكْرِهِ فجلا أو أكنَّ فبَرْقَعَ.

وهو في كلِّ فنونِه مبرِّز، ولعيونه مُحرِز. حاز البيان بحدِّه، ومَلَكَ منْهُ ملكاً سليمانيَّاً لا ينبغي لأحَدٍ من بَعْدِهِ، بقريحةٍ عُرِفتْ بالسماح حتى لوْم حاتِم، وتصرَّفت في ملك البيان تصرُّفَ سليمانَ وقَلَمِه الخاتمْ، لِقُدْرةٍ طبّ [٢] بها فَخْرَ العقودَ، وتصرّف بها تصرُّفَ سليمانِ بنِ داود. لم يبْقَ عَروضٌ حتى زَخَرَ له بَحْرُهُ، ولا سرُّ بلاغةٍ حتى ضُمَّ عليه صَدْرُه، ولا تَفَنُّنُ أهل غربٍ أو شرقٍ حتى جَمَعْ، وتَفَنَّنَ فيه حتى قَصُرَ دونَهُ كُلُّ طَمَعٍ، مما ينافس فيه البديع، ويجانسُ وشيُ صنعاءَ حُسْنَه الصّنيع، ويَنْشُرُ ملاءاتِ الحَبَرِ من فِكْرِه السحابيِّ أبو الربيع، مما تَقذفُ به السُّفُنُ والرِّكاب، وتجري الريحُ بأمْرِه مسخَّرَةً حيثُ أصاب، لمحاسِنَ أبعدَ فيها وأبْدَعَ، وظلَّ بها كلُّ مَنْ حضر مجلسَهُ السُّليمانيَّ وكأنه الهُدْهُدُ يسجُدُ ويركعُ. هذا ونشْرُه يلوح على الأساريرِ، وندى وَجْهِه تخوضه (٢٨٦) العيون ثم تقول إنّه صَرْحٌ ممرَّدٌ من قواريْرَ.

ومِنْ شعرِه الذي يروق، ودُرِّه الذي يفوق، قوله :[الوافر]

---

١ : السُّها : كوكب صغير خفيٌّ الضوء في بنات نَعْشٍ الكبرى أو الصغرى، وفي المثل: «أُرِيْها السُّها وتُريني القَمَرْ»؛ يُضْرَبُ للمدهوش الذي يُسْأَلُ عن شيءٍ فيُجيبُ جواباً بعيداً .

أرومُ وصـالَهُ فـيَـصُـدُّ قلبي ... بلحظٍ قـد حَـمَى رَشْفَ الثّنايا
فـبـيْنَ لحـاظِ عـينيـه وقلبي ... وبين الوصلِ مَـعْـتَـركُ المنايا

وقوله :[المتقارب]

ولما انْقَضى وقتُ تَوْدِيْعِـهـا ... عـشـيَّـةَ بينٍ وجـدَّ السَّـفَـرْ
وقَـفْـتُ بِجِـسْم يُرِيْها السُّـها ... وسـارتْ بِوَجْـهٍ يُرينـي القَـمَـرْ (١)

وقوله : [الرمل]

حظُّ عـينيَّ من الدُّنْيـا القَـذَى ... وفـؤادي حظُّه منهـا الأذَى
ولَكَمْ حـاوَلْتُ فـيـهـا راحـةً ... مـا أراد اللـه إلاّ هـكـذا

وقوله :[السريع]

لَمَّا بدا في خـدِّه عـارِضٌ ... وشـاقَ طرفي نَبْـتُـهُ الأَخْـضَـرُ
أمْطَرَ أجـفـاني مـسـتـقْـبِـلاً ... فَـقُلْتُ هذا عـارِضٌ مُـمْطِرُ

وقوله :[الخفيف]

إنْ بدا لي وتُبتُ عن شُـرْبِ راحي ... ودعـاني إليـه دُفٌّ وعـودُ
فـأدِرِ يا نديْمُ كـأسَ مُـدامي ... وعليَّ الضَّـمـانُ أنِّي أعـودُ

وقوله :[مخلع البسيط]

عَطِشْتُ في مَـجْلِس وفـيـه ... سـاقٍ كـريمٌ يُديْرُ خَـمْـرا
سُـقِـيْت لما عَطِشْتُ كـأسـاً ... يا ليـتني لو عَطِشْتُ أخـرى

وقوله :[الطويل]

---

١ الحَلْفا : أو الحَلَفُ نَبت أطرافُهُ محدّدةٌ كأطراف سعف النّخْل ينْبُتُ في مغايِضِ الماء .

تعشَّقْتُهُ ظبياً فنمَّ عذارُهُ فناديتُ يا قلبي خَلُصْتَ من السَّبْيِ
فقال أتسْلو عند نبتِ عذارِهِ ألم تَدْرِ أنَّ المِسْكَ ينبُتُ في الظَّبْيِ

وقوله :[مجزوء الكامل]

من يَكُن أعمى أصَمَّاً يَدخُلِ الحانَ جِهارا
(٢٨٧) يَسْمَعُ ألحانَ تتلى وتَرى النَّاس سكارى

وقوله :[الطويل]

بدا الشَّعْرُ في الخدِّ الذي كان مُشْتهىً فَأَخْفى عن المعشوقِ حالي وما يخفَى
لقد كانت الأردافُ بالأمْسِ روضةً من الوردِ وهي اليوم موردة الخَلْفا (١)

وقوله :[المجتث]

أهوى رشاً غريراً لم يُبق فيَّ بُقْيَا
من مهجتي ودمعي رَعْياً لَهُ وسُقْيا

وقوله :[الخفيف]

يا رسولَ الحبيب غِثْ مُسْتَهاماً مغرماً يعشقُ الغرامَ دِيانَهْ
حَدَّثَ الخائفُ الكئيبُ من الهَجْرِ فهو ممَّن يرى الحديثَ أمانهْ

وقوله :[الطويل]

أناديكَ موسَى إذ رأيتُك وارِداً ومقْتَبِساً ناراً وقد قيل لا وَلا
أيا قابِساً خُذْ من فؤادِيَ جذوةً ويا وارداً رِدْ من دموعي مَنْهَلا

وقوله :[مخلع البسيط]

قل للذي حين رام رزقاً بِكُلِّ مالا يليْقُ لاذا

أقْصِرْ عناءً وَنَمْ قريراً   فالرِّزقُ يأتي بدون هذا

وقوله: [الطويل]

وقائلةٍ يومَ الوداعِ أرى دماً   تفيضُ به عيناك قُلْتُ لا أدري
ألم تعلمي أنَّ الفؤادَ لِبَيْنِنا   يذوبُ وأنَّ العَيْنَ لا بُدَّ أن تَجْرِيْ

وقوله: [الكامل]

وإلام أمْنَحُكَ الودادَ سجيَّةً   وأبوءُ بالحرمان منك وبالأذَى
ويلومني فيك العَذولُ وليس لي   دَمْعٌ يَعِيْ، وإلى متى تبقَى كذا

وقوله، مما كتبه إليَّ: [الطويل]

نَشَأْتَ شهابَ الدين بالعِلْم والحِجا   وفُقْتَ الورَى فضلاً وعِلْماً وسُؤدُدا
(٢٨٨) شهابُ العُلا قد كانَ قبلك في العُلا   شهابٌ ومحمودٌ وقد جئت أحمدا

وقوله: [السريع]

ضيَّعْتُ أمواليَ في سائبٍ   يَظْهَرُ لي بالودِّ كالصَّاحِبِ
لَمّا انتهى مالي انتهى وُدُّهُ   واضَيْعَةَ الأموالِ في السَّائبِ

وقوله: [الطويل]

يقولُ نَديْمي عن نَصُوحٍ بكفِّهِ   لَقَدْ فَضَحَ الصَّهبا وَجَلَّ عن الخُبْثِ
فقُلْتُ هو المطبوخُ من جسَدٍ لها   ألم تَرَهُ قد صار منها على الثُّلْثِ

وقوله: [الطويل]

أقول لثغري والحبيب رُضابُه   مُدامي، ونقْلي لَثْمُ أيدٍ وأرْجُلِ
أيا ثغْرُ قبِّل جِيْدَه وجبينَهُ   تنقَّلْ فَلَذّاتُ الهَوى في التَّنقُّلِ

وقوله: [الطويل]

وساحرِ طرْفٍ عقربٌ فوق صُدْغه تَدبُّ إلى قلبي ولم أمْلِكِ الدّفْعا
وحيّةِ شُعْرٍ خلفها نحو مُهْجَتي يُخيِّلُ لي من سِحْرِها أنَّها تَسْعى

وقوله: [مجزوء الكامل]

لما حكَى برقَ النَّقا لَمَعانُ ثَغْرِك إذ سَرَى
نقل الغمام إليك عن دمعي الحديثَ كما جرى

وقوله: [مجزوء الكامل]

قد كُنْتُ أحْسَبُ بُعْدَكُم حتى تَوَخَّيْتُ السُّرَى
وظننتُ دَمْعِيَ بعدكم يجري دماً وكذا جرى

ومنهم:

٦٦- سليمانُ بن أبي داودِ

علمُ الدين، صاحبُ الديوان. العَلَمُ الفَرْدُ، الذي سادَ ذِكْرُهُ وساد الشُّكْرَ شُكْرُه، وسالَ بذائب النُّضارِ فِكْرُه، وسام الدُّرَّ الغالي فهانَ لديه قَدْرُه، ووَلِيَ المناصبَ السلطانية، وكان صدر رُتبها، وسِرَّ كُتبِها، ورَأْسَ دواوينها، وأساس قوانينها، وآسَ دوحها الخَضِرْ، ووَرْدَ (٢٨٩) أفانينها.

وتقدّمت له خِدْمةٌ لقرا سنْقُر المنصوري، حلَّ فيها عنْدَه المحلَّ الجليل، وصَحِبَهُ بها مُدَّةً، وفارَقه على وَجْهٍ جميل، وكان معه حَيْثُ رَجَعَ عن قصْدِ الحجِّ، موجِّهاً إلى البَرِيَّة، وأخبرني أنَّه وصل معه إلى الفرات، ثُم رَجَعَ بإذْنه، حيثُ خلاّه صاحِبُه، وتَغَلْغَلَ ووطِئ ذلك البساط، وتوغّلَ وأتى البابَ الشَّريْفَ الناصِرِيَّ، فَعَرف وفاءه لصاحِبِه، وقيامه له من حُسْنِ الصُّحْبَةِ بواجبِه، واتَّخذه

موضعَ المعوَّل، والوفاءِ الذي شُكِر بدونِه السموألُ، وهو أقدرُ النّاس على نظم، وأسرعُ فيه تقريباً لِفَهْم، ومنه قوله :[مجزوء الرجز]

قُلْتُ لـه: كم تَشْتكي ... أتشتهي خُذْ واتَّكِي
فقال: لا. قُلْت لـه: ... لا تشتهي وتَشتكي

وقوله في زوجةٍ له ماتت، وكانت لخلائقه قد واتت ، ثمَّ مَضَتْ كأنها ما أصْبَحَت عِندَهُ، ولا باتَتْ، فَجَرَحَهُ مُصابُها، وَجَرَّعَهُ صابُها، فواصل حُزْن قَلْبِه قطيْعَتُها، وأنطق لسان شكواه فجيعَتُها :[الطويل]

أَقول لِقَلْبي حين غيبها الثَّرى ... تَسَلَّ فكُلٌّ للمنيَّة صائرُ
وفي كلِّ شيءٍ للفتى ألفُ حِيْلَةٍ ... ولا حِيْلَةٌ فيْمَنْ حَوَتْهُ المقابِرُ

وقوله :[الكامل]

قالت وقد راودتُها عن حالةٍ ... يا جارتي لا تسألي عمّا جرى
إنِّي بُلِيْتُ بعاشقٍ في أيْرِه ... كِبَرٌ بلا فِلْسٍ ويطْلُبُ من ورا

وقوله :[الطويل]

وَبي رشأٌ ريحانُ خطِّ عذارِه ... مُسَلْسَلهُ حَوْلَ الحواشي مُحَقَّقُ
على وَجْنةٍ قد ورَّدَ الوَرْدُ لونها ... وقَلْبٍ شقيقُ الروضِ مِنْهُ مُشقَّقُ

ومنهم :

٦٧– يحيى بنُ محمّد بنِ زكريا، العامِريُّ

١ : الطّبون : مفردها طِبّن وهو ما على وجه الأرض من الحَطَب، وَطَبَنَ النار يَطْبِنُها طَبْناً دفنها في الطابون لكيلا تطفأ .

٢ : الشونيز: الحبة السوداء وهي المعروفة بحبّة البركة، أو القرحة .

الخَبَّازُ في التنُّور. وهو شاعرٌ عَطَّلَ الخبّازَ البَلَديَّ فَنَّه، وأنِفَ أن يكون من الخُبْزِ أرزي خِدنِه، وسَجَرَ التنّور وأوقده ذِهْنُه، بقريحةٍ مُحَصِّلةٍ لم تَتَّكِلْ، على حاصلِ ابنِ القمّاح، ولا قَنِعَتْ بِمَدِّ (٢٩٠) ابن خَضيرْ الحوراني، لما تشكُّله على الألواح. ما قَدَحَ خاطِرُه المتوقِّدُ إلاّ مثلَ هذا الفِكْر المسجور، ولا استُمْرِئ فِكْرُهُ المتدفِّقُ إلاّ قِيلَ جاء أَمْرُ الله وفار التَّنُّور. تتحاشَدُ عليه المسامعُ تَحاشُدَ الطُّبُون[1] وتتحاسَدُ تحاسُدَ نظرائه في الزَّبون. تُدْرِكُ فطرتُه المعاني بِخِرْصِها، وتودُّ الشمْسُ لو جرّتَ نارَه إلى قُرْصِها. تودُّ فحمةُ الليلِ لو أنَّها في تنُّوره أُحْرِقت، وعنبرة الصُّدْغِ لو استدارت بوجوه أرْغِفته التي أشْرَقَتْ، بتَصَرُّفٍ لا تُتَلَوَّمُ به الأعذار، ومعنىً يخرُجُ من فِكْرِه وله الغداةَ نُوار، إلى خطٍّ كأنّه رغيفُهُ على الألواح له من الشُّونيزِ[2] عذارٌ. فلو رآه ابن الروميِّ لَعَدَل عن مَدْحِ صانِع الرُّقاق، وقطع له دونه بالاستحقاق، ولراسَلَه ابنُ المعتَزِّ في تشبيهه السُّوقي، وقدّمه على تشبيهه الملوكي، لبديهته التي في مثل اللمح بالبَصَرِ، وصناعَته التي بينما هو متجمِّع لها كأنَّها كُرَةٌ إذا بها قوراء كالقَمَرْ، وسُرْعته التي مقدار ما تنداحُ دائرةٌ في صفحة الماء تلتقي فيه بالحَجَرِ.

ومن شِعْرِه قوله: [الطويل]

كأنَّ هلال الصُّبْحِ والشُهبُ حَولَه مليكٌ عليه الخاصكيّة تُحْدِقُ
ولفَّ الثريّا قصةٌ رُفِعَتْ له عليها لسانُ الصُّبْح بالبِشْرِ ينْطِقُ

وقوله: [الكامل]

زهرُ السَّفَرْجَلِ بالجميلِ رأيتُهُ قد فاقَ زَهْرَ اللَّوزِ في الأوصافِ
هذا يُنَثِّرُ للنّسيْمِ دراهماً ونثارُ ذا بخفائفِ الأنصافِ

وقوله: [الطويل]

ولم أنْسَ زَهْرَ اللَّوزِ عند عَشِيّةٍ وقد مَيَّلتْ ريحُ الصَّبا لِيْنَ أعطافهْ
طَرِبْنا لتغريدِ الحمائمِ فوقَهُ فنقّطَ وَجْهَ الأرْضِ من جُمْلَةِ أنصافِه

وقوله :[الكامل]

أين السيوفُ من العيون نَسُلُّها غلَطاً وإن كانت بصَقْلٍ تَلْمَعُ
إنَّ السيوفَ قواطعٌ بِصِقالها إلاّ العيونُ إذا تصدّت تقطعُ

وقوله :[الطويل]

ولّما رأى حُبّي سقامي يزيدُني فقال: إلى كم ذا المقالُ يزيْدُ
(٢٩١) فقُلْتُ: وهل لي صِحّةٌ وسلامةٌ وَجَفْناك مرضَى إن ذا لبَعيدُ

وقوله :[السريع]

قُلْتُ لمن يَنْتِفُ أصْداغَهُ لا يُكرَهُ الريحانُ حول الشقيقْ
واعْتِقْ لِشَعرِ الذّقْنِ من نَتْفِها فالشيخُ سُنّيٌّ يُحِبُّ العتيقْ

وقوله من قصيدٍ :[الكامل]

والياسمينُ كأنّه من فِضّةٍ قد صِيغَ للنُّدمان كالصُّلبانِ
ولأَجْلِ ذا قَدْ غَرَّدَ الشَّحْرورُ في حُلَلِ السَّوادِ كَحِلْيَةِ الرُّهْبانِ

وقوله :[البسيط]

بادرْ إلى فُرَصِ اللّذّاتِ في الغَلَسِ واجْلُ المُدامةَ تُغنينا عَن القَبَسِ
فَمِسْكَةُ الليلِ قَدْ فتَّت نوافجَها[1] على الرياضِ فأهدتْ أطيبَ النَّفَسِ
ووَجْهُ روضِكَ بَسّامٌ ونَرْجِسُهُ مُحَدِّقُ الطّرْفِ لا يخشَى من النَّعَسِ

---

١ : نوافِجَها: النافجة: الريح الشديدة الهبوب، ويقال سحابةٌ نافجة، كثيرة المطر، والنافِجَةُ أيضاً وعاء المسك في جِسْمِ الظَّبْيِ.

وإن رأيْتَ النَّدى في الأقْـحْـوانِ بَدا   فنَزِّه الطَّرْفَ بين الثَّـغْـرِ واللَّعَسِ

وقوله :[الكامل]

لا تعـجـبـوا لسُرورِ مَنْ أحْـبَبْـتُـهُ   ودمي عليـه في المحبَّـةِ يُسْـفَكُ
فَـدَمُ الشـقـيقِ يسـيلُ من وَجْناتِهِ   وبِجَنْبِـه ثغـرُ الأقـاحي يَضْـحَكُ

وقوله في مثاقف :[المتقارب]

لَئِنْ شـبَّـهـوا قَـدَّه بالغـصـونِ   أو الوَجْـهَ بالبَـدْرِ خـافـوا عَلَيْـهْ
وأخْطَا المشـبِّـهُ في حقِّ من   غـدا الغُصْنُ والبـدرُ في قَـبْضَـتَيْـهْ

وقوله :[الطويل]

تتـيَّـمْتُ زَهْرَ اللوزِ من أجْلِ سَبْقِـهِ   يُخـبِّـرُنا إنَّ الرَّبيـعَ لقـادمُ
وأعْـجَبُ مـا عـايَنْتُـهُ منْهُ أنَّه   يُقطِّعُ من أعـضـائِه وَهْوَ باسِمُ

وقوله في أقْطع :[الطويل]

وَبي أقْطعٌ مـا زال يسـخـو بمالِهِ   ومنْ قـاصِـديْهِ قطُّ مـا رُدَّ سـائلُ
(٢٩٢) تناهت يداهُ فاستطال عطاؤها   وعِنْد التَّناهي يَقْـصُـرُ المتطاوِلُ

وقولِه مُضمِّناً :[الوافر]

أُحِبُّ الجُـحْـرَ دون الكُسِّ قـصـداً   ولا أبـغـي عـلـى ذاك ازديـادا
ولـي نَـفْـسٌ تحِـلُّ بِـيَ الـرّوابـي   وتـأنـفُ أن يَـحِـلَّ بـيَ الـوِهـادا

وقوله :[السريع]

باكِـرْ عـروسَ الرَّوضِ واسْـتَـجْلِهـا   وطَلِّقِ الحُـزْنَ ثلاثاً بتـاتْ
بقَـهْـوةٍ حَلَّت لنا كُلَّمـا   حَلّت لآلي القطرِ جـيـدَ النبـاتْ

وقوله :[الكامل]

ومُعَقْرِبِ الأصداغِ أسبلَ بُرْقُعاً ... فَسَبا لكلِّ مُعَقْرِبٍ ومُبَرْقِعِ
قالت لواحظُه لطالب قُبْلَةٍ ... في خدِّه لا تخْشَ قَلْبَ البُرْقُعِ

وقوله :[الوافر]

بعيشِكَ هاتِها صفراءَ صرفاً ... صباحاً واطَّرِح قول النّصُوحِ
فهذي الشمْسُ قد بزغت بعيْنٍ ... تُغامِزُنا على شُرْبِ الصَّبوحِ

وقوله :[الكامل]

اشْرَب على الغَيْمِ الجديْدِ عتيْقا ... وانظر بكأسِكَ لؤلؤاً وعقيقا
واطْفِ اللهيبَ بكأسٍ راحِكَ ساعةً ... واحْرِقْ همومَكَ بالرَّحيْقِ حَريْقا
والحِقْ صبوحَك بالغبوقِ لذاذةً ... ما العيشُ إلاّ صُبحةً وغُبوقا
من كفِّ ساقٍ صاغه مُنْشِيْهِ من ... لُطْفٍ فَلَمْ تنظُر لديه عقوقا
ساقٍ أبَعْناهُ العقولَ بكأسه ... فأقام فينا للمَسَرَّة سوقا
ثَمِلُ المعاطِفِ قدُّهُ من لِيْنِه ... رَشَقَ القلوبَ به فصارَ رَشيقا
وشقَقْتُ ثوبَ تَصَبُّري منْ خدِّه ... لمّا لَهُ صار الشقيقُ شقيقا
شرِقَتْ لرؤْيته العيونُ بدمْعِها ... وجَرَتْ دماً لما رأتْهُ شريقا
وبريقِه زاد الحُمَيّا رقّةً ... وبِشَعْرِه زاد البروق بريقا
(٢٩٣) خَرِسَتْ أساوِرُه وأنَّ وشاحُهُ ... فَتَخالُهُ قلباً عليه خفوقا

---

١ : كذا في الأصل . ويليه بياض قدر أربعة أسطر . ولا ترجمة له .

* مقدمة ديوانه بتحقيق أحمد فوزي الهيب .

٢ : ديوانه ٥٤ .

٣ : الديوان : فأي مزية .

أرخَى ذوائبَــــهُ وقـــــال أبَيْنَـهُـمْ فَـسرْقٌ فَــقُلْتُ له أراكَ دقيــــقــا
يجـفـو الصَّـديقُ صـديقَـهُ في مـثلِهِ ولطالما هَجَــرَ الصَّــديقُ صَــديقــا
قـد جـاز في حـدِّ الملاحَـةِ مـثلَمـا فَــضْلُ المؤيَّدِ جـاوَزَ العَـيُّـوقـا

ومنهم

٦٨- مُحَمّدُ بنُ عليٍّ، الحمويُّ

المعروف بالشت. .(١)

ومنهم:

٦٩- عُمَرُ بنُ المظفَّرِ بن عُمَرَ بنِ محمّد بن أبي الفوارِسِ بنِ عليٍّ، الورديُّ، أبو حَفْصٍ، زينُ الدين*

أَحَدُ القضاةِ ببلاد حَلَب، وفي ذلك قال:(٢)[الكامل]

قـد قـيلَ لي قـاضٍ وأيُّ فـضـيلَةٍ لاسْمٍ هو المُسْتَـثْـقَلُ المنقـوصُ(٣)

قُلْتُ: وهـذا الورديُّ ذو أدَبٍ. حَسْبُكَ ما تَشُمُّ من شذاه، وتضمُّ من وَرْدِه تحت قَطْرِ نداه. وأقمْتُ قبل تَمام هذا التأليفِ مدّةً أسأل عنه الرُّكْبانَ، وأتطلَّبُهُ حتى جاءني منه أوائلُ وردٍ في أواخرِ شعبان، فتحَرَّجْتُ بمراهقة الصيام من إدارة كؤوسِهِ، وتحجَّرتُ في كِتْمانِهِ خوفاً أن يجعل رمضان نهار أكْلِهِ بشعْشَعَةِ شموسِهِ، وقُلْتُ لسابق سحابِهِ: أمسك عنانك الصيِّب، ولموردِ وَرْدِهِ من أين لك هذا النَّفَسُ الطّيِّب، ونَظرتُ إلى مدبجه، وقلتُ: إنّك لَلْعَلَمُ الفَرْدُ، ثم التَفتُّ إلى أَرَجِهِ، وقلت: وإنّك ماءُ الورد إن ذَهَبَ الوَرْدُ. وتحيَّرْتُ هل هو مما أنبتت حَلَبُ أو نصيبينُ، وهل هو مما شحَّ به الشَّجَرُ أو دُرٌّ من دارينَ. ورأيتُ ما يُنْسَبُ إلى الخدِّ الورديّ في ديباجَتِهِ، وإلى المدام الورديِّ في زُجاجَتِهِ. لا بل هو الوَرْدُ على رَغْم

المنْكرِ، وهو المضاعَفُ حُسْنُهُ إنْ كُرِّرَ. ثُمَّ قدمْتُ حَلَبَ فأتاني، وَعَرض عَلَيَّ من شِعْرِه كُلَّ غضٍّ القِطاف، ورديِّ العطاف، لا يُشكِّكُ فيه الممتري (٢٩٤)، ولا يرتابُ قبل جفاف النَّدى عن الوَرَقِ أنّه الورْدُ الطَّرِي، فاجتنيت به الورد من غُصْنيه، واجْتَلَبتُ الوَرْدَ لكنَّه مما لا يَعُدُّه مرتبط الجياد في حصنيه، واجتبيت الوَرْدَ إلاّ أنَّه الأَسَدُ المتَعْقِعُ زئيرُ لَسَنِه، واجْتَلَيْتُ الوَرْدَ إلاّ أنّه العَنْبَرُ الوَرْدُ في يَد مُخْتَزِنه، وكدْتُ أستخرج منه ماء الورد إلاّ أنه قد أعْرَقَ، وتَكَلَّلَ مِنْهُ بالجوهَرِ مثْلُ لؤلؤ الطَّلِّ المفرِّق، وقُلْتُ بوركْتَ من ورْديٍّ يُعيْرُ ثغور العذارى عقودَه المجْوهَرَة، وَوَرْدٍ منسوبٍ في نصيبِ نصيبينَ لاقَطَعَتْ أيدي الحوادثِ من أنسابه شَجَرَةً، وَظَلِلْتُ أنشدُها ويَجْتَهِدُ الحسودُ فلا يقْدرُ يَجحَدُها، وَطَفقْتُ أُقَلِّبُ جَنيَّهُ الوَرْدِيَّ، وأقَبِّلُ شفاه وَرْدِه، والساقي يتوهَّمُ فيقول تارةً: دَعْ قَدَحِيْ. وتارةً يقول: خلِّ خدِّي، وأجْتَني باكُورَتَه من فَرْعِهِ المنتمي إلى علي، وأنْشُرُ نشره وَرياحُهُ تضُرُّ حاسِدَه الجُعَليَّ. ولو عاصَرَه ابن قلاقِسَ وعقل، لقال: دعني أتَستَّرُ بِوَرَقي، وأَخْتَبِيءُ من الأرْضِ في نَفَقي، وأسْرِقُ من وَشْيِهِ الورْديِّ خُضْرَةَ سَرَقي. ولما أدَّعى –وقالَ الحقَّ– بَنَفْسَجَ صُبْحي، ووردة شَفَقي، ولو جاء بَكيْراً في أوّلِ الأوان لما وَسِمَ الأبيوردي في اسْمِهِ بالزِّيادة، ولا كان إلاّ عَبْدَهُ أبو عُبادَةَ، ولَكان صنوَ الصنوبَريِّ لابَلْ أبان عَجْزَه على التَّحْقيق، وقصورَه في وصفْ الرَّوض الأنيق، وَعَرَّفَهُ –وقد ضَيّع عُمْرَه في وَصْفِ الرَّوْضِ وَشقِيْقِه– بأنَّ ساعةً من الوَرْدِ بِعُمْرِ الشَّقيق.

وهو مِمَّنْ ضَرَب إلى الفِقْهِ بِعِرقٍ، وَظَهَرَ له في النَّحْوِ حِذْق. وَوَلَي القضاء

١: ديوانه ٢٨٧، عدا الأول.

٢: الديوان: بين تربيها.

٣: الديوان: ويا طرفي معاً.

وَهُوَ له مُسْتَحِقٌّ. ومن شِعْرِهِ الذي يُقِرُّ له الكلام الحُرُّ بالبَرْقِ، وتسْأَلُهُ القرائحُ المماتِنَةُ الرِّفْقَ، ما أثبَتهُ له الفاضِلُ أبو الصفاء خَلِيْلٌ الصَّفَدِيُّ. ومِنْ خطِّه نَقَلْتُ، وفي أثنائه أبياتٌ لأبي الصفاء ذَكَرها، واعْتَرَض بِمثْلِ أثناء الوشاحِ المُفَصَّلِ دُرَرَها، كان قد أنْشَدَها لقاضينا الورْدِيِّ، فأخَذَ معناها قسْرا، ورَكَّبَها في صُورَةٍ أُخرى، إلاّ أنه استزارَ منها حُلُمَ الطَّيفِ، وأكْرَمَ ملقيها لَمَا أتَتْهُ من حَلَب إلى دِمَشْقَ، وقال يا كرامَ الورْدِ ضيْفٌ، ومما ذُكِرَ للوردي قوله المُستَدْعِي يَحثُّ كؤوسِ المُدام، وكيف (٢٩٥) لا، وَهِيَ أيّامُ الورْدِ في غبوقِ الغَمامِ. فمنه قوله:(١)[الكامل]

أتظُنُّني أُصْغي إلى اللوّام … في حُبِّ مَنْ ذُلِّي بها إكْرامي
فبقدِّها وبخدِّها وبثَغْرِهَا … غُصْنٌ وتفاحٌ وحَبُّ غَمامِ
لما تبدَّت بين أترابٍ وَمَنْ … سُحُبِ البراقِعِ لاحَ بَدْرُ تمامِ(٢)
ناديْتُ يا قَلْبي ويا طرفي معاً … أنا قدْ وَقعْتُ ففارِقا بِسَلامِ(٣)

وقوله:(١)[الخفيف]

سل وميض البروقِ عن خَفَقاني … وَعَليْلَ النَّسِيْمِ عن جُثْماني
وَلَهِيْبَ الهجيْرِ عن نارِ قَلْبي … وخَفِيَّ الخيالِ عن أجفاني

وقوله:(٢)[الكامل]

إنْ عادَ لَمْعُ البَرْقِ يخْبِرُ عَنْكُمُ … وأتى القبولُ مُبَشِّراً بقَبولي

---

١ :ليس في الديوان .
٢ : ليس في الديوان .
٣ : ليس في الديوان .
٤ : ليس في الديوان .
٥ : ليس في الديوان .

فَلأَقْدَحَنَّ البَرْقُ من نارِ الحشا وَلأَخْلَعَنَّ على النُّجومِ نُحولي

وقوله:(٣)[الوافر]

وسودٍ صيّرتْها السُّودُ بيضاً فلا تَطْلُب من الأيّام بِيْضَا
فَبَعْدَ السُّوْدِ ترجو البِيْضَ ظُلْماً وقد سَلَّت عليها السُّودُ بِيْضا

وقوله:(٤)[البسيط]

انْهَلَّ أدْمُعُها دُرّاً وفي فَمِها دُرٌّ وبينَهُما فَرْقٌ وتِمْثالُ
لأنَّ ذا جامِدٌ في الثغْرِ مُنْتَظِمٌ وذاك مُنْتَثِرٌ في الخدِّ سيّالُ

وقوله:(٥)[الخفيف]

جاءنا الوَرْدُ في بديعِ زمانِ فَقَطَعْناهُ في مُنًى وأمانِ
وَنَهَبْنا فيه لذيذَ وِصالٍ وَهَتكْنا فيه عَروسَ الدِّنانِ
وَغَلِطْنا فيه بِبَعْضِ ليالٍ فَخَلَطْنا شعبانَ في رَمَضانِ

وقوله:(١)[الكامل]

أنّى لِوَرقاءِ الغَضا تَشْكُوْ النَّوى وَغَدَتْ مُضاجِعَةً قضيبَ البانِ
فلَوْ طَوَّقَتْ جيداً وَقَدْ خَضَبت يداً وَشَدَتْ بألْحانٍ على عيدانِ

وقوله:(٢)[الكامل]

---

١ : ليس في الديوان .
٢ : ليس في الديوان .
٣ : ليس في الديوان .
٤ : ليس في الديوان .
٥ : ليس في الديوان .

وَمُـرنَّحِ الأَعْطافِ مـهـضـومِ الحـشـا يهـتـزُّ من هَيَفٍ بِلِيْنِ قَـوامِ
نمَّ العـذارُ على صَـحـيـفـةِ خـدِّه أنا خـائفٌ من فِـتْنَةِ النَّمّـامِ

(٢٩٦) وقوله:[٣][البسيط]

أحـاطَ بالخـال فـوقَ الخـدِّ عـذارُه لمّا تـكـوَّنَ فـي نورٍ ونيـرانِ
مكانَ عـابدِ نارٍ فـوْقَ وجْنَتِـه وقـد غـدا راهِبـاً في دَيْرِ شَـعْـرانِ

وقوله:[٤][البسيط]

لمّا رَأَوْا حُـسْنَ شـامـاتٍ بوَجْنَتِـه وقـد نما حـولهـا خـافٍ من الزَّغَبِ
قـالوا لَقَـدْ شـانَ شـامـاتٍ له شـعَـرٌ فـقُلْتُ والله ذا من أفْـحَشِ الكَذِبِ
لكنَّهـا نَفَـحـاتُ المِسْكِ قـد نُشِرَتْ وَصِـيْغَ منثـورُ ذاك المسْكِ بالذَّهَبِ

وقوله:[٥][البسيط]

زَهَتْ عـقـاربُ أصـداغٍ له مُـسِـخَتْ في نارِ وجْنَتِـه نَمْـلاً ومـا احْـتَـرَقَتْ
حـتى إذا اجْـتَـمَـعَتْ عـادت بوَجْنَتِه حَبّاتِ مسكٍ على خَـدَّيْه واخْـترقَتْ

وقوله:[١][البسيط]

قَـدْ خُطّ في خَـدِّه مـن زَغَبٍ فـقـال لي عـاذلي هل عنه سُلوانُ
أمـا ترى نَـمَّ نَبْتٌ فـوقَ وَجْنَتِـه فَـقُلْتُ مـا نَـمَّـهُ زورٌ وبُـهْـتـانُ

---

١ : ليس في الديوان .
٢ : ليس في الديوان .
٣ : ليس في الديوان .
٤ : ليس في الديوان .
٥ : ديوانه ٢٩٩ .

وإنّمــا كُــتِــبَــتْ كُلُّ المحــاسِنِ في ... صــحــيــفــةِ الخــدِّ والسَّطْرانِ عنوانُ

وقوله :(٢)[البسيط]

لا تَحْسَبوا شَعَراً من فوقِ وَجْنَتِهِ ... يَشِينُ خَداً صقيلاً راقَ مَنْظَرُهُ
لكنّه سَلَّ من أجْفانِ مُقْلَتِهِ ... سَيْفاً فَمُثِّلَ في الخَدَّينِ جَوْهَرُهُ

وقوله :(٣)[البسيط]

كَأَنَّ عارِضَهُ في الخدِّ حين نَما ... خَفِيُّ غَيْم بدا في جانبِ الشَّفَقِ
أو عَنْبَرُ الخالِ فَوقَ الخدِّ مُحْتَرِقٌ ... دُخَانُه قد علا في خدِّه الشَّرَقُ

وقوله :(٤) [الرمل]

بِيَ من لوقالَ لي مَبْسَمُهُ ... ادْنُ والْثُمْ غِرْتُ أنْ أَلْثُمَهُ
غاب عن عيني نهاراً كاملاً ... ليتني أعْلَمُ من عَلَّمَهُ

وقوله :(٥)[المجتث]

إن جزت سَلْعَاً فَسَلْ عَنْ ... ظَبْيٍ مِنَ الظَّبْي أَحْسَنْ

---

١ :الديوان : في مهجتي .

٢ : الديوان : عنه صبري .

٣ : ديوانه ٣٣١ .

٤ : الديوان : هويت . . . ريقها عذب .

٥ :الديوان : رأسي بها شيبان والطرف من نبهان .

٦ : ديوانه ٣٥٧ .

٧ : الديوان : صاحبٍ .

٨ : ديوانه ٣٠٠ .

٩ : الديوان : في العاشقين .

(٢٩٧) مَكَّنْتُهُ من فؤادي ومُهْجَتي فَتَمَكَّنْ[١]
لا تطلُبوا فيه صبري فالصَّبْرُ أوهى وأوْهَنْ[٢]
أفنيْتُ فيه وجودي ولَسْتُ أسْمَعُ مِمَّنْ

وقوله:[٣] [السريع]

عَلِقْتُ أعرابيَّةً ريقُها شَهْدٌ ولي فيها عذابٌ مُذاب[٤]
طرفي بها نبهانُ والرأسُ مِنْ شَيْبانَ والعُذالُ فيها كلاب[٥]

وقوله:[٦] [المتقارب]

وأفشيتُ سِرِّي إلى صاحبي فَعُدْتُ له طُولَ دَهْري ذليلا[٧]
فوا أسفاً كيف أودعتُه ليوم العداوةِ سيفاً صقيلاً

وقوله:[٨] [مجزوء الرجز]

أنتم أحبّائي وَقَدْ فَعَلْتُمُ فِعْلَ العِدَى
حتَّى تَرَكْتُم خَبَري للعاشقينَ مُبْتَدا[٩]

وقوله:[١] [السريع]

إذا مضى للمَرْءِ من عُمْرِهِ خَمْسُونَ عاش العيشَةَ السيِّئةْ
وإنْ شكا قال له دهرُه أجْمِلْ فَلِي عِنْدَكَ نِصْفُ المِئةْ[٢]

---

١ : ديوانه ٣٤٣ .
٢ : الديوان : احمل .
٣ : ديوانه ٤٥ .
٤ : ديوانه ٣٣٤ .
٥ : ديوانه ٤١٠ .
٦ : ديوانه ٢٦٤ .

وقوله:[3] [الرمل]

جـاءنا مُلْتَـثِـمـاً مُكْتَـتِـمـا فـدعَـوْناه لأكْلٍ وَعَـجِـبْنا
مَـدَّ في السُّـفـرةِ كـفّـاً تَرِفـاً فـحَسِـبْنا أنَّ في السُّـفـرةِ جُـبْنـا

وقوله:[4][مجزوء الرجز]

قُلْتُ وَقَـدْ عـانَقْـتُـهُ عـنـدي مـن الـصُّـبْـحِ قَـلَـقْ
قـال: وهـل يـحْـسُـدُنا قُـلـتُ: نَـعَـمْ: قـال: انْـفَـلَقْ

وقوله:[5][السريع]

باللهِ يا مَـعْـشَـر أصـحـابي اغْـتـنِـمـوا عِـلمي وآدابـي
فـالشَّـيْـبُ قـد حلَّ رأسي وقـد أقْـسَـمَ مـا يـرحَـلُ إلاّ بـي

وقوله:[6][الوافر]

وكُنتُ إذا رأيـتُ ولو عـجـوزاً يُبـادرُ بالقـيـامِ على الحَـرارَةْ
(٢٩٨) فـأصْـبَحَ لا يقـومُ لِبَـدْرِ تمٍّ كـأنَّ النَّحْـسَ قـدْ وَلِـيَ الوزارة

وقوله:[1][المنسرح]

رامَتْ وصـالي فَـقُلْتُ لي شُـغُلٌ عن كـلِّ خَـودٍ تـريْـدُ تَلْقـاني
قـالتْ: كـأنَّ الخـدودَ كـاسِـدَةٌ قُلْتُ: كـثـيـراً لِقلّة القـاني

---

١ : ديوانه ٢٥٢ .
٢ : ديوانه ٢٦٨ .
٣ : ديوانه ٢٨٢ .
٤ : ديوانه ٢٨١ .
٥ : الديوان : قلنا على رسلك قال اسكتوا . . والعجز صدر بيت، تمامه : إن بني عمك فيهم رماح .
٦ : ديوانه ٢٧٩ .

وقوله:(٢)[مجزوء الرجز]

لا تَصْحَبَنَّ أعْوَراً وإنْ تَناهى زَيْنُهُ
لو كان فيه راحةٌ ما فارَقَتْه عَيْنُهُ

وقوله:(٣)[مجزوء الكامل]

لّما شَتَتْ عيني ولَم تُرفق لتوديع الفتى
أدنيتُها من خدِّهِ والنارُ فاكِهَةُ الشِّتا

وقوله:(٤)[السريع]

لما رأى الزهر الشقيق انثنى منهزماً لم يستَطِعْ لَمْحَهُ
وقالَ مَنْ جاءَ؟ فقلنا له: «جاء شقيقُ عارِضاً رُمْحَهُ»(٥)

وقوله:(٦)[السريع]

من كان مَرْدوداً بِعَيْبٍ فَقَدْ رَدَّتْني الغِيْدُ بِعَيْبَيْنِ
الرأسُ واللِّحْيَةُ شابا معاً عاقَبَني الدّهْرُ بِشَيْبَيْنِ

وقوله:(١)[مجزوء الرمل]

١: ديوانه ٣٠٠ .
٢: ديوانه ٣٠٠ .
٣: الديوان: في العاشقين .
٤: ديوانه ٣٣٧ .
٥: الديوان: بينهم ثائر .
٦: ديوانه ٣٣٨ .
٧: الديوان: فيهم .
٨: الانشقاق. الآية ٦ .
٩: ديوانه ٣٥٦ .

دهرُنا أضحى ضَنينا ... باللقا حتى ضَنِيْنا
يا ليالي الوَصْلِ عودي ... واجْمَعِيْنا أجْمَعِيْنا

وقوله:[2] [الرجز]

أنتم أحِبّائي وقد ... فَعَلْتُمُ فِعْلَ العِدى
حتى تَرَكْتُم خَبَري ... في العالَمِيْن مُبْتَدا[3]

وقوله:[4] [السريع]

وتاجِرٍ شاهَدْتُ عُشّاقَهُ ... والحَربُ فيما بينَهُمْ سائِرُ[5]
قال: علام اقتَتَلوا هكذا ... قُلْتُ: على عينِكَ يا تاجِرُ

وقوله:[6] [الكامل]

مَرِض الفؤادُ وصحَّ وُدِّي فيكُمُ ... وأقام تذكاري وَجَفْنِيَ نازِحُ[7]
إنسانَ عيني كم سهادٍ كَمْ بَكا ... «يا أيُّها الإنسانُ إنَّك كادِحُ»[8]

وقوله:[9] [البسيط]

يعيبُ شِعْرِيَ أقوامٌ وأعْذُرُهم ... فإنَّ شِعْرِيَ وَرْدِيٌّ وَهُمْ جُعَل
شِعْري وإن كان سهلاً فَهْوَ ذو ثِقَلٍ ... على حسوديَ فهو السَّهْلُ والجَبَل

١: ديوانه ٣٦٩ .
٢: الديوان: عادات سوء .
٣: ديوانه ٣٧٥ .
٤: ديوانه ٣٩٨ .
٥: الديوان: فقابلها .
٦: الديوان: والشرح .

(٢٩٩) وقوله:[1][مجزوء الرمل]

الـعـــــــروضـيُّ فـــــــلانٌ أنْ بَـــدَتْ مِـــنْـــه هَـــنـــاتُ
فَـلَـهُ جـــــــدّاتُ ســـــوءٍ فـــاعِـــلاتٌ فـــاعِـــلاتُ[2]

وقوله:[3][السريع]

مَرَّتْ نِساءٌ كالظِّبا خَلْفَها أدْهَمُ يحميْها عَن الكَيْدِ
قالوا لما يَصْلُحُ؟ قُلْتُ الظِّبا للصَّيْدِ، والأدهمُ للقَيْدِ

وقوله وزاده:(٤)[البسيط]

ديارُ مِصْرَ هيَ الدُّنيا وساكِنُها هُمُ الأنامُ فقابِلْهُمْ بتَقْبِيْلي (٥)
يا مَنْ يباهي ببغدادٍ ودِجْلَتِها مِصْرٌ مُقَدَّمَةٌ والسَّرْحُ للنيلِ (٦)

آخر السِّفر السادس عَشر من كتاب مسالك الأبصار. ويتلوه -إن شاء الله- في السابِع عَشر. ثمَّ لم يَبقَ إلاَّ ذِكْرُ الشُّعَراءِ بالجانبِ الغربيِّ.

الحَمْدُ للهِ وَحْدَه، والصلاةُ والسَّلام على سيِّدنا محمّدٍ، خاتم النبيِّين، وعلى آلِهِ وَصَحْبِه أجمعين.

طالعه وانتفع منه: يحيى بن محمد بن الحسين المدني

طالعه أفقر العباد: حليم البغدادي سنة ١٢٠٩

طالعه أفقر عباد الله ربِّي: أحمد خليل الشافعي

عفا الله تعالى عنهم سنة ٨٣٤

المصادر والمراجع

١- التذكرة الفخرية. الإربلي. حققها نوري القيسي وحاتم الضامن. المجمع العلمي العراقي. بغداد ١٩٨٤م.

٢- تهذيب تاريخ دمشق. عبد القادر بدران. دار المسيرة. بيروت ١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

٣- خريدة القصر وجريدة العصر. العماد الأصفهاني.

- قسم الشام. حققه شكري فيصل. مجمع اللغة العربية. دمشق ١٣٧٥-١٣٨٤هـ١٩٥٥-١٩٦٤م.

- قسم العراق. حققه محمد بهجت الأثري. المجمع العلمي العراقي. بغداد ١٣٧٥-١٣٩٨هـ١٩٥٥-١٩٧٨م.

- قسم فارس. حققه عدنان محمد آل طعمة. وزارة الثقافة. طهران ١٤٢٠هـ١٩٩٩م.

٤- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة. ابن حجر العسقلاني. دار الجيل. بيروت ١٩٦٥م.

٥- دمية القصر وعصرة أهل العصر. الباخرزي حققه محمد ألتونجي. بدون تاريخ ومكان طبع.

٦- ديوان ابن الرومي. حققه حسين نصار. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٧٤-١٩٨١م.

٧- ديوان ابن الساعاتي. حققه أنيس المقدسي. الجامعة الأمريكية. بيروت ١٩٣٩م.

٨- ديوان ابن الظهير الإربلي. حققه ناظم رشيد جامعة الموصل ١٩٨٨م.

٩- ديوان ابن عنين. حققه خليل مردم. دار صادر. بيروت. د.ت.

١٠- ديوان ابن الوردي. حققه أحمد فوزي الهيب. دار القلم. الكويت ١٤٠٧هـ١٩٨٦م.

١١- ديوان الأعشى. حققه محمد محمد حسين. دار النهضة العربية.

بيروت ١٩٧٤م.

١٢- ديوان التلعفري. صححه محمد سليم الأنسي. المطبعة الأدبية. بيروت ١٣١٠هـ.

١٣- ديوان الحاجري. مطبعة فكري. القاهرة ١٢٨٠هـ

١٤- ديوان أسامة بن منقذ. حققه هاشم مناع. دار المنار. دبي ١٤١٧هـ١٩٩٦م.

١٥- ديوان سبط ابن التعاويذي. دار صادر. بيروت ١٩٦٧م.

١٦- ديوان الشاب الظريف. حققه شاكر هادي شكر. مطبعة النجف. النجف ١٩٦٧م.

١٧- ديوان الصرصري. حققه مخيمر صالح. جامعة اليرموك. إربد ١٩٩٠م.

١٨- ديوان صفي الدين الحلي. حققه محمد حُوَّر. المؤسسة العربية للدراسات. بيروت ٢٠٠٠م.

١٩- ديوان عفيف الدين التلمساني. حققه يوسف زيدان. أخبار اليوم. الإسكندرية ١٩٨٩م.

٢٠- ديوان فتيان الشاغوري. حققه أحمد الجندي. مجمع اللغة العربية. دمشق ١٣٨٧هـ١٩٦٧م.

٢١- ديوان المتنبي. دار صادر. بيروت ١٩٥٨م.

٢٢- الروضتين في أخبار الدولتين. شهاب الدين المقدسي. دار الجيل. بيروت. د.ت.

٢٣- سبط ابن التعاويذي - حياته وشعره. نوري شاكر الآلوسي. مطبعة الأزهر. بغداد ١٩٧٥م.

٢٤- سقط الزند. أبو العلاء المعري. دار الحياة. بيروت ١٩٦٥م.

٢٥- صفي الدين الحلي - حياته وآثاره وشعره. محمد حُوَّر. دار الفكر.

بيروت ١٤١٠هـ١٩٩٠م.

٢٦- فوات الوفيات. ابن شاكر الكتبي. حققه إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت ١٩٧٣م.

٢٧- مختار ديوان أيدمر المحيوي. دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٣١م.

٢٨- معجم الأدباء. ياقوت الحموي. حققه إحسان عباس, دار الغرب الإسلامي. بيروت ١٩٩٣م.

٢٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ابن تغري بردي. وزارة الثقافة. القاهرة. د.ت.

٣٠- النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية. عمارة اليمني. مكتبة مدبولي. القاهرة. ط٢ ١٤١١هـ١٩٩١/م.

٣١- الوافي بالوفيات. الصفدي. فسبادن ١٩٦٢-١٩٩٨م.

٣٢- وفيات الأعيان. ابن خلكان. حققه إحسان عباس. دار صادر. بيروت ١٣٩٨هـ١٩٧٨م.

المحتوى